

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– قسنطينة –

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

التّماسك النصّي في القصص القرآني – دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السّلام –

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم

في الدراسات البلاغية

إشراف الأستاذة الدكتورة:

آمال لواتي

إعداد الطالب:

عز الدين هبيرة

أعضاء لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الرتبة | الجامعة الرئيسية | الصفة |
|------------------|--------|------------------------------------|-------|
| أ.د. رابح دوب | أستاذ | جامعة الأمير عبد القادر | رئيسا |
| أ.د. آمال لواتي | أستاذة | جامعة الأمير عبد القادر | مشرفا |
| أ.د. سكينه قدور | أستاذة | جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي | عضوا |
| أ.د. صالح خديش | أستاذ | جامعة عباس لغرور – خنشلة | عضوا |
| أ.د. زهيرة قروي | أستاذة | جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة | عضوا |
| أ.د. فريدة زرقين | أستاذة | جامعة 08 ماي 1945 – قالمة | عضوا |

السنة الجامعية 1437-1438 هـ / 2016-2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير
مركز الدراسات والبحوث
الاسلامية
مركز الدراسات والبحوث
للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

شكري الجزيل وتقديري الكامل لأستاذتي المشرفة، الأستاذة الدكتورة: آمال لواتي،
على توجيهاتها ونصائحها القيمة المفيدة.

كما أتقدم بخالص شكري وجزيل عرفاني للأستاذ الدكتور: توفيق العلوي، مدير
المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس، باعتباره مشرفا ثانيا، وعلى كل التسهيلات
الإدارية المقدمة خلال فترة التبرص.

والشكر موصول أيضا لكل موظفي مكتبة الدكتور: أحمد عروة، ومكتبة كلية
الآداب والعلوم الإنسانية، ومكتبة الشيوخ، وقسم الدوريات، فجزاهم الله عني خير
الجزاء.

المفردات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حُضيت اللغة باهتمام كبير من الباحثين، باعتبارها وسيلة اتصال وتواصل بين البشر، الأمر الذي أدى إلى ظهور العديد من النظريات والمدارس التي تناولتها بالدراسة والتحليل، منها المدرسة النصية التي تعدت في تحليلاتها اللغوية الجملة، بوصفها وحدة لغوية كبرى، لا يمكن دراستها منفصلة عن سياقها اللغوي، والمتمثل في البنية اللغوية الكبرى "النص".

وإنّ البحث في مكونات الجملة على المستويات التحليلية المختلفة يسّر من دراسة وتحليل العلاقات بين الجمل، ليتوالى ظهور النظريات التي رأت ضرورة توسيع نطاق البحث اللغوي، ليتجاوز حدود الجملة إلى النص، وعرفت باسم لسانيات النص؛ والتي تشتمل على العديد من المصطلحات، ويمثل كل جانب منها عنصراً مهماً في التحليل النصي.

وقد انتقل الدرس اللغوي الحديث عند العرب بدوره من مستوى الجملة إلى مستوى النص، متأثراً بالنظريات الغربية، إلا أن هذا لا يعني أن العرب لم يعرفوا مثل هذه الدراسة، إلا بعد تطور الدرس اللغوي الحديث، فقد اهتم به علماء العرب قديماً، وخاصة منهم المهتمين بدراسة النص القرآني، باعتباره نصاً يفيض بلاغة، عجز العرب عن الإتيان بمثله أو محاكاته، وانصبّت جهود العلماء على إبراز كل الظواهر اللغوية والعلاقات المنطقية، التي تحكم هذا النص محلّين بذلك أهمّ وجه من وجوه إعجازه - الإعجاز اللغوي -.

وإن موضوع التماسك النصي من أهم عناصر التحليل النصي، الذي يعتمد في أساسه على التماسك في تحقيق النصية، إضافة إلى أنه يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وبالعلاقات بين جمل النص وفقراته، بل وبين النصوص المكوّنة للخطاب القرآني، بما في ذلك القصة القرآنية، ومن ثمّ يحيط التماسك بالنص داخليا وخارجيا.

وللقارئ دور في الحكم على تماسك النص، وهذا ما يتجلى بوضوح في النص القرآني، وبخاصة في قصصه؛ حيث يأتي النص القرآني بعناصر جوهرية في القصة أو الموضوع، ثم يحذف عناصر أخرى ثانوية، وعلى القارئ للنص أن يستكمل هذه الجمل المحذوفة من خلال إدراكه لطبيعة الأسلوب القرآني وسياق النص أو مناسبة النزول، ولا يتأتى هذا إلا بإدراك ومعرفة الوسائل والأدوات التي يتماسك بها النص، وعلى هذا الأساس، سينصب اهتمامنا على تحليل قصة موسى عليه السلام بحسب أسباب النزول، لا بترتيب المصحف الشريف، في هذه الدراسة الموسومة: التماسك النصي في القصص القرآني - دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام -.

إن هذه الدراسة تمثل ممارسة نصية تطبيقية، تفيد من الدرس اللساني الحديث، وتستحضر

إسهامات علماء العربية المتقدمين من بلاغيين ومفسرين، وإشاراتهم التي تمثل ملامح نصية مهمة، تكشف مدى عمق التراث اللغوي العربي، كما أنها تتعامل مع الخطاب القرآني، لتكشف آليات تماسكه النصي، من خلال نماذج نصية من قصة موسى عليه السلام؛ إذ تضع القصة في بوتقة التحليل النصي في ضوء معايير لسانيات النص.

ولإدراك وسائل التماسك النصي في قصة موسى عليه السلام، لا بدّ أن تتجلى أمامنا معرفة القضية الأساسية، التي تعالجها كل سورة وردت فيها، وكيف تسهم كل عناصر النص في تجلية هذه القضية، وكيف ترتبط بها في آيات معاً للوصول إلى شبكة العلاقات هذه التي تحقق للنص عنصر التماسك النصي، وسيكون العمل التحليلي مركزاً على جانبين:

فأما الجانب الأول، وهو الداخلي، الذي يعتبر القصة كلاً يحقق خاصية التماسك النصي وأما الجانب الثاني، وهو الخارجي الذي يربطها بالمعطيات الخارجية المتمثلة في جملة المواقف، التي تمثل موسى عليه السلام، ودعوته إلى توجيه الخطاب لمحمد ﷺ، والتبشير بمجيئه.

إن الجانبين الداخلي والخارجي في تحليل قصة موسى عليه السلام، يمثلان مستوى التركيب الشكلي النحوي، ومستوى المعنى والدلالة، ضمن النظر في مراحل هذه القصة على مستوى السور القرآنية، ووفق ترتيب النزول.

والناظر إلى السور القرآنية، يلحظ أن فيها آيات متجاورات، قد اختلفت مناسبات النزول في كل منها، ومع ذلك فهي متماسكة، ويرجع هذا التماسك إلى وحدة الموضوع الذي تعالجه السورة، فالعديد من السور المكية، تتحدث عن قصص مختلفة من قصص الأنبياء، مع العلم بأن لكل نبي قصة مع قومه، وهذه القصص متماسكة فيما بينها، إذ نجد في النهاية أنه يجمعها إطار عام يتمثل في الرابط الدلالي، المتمثل في أخذ العبرة، وتسلية قلب النبي ﷺ.

فقصة موسى عليه السلام التي ورد فيها اسمه في 136 موضعاً في 34 سورة، منها 27 مكية، قد ذُكرت في هذه السور من خلال عرض المشاهد المتعددة، التي تمثل في النهاية قصة كاملة، بدءاً بالحديث عن ولادته وإرضاعه في سورتي القصص وطه، وخروجه من مصر إلى مدين، ومصاهرة الشيخ الكبير، وبعثته بالواد المقدس، وعودته إلى مصر، ودعوته لفرعون، وما حدث بينهما والسحرة، وإلى غرق فرعون، ومواقف بني إسرائيل المتعددة من موسى وأخيه، وما فعله السامري، ومسألة البقرة، وإيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام، وطلب رؤية الله جهرة، والتبشير بمحمد ﷺ والعبد الصالح معه...، وغيرها من المواقف التي تمثل حياة موسى عليه السلام شبه كاملة

التفاصيل.

كما أن هذه المواقف في مجملها تكوّن القصة الكاملة لموسى عليه السلام، وهنا يبرز عنصر التماسك النصي بين هذه النصوص المكوّنة للقصة، فهي تنقسم إلى عدة حلقات تُعرض كل منها في سورة أو أكثر أحياناً، مع اختلاف الأسلوب بما يتلاءم وجوّ السورة العام وهدفها.

وإذا حدث هذا التماسك بين هذه المواقف فلكونها حلقات لقصة نبيّ واحد، كما أن السور التي وردت بها هذه المواقف متناسبة فيما بينها؛ فسبغ وعشرون سورة مكية تتناول قصة موسى عليه السلام، فيها حديث إلى رسول الله ﷺ، وكلها تعالج قضية الألوهية، وما يتعلق بها، ومن ثم يجمعها إطار دلالي واحد، والأمر نفسه في السور المدنية التي تتناسب فيها قصة موسى عليه السلام والجوّ العام والمقصد الكلّي لهذه السور المدنية.

-أهمية الموضوع:

-تكمّن أهمية مثل هذه الدراسات اللسانية فيما يأتي:

-التركيز على الوحدة الدلالية الكلية للسور القرآنية، وتمثل في المواضيع المكوّنة لبنيتها، وهذه الوحدة الدلالية تمثل التماسك النصي.

-تأكيد أهمية السياق في تأويل النص بدل الكلمة والجملة، فلما كانت دلالة الكلمة جزئية بالنسبة للجملة، كانت الحاجة إلى هذه الأخيرة، ليتمّ التماسك بين معاني كلمات الجملة الواحدة، وأيضاً لما كانت دلالة الجملة منفصلة عن نصها، تعدّ دلالة جزئية غير كاملة، كانت الحاجة إلى إتمام دلالة الكلمة، ومن ثمّ تأكّدت أهمية التحليل النصي لإدراك الدلالة التامة للنص.

-التركيز على عدم اكتفاء التحليل اللغوي على الجملة، بل يجب تجاوزها إلى بنية النص، وبالنظر إلى القصص القرآني، لا نكتفي بعرض القصة في سورة واحدة، بل نعرض بنية القصة في النص القرآني كاملاً، وفق ترتيب نزول أحداثها.

-الكشف عن الأسلوب الذي رسمه القرآن في معالجة قصص الأنبياء، كونه أسلوب قائم على منهج متفرد في موضوعه وأدائه وفي مقاصده وغاياته.

-إبراز مكانة القصص القرآني في إطار التبليغ بعرض أحداث الماضي المتتالية، إلا أنه في حدّ ذاته سجل حافل بصفحات عن حياة الأولين ومعايشهم، إضافة إلى أنه -القصص القرآني- تُبثّ للأزمنة ومرجع للتاريخ.

-الدراسات السابقة:

إنّ أقرب الدراسات اتصالاً بموضوع هذه الدراسة، هي التي بحثت في منهج القصص القرآني، وأدّت دوراً في وضع بعض معالم منهج القرآن في عرض القصص أو الإشارة إليها، وتختلف الدراسات السابقة عن هذه الدراسة؛ من حيث كونها دراسة تطبيقية، تعتمد على مفاهيم التماسك النصي في قصة موسى عليه السلام وتقدمها نموذجاً خالصاً في التحليل النصي، بوسائله المتنوعة، أما الدراسات السابقة فقد عُنيّت بالتنظير ووضع المفاهيم والاتجاهات الأساسية في لسانيات النص، وبحثت في طبيعة التحوّل من نحو الجملة إلى نحو النص، وعرضت لعلاقات التماسك النصي، ومنها ما سعى إلى استخراج مكونات نظرية النص وأصولها من كتب النحو والبلاغة العربية، بهدف إثبات أن النظرية النحوية العربية قابلة لأن تقارن بمختلف النظريات النحوية واللسانية الأخرى، كان ذلك كله في الجانبين النظري والتطبيقي، بنحو أفادت منه هذه الدراسة بشكل مهم وفاعل.

والملاحظ أيضاً على هذه المؤلفات أنها لم تضع منهجاً للقرآن متكاملًا، واضح المعالم في عرض القصص، ولم تقم بدراسة قصة موسى عليه السلام كاملة من القصص القرآني، وفق هذا المنهج، ومن هذه الدراسات نجد:

-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، حيث اعتمد على بيان قدرة الألفاظ في تصويرها للجانب الفني في القرآن الكريم، ومتناولاً قصة موسى عليه السلام، إلا أن ما يلاحظ على هذا الكتاب هو استخدامه لمفاهيم الدراسة النصية، دون تصريح بمصطلحاتها ومفاهيمها.

-صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية؛ حيث طبّق على العديد من السور المكية، بالاعتماد على اختيار نوع قليل من النماذج للتحليل، ومتناولاً قصة موسى عليه السلام في بعض الإشارات، حسب ترتيب المصحف الشريف.

- محمد محمد صافي المستغامي، تصريف القول في القصص القرآني: دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام؛ حيث قام بتحليل القصة بلاغيًا، للوقوف على بعض أسرار تصريف القول فيها، وتتبع الأدوات والأساليب البلاغية، وإبراز الأغراض التي أدتها من خلال نظم الآيات.

ومن الرسائل الجامعية نجد:

- عمر علي حسان عرفات، منهج القرآن في عرض القصص: قصة موسى عليه السلام

أمودجا، حيث ركز على بيان طريقة القرآن في انتقاء مشاهد قصة موسى عليه السلام وترتيبها، ومنهج القرآن في الانتقال بين أحداث قصة موسى عليه السلام، وعلاقتها بالقصص الوارد في السورة الواحدة.

- فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، حيث ركز على بيان بعض مواضع المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، بتقسيمها إلى مقاطع بحسب السور الواردة فيها، وبيان دور السياق في توجيه دلالات هذه الألفاظ المتشابهة.

- ناصر محمود صالح النواصرة، التماسك النصي بين النظرية والتطبيق: سورة الأنعام أمودجا، حيث ركزت دراسته التطبيقية على سورة واحدة؛ بالوقوف على أهم مظاهر وعلاقات التماسك النصي في مختلف المستويات، وقد وردت قصة موسى عليه السلام في هذه السورة في ثلاث مواضع فقط.

أما ما تسعى إليه هذه الدراسة فهو تطبيق آليات النظرية النصية على قصة موسى عليه السلام بحسب ترتيب النزول، بتعدد سياقاتها، للوقوف على مظاهر التماسك النصي فيها، والإفادة من الجهود النظرية السابقة.

- أسباب اختيار الموضوع:

كان سعينا لاختيار هذه الدراسة النصية متمثلا في الأسباب الآتية:

- أهمية التماسك النصي الذي يعدّ محور الدراسات النصية، والمدار الذي تدور في فلكه جلّ نظريات التحليل النصي، فعلى أساسه تُبنى علاقة الكلمة بما جاورها، وعلاقة الجملة مع الجمل الأخرى، وهكذا لنصل إلى بناء كلي أو بنية كلية، ذات ترابط وثيق على المستوى الشكلي من خلال الأدوات التي تحقق التماسك بين أجزاء النص على المستوى الدلالي.

- قيمة المصنفات اللغوية والبلاغية التراثية التأصيلية، في تطبيقها على النص القرآني.

- الرغبة في تطبيق آليات هذه النظرية على قصة موسى عليه السلام، وبيان تماسكها، مع الأخذ بعين الاعتبار ترتيب النزول، وفي هذا بحث عن وسائل جديدة من شأنها تحقيق إضافة في

قراءة الخطاب القرآني، واستجلاء مكنوناته النصية.

-أهداف البحث:

-إثبات دور أدوات التماسك النصي في تحقيق الدلالة، انطلاقاً من مراعاة التماسك بين الكلمات المكوّنة للجملة إلى مراعاة التماسك بين السور المكية المكوّنة لقصة موسى عليه السلام، كاملة وفق ترتيب النزول.

-تحليل النص تحليلاً كاملاً، وفق أدوات التماسك النصي، التي تربط بين كلمتين أو عبارتين أو جملتين أو فقرتين، أو عدة فقرات مكونة للنص، أو عدة فصول مكونة لكتاب كامل.

-إبراز كيفية ارتباط النص بالسياق في القرآن الكريم، بالاستفادة من التراث الغني الذي تركه علماء الإعجاز والتفسير، ومن اهتموا بالنص القرآني اهتماماً خاصاً، يهدف إلى تأسيس مختلف العلوم .

- إشكالية البحث:

ظاهرة التماسك النصي من الظواهر اللغوية، التي استقطبت آراء النقاد والدارسين، وتعرضوا لها بالدراسة الواعية، محاولين إيجاد تطبيقات لغوية لها في حقل النص القرآني، وهذا ما تسعى إليه هذه الدراسة من خلال الإجابة عن جملة من التساؤلات، حول كيفية تماسك القصة القرآنية، والآليات التي ساهمت في تحقيق ذلك، وشكّلت نصّاً مترابطاً، مؤثرة في المتلقين، وهذا لفهم الكيفية التي تحقق بها هذا التماسك النصي من خلال التطبيقات اللغوية على قصة موسى عليه السلام، انطلاقاً من الإشكالية الآتية:

-هل حقق ترتيب النزول تماسكاً نصياً في قصة موسى عليه السلام، بتعدد سياقات نزوله في السور المكية والمدنية؟ وهل توفرت فيها الوحدة الدلالية الكلية في سياق تواصلية متماسك؟.

ويندرج تحت هذا التساؤل المركزي مجموعة من التساؤلات الفرعية الأخرى:

-هل تناسب ورودها مع السياق العام لكل سورة وردت فيها؟

-ما الوسائل اللغوية المستعملة لتحديد كيفية تماسك قصة موسى عليه السلام؟.

-هل تستطيع المفاهيم الغربية المنظمة لألسنية النص تحديد تماسك القصة القرآنية والخطاب

القرآني؟.

- منهج الدراسة:

تتطلب مثل هذه الدراسات اللغوية والتطبيقية اللسانية الحديثة، الدقة في تناول خصوصاً مع تشعب مصطلحاتها وتداخلها، وبالأخص إذا طبقت آلياتها على أقدم نص، لأن هذا العلم اللغوي يمثل أحدث المدارس اللغوية في التحليل، ويلزمه التعريف به، وبمفاهيمه ثم تحليل النصوص وفقه؛ إذ يتمثل وصفه في تأصيله والتنظير لأهم المصطلحات التي أنتجها مع عرض لأهمية التحليل النصي وطبيعته، وموقف القدماء منه، وإبراز أهمية التماسك النصي في قضية التحليل المعاصر، وكيف أن التماسك يعتمد على السياق، وأن إدراك التماسك قائم على المتلقي، وأن المتلقي لا يمكن أن يوجد منفصلاً عن النص، بل هو جزء أساسي في العملية النصية، وإضافة إلى عرض أهم الأدوات التي تسهم في تحقيق التماسك النصي، حيث تمّ اعتماد بعض آليات المناهج الآتية:

- المنهج التاريخي الذي يسمح بتتبع ظاهرة التماسك النصي عند القدماء والمحدثين، وموقفهم منه، وكذا تتبع بعض الظواهر والقضايا اللغوية، من حيث النشأة التاريخية، ومن حيث المفهوم والمصطلح.

- المنهج الوصفي التحليلي الذي يتمثل في تفصيل دور أدوات التماسك النصي، وإيضاح هذا التحليل النصي المعاصر لقصة موسى عليه السلام الواردة في أغلب السور المكية.

- المنهج الاستقرائي، من خلال استقراء المشاهد الكبرى المتعلقة بقصة موسى عليه السلام، وإعادة ترتيب أحداثها.

- المنهج الإحصائي، وتجدر الإشارة إلى أن هذا العمل المقدم ليس عملاً إحصائياً مفصلاً ودقيقاً، لأنه يتعذر ذلك، نظراً لطول القصة وتكرارها، لذا اكتفيت ببيان نماذج توضيحية للآليات النصية، ودورها في تحقيق التماسك النصي في قصة موسى عليه السلام.

- المنهج الأسلوبي، الذي استثمرت بعض آلياته، لأنه يعتبر مدخلاً لغوياً أساسياً في تحليل القصة.

- خطة البحث:

تمّ استقراء هذا الموضوع وفق خطة توخّت الوضوح والدقة والموضوعية على النحو الآتي:

- **الفصل الأول:** النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم): تناولت فيه قراءة في المفاهيم المتعلقة بالنص ومصطلحاته، كنحو النص ولسانيات النص، وأسبقية كلٍّ منهما في الدراسة النصية، وعلاقة النص بالخطاب والجملة والسياق.

-الفصل الثاني: التماسك النصي من منظور لسانيات النص : تناولت فيه المعايير النصية في الدرس اللساني الحديث، وأثرها في الدراسات القرآنية والبلاغية، كما تناولت فيه التماسك النصي في التراث اللغوي والنقدي والأصولي العربي، إضافة إلى التماسك النصي في الدرس اللساني الحديث، مبرزاً العلاقة بين مختلف المصطلحات النصية، ومسوغات استخدام مصطلح التماسك دون غيره.

-الفصل الثالث: آليات التماسك النصي في قصة موسى عليه السلام : وهو دراسة تطبيقية من خلال الكشف عن وسائل وآليات التماسك النصي النحوية والمعجمية الموجودة في قصة موسى عليه السلام، وإعادة ترتيب أحداث القصة زمنياً بحسب ترتيب نزول السور التي وردت فيها، وإبراز مدى تماسك مشاهد قصة موسى عليه السلام مع المشاهد المعروضة في السور المكينة والمدنية.

-الفصل الرابع: العلاقات النصية وتماسك قصة موسى عليه السلام : بيّنت فيه علاقة المناسبة بالسياق وبالتماسك النصي وأهمية ذلك في القرآن الكريم، ودور المناسبة في تماسك أطوار قصة موسى عليه السلام في السورة الواحدة، من خلال بيان العلاقة بين قصة موسى عليه السلام وباقي قصص الأنبياء الواردة في سورة واحدة، وبيان العلاقة بين قصة موسى عليه السلام وسياق السورة الواردة فيها .

وفي الأخير ختمت هذه الدراسة بخاتمة تناولت فيها أهم النتائج المتوصل إليها. ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بعظيم شكري وامتناني لأستاذتي المشرفة الأستاذة الدكتورة: آمال لواتي، التي يرجع إليها الفضل في إخراج هذا العمل بفضل توجيهاتها ونصائحها القيمة المفيدة، فجزاها الله عني كريم الجزاء.

والشكر موصول أيضاً لأعضاء لجنة المناقشة، التي سهرت على قراءة العمل وتنقيحه وتهذيبه وتصويب هناته، حتى يكون في المستوى المطلوب.

والحمد لله رب العالمين.

المفصل الأول:
النص ومصطلحاته
(قراءة في المفاهيم)

_أولاً: النص ومشتقاته.

_ثانياً: نحو النص.

_ثالثاً: لسانيات النص.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

يشكّل النص مفهوماً مركزيًا في الدراسات اللسانية المعاصرة، التي عُرفت باسم علم النص، ولسانيات النص، ولسانيات الخطاب، ونحو النص، وعلم اللغة النصي... الخ، وكلّها تتفق على ضرورة تجاوز "الجملة" في التحليل إلى فضاء أوسع هو الفضاء "النصي"، وهو تصوّر ينطلق من النص، باعتباره "وحدة متكاملة"، يحاول أن يقدم أشكالًا أو صورًا منتظمة، تنتج عن الاستخدام الاتصالي، ويعالج أشكالًا نصية متباينة في سياقات تفاعل اجتماعي، مختلفة من زوايا عدّة، حيث تحتل فيه الدراسات العميقة للسياقات النفسية والاجتماعية مركزًا متقدمًا في بنائه الأساسي، وبذلك تكون الدراسات اللسانية النصية قد تجاوزت حدود البنية اللغوية الصغرى (الجملة)، إلى بنية لغوية أكبر منها في التحليل هي (النص)، وهو الصورة الكاملة والأخيرة المتماسكة، التي يتم عن طريقها التواصل بين أفراد المجموعة اللغوية، حيث يعتبر الاتجاه إلى النص فتحًا جديدًا في تاريخ اللسانيات الحديثة، وأن صورة التواصل إنما تتم عن طريق تجاوز حدود الجملة إلى ما هو أوسع منها، وأقدر في الأداء التواصلية، ولا يتأتى هذا الأمر إلا عن طريق النص.

أولاً- النص ومشتقاته:

قبل الخوض في تفاصيل تجاوز الجملة إلى مستوى أكبر، سأتناول المفاهيم المتعلقة بالنص و علاقته بالخطاب وبالجملة والسياق.

1-النص:

اهتمّ اللسانيون بالنص اهتمامًا كبيرًا، ووقعوا في كثير من الحيرة، واختلط عليهم المفهوم والإجراء، فراحوا يضبطون الحدود الموضوعية والمنهجية لهذا المصطلح، الأمر الذي أدى إلى صعوبة تحديد مفهوم له، وأسباب ذلك هي اختلاف الرؤى وتعدّدها في تناوله، وجميع ما قدم من مفاهيم وتعريفات لا تخرج على الأشكال اللغوية التي تحكم بناء كل أشكال النص، وقد تداخلت هذه التعريفات فيما بينها إلى حد الغموض أو التعقيد أحيانًا أخرى؛ فبعض تعريفات النص تعتمد على مكوناته الجمالية وتتابعها، وبعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط، وبعض ثالث يعتمد على التواصل النصي والسياق، وبعض رابع يعتمد الإنتاجية الأدبية أو فعل الكتابة، وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصًا، فيكون لدينا حصيلة كبرى من التعريفات التي تقرّبنا من ملامحه⁽¹⁾.

(1) _ أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2011م، ص21.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

وقبل عرض مفاهيم النص المختلفة، نتناول مفهومه في المعاجم العربية، وفي اصطلاح علماء النحو والبلاغة والأصول، إضافة إلى علماء اللغة والنقاد المحدثين.

أ-النص/لغة:

للنص في اللغة العربية عدة معان هي: الرفع، الإظهار، ضم الشيء إلى الشيء وأقصى الشيء ومنتهاه، وذلك من خلال استقراء النصوص الآتية:

فقد ورد مفهوم النص عند الزبيدي في تاج العروس على النحو الآتي:

«نصّ الحديث» ينصّه نصّا، وكذا نصّ «إليه»، إذا رفعه... وقال أبو عبيد النص: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها... ومن المجاز: نص «فلانا» نصّا، إذا «استقصى مسألته عن الشيء»، أي أخفاه فيها ورفعها إلى حدّ ما عنده من العلم... وقال ابن الأعرابي: «النص: الإسناد إلى الرئيس الأمر والنص: التوقيف» و«النص: التعيين على شيء ما»، وكل ذلك مجاز، ومن النص بمعنى الرفع والظهور، قلت: ومنه أخذ نص القرآن والحديث وهو اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره، وقيل نص القرآن والسنة: ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام وكذا نص الفقهاء الذي هو بمعنى الدليل بضرب من المجاز كما يظهر عند التأمل.⁽¹⁾

من خلال نص الزبيدي يتبين أن مفهومه للنص، جاء متضمنا لمعاني الرفع والإظهار، وضم الشيء إلى الشيء، وأقصى الشيء ومنتهاه، إلا أنه اختص بمعان تقدم رؤية حول مفهوم النص اللغوي، وهي المعاني المجازية.

وورد في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) النص بخمس معان هي⁽²⁾:

-المعنى الأول: الظهور والبيان: النص: رفعك الشيء نصّ الحديث ينصّه نصّا: رفعه، وكل ما أظهر فقد نُص، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصّ للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند. يقال نصّ الحديث إلى فلان أي: رفعه... ونصتّ الطّبية جيدها: رفعته.

(1) _ السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم العزباوي، مادة (نصّص)، مطبعة حكومة الكويت، 1399هـ_1979م، ج18، ص178-180.

(2) _ ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، مادة (نصص)، دار المعارف، القاهرة، مصر، مج01، ج49، ص4441-4442، وينظر: (إبراهيم أنيس، شوقي ضيف، عبد الحليم منتصر عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد)، المعجم الوسيط، مادة (نصّ)، ط04، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1425 هـ، 2004م، ص926.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

-المعنى الثاني:الرفع والتحريك: نصّ المتاع نصّاً، جعل بعضه على بعض، ونصّ الدابة ينصّها نصّاً: رفعها في السير، وكذلك الناقة، وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم حين دفع من عرفات سار العنق فإذا وجد فجوة نص أي رفع ناقته في السير وقد نصّصتُ ناقتي: رفعتها في السير، وسير نص ونصيص.

-المعنى الثالث: الشدة والوصول بالشيء إلى أقصى غايته، حيث جاء في لسان العرب أن: [..وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير سريع، قال ابن الأعرابي: النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنص التوقيف، والنص التعيين على شيء ما، ونصّ، الأمر شدته].

-المعنى الرابع: الاستقصاء، والبحث عما جهل وذلك، في قول ابن منظور: [ونص الرجل نصاً إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده، ونص كل شيء: منتهاه... قال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه قيل نصبت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده...وفي حديث هرقل: ينصهم أن يستخرج رأيهم ويظهره، ومنه قول الفقهاء: نص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام.

-المعنى الخامس: الاستقامة والاستواء، حيث يقول ابن منظور: [وانتصّ لشيء وانتصب إذا استوى واستقام، قال الراجز: فبات منتصّاً وما تَكَرَّدَسَا].

إن النص في معجم لسان العرب يدور حول عدة معان هي: الرفع والإظهار، وجعل بعض الشيء بعضه، وبلوغ الشيء أقصاه ومنتهاه، والتحريك والتعيين على شيء ما، والتوقيف والاستقامة والاستواء.

ويتفق المعجم الوسيط مع ما ورد في لسان العرب، حول مفهوم النص إلا أنه انفرد بالمعاني الآتية:

[الشواء نصيصاً: صوّت على النار، والقدر: غلت،... (النص) صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف: (مو) و- ما لا يحتمل إلا معنى واحداً، أو لا يحتمل التأويل، ومنه قولهم: لا اجتهاد مع النص... و(عند الأصوليين): الكتاب والسنة...].⁽¹⁾

وإضافة إلى المعاني السابقة، التي اشترك فيها مع لسان العرب، هناك معان أخرى تمثلت

(1) _ (إبراهيم أنيس، شوقي عبد الخليم منتصر عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد)، المعجم الوسيط، ص926.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

في: الصوت المحدث عل النار، وما له معنى واحدا لا يحتمل التأويل، وقد يعني كما عند الأصوليين: الكتاب والسنة.

إن هذه المعاني ينبغي أن ننظر إليها باعتبارها خصائص ومميزات، لما نُطلق عليه نصا في الخطاب اللغوي المعاصر، وهذه الخصائص ليست مقصورة على القدماء، لأنهم لم يكونوا بصدد تعريف مقنن للنص، بل كانوا يعالجون المعنى المعجمي لمادة (نص)، كما أننا لن نجد فرقا كبيرا بينها وبين ما نُظّر له الباحثون في علم النص اليوم.⁽¹⁾

والملاحظ أيضا أن الرفع والإظهار يعينان أن المتحدث أو الكاتب لا بد له من رفع وإظهار لنصه، كي يدركه المتلقي (المستمع أو القارئ)، وكذلك ضم الشيء يوحي بأن النص في كثير من تعريفاته هو ضم الجملة إلى الجملة بالعديد من الروابط، وكون النص أقصى الشيء ومنتهاه، هو تمثيل لكونه أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها، إذ يُعدّ النص ممثلا لمستوى من مستويات علم اللغة المتعارف عليها.⁽²⁾

وإن المتمعن في التعاريف اللغوية السابقة، يلحظ أن لكلمة نص دلالات كثيرة ومتعددة في المعاجم اللغوية، وهذا مما أدى إلى صعوبة تحديد مصطلح بعينه للنص.

ب- النص/اصطلاحا:

من الصعب تحديد مفهوم بعينه لمصطلح النص، وأبرز دليل على هذه الصعوبة هو كثرة وتعدد المفاهيم وتشعبها، وذلك راجع إلى وجهات النظر المختلفة والإجراءات المنهجية، كما سنرى:

- عند علماء النحو والبلاغة :

سنحاول استقراء توظيف علماء النحو والبلاغة للفظ (نص)، رغم عدم وجود تعريف له في كتاباتهم، ورغم رواجه فيها.

فقد ورد في كتاب (الخصائص) لابن جني (ت 392هـ) لفظ (نص) بصيغ متباينة في أكثر من موضع منها قوله متحدثا عن رأي المتكلمين في معنى الكلام: «وقد علمت بذلك تعسف

(1) _ خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ط1، دار جرير، عمان الأردن، 1430هـ_2009 م، ص20.

(2) _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ط1، دار قباء، القاهرة، مصر، 1421 هـ_2000 م، ج1، ص28.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

المتكلمين في هذا الموضوع، وضيّق القول فيه عليهم، حتى لم يكادوا يفصلون بينهما، والعجب ذهابهم عن نص سيبويه فيه، وفصله بين الكلام والقول (ولكل قوم سنة وإمامها)». (1)

والمتأمل في السياق الذي وردت فيه كلمة (نص) في الموضوع السابق من كتاب ابن جني يصل إلى أنه استعملها بمعنى الدال الذي يحمل مدلولاً (رسالة) متكاملًا، وتقدم للمتلقي حكماً جديداً لم يكن يعرفه من قبل، ويوحى هذا الاستعمال كذلك بثبات هذه الرسالة ووضوح مضمونها، وأنها لا تحمل تأويلاً. (2)

ووردت كلمة نص كثيراً في كتابات اللغويين بهذا المعنى، يمكن أن نشير إليها ببعض المواضع:

قول ابن هشام (761هـ) في مغني اللبيب: «أما الأول فلأن عطف البيان في الجوامد بمنزلة النعت في المشتقات، فكما أن الضمير لا يُنعت، كذلك لا يُعطف عليه عطف بيان، ووهم الزمخشري فأجاز ذلك ذهولاً عن هذه التكلفة ومن نص عليها من المتأخرين أبو محمد ابن السيد وابن مالك والقياس ومعهما في ذلك». (3)

وفي الكتابات الأدبية العربية القديمة، لا نجد بونا شاسعاً بينهم وبين اللغويين في التعامل مع هذا المصطلح، فهم لم ينصوا على تعريف محدد له، بل تداولوه في كتاباتهم بالدلالة نفسها التي وردت عند اللغويين؛ (أي البيان والظهور، والدلالة على الشيء الثابت) جاء في (أدب الكاتب) لابن قتيبة (ت276هـ): «وقولهم نص الحديث إلى فلان أي: رفعه وهو من النص في السير وهو أرفعه». (4)

وجاء في (صبح الأعشى) في حديثه عن التفاؤل بأيام الأسبوع: «واعلم أنه لا أصل لذلك من الشريعة ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة». (5)

إن المتأمل في المعاني السابقة للنص، يلاحظ أنها ليست بعيدة عن المفهوم الاصطلاحي له، فهي وإن لم تصرح بذلك تتضمن سمات المعنى وخصائصه.

(1) _ أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص: تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د.ت)، ج1، ص32.

(2) _ خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص23.

(3) _ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح وشرح: عبد اللطيف محمد الخطيب، ط1، الكويت، 1423هـ، 2000م، ج01، ص201-202.

(4) _ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان (د.ت)، ج2، ص60.

(5) _ أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1430هـ_1922م، ج2، ص356.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

إن هذه المفاهيم التي أوردناها أثناء الحديث عن معالجة القدماء لدلالات النص، تشكل مجموعة من المعايير، قننها المحدثون في نظرة متكاملة المعالم، تُعرف بعلم النص.

- عند علماء الأصول:

يعدّ الشافعي أول من تطرق إلى مفهومه في نظريته عن البيان، حيث ذكر عن النص: «أنه الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره»⁽¹⁾.

وعلى ذلك «فالنص ما هو إلا معنى واحدا»⁽²⁾، أو هو: «ما رُفِع في بيانه إلى أبعد غايته»⁽³⁾.

كما أن للنص مفهوما عند الأصوليين، إذ يستعملون هذا اللفظ فيما ورد في بحوثهم من اصطلاحات مثل: عبارة وإشارة النص... إلخ، ويفهم منها أنهم يطلقونه على كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة، أكان ظاهرا أو نصا أو مفسرا؛ أي إن كل ما ورد عن صاحب الشرع فهو نص.⁽⁴⁾

ويجلى نصر حامد أبو زيد نظرة الأصوليين للنص، جاعلا منه جزءا من العلاقة بين المنطوق اللفظي والدلالة، ثم يقول في ذلك: «هو الواضح وضوحا تاما بحيث لا يحتمل سوى معنى واحدا ويقابل (النص) الجمل الذي يتساوى فيه معنيان يصعب ترجيح أحدهما، ويكون (الظاهر) أقرب إلى (النص) من حيث إن المعنى الراجح هو المعنى القريب...»⁽⁵⁾.

إن الدلالة هي المعيار الوحيد الذي احتكم إليه الأصوليون لأول وهلة، ولكن تلك الدلالة مرتبطة باللفظ المركب سواء أكان منطوقا أم مكتوبا.

ج- مفهوم النص عند علماء اللغة والنقاد المحدثين:

ونعني بها التعريفات المختلفة للنص سواء أكانت عند الغربيين، أم عند علماء اللغة العرب المحدثين، وهذا بعد التشعب الكبير الذي شهدته هذا المصطلح في السبعينات من القرن العشرين تقريبا.

(1) محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ت)، ج1، ص32.

(2) أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، كتاب المعونة في الجدل، تح: عبد المجيد تركي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408 هـ-1988م، ص128.

(3) أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، ط03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001م، ص12.

(4) السيد احمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند الأصوليين، ط1، شركة مكتبات عكاظ، جدة، 1401 هـ-1981م، ص146.

(5) نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)، ط7، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2008م، ص180.

—عند علماء اللغة الغرب المحدثين:

إن تعريفات النص عند الغربيين متنوعة ومتعددة باختلاف الرؤى والتوجهات، ونبذوها بما ذهبت إليه الباحثة جوليا كريستيفا Julaikristeva؛ التي ترى أن النص أكثر من كونه مجرد خطاب أو قول، وأنه موضوع للعديد من الممارسات السميولوجية، التي يُعتد بها على أساس أنه ظاهرة غير لسانية، أي مكونة بفضل اللغة، وأنه يعيد توزيع نظامها، بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، حيث تقول: «النص جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان، بواسطة الربط بين كلام تواصلية، يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه، والمتزامنة معه، فالنص إذن إنتاجية وهو ما يعني:

أ— أن علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بناءة)، ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الخالصة.

ب— أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافي ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى»⁽¹⁾.

إن تعريف جوليا كريستيفا للنص، يطعن في النظرة السطحية إليه، ويبرز ما في النص من شبكات متعاقبة؛ فهي ترى أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول، إذ أنه موضوع لعديد من الممارسات السميولوجية، التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية، بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة، لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها.

أي أن النص ينظر إليه من حيث إنتاجه كنص يتعالق مع نصوص أخرى، وهو ليس منتوجا فحسب، بل دليلا منفتحاً متعدد الدلالات، كما أن بنيته لا يمكن مقاربتها في إطار نص لساني ذي بنية مسطحة، بل عن طريق توليد مسجل في البنية اللسانية، لا يمكن أن يقبل القراءة إلا عن طريق تكوينات متعددة لا تكتفي بالمكون اللساني⁽²⁾.

إن ما ذكرته جوليا كريستيفا كان ذا منطلقات نقدية، أما عند الرجوع إلى المنطلقات اللسانية، وتعريفات النص في ميدان علم اللغة النصي خصوصاً، فهناك الكثير من التعريفات المختلفة.

(1) _جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، ط2، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1991م، ص21.

(2) _سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2001م، ص20-21.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

فمثلا عند هاليداي Halliday ورقية حسن Ruqaiya hassan، فقد أشارا إلى أن كلمة نص *texte* تستخدم في علم اللغويات؛ أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة، ويظهر هذا التركيز على أن النص يتضمن المكتوب والمنطوق، على أن يكون وحدة متكاملة دون تحديد حجمه طولاً أو قصراً. (1)

ويتضح من إشارة هاليداي ورقية حسن للنص، أنه من المصطلحات اللغوية، ويكون إما مكتوباً أو منطوقاً، مع وجوب كونه وحدة متكاملة مهما كان حجمه.

إن رؤية هاليداي ورقية لمفهوم النص، مبنية على فكرة التماسك أو الارتباط إذ: «تشكل كل متتالية نصاً، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة». (2)

لهذا اهتما بطرائق تماسك تلك الوحدة الدلالية؛ إذ من خلال ذلك التماسك يمكن للنص أن يؤدي وظيفته.

أما رؤية فان ديك Van Dijk للنص، فتنطلق من أنه علم متداخل الاختصاصات، فالنصوص لا تملك فقط بني قاعدية على مستويات مختلفة (أصوات، كلمات، بناء الجملة، المعنى)، ولكنها أيضاً تملك بني أخرى، مثل البني العليا (الترسيمات)، والبني الأسلوبية والبلاغية، التي هي في عدد من مستويات النص، مسؤولة عن التغير وعن البنية الإضافية. (3)

وفي تعريف آخر للنص في كتابيه: (بعض مظاهر قواعد النص) الذي أصدره سنة 1972م، و(النص والسياق)، الذي أصدره سنة 1977م، بأنه: «نتاج لفعل ولعملية إنتاج من جهة، وأساس لأفعال وعمليات تلقي الاستعمال، داخل نظام التواصل والتفاعل من جهة أخرى، وهذه العمليات التواصلية الأدبية، تقع في عدة سياقات تداولية ومعرفية وسوسيو ثقافية، وتاريخية تحدد الممارسات النصية، وقواعد الاستراتيجيات، التي تنظم ممارستهم النصية». (4)

وفي إطار هذه العلاقة يتم الربط بين النص كإعادة بناء نظري مجرد، وبين سياقه التداولي

(1) _ أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص22.

(2) _ محمد خطايي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م، ص13.

(3) _ منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء _ المغرب _ بيروت _ لبنان، ص188-189.

(4) _ محمد عزام، النص الغائب وتحليلات التناس في الشعر العربي، منشورات اتحاد شباب العرب، ص16.

كما يتجلى من خلال الخطاب.

أما روبرت آلان دي بوجراندي Robert Alain De Beaucrande، فيشدد على خاصية الاتصال في النصوص، فهو يرى أنه لا يمكن تناول النص من خلال وصفه وحدات كبرى أو جملا متوالية، إلا إذا وجدت خاصيته الأولى، وهي كونه واردا في الاتصال communication⁽¹⁾. وانطلاقا من التعريفات السابقة، والتي تشير إلى أن علم لغة النص، لا يدرس أبنية النص فقط، بل يضيف صفات التوظيف الاتصالي للنصوص أيضا، حيث لوحظ الميل إلى تجاوز الحدود باتجاه علم الاتصال، وفي هذا الصدد يمكن القول: أنه لا يجوز لعلم النص أن يستنتج لنفسه الرغبة في الكشف عن كامل الوحدات الاتصالية، لأن هذه الأخيرة تتطلب وسائل أخرى غير تلك التي يملكها هذا الفرع اللغوي (علم النص)، وهنا يجب أن يظل النص هدف البحث في الدراسة النصية.

وإن مسألة إيجاد تعريف جامع للنص، أمر من الصعوبة بمكان، وذلك راجع كما قلنا سابقا إلى الاعتبارات والأسباب، التي أدت إلى تعدد تعريف النص، ويقول سعيد حسن بحيري: «يجب أن يوضع في الاعتبار، أن مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي، ويؤكد ذلك الاختلاف بين علماء اللغة، الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة، حول حدود المصطلحات التي تركز عليها بحوثهم»⁽²⁾.

ومن جهة أخرى يلاحظ أن هناك توافقا بين المعاني اللغوية للنص، وبين مفهوم النص عند علماء اللغة المحدثين أمثال: جوليا كريستيفا، وفان ديك، وروبيرت دي بوجراندي.

- عند علماء اللغة والنقاد العرب المحدثين:

إن مفاهيم النص عند علماء اللغة والنقاد العرب المحدثين، أحالتنا إلى تعدد وتنوع واختلاف في الرؤى والمفاهيم، الأمر الذي سيحيلنا إلى البحث عن مفهوم للنص في الدراسات العربية الحديثة.

إذ لا يمكن القول أنّ هناك مفهوما عربيا خاصا للنص، لأن النقاد العرب اعتمدوا بشكل

(1) إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات نظرية روبرت دي بوجراندي وولفنجانج دريسلر، ط01، دار الكاتب، 1993م، ص09.

(2) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ط01، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، القاهرة، مصر، 1997م، ص11.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

ما أو بآخر على ما كتب في الغرب، على مدى العقود الأربعة الأخيرة، لكن البادرة التي يمكن تسجيلها هنا، هي إعطاء بعض هؤلاء النص تصوّراً خاصاً، يأخذ في الحسبان سياقاته الاجتماعية والثقافية والأيدولوجية في تشكيله النهائي، على الرغم مما يوحي به انخيازهم لمناهج نقدية محددة وصارمة، وهذا ما جعل تعريفاتهم تتمايز، وبالتالي يمكن أن نجد آراء متباينة في الممارسة النقدية للنص⁽¹⁾، وهذا ما سنلاحظه بعد تقديم مختلف آراء النقاد العرب.

ترى نحلة الأحمّد أن مفهوم النص في الدراسات العربية، هو مفهوم أجنبي غرّب، وأن الذين يقولون بالنص، يحصرون معناه في الكتاب والسنة، والنص يعني الظهور التام ونفي التأويل⁽²⁾، وهذا يعني أن النص فقط هو الكتاب والسنة، وماعدا ذلك فلا يعتبر نصاً.

وتضيف نحلة الأحمّد، أن المصطلح المستخدم الآن في الدراسات العربية، هو مفهوم عربي خالص، فكيف نعنون كتباً كاملة بالنص، ونحن نفي وجوده إطلاقاً؟، فهل هو اعتراف وعدم اعتراف بوجود النص؟ وإلا فما يشتغلون عليه نص، ولكنه نص بالمفهوم العربي أي (نسيج)، وهو ما يفهمه الناس اليوم ويحيلون عليه، إذا لا وجود للنص في الثقافة العربية.⁽³⁾

وتضيف أيضاً أن على الباحثين المعاصرين في علوم القرآن، وفي الخطاب العربي وفلسفته، ينبغي لهم أن يحددوا ماذا يقصدون بالضبط حينما يستعملون كلمة (نص) أو كلمة (الخطاب)، ولكن تقريرها أن الناس يفهمون النص بالمفهوم العربي ليس صحيحاً على إطلاقه، لأن أغلب الناس تفهم اليوم من النص أنه الكلام الحرفي المنسوب إلى منشئه بغض النظر عن معناه، وهذا يعني رفع الكلام إلى منشئه الأصلي بصيغته الأصلية، خلافاً للكلام العادي، ورفع الكلام إلى المنشئ الأصلي مفهوم مترسخ في العربية منذ العصر الجاهلي⁽⁴⁾.

وأن كلمة (نص) قد تطورت دلالياً في نطاق العربية بإطلاقها على الكتاب والسنة إجمالاً، ثم تطورت بإطلاقها على كلام الفقهاء في قولهم: «نصت الفقهاء على كذا»، ومن ثم شاع إطلاق كلمة (نص) في أوائل النهضة العربية في نهايات القرن التاسع عشر، ومستهل القرن العشرين على

(1) _حسن إبراهيم الأحمّد، أبعاد النص النقدي عند الثعالبي: مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2007م، ص22.

(2) _جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص: دراسة لسانية نصية، ط1، النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2009م، ص26.

(3) _المرجع نفسه، ص27.

(4) _المرجع نفسه، ص ن.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

نص الشاعر وغيره من النصوص، ومع بروز الحداثة، واتجاهات ما بعد الحداثة دخلت العربية مفاهيم مختلفة مرتبطة بتلك الاتجاهات⁽¹⁾.

إن ما ذهبت إليه نُهلة الأحمّد، في حديثها عن التطور الدلالي لكلمة نص، ينفي رأبها الأول، الذي يعتبر النص في الدراسات العربية امتدادا للمفاهيم الغربية، على اعتبار أن هذا التطور الدلالي تعلق بمفهوم النص عند الأوائل إلى غاية النهضة العربية، وعليه يحق لنا التساؤل: هل مفهوم النص الموجود في الدراسات الغربية ظهر لأول مرة بالصورة الموجودة الآن، لأن إطلاق حكم من نُهلة الأحمّد على الدراسات العربية بهذا الشكل يتطلب منها طرح كامل التصورات، والحكم على الشيء فرع عن تصوره أو أقول عن عموم تصوره.

ويرى محمد خطابي أن النص كيان مهيكّل، وهو ما يجعله يتميز ببنية خاصة تقوم على ما بداخله من علاقات بين مكوناته، بمعنى أن كل عنصر في النص يعتمد على عنصر آخر، كأن يفترض أحدهما الآخر، أو كأن لا يُدرك معنى الواحد منهما إلا بالعودة إلى الثاني⁽²⁾، ذلك لأن النص ليس مجرد تتابع عشوائي من العلاقات، بل يجب أن يتوافر فيه شرط البنية.

ويحاول جمعان بن عبد الكريم تقديم تعريف للنص خاص به يستعين به في دراسته فيقول:

«فالنص وحدة كلامية مكونة من جملتين فأكثر، تحقيقا، أو تحقيقا وتقديرا، منطوقة أو مكتوبة، لها بداية ونهاية، تتحدد بها وتتداخل من منتجها ولغتها في علاقة عضوية ثابتة، وهي تتجه إلى مخاطب معين أو مفترض، ويمكن أن تصاحب تلك الوحدة الكلامية بعض الإشارات السيمائية غير اللغوية التي قد تؤثر فيها»⁽³⁾.

إن ما قدمه جمعان بن عبد الكريم في تعريفه هذا للنص، لا يمكن الأخذ به على إطلاقه، لأنه قد أغفل جوانب عديدة منها: تحقيق التواصل بين أطراف العملية التواصلية، وكذلك إغفاله للجانب الدلالي التداولي في تحقيق المعنى بين المنتج والمتلقي والأداة، لأن النص يمكن أن تحققه جملة واحدة، كما في العناوين واللوحات الإشهارية والخطابات التلفزية... إلخ، كما نلاحظ أيضا أن جمعان بن عبد الكريم قد ركّز في تعريفه للنص على الناحية اللغوية فقط.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تعريفه جاء لإكمال النقص الموجود في تعريف كلا من

(1) جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص: دراسة لسانية نصية، ص 28.

(2) محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 13.

(3) جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص: دراسة لسانية نصية، ص 32.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

طه عبد الرحمان ومحمد مفتاح، فيقول: «ويأتي هذا التعريف ليسدّ بعض النقص في التعريفات العربية للنص عند طه عبد الرحمن، إذ لا يدري ما المقصود بالجمل السليمة في تعريفه هل هي السلمية تركيباً أم السلمية في المعنى؟ كما أن تعريف محمد مفتاح قصر النص على المكتوب وهذا غير صحيح». (1)

إن ما يلاحظ على المفاهيم السابقة، هو وجود قاسم مشترك بينها، وهو التأكيد على خاصية الترابط، وهذه الخاصية نجدها في الدلالة اللغوية لكلمة *texte* فالأصل اللاتيني لكلمة نص *textus* ومعناه النسيج *tissu*، ومنه تطلق كلمة *textile* على ماله علاقة بإنتاج النسيج بدءاً بمرحلة تحضير المواد، وانتهاءً بمرحلة النسيج النهائي وبيعه، من هنا كان النص عبارة عن نسيج من الكلمات يترايط بعضها ببعض. (2)

كما يلاحظ أيضاً أن كل مفهوم يركز على جانب واحد، ويسقط من حسابه جوانب أخرى، مما يجعل من مفهوم النص مفهومًا إشكالياً، وهو إشكال يعود إلى سببين: الأول عدم استقرار المصطلح بمفهوم نقدي، والثاني محاولة كل حقل من حقول المعرفة استغلاله لأهداف إجرائية منهجية. (3)

وعليه كما قلنا سابقاً أنه لا يوجد تعريف عربي موحد للنص، وهذا راجع إلى الانحياز لمناهج نقدية محددة، وإن عدم استقرار المفهوم تكويناً وأداءً ووظيفةً، قد جعل من الاستعمال النقدي مقارنة تهدف إلى استجلاء عناصره، والربط بينها، وصولاً إلى وظيفة النقد الأساسية وهي الكشف حيث إن «النص الأدبي عند المحدثين ليس صياغة للمعنى، بل محاولة لاكتشاف المعنى». (4)

وعليه فإن النص في العربية لا يعني الظهور والوضوح، والانكشاف بل يحمل عدة دلالات أخرى ليست أقل حضوراً في الذهن من الوضوح والانكشاف، وكل تلك المعاني التي كانت حاضرة في الذهن لما وضع العربي هذا اللفظ (النص) إزاء مفهومه الاصطلاحي، ويمكن تركيز ما دار حوله الحديث سابقاً من مميزات النص بالنقاط الآتية: الظهور، الثبات، علو المصدر، الاستقصاء التام،

(1) _ جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص: دراسة لسانية نصية، ص32.

(2) _ جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية للكتاب، 1998م، ص69.

(3) _ حسين خمري، نظرية النص: من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1408هـ _ 2007م، ص46.

(4) _ حسن إبراهيم الأحمد، أبعاد النص النقدي عند الثعالبي: مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، ص23.

التركيب، الترتيب، والاقتصاد. (1)

إن ما تقدم من عرض لأهم المفاهيم، يميلنا إلى تأكيد التقارب الموجود بين التعاريف اللغوية والاصطلاحية.

وعليه فإن النص هو الوحدة اللغوية الكبرى، والذي يدرس جوانب عدة: الدلالية، والتداولية والنحوية، أو التماسك ووسائله وأنواعه، والعلاقة بين المرسل والمتلقي، والنص المكتوب والمنطوق على حدّ سواء، حتى لا نهمّل في مفاهيمنا النصوص وأنواعها، لأن ما قدّم من تعاريف جاءت لتخدم دراسة معينة لغوية كانت أم غير لغوية.

2- النص والخطاب:

هناك تداخل بين المصطلحات المترادفة مع بعضها البعض، هذا التداخل الذي يؤدي إلى خلط في المفاهيم، وعدم وضوح في التصورات، وأحياناً يصل الأمر إلى حد الاضطراب المصطلحي، ومن هذه المصطلحات الكثيرة نجد تداخل (النص) مع (الخطاب)، إذ لا نكاد نلمس الحدود الفاصلة بينهما.

وتستعمل بعض الدراسات مصطلح النص وهي تقصد الخطاب أو العكس، وقد يشير اختلاف مصطلحي الخطاب discours، والنص texte، في اللغة الإنجليزية إلى وجود دلالة لكل مصطلح. (2)

لكن المتبع للبحوث النصية يلاحظ أن الكثير لا يفرق بين النص والخطاب، ويستعملونهما بالمعنى ذاته، والبعض الآخر يفرق بينهما، ويرون أن الخطاب يتكون من نص وممارسات اجتماعية. ولتوضيح العلاقة بين المصطلحين نقف عند الدراسات اللسانية الغربية والدراسات اللسانية العربية.

أ-النص والخطاب في الدراسات اللسانية الغربية:

لقد تباينت الآراء والمفاهيم حول النص والخطاب عند اللسانيين الغربيين، كما تباينت عندهم أيضاً العلاقة بين هذين المصطلحين، ولعل هذا التباين أدى إلى غموض في العلاقة، وصعوبة في التفريق بينهما، ففي محاولة لضبط المفاهيم قام الباحث ديفيد كريستال David

(1) _ عمر أبو خرمة، نحو النص: نقد النظرية... وبناء أخرى، ط01، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1425هـ_2004م، ص29.

(2) _ سمير شريف استيتية، اللغة وسيكولوجية الخطاب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002م، ص15.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

crystal بالتفريق بين مجال استعمال الخطاب ومجال النص، وخرج بنتيجة مفادها أنه لا يمكن التفريق بينهما بصورة نهائية، لأن بينهما نقاط تقاطع عديدة، من بينها الاستعمالات المشتركة ويقول بهذا الشأن: «يركز مجال تحليل الخطاب، على بنى اللغة المحكية في ظروف طبيعية، كما نجد ذلك في بعض الخطابات كالمحادثات والاستجابات والتعليق والخطب، بينما يركز مجال تحليل النص على بنى اللغة المكتوبة، ومن الأمثلة على ذلك المقالات واللافتات وإشارات المرور وفصول الكتب، لكن ليس هذا التمييز تمييزاً جلياً وواضحاً، فقد كان لهذين المصطلحين العديد من الاستعمالات الأخرى، وبصفة خاصة قد يستعمل كل من الخطاب والنص بمعنى أوسع، يشمل جميع الوحدات اللغوية، التي لها وظيفة اتصالية محددة سواء كانت تلك الوحدات محكية أو مكتوبة».⁽¹⁾

هذا التقاطع أو التداخل الموجود بين النص والخطاب، حال دون وجود صور للتقاطع عند ديفيد كريستال، ففي مجال السرديات مثلاً يستخدم مصطلح (النص) غالباً مقابلاً لمصطلح (الخطاب)، كما هو الحال في دراسات (جيرار جنيت) و(تودوروف).

ويتقارب مفهومي النص والخطاب عند رولان بارت Roland barthes، ويتشابهان إلا في بعض العناصر، فالنص أو الخطاب نسيج مترابط من الكلمات تسلسلت لتكون نصاً حيث يقول: «يبدو أن الكلام سيبقى خاضعاً للسهسة، كما يبدو أن الكتابة ستبقى خاضعة للصمت، ولتمييز الإشارات، وعلى كل حال ثمة معنى سيبقى دائماً لكي تحقق اللغة به متعة تكون خاضعة بمادتها».⁽²⁾

فاللغة إذن تتشكل من موسيقى وأصوات، تقدم معنى أو مجموعة أصوات لها معنى، إنها رموز يتعرف عليها المتلقي أو السامع، فتكون خطاباً من تلك المسهسات اللغوية.

وذهب فان ديك إلى التمييز بين النص والخطاب، معتبراً الأول بناءً نظرياً، والثاني عبارة يستعملها عامة الناس استعمالاً حدسياً، ويطلق على ما تشهد الملاحظة والمشاهدة على وجوده.⁽³⁾

(1) _ سارة مليز، الخطاب، ترجمة: يوسف بغول، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 2004م، ص 02-03.

(2) _ رولان بارت، لذة النص، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، 1992م، ص 19.

(3) _ محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ط 01، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس،

1421هـ-2001م، ج 1، ص 101.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

بمعنى أن فان ديك في تمييزه هذا ينظر إلى النص بوصفه بنية عميقة، بينما الخطاب بنية سطحية أو ينظر إليهما بوصفهما مظهرين:

-المظهر التجريدي والمظهر الحسي، والنص مظهر تجريدي، بينما الخطاب يجسده وحدة لسانية تتجلى في ملفوظ لغوي، فالنص وحدة مجردة لا تتجسد إلا من خلال الخطاب كفاعل تواصلية وفي إطار هذه العلاقة يتم الترابط بين النص وسياقه التداولي.⁽¹⁾

وهناك محاولات كثيرة لحسم الخلاف في تداخل المصطلحين، واختلاف التسميات ناتج عن اختلاف المدارس لا أكثر، فما تطلق عليه المدرسة الفرنسية مصطلح النص تطلقه عليه المدرسة الأنجلو أمريكية مصطلح الخطاب، فالدال مختلف والمدلول واحد.

ب- النص والخطاب في الدراسات اللسانية العربية:

يستعمل كثير من اللسانيين العرب، والمهتمين بحقل لسانيات النص مصطلح الخطاب مرادفاً لكلمة نص سواء أكان مكتوباً أم منطوقاً.⁽²⁾

وقد يتضح الفرق أكثر بإجراء موازنة مختصرة بين كل من علم النص والخطاب، فيعتبر علم النص الدراسة اللغوية التي تهدف إلى الكشف عن مجموع القواعد التي تنظم بناء مختلف النصوص، وعن المعايير التي تميز النص عن اللانص.

ويتبين الفرق بين النص والخطاب فيما يأتي:⁽³⁾

__يفترض الخطاب وجود المتلقي لحظة إحداث الخطاب، بينما يتوجه النص إلى متلق غائب يتلقاه عن طريق عينيه قراءة؛ أي أن الخطاب نشاط تواصلية يتأسس أولاً وقبل كل شيء على اللغة المنطوقة بينما النص مدونة مكتوبة.

__الخطاب لا يتجاوز سامعه إلى غيره، أي أنه مرتبط بلحظة إنتاجية بينما النص له ديمومة الكتابة فهو يقرأ في كل زمان ومكان.

__الخطاب تنتجه اللغة الشفوية، بينما النصوص تنتجها الكتابة وكل منها يحدد بمرجعية

(1) _خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ط1، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 1424هـ-2008م، ص16.

(2) _محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، ج1، ص101.

(3) _سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبغير، ط03، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1997م، ص44.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

القنوات التي يستعملها، والخطاب محدود بالقناة النطقية بين المتكلم والسامع، وعليه فإن ديمومته مرتبطة بهما لا تتجاوزهما، أما النص فإنه يستعمل نظاما خطيا، وهذا يعني أن ديمومته رئيسية في الزمان والمكان.

الخطاب تواصل لساني ينظر إليه بوصفه إجراء بين المتكلم والمخاطب، أي أنه فاعلية تواصلية، يتحدد شكلها بوساطة غاية اجتماعية، وأما النص فهو تواصل لساني مكتوب، وتبعاً لهذا فإن الخطاب يتصل بالجانب التركيبي، والنص بالجانب الخطي، كما يتجلى لنا على الورق.

وخلاصة القول إن مصطلح الخطاب يستدعي إلى الأذهان دلالاته على التواصل، حيث تحيل كل عملية خطائية على عناصر عديدة للتواصل، تتمثل في المتخاطبين وسياق الخطاب ومقاصده، وملح التواصل.

ويدل على معنيين: أحدهما الحدث المجرد من الزمن، أي حدث الخطاب، ثم نُقل من هذه الدلالة إلى الدلالة على المسمى أي ما يخاطب به، ونلاحظ أن المعنى التواصلية حاضر في الأمرين معاً، لأن اعتبار الكلام خطاباً حال إنجازهِ، يركّز على هدفه التواصلية بين الأفراد.

إن الوقوف على العلاقة بين النص والخطاب، أمر ليس بالهين، نظراً لتداخلهما الشديد، إلا أنه بالإمكان التوصل إلى أن النص نتيجة للكتابة، مستمر في الزمان، والمتلقي يستطيع أن يأتيه النص في أي مكان، أما الخطاب فهو ما كان شفوياً و تواصلياً، ناتجاً عن اللغة المنطوقة، وهو منتهي في الزمان.

كما أن تعدد مصطلحات النص والخطاب قد أفرز خلطاً بين المفهومين، مما أدى إلى الاختلاف؛ فالنص هو مجمل القوالب الشكلية: النحوية، الصرفية، والصوتية، في حين يحيل الخطاب على عناصر السياق الخارجية في إنتاجه وتشكيله اللغوي، كما أن هناك فرقا في العلاقات المستعملة، فقد ينتج الخطاب بعلاقات غير لغوية، كما هو الحال في التمثيل الصامت، أو الرسم الكاريكاتوري، أو الخطاب الإعلاني التجاري، المقتصر على علامات غير لغوية.⁽¹⁾

ويتضح إذن أن النص والخطاب مفهومين متداخلين ومتعالقين، لكن رغم هذا يبقى النص معطى أولياً لكل أنظمة الفكر الإنسانية، والأكثر شيوعاً، وتداولاً خاصة في مجال اللسانيات، والصفة المميزة له هي الوقوع في دائرة الاتصال.

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2003م، ص39.

3-النص والجملة:

قبل تحديد نوع العلاقة بين النص والجملة، نتناول المفاهيم المتعلقة بهذه الأخيرة، قديمها وحديثها، هذه الجملة التي أصبحت عند علماء لسانيات النص قاصرة عن أداء دورها التواصلية، وعلى الرغم من شيوع استخدامها، إلا أنّ اللغويين لم يتفقوا على تعريف جامع مانع لها، وهناك أكثر من مائتي تعريف للجملة كما يقول جورج موانان⁽¹⁾.

3-1- مفهوم الجملة:

يعتمد بعض اللسانيين في تعريف النص على أكبر مكوناته وهي الجملة، وعلى إثرها تأسست الدراسة اللسانية، وقامت على مفهومها الذي يتميز هو الآخر بالتنوع والاختلاف، حتى إنه توجد تعريفات عديدة للجملة منها:

أ- الجملة عند العرب:

لم يستخدم سيبويه (ت 180هـ) مصطلح جملة، وإنما اكتفى بالإشارة إلى مكوناتها فذكر المسند والمسند إليه و«هما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدءاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ أو المبني عليه، وهو قولك: عبدُ الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك: يذهبُ عبد الله، فلا بدّ للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأول بدّ من الآخر في الابتداء»⁽²⁾.

ويعني سيبويه بقوله هذا الجملة بنوعيتها الاسمية (عبد الله أخوك، وهذا أخوك)، والنوع الثاني للجملة هو الفعلية، ومثل لها بقوله (يذهب عبد الله)، أي أنّه لم يصحّ بمصطلح الجملة، وإنما اكتفى بالإشارة إليها فقط.

وذهب عبد الرحمان الحاج صالح إلى أنّه لم يعثر على مصطلح جملة في الكتاب، ويقول في هذا الصدد: «فهذا أمر غريب آخر ألا يوجد أثر للكلمة (جملة) في كتاب سيبويه، وكذلك العبارة (جملة مفيدة) لا أثر لها في الكتاب، ولا نعثر على كلمة (جملة) بعد سيبويه إلا في كتاب المقتضب للمبرد، ونرجح أن شيخه المازني هو الذي وضع المصطلح، فإنّه هو أول نحوي يستعمل كلمة (فائدة) بمعنى العلم المستفاد من الكلام، وهذا المفهوم يعبر عنه سيبويه بكلمة (علم)...»⁽³⁾.

(1) جورج موانان، مفاتيح الألسنية، ترجمة: الطيب بكوش، منشورات الجديد، تونس، 1981م، ص101.

(2) سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م، ج1، ص23.

(3) عبد الرحمان الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز، فكرية أدبية محكمة، تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، العدد02، ص8.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

بمعنى أن سيويه يستخدم مصطلح (الكلام) للدلالة على المركب من الكلام المستقيم والمحال⁽¹⁾، وهذا يتقارب مع مفهوم الجملة عنده، وتأسس نظريته على التمييز الحاسم بين النظرة إلى الكلام كخطاب، أي باعتباره حدثاً إعلامياً يحصل في زمان ومكان معينين، والنظرة إليه كبنية، إنَّ الكلام المستغني أو الجملة المفيدة هو أقل ما يكون عليه الخطاب إذا لم يحصل فيه حذف، يمكن أن يحلل إلى مكونات ووحدات وعناصر خطابية لكل منها وظيفة دلالية وإفادية كما فعل سيويه في القرن الثاني للهجرة⁽²⁾.

وإذا نظرنا في آراء سيويه العديدة، ومنها رأيه في الجملة والكلام، لوجدناه يكاد يتشابه مع الدراسات الحالية المهتمة بتحليل الخطاب ونحو النصوص، وعليه فإنَّ الكتاب في حقيقة الأمر ليس كتاباً في النحو والصرف والإعراب بالمعنى التقليدي، وإنما هو كتاب في التحليل اللغوي لعلوم العربية التي درسها سيويه⁽³⁾، و«منطلقاً من مبدأ وصفي وتعليلي يشكّل مع مبادئ أخرى الجهاز المفاهيمي للنظرية النحوية التراثية»⁽⁴⁾.

إنَّ ما ذهب إليه سيويه من مفاهيم حول الجملة، حتى وإن لم يصرح بها صراحة، إلا أنَّ آراءه لا يمكن الاستغناء عنها أو نجعلها في خانة الأفكار التراثية، بل هي في حقيقة الأمر تلغي كل الانتقادات التي تقول بأنَّ النحاة القدماء عجزوا عن التوصل إلى مثل هذه الدراسات الحديثة في اللغة، وهذا الأمر يجعلنا بين شقين هامين: أولهما: صعوبة التحلي عن التراث، وثانيهما صعوبة تجاهل المعاصرة والحداثة.

أما ابن هشام الأنصاري (ت716هـ)، فقد رفض مبدأ التسوية بين الجملة والكلام، حيث يقول: «الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلَّ على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، ك(قام زيد)، والمبتدأ أو خبره: ك(زيد قائم)، وما كان بمنزلة أحدهما، نحو: (ضُربَ اللَّص)، و(أقائم الزيدان)، و(كان زيدُ قائماً)، و(ظننته قائماً)، وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس، وهو ظاهر قول صاحب المفصّل، فإنَّه بعد أن

(1) _ سيويه، الكتاب، ج1، ص25.

(2) _ عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيويه، ص9-10.

(3) _ بشير ابير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 401، أيلول 2004، ص22.

(4) _ محمود أحمد نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1408هـ-1988م، ص18-19.

الفصل الأول:النَّصُّ ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

فرغ من حدِّ الكلام، قال: ويسمى جملة، والصواب أنَّها أعمُّ منه؛ إذ شرطه الإفادة، بخلافها، ولهذا تسمعونهم يقولون جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً فليس كلاماً»⁽¹⁾.

فالكلام عنده هو القول المفيد بالقصد، والجملة عبارة عن الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر، وما كان بمنزلة أحدهما.

لقد جعل ابن هشام الجملة أعمَّ من الكلام؛ إذ تطلق الجملة على ما تحقق فيه الإسناد مطلقاً، أي سواء أكان مقصوداً لذاته أم لغيره، في حين لا يُطلق الكلام إلا على ما تحقق فيه الإسناد لذاته.

أما رأي ابن جني (ت392هـ) في العلاقة بين الجملة والكلام، فيقول في هذا الصدد: «إنَّ الكلام جنس للجمل التوأم مفردها ومثناها ومجموعها، كما أنَّ القيام جنس للمقومات مفردها ومثناها ومجموعها، فنظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام»⁽²⁾.

وكما قال أيضاً: «إنَّ الكلام إنَّمَا هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل»⁽³⁾.

وكما يقول: «أما الكلام فهو كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه؛ وهو الذي يسميه النحويون الجمل: زيد أخوك، قام محمد، فكل لفظ استقلَّ بنفسه وجنيت ثمرة معناها فهو كلام»⁽⁴⁾.

إن مفهوم ابن جني يعتبر أنَّ كل لفظ مستغن عن غيره يسمى جملاً، وهذا معناه، أن الكلام هو نفسه الجملة، وهو جنس لها، ولا يوجد فارق بينهما، لكنَّ محمود أحمد نخلة؛ يصنّف ابن جني ضمن الاتجاه الذي يميّز بين الجملة والكلام، فهو يرى أنَّ الكلام غير الجملة، ويشاركه في هذا الاتجاه رضي الدين الإستراباذي (ت688هـ)، وذلك في مقابل الاتجاه الآخر الذي يمثله الزمخشري وابن يعيش، حيث يريان أن الجملة هي الكلام؛ فابن جني يرى أن الكلام جنس للجمل التوأم مفردها ومثناها ومجموعها، كما أنَّ (القيام) جنس للمقومات مفردها ومثناها ومجموعها، فنظير

(1) ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج5، ص7_8.

(2) ابن جني، الخصائص، ج1، ص27.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص32.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص17.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام⁽¹⁾ كما سبق الإشارة إلى مثل قول ابن جني.
أمّا علي أبو المكارم، فيرى أنّ ابن جني قد وحد بين الجملة والكلام وجعلهما شيئاً واحداً⁽²⁾.

إلا أنّ النص الذي اعتمده علي أبو المكارم في استنتاجه أنّ ابن جني يوحد بين المصطلحين، غير النص الذي اعتمده محمود أحمد نحلة في استنتاجه أنّ ابن جني يفرق بين مفهوم الكلام ومفهوم الجملة.

حيث اعتمد علي أبو المكارم على قول ابن جني: «أمّا الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو: (زيد أخوك)، و(قام محمد)، و(ضرب سعيد)، و(في الدار أبوك)، و(صه)، و(مه)»⁽³⁾.

في حين يحاول أحمد محمد عبد الراضي، أن يوفق بين نصي ابن جني، فيرى أنّ ابن جني قد أراد أولاً أن يقارن بين الكلام والجمل، فبيّن أنّهما يطلقان على اللفظ المستقل بنفسه المبين لمعناه، ثم فصل القول في النص الآخر، بأن بيّن العلاقة بين الكلام والجمل، فوضح أنّ الكلام جنس يطلق على ما قلّ أو أكثر من الجمل، والدليل على ذلك أنّه قال في النص الأول: «وهو ما يسميه النحويون الجمل»، ولم يقل الجملة، إشارة منه إلى أنّ الكلام قد يطلق على الجمل⁽⁴⁾.

ويبدو أنّ أوّل من استعمل مصطلح الجملة مردياً بها الفعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر هو أبو العباس المبرّد (ت285هـ)، وذلك في معرض حديثه عن الفاعل، فقال: «وإنّما كان الفاعل رفعا، لأنّه هو والفعل جملة يحسن عليه السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر، إذا قلت: (قام زيد)، فهو بمنزلة قولك: (القائم زيد)»⁽⁵⁾.

وظلّ مفهوم الجملة قائماً على مفهوم الفعل والفاعل أو المبتدأ والخبر، حتى جاء ابن جني فحدّد مفهوم الجملة عن طريق المقابلة والمقارنة بينها، وبين مصطلحات أخرى مثل: الكلام

(1) محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص19.

(2) علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ط01، المكتبة النحوية، 1402هـ-1982م، ج2، ص14-16.

(3) ابن جني، الخصائص، ج1، ص17.

(4) أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ط01، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ-2008م، ص34.

(5) محمد بن يزيد المبرّد، المقتضب صنعة أبي العباس، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، ط3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1415هـ-1994م، ج1، ص146.

والقول⁽¹⁾.

كما أن المبرّد لم يشر إلى العلاقة الموجودة بين ركني الجملة من مسندٍ ومسندٍ إليه أو علاقة الإسناد، كما وجدناها عند سيبويه.

وبعد مناقشة عديد الآراء حول الجملة والكلام، نخلص إلى أنّ الكلام عند العرب يطلق على القليل والكثير من الجمل بشرط أن يحقق غرضه من الإفادة التامة التي يحسن السكوت عليها.

ويذهب أحمد محمد عبد الراضي أنّه عندما نقارن تعريف النحاة العرب للكلام، وتعريف المحدثين للنص، فإننا نلاحظ أنّ ثمة توافقاً كبيراً، فإذا كان النصّ هو الوحدة الكلامية الكبرى التي تضم تحتها وحدات صغرى، وإذا كان حجم النص ليس مقدّراً بعدد معين من الجمل، بل قد تكون الجملة الواحدة نصّاً، إذا أدت طبعاً وظيفة النص⁽²⁾.

وهذا ما قرره علماء النص، من أن النص هو وحدة كلامية تؤدي وظيفة الإفادة، بحيث لا تحتاج إلى وحدة كلامية أكبر تضمها، ولذلك عدّ ابن جنّي الكلام جنساً للجمل، فهي تدرج تحته، فالكلام من حيث إطلاقه على مجموعة من الجمل التي يرتبط بعضها ببعض في إطار ترتيب أكبر يعدّ أعم من الجملة، وهذا ما يفهم من تفرقة ابن جنّي بين الكلام والجملة⁽³⁾.

هذا وتبقى هذه الآراء محل جذب بين النحاة وعلماء اللغة، لأنّ هناك من يرفض أن يكون الكلام هو الجملة، وجنس لها، لكن مع التوافق الحاصل بين علماء النص، وآراء العلماء حول الجملة والكلام، فإنني أرجح فرضية ما ذهب إليه ابن جنّي في التوحيد بين الجملة والكلام؛ لأنّه إذا كانت مترابطة فيما بينها بأدوات منطقية، تؤدي دلالة ما، هذه الجمل هي الكلام العام (الكلام أعم من الجملة)، فلكذلك النصوص بحسب التعريف اللغوي هي عبارة عن توالي عدد من الجمل بينها روابط منطقية، ولعلّ قول ابن جنّي بذرة من بذور الدرس النصي عند العرب.

ب- الجملة عند الغربيين:

إذا كان وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصوّر اللغوي، ويؤكّد

(1) ابن جنّي، الخصائص، ج1، ص17.

(2) أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص37.

(3) المرجع نفسه، ص ن.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

ذلك الاختلاف بين علماء اللغة الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة حول حدود المصطلحات التي تركز عليها بحوثهم، وهو الأمر نفسه حول اختلافهم الشديد المتعلق بالجملة، وقد حاول ريز J.Ries في دراسة لغوية نقدية أن يحدد هذه التعريفات، ويناقشها مناقشة نقدية محاولاً إبراز جوانب الاتفاق بينها، وجوانب الاختلاف والتمييز وطرح تعريفاً يضم الملامح الفارقة للجملة⁽¹⁾.

وقد نقل دي بوجراند عدة تعريفات للجملة؛ فهي عند إيفنش: عبارة عن فكرة تامة، وعند جاردنر، وجولدمان، وآيسلر: تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة، وعند هاريس: نمط تركيبى ذو مكونات شكلية خاصة⁽²⁾.

ثم عقب دي بوجراند على هذه التعريفات بقوله: «إنّ اللّمحات التضمنية الوظيفية لكل من هذه المعايير تختلف اختلافاً تاماً فيما بينها، وإنّ البحث العلمي ليوضح أنّ الناس يختلفون في أحكامهم بالنسبة لما تتكون منه الجملة، وعند النظر إلى السكتات التي في الكلام، نجد أنّ كثيراً من القطع التي تراها هذه الدراسة جملاً لن تعد من الجمل بمعايير أخرى»⁽³⁾.

إنّ التعريفات المقدمة من طرف إيفنش وجاردنر وجولدمان، وآيسلر، حول الجملة، لم تقدم كلها مفهوماً واضحاً لها، وقد صرح بذلك دي بوجراند حول اختلاف الناس في أحكامهم بالنسبة لما تتكون منه الجملة، هذا فضلاً عن عدم الاتفاق حول مفهوم لها، كما في النص تماماً.

وقد يكون تعريف هاريس Zellig Harris أقربها إلى تعريف الجملة، حيث عبّر عنها بأنها نمط تركيبى إشارة إلى عناصر الجملة، كما الحال في الجملة العربية المركبة من مسند ومسند إليه.

أما تعريف كلاوس برينكر Klaus brinker للجملة فيقول: «يمكن أن تعرف الجملة بأنها وحدة لغوية، تتشكل من فعل (محمول) بوصفه المركز التركيبى وسلسلة من مواقع أركان الجملة (الفاعل، والمفعول، والتحديدات الظرفية... إلخ)، التي تقع كل منها في علاقات تبعية محددة للفعل "المركب"»⁽⁴⁾.

فهذا التعريف يتضمن الإشارة إلى المحور الأساسى الذي تدور حوله عناصر الجملة، وهو

(1) _ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 107.

(2) _ روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط 01، دار عالم الكتب، القاهرة، 1998م، ص 88.

(3) _ المرجع نفسه، ص ن.

(4) _ كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، تر: سعيد حسن بحيري، ط 01، مؤسسة

المختار، القاهرة، 1425هـ_2005م، ص 34.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

الفعل، وهذا بطبيعة الحال منطبق على لغتهم، لأنّ الفعل في الجملة الألمانية والانجليزية هو محور الجملة، ويبدو أن مفهوم الجملة عند نحاة العرب أنضح وأوضح من مفهومها عند علماء الغرب، ولا سيما أن لدى العرب مصطلحات آخر أرحب وأشمل من الجملة، وهو الكلام الذي يطلق على القول المفيد فائدة تامة يحسن السكوت عليها، سواء أكان هذا القول مكوّنًا من جملة أم من أكثر، وقد لاحظنا سابقًا أن الكلام بهذا المفهوم قريب من مفهوم النص الذي لجؤوا إليه في دراساتهم لما لمسوه في الجملة من ضيق⁽¹⁾.

ولا بدّ من الإشارة إلى نقطة هامة، وهي أنّه ليس بين الجملة والنص، أي تناقض أو تباين، لأنّ الجملة هي اللبنة الأولى للنص، والنص بدوره مكون من عديد الجمل المتتابعة التي تجمعها روابط دلالية ولغوية وسياقية، يقول برينكر: «تعد الجملة من الناحية النحوية الوحدة المحورية لبنية النص... الجملة إذن قُطَيْعَة من نص، توصف من خلال نقطة أو علامة استفهام أو علامة نداء، وكتابة بحرف كبير لاحقة بذلك بأنها وحدة مستقلة نسبيًا»⁽²⁾.

وهكذا توسّع موضوع الدراسة فتعدّى لسانيات الجملة، إلى وحدة أكبر منها، وهذا ما دعا إليه بنفينيست E.Benveniste، إلى ضرورة قيام لسانيات جديدة تتأسس على اللغة والثقافة والشخصية⁽³⁾.

وإذا كانت الملكة اللسانية عند تشومسكي تتعلق بالعناصر والبنيات اللغوية، فقد أعدّها ديل هايمس Dell Hymes، لأنّها وصفت اللغة بمعزل عن حالات استعمالها في الواقع الاجتماعي بسبب حاجات الأفراد ومقاصدهم وأغراضهم، وعليه فإنّ الملكة التبليغية لا تتضمن العناصر والبنيات اللسانية التي تمكن الفرد من التعبير السليم فحسب، بل إلى جانب ذلك تتضمن قواعدها الاجتماعية ومعرفة سياقاتها، وطرائق استعمالها بحسب مقتضيات أحوالها⁽⁴⁾.

ومن الدارسين الذين تأثروا بمنظور هايمس الذي يعدّ من أهم العلماء في اللسانيات الاجتماعية، الباحثة الفرنسية في ميدان تعليمية اللغات Ladidactiques des Langues، صوفي

(1) _أحمد محمد عبد الرّاضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص40.

(2) _ كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص32.

(3) _E. Benveniste, Problèmes de linguistique Générale, Edition, Gallimard, 1996, P16.

(4) _Dell Hymes, Vers la compétence de Communication, Paris, 1984, P124.

موارن Sophie Moirand⁽¹⁾.

وهناك دعوات تنادي بضرورة تجاوز الجملة إلى وحدة لغوية أكبر منها تكون محورا للدراسة وهي النص، ويمثل هذا الاتجاه زيليغ هاريس في مقاله تحليل الخطاب سنة 1952، مع أن هذه الإرهاصات لا تدعو كما يظهر إلى إلغاء الجملة نهائيا، لأنها أهم مكون للنص المكتوب.

3-2- علاقة النص بالجملة:

أكد الأزهر الزناد أن شرعية وجود لسانيات النص إلى جانب لسانيات الجملة يجب أن تقوم على أكثر الركائز قرارا في تصنيف العلوم وهي: الموضوع، المنهج والغاية⁽²⁾.

أ-الموضوع: تدرس لسانيات الجملة، (الجملة) فما دونها، في حين تدرس لسانيات النص (النص)، وقد ثبتت فروق متعددة بينهما سجلها النّصيون ، كان أبرزها ما أثبتته دي بوجراندي من فروق عدّها جوهرية وهي⁽³⁾:

-إنّ النص نظام فعال، في حين إنّ الجمل عناصر من نظام افتراضي.

-الجملة كيان قواعدي خالص يتحدد على مستوى النحو فحسب، أما النص فإنه يعرف تبعاً للمعايير النصية: السبك، الحبكة، القصد، القبول، السياق، التناسق، والإعلامية.

-ينبغي للنص أن يتصل بموقف تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات، والتوقعات، والمعارف تسمى ب(سياق الموقف)، أما الجمل فلا يمكن أبدا أن ترد من دون تكلف، إما لكونها أطول، أو أعقد، أو أكثر توابع، فالقواعد التجريدية لتكوين الجملة، لا يمكن التقنين لطولها، أو عدد مكملاتها، بحيث يتوقف بعده تتابع العناصر، لتصبح الجملة جملة ذات معنى.

-إن الأعراف الاجتماعية تنطبق على النصوص أكثر مما تنطبق على الجمل؛ فالوعي الاجتماعي ينطبق على الوقائع لا على أنظمة القواعد النحوية.

-العوامل النفسية أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل، فالجمل من حيث الصياغة الذهنية

(1)-Sophie Moirand, Enseigner à communiquer en langue, Etranger ,Paris, 1976, P103.

(2) -الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به، الملفوظ نصًا، ط01، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1993م، ص15.

(3) -روبيرت دي بوجراندي، النص والخطاب والإجراء، ص89-94.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

شكل استكشافي بجانب أمور أخرى، تعين على الغايات الواسعة للاتصال كالتعبير، وتذكر المعلومات أو السعي إلى غاية ما، أما حدود الجملة فتحدد فيما بعد عند إتباع النص، ثم يستغنى عنها في المراحل الأولى للفهم.

- إنَّ النصوص تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل الأخرى، إذ يعتمد متعلمو اللغة في استعمال الجمل على معرفة القواعد، من حيث هي نظام افتراضي عامٌّ، أما من أجل استعمال النصوص، فإنَّ الناس بهم حاجة إلى معرفة عملية الأحداث الجارية بمضمونها، وتنطبق هذه الحالة من التناص على الملخصات ومسودات الموضوعات والاستطرادات والإجابات.

ب- المنهج: تقسّم الجملة على وفق معايير تختلف عن معايير تصنيف النصوص، فهي كما استقر في الأنحاء المختلفة: اسمية، فعلية، بسيطة، مركبة، وغيرها، ومع تعدد أنواع الجملة، فإنَّ معايير تقسيمها تبقى معايير لغوية صرفة « يستنطبها النحو الواصف لها من شكلها بصرف النظر عن مدلولها»⁽¹⁾، أما النص فيتمّ تقسيمه وفق مضامينه في الأساس، ويعد الشكل في الدرجة الثانية من التقسيم: «فالنص يصنّف إلى أدبي، وقانوني، وسياسي، وفلسفي... الخ باعتماد موضوعه»⁽²⁾.

ومعايير التصنيف في لسانيات الجملة أكثر قرارا وتجريدا من المعايير المعتمدة في تصنيف النصوص، وهذا التعدد يعود إلى تداخل بين معايير علوم مختلفة تلتقي في موضوع واحد هو (النص)، وكلّ واحد منها يرصد فيه شيئا، ويعيّب من اهتمامه أشياء أخرى، وهذا مدخل الضرورة في بناء علم مستقل يميّز عن كلّ علم آخر هو لسانيات النص⁽³⁾.

ج- الغاية: يسعى النحويون إلى وصف النظام الذي يقوم به موضوع درسه، والنظام: هو مجموعة علاقات محكومة بقواعد تقيم أشكالا يقاس عليها الكلام، فيكون صحيحا مقبولا، وصحيحا غير مقبول، أو غريبا وخاطئا مقبولا، وخاطئا غير مقبول، والصحة تتعلق بالبنية الدالة من حيث مطابقتها للشكل المولّد لها، أو خروجها عنه، أما لسانيات النص فلا وجود لقواعد معيارية، فالنصّ من هذه الزاوية يفلت من الضبط، لا لأنّه يعسر ضبطه، وإنما لاختلاف المعايير

(1) - الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا، ص 17.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

(3) - المرجع نفسه، ص 17-18.

الضابطة له في التصوّر القديم عن ضوابط الجملة⁽¹⁾.

ويبيّن سعد مصلوح أثر الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص بقوله: «إنّ الفهم الحق للظاهرة اللسانية، يوجب دراسة اللغة دراسة نصيّة، وليس اجترأ، والبحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى كما ظهر في اللسانيات البلومفيلية أول أمرها؛ ومن ثمّ كان التمرّد على نحو الجملة والاتجاه إلى نحو النصّ أمرًا متوقّعًا، واتجاها أكثر اتساقًا مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث»⁽²⁾.

وأكدّ كذلك أن رسوخ المنهج النصي في اللسانيات يتطلب تغيير القبلة البحثية، وذلك بالانتقال بالنحو واللسانيات عامة من أسوار الجملة إلى النص، ليكون قادرًا بوسائله على فهم النص ووصفه، والكشف عن علاقته التي تستحقّ بها نصية النص بما هو حدث تواصلية ذو بنية مكتفية بنفسها⁽³⁾.

إنّ لسانيات الجملة التي رأى سعد مصلوح أنه يجب تركها، وعدم الاعتناء بها، إذ يقول: «لقد استنفذ هذا النحو أغراضه، واستهلك نفسه—أو استهلك أصحابه—درسًا وتدريسًا بعد أن أنضج أسلافنا حتى احترق، ولجنا به نحن إلى نفق مظلم يستحيل معه أن نضيف إليه جديدًا»⁽⁴⁾.

إنّ لسانيات الجملة ما زالت ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها، كما أن لسانيات النص أصبحت ضرورية لتحقيق أهدافها⁽⁵⁾.

وإلى هذا أشار فان ديك فهو لا يرفض «مقولات نحو الجملة أو التقليل من قيمتها أو التشكيك في صحتها، بل إن الأمر بالنسبة له ولغيره من علماء النص، يمكن أن يتحدّد في أنه قد تحمّم بعد إدخال عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين، أن يتغيّر الإطار الأساسي الذي يضمّ الجملة؛ إذ إنّه لم يعد كافيًا لاستيعاب العناصر السابقة»⁽⁶⁾.

(1) —الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به المفظوظ نصًا، ص20.

(2) —جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص67.

(3) —سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، ط02، عالم الكتب، القاهرة، 2010م، ص222-223.

(4) —أحمد محمد عبد الرازي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص54.

(5) —أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص67.

(6) —سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص218.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

فلم تنشأ لسانيات النص من فراغ، وإنما هي تطوّر لمعطيات لسانيات الجملة، فقد كان التراث النحوي بتصوراته، ومفاهيمه، وقواعده وتحليله الأساس الفعلي الذي بنيت عليه الاتجاهات النصية بكل ما تتسم به من تشعب أفكارها، وتصوراتها، ومفاهيمها، وأن كثيرا من الظواهر التي تعالج في إطار النص هي في حقيقة الأمر كانت محور كثير من البحوث النحوية السابقة التي كانت تعد الجملة أكبر وحدة في التحليل ولا تتعداها⁽¹⁾.

وعليه، فإنه لا يمكن فصل الجملة والنص؛ لأنّ النص يقوم على مجموعة من الجمل -قلت أو كثرت- بينها رابط لغوي ودلالي وسياقي، وما الجملة إلا إحدى لبنات النص.

وإذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإنّ النص ليس وحدة نحوية أوسع، أو مجرد مجموع جمل، أو جملة كبرى، وإنما هو وحدة دلالية لها معنى في سياق ما، تتحقق أو تتجسد في شكل جمل، وهذا يفسر علاقة النص بالجملة؛ إذ الأخيرة مجسدة للوحدة الدلالية التي يشكلها النص في موقف اتصالي ما⁽²⁾.

وبدءاً من احتمالية تحقق النص في جملة واحدة أو أقل، تطرح أمامنا إشكالية وهي: هل معالجة النص/ الجملة أو الجملة/ النص، تدخل في إطار لسانيات النص؟

ذهب سعيد حسن بحيري أنها تدخل في إطار لسانيات النص ما دامت معالجة الجملة/ النص لا تقتصر على الجانب التركيبي، وإنما تتعداه بإدراج الجانبين: الدلالي و المقامي، إذ يقول: «ودون الخوض في الخلاف حول مفهوم النص، فإنه من الضروري أن نشير إلى أن القضية لا تتعلق بالامتداد الأفقي بالكم أساسا، ولكن تعود إلى اختلاف منظور البحث، فقد تتوافق حدود الجمل، والنصوص في كثير من الأمثلة - كما تبين - إلاّ أنّه عند التحليل التركيبي، فهذا غير كاف باتفاقهم جميعا، وهنا يبدأ تجاوز إطار الجملة؛ إذ يبدأ البحث عن عناصر تتعلق بعناصر غير لغوية حقيقية، تتصل بمنطقية الجمل وصلتها بالموقف الاتصالي أو عملية التواصل بصورة عامة، ويستوجب البحث عن هدف سابق لوضع الجملة وأثر لاحق له، فنجد حديثا عن الفروض المسبقة وأشكال التضمن والتتابع المنطقي للخطاب ككل»⁽³⁾.

وفي موضع آخر يشير سعيد حسن بحيري إلى أن النص ذو وظيفة تتركز بالدرجة الأولى

(1) -أحمد محمد عبد الرازي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص42-43.

(2) -جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص68.

(3) -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص238-239.

على الاتصال الاجتماعي⁽¹⁾، وإن تعريف النص ينبغي أن يشتمل على:

- الطابع اللغوي للنص (منطوقاً أو مكتوباً)، والطابع التباعي لمكوناته والعلاقة بينها، وحجم النص، وعلاقة النص بالخارج (الموقف).

إن النص منجز لغوي، ذو علاقات ترابطية، فيما بين مكوناته المتتابعة، وذو غرض إبلاغي، وبينه وبين الموقف علاقة حضور متبادل، تأثير وتأثر.

4-النص والسياق:

للسياق دور مهم في فهم النص عموماً، والقرآني خاصة، وقبل التفصيل في هذه الآلية اللغوية، يجدر بنا الإحاطة التاريخية للوقوف على خلفيات المصطلح، ومن ثمّ أثره في الدراسات القرآنية، لأنّ مصطلح السياق تكتنفه الكثير من القضايا التي لم يفصل فيها الباحثون، كمفاهيمه اللغوية الكثيرة، ومفهومه الاصطلاحي، ولهذا سأقدم حدود المصطلح في الدراسات العربية والدراسات الغربية، من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، ثم محاولة البحث عن جذوره في الدراسات القرآنية، وأثره فيها.

أ-تعريف السياق:

-السياق/لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (395هـ): «...يقال ساق يسوق سَوْقًا، والسِّيقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي أي صداقها، وأسقته والسّوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء...»⁽²⁾.

وفي أساس البلاغة للزمخشري (ت538هـ): «ومن الجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه أي سرّده»⁽³⁾.

وجاء في لسان العرب: «ساق الإبل يسوقها سَوْقًا وسِياقًا... وقد انسقت وتساققت الإبل

(1) - سعيد حسن مجيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص110.

(2) - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، مادة (سوق)، ط2، دار الفكر، 1399هـ-1979م، ج3، ص117.

(3) - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، مادة (سوق)، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م، مج2، ج1، ص484.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة... والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضها... وساق إليها الصداق والمهر سيقا و أساقه، وإن كان دراهم أو دنانير؛ لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما... والسيقاق نزع الروح، كأن الروح تساق لتخرج من البدن، ويقال له السيقاق أيضا، السوق سميت بها؛ لأن التجارة تجلب إليها وتُساق المبيعات نحوها... يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساقٍ واحدة، أي بعضهم على إثر بعض ليس بينهم جارية، وولد لفلان ثلاثة أولادٍ ساقاً على ساق، أي: واحد في إثر واحد، وولدت ثلاثة على ساق واحدة، أي: بعضهم في إثر بعض ليست بينهم جارية»⁽¹⁾.

تشارك التعاريف السابقة في المعاني والمفاهيم الخاصة بمصطلح السيقاق، الذي هو التابع والسير والملاءمة والاتفاق والنظم، والجمع والاتصال والتسلسل، فسوق الإبل والدواب من تتابعها واتصالها ببعضها، وكذلك مهر المرأة، فقد كان الأصل فيه أن يكون من الإبل، والدواب فتساق إليها، فاستعمل بعد ذلك في الدراهم والدنانير، وكذا السوق لما يجمع إليه ويتابع عليه من البضائع، وكذا سيقاق المريض، فكأن الروح تجمع وتساق لتخرج من البدن، وقولهم ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، فيه معنى الاتصال والتسلسل، فلم يفصل بينهم بجارية، وسيقاق الكلام من تواليه وتتابعه وتسلسله.

-السيقاق/اصطلاحا:

السيقاق من المصطلحات التي شاعت في الاستعمال عند القدماء، إلا أنهم لم يضبطوها بتعريف اصطلاحى، ولعلّ مردّ ذلك اهتمامهم بالجانب التطبيقي، أكثر منه اهتمامهم بالجانب النظري.

ولهذا لم يضع له اللغويون والبلاغيون تعريفا محددًا، وإن كانوا يستعملونه في كلامهم من خلال تحليلهم للنصوص، ولذا حاول المحدثون أن يضعوا له مفهوما في ضوء النظريات اللغوية الحديثة، فهو من حيث المدلول العام، يقصد به الإطار العام الذي تنتظم فيه عناصر النص، ووحدته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، بحيث يؤدي مجموع ذلك إلى إيصال معنى معين، أو فكرة محددة لقارئ النص⁽²⁾.

(1) -ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق)، مج2، ج24، ص2153 وما بعدها.

(2) -أحمد محمد عبد الراضي، المعايير النصية في القرآن الكريم، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1432هـ-2011م، ص197.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

ويعرفه عبد الحكيم بن عبد الله القاسم: «تتابع الكلام وتساقفه وتقاوده، ويمكن تعريف دلالة السياق بأنها فهم النص بمراعاة ما قبله، وما بعده، ويمكن تعريف دلالة السياق في التفسير بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية، بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلاّ بدليل صحيح يجب التسليم له»⁽¹⁾.

من هذا التعريف يتضح لنا أن هناك تكرارا للألفاظ المؤدية لمعنى واحد؛ فالتتابع والتساقق والتقاود بمعنى واحد، وقوله تتابع الكلام، لا يؤدي المعنى المقصود لحقيقة السياق، فالسياق مفهوم متكامل، فقد يتتابع الكلام، ولا يؤدي غرضاً موضوعياً واحداً، بل إنه قد يكون مشتتاً للمعاني غير جامع لوحدتها.

وهناك مفاهيم متعلقة بالسياق في التراث العربي، تعود إلى بناء مفهوم اصطلاحى له، وكلها تنطلق من المفهوم اللغوي، الذي أبان عن جوانب اصطلاحية كثيرة، وتتفق جميعها على أن السياق هو الغرض، ومقصود المتكلم من إيراد الكلام، وأنه أيضاً الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، وأن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي، الذي يمثله الكلام، في موضع النظر أو التحليل.⁽²⁾

ونعرض تعريفاً لأحمد محمد عبد الراضي، يظهر من خلاله رؤيته للسياق فيقول هو: «الصورة الكلية التي تنتظم الصور الجزئية، ولا يفهم كل جزء إلاّ بحسب موقعه من الكل، وقد أثبت العلم أنّ الصورة الكلية تتكون من مجموعة كبيرة من الجزئيات المتشابهة أو المتباينة، تدخل كلها في تركيب الصورة»⁽³⁾.

إن أحمد محمد عبد الراضي يؤكد على العلاقات المنطقية التي تربط بين الأجزاء في التركيب، حتى وإن كانت هذه الأجزاء أو التراكيب النحوية متشابهة، فإنّ الفيصل بينها هو المعنى والدلالة

(1) - عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، ط1، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، 1433هـ-2012م، مج1، ص93.

(2) - ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ط01، مكتبة الملك فهد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ، ص42-47، وينظر:

- الشافعي، الرسالة، ج1، ص52-62.

- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، (دط)، عالم الكتب، بيروت، (دت)، ص457.

- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز،

ط2، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، 1395هـ-1975م، ج3، ص413.

(3) - أحمد محمد عبد الراضي، المعايير النصية في القرآن الكريم، ص198.

والموقع الذي يحددهما.

ب-العلاقة بين النص والسيّاق في الدّراسات التراثية العربية:

كان علماء العرب على علم بمفهوم السياق، فصرّحوا به أحيانا، ومارسوه أحيانا أخرى من غير تصريح، وعبروا عنه بثلاثة مصطلحات رئيسة هي: السياق والمقام والحال.

وتتلخص المساهمة العربية في عرض دور النحويين واللغويين والبلاغيين والمفسرين، و كيف تناولوا السياق من خلال دراساتهم التي كانت بمثابة ارهاصات انتهجتها الدراسات الغربية.

لقد اعتنى النحاة بمسألة تركيب الألفاظ مع بعضها، فتطرق مثلا سيبويه إلى قضية الاستقامة والإحالة في الكلام، فقال: «فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسأتيك غدا.

وأما المحال: فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه...

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكبي زيدا يأتيك، وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس»⁽¹⁾.

إن معيار سيبويه يشير إلى أمرين:

الأول: لا بدّ من التسليم بأن مطلب التوافق الدلالي بين الألفاظ يعدّ مطلبا رئيسيا في الأداء اللغوي السليم.

الثاني: إن التركيب اللغوي الصحيح نحويا ليس بالضرورة أن يقود إلى معنى صحيحا دائما في مثل (حملت الجبل) و(شربت ماء البحر).

لقد حوت كتب النحو إشارات عن القرائن النصية، وعن مهمة الترابط في سياق الجملة أو الجمل، مما يعني وعيهم بسياق النص، وإن لم يشيروا إليه بلفظه صراحة، ولكنهم اهتموا بتحليل الجملة من حيث ترتيبها، وارتباط ألفاظها وتامها، فأشاروا إلى الرتبة وأهميتها دلاليا.

(1) - سيبويه، الكتاب، ج1، ص25-26.

ويقصدون بالرتبة التقديم والتأخير في الدراسات النصية.

لقد كان للنحاة معرفة بالسياق بنوعيه، وأحيانا ببعض عناصره على شكل متفرق، مما يكشف عن معرفة به، وتعويل عليه أحيانا من جانب، وغض الطرف عنه أحيانا أخرى، لأنه ليس هو المطلوب لذاته.

أما اللغويون العرب فقد لاحظوا أن الأحوال الاجتماعية والأدوات تؤثر في أنماط الكلام وأنواعه، بحيث يكثر تداول ألفاظ معينة في مواقف خاصة، ومن ذلك أنهم وقفوا على استخدام العرب ألفاظا مخصوصة في مخاطبات الملوك والأمراء، ولم يخاطبهم بأسمائهم، بل دلّوا عليها، وأشاروا لهم بلفظ الغيبة إجلالا وتعظيما، ووقفوا على ألفاظ لا يحسن التفوه بها في المجالس، لأنّ العرف اللغوي والاجتماعي يرفضانها⁽¹⁾.

إن الدراسات اللغوية العربية كانت مبنية على أثر السياق المؤدي إلى المعنى في إنتاج الكلام، بداية من أصغر وحدة صوتية المتمثلة في الفونيمات ذات الدلالة المعينة، وصولا إلى التأليف المعجمي، والبحث عن المفردات المستعملة وأحيانا أخرى المهملة الاستعمال.

وقد يكون حتى للإشارة والإيماءات دخل في إنتاج المعنى الملائم لموقف معين، وفي هذا يقول ابن جني: «فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلف القائل، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه، وعلى ذلك قالوا:..ربّ إشارة أبلغ من عبارة... وقال لي بعض مشايخنا رحمه الله، أنا لا أحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة»⁽²⁾.

إن في هذا القول عرض لعناصر الموقف الخارجي في استعمال اللغة على مواقف الخطاب، وما صاحبها من حركة اليدين، أو إيماءات الوجه، أو دفقات المشاعر المتمثلة في دمعة أو ابتسامة.

كما أشار اللغويون أيضا إلى الحذف، بحيث توجد قرينة دالة على المحذوف من خارج النص أو الجملة، وهي الحال كما يقول ابن جني: «قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته»⁽³⁾.

(1) -خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ص49.

(2) -ابن جني، الخصائص، ج1، ص247.

(3) -المصدر نفسه، ج2، ص360.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

إن ما تقدم ذكره يمثل إشارات فقط عن نظرة اللغويين للسياق، وقد عُني به اللغويون بما يقدمه في الكشف عن معنى المتعدد والمتحمل من الألفاظ المفردة.

أما عند البلاغيين فيقال أنّ أول من أشار إلى المقام وبيّن أهميته هو بشر بن المعتمر (ت210هـ) الذي نقل عنه الجاحظ (ت255هـ) قوله: «المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال»⁽¹⁾.

وفي هذا إشارة إلى العلاقة بين المقام والمقال، وأساساً مُهما في توجيه البحث البلاغي، وهذا يدل على أنهم سبقوا الدارسين الغربيين بمئات السنين، لأنّ تحليل المعنى على أساس الموافقة بين النص والسياق أو المقال والمقام، يعدّ من أحدث نظريات دراسة اللغة، وهو المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفي في الوقت الحاضر⁽²⁾، «والعلاقة بين المقام والمقال تسير في اتجاهين على نحو مستمر، فكما أن المقال دليل على المقام، فكذلك نجد المعرفة بالمقام جوهرية في فهم المقال»⁽³⁾.

وهذا يعني أن البلاغيين قد لاحظوا منذ القديم ظاهرة السياق، من خلال مقولتهم «لكل مقام مقال»، فانطلقوا في مباحثهم من فكرة ربط الصياغة بالسياق، وأصبح مقياس الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق به، أي (مقتضى الحال)، يقول السكاكي: «فإنّ كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسّن الكلام تجريده عن مؤكّدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك، فحسن الحكم تحلّيه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفاً وقوة، وإن كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه، فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة، فحسّن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند، فحسن الكلام وروده عارياً عن ذكره، وإن كان المقتضى إثباته مخصصاً بشيء من

(1) - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1418هـ-1998م، ج1، ص136.

(2) - تمام حستان، اللغة العربية: معناها ومبناها، ط6، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م، ص337.

(3) - محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 1425هـ-2004م، ص25.

التخصيصات فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة...»⁽¹⁾.

في هذا القول جمع السكاكي مقتضيات الأحوال والسياقات التي ترد في أنواع الصياغة بما تحويه من خواص تركيبية في الجملة.

إن أغلب النصوص الواردة في مؤلفات البلاغيين، تحيل إلى ثلاثة مصطلحات تعبر عن السياق وهي: الحال، المقام، الخطاب، وكلها بمعنى واحد.

أما الجرجاني فأتثناء حديثه عن النظم، فإنه يشير إلى السياق، من خلال تناوله للموضع، الذي يجب أن يتناسب مع المقال، والسياق عنده ناتج عن تألف الإشارات، التي هي من صنع السياق، فهو يقيم علاقة وألفة بين المتباعدات ويصنع من ذلك سياقاً مؤتلفاً، والكتاب أو النص هو الذي يعطي لهذه المتباعدات معنى واحداً هو المعنى السياقي⁽²⁾.

إن عناصر اللغة كلها عند الجرجاني بما فيها من مفردات أو قواعد، أو نحو أو مجازٍ واستعارة لا قيمة لها في ذاتها، وإنما تستمد قيمتها من السياق.

ويعرف الجرجاني النظم بقوله: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل على قوانينه، وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها»⁽³⁾.

إن النظم هو مقتضى علم النحو، وهو معيار الصواب والخطأ، لذا يحرص الجرجاني على أهميته في صحة التركيب: «فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه»⁽⁴⁾.

وهذه النظرة من عبد القاهر للتركيب، أدت به إلى أن يحمل على اللفظ المفرد، ويصرف عنه الفضل من حيث هو لفظ (أصوات)، حتى فرّق بين نوعين من النظم؛ النظم في الكلمة المفردة، وهو النظم الصوتي للفظ، والنظم النحوي للألفاظ، يقول: «وذلك أن نظم الحروف هو

(1) - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط02، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1407-1987م، ص169.

(2) - خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل في سورة البقرة"، ص65.

(3) - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط05، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004م، ص81.

(4) - المصدر نفسه، ص83.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللفظة كان قد قال "رض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق⁽¹⁾.

لقد أشار الجرجاني إلى النظم وترتيب الألفاظ على ترتب المعاني في النفس على غاية الأهمية في بيان العلاقة بين الكلمات، وبذلك يتحقق لنا أن (الحال) وصف عام يشمل عند البلاغيين حال الكلام (مقاماته)، وحال المتكلم، وحال المستمعين، والفكرة أو الغرض الذي تعبر عنه اللغة. إن العلاقة بين المعاني والألفاظ والعلاقات التركيبية بين الكلمات يحقق للنص درجة من الاتساق، وبالتالي تتحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، طبعاً إذا كانت المطابقة تتم بين داخل هو النص، وخارج هو الحال أو المقام.

إن نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني قد قامت على مفهوم السياق اللغوي، فاللفظ عند الجرجاني لا يكتسب دلالاته وقيمه إلا من السياق الذي يرد فيه، إذ «إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم تُوضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأنَّ يُضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما فوائد»⁽²⁾.

وهذا يعني دائماً أن عبد القاهر الجرجاني يرى أن قيمة المفردات إنما تكون داخل التركيب. كما صرح الجرجاني بمصطلح السياق أثناء حديثه عن سر إعجاز القرآن الكريم، إذ يرى أن العرب «أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كلِّ مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظمة وتنبيه»⁽³⁾.

فتصريحه بمصطلح السياق في قوله: (سياق نظمه) يدل على إدراكه أهمية مراعاة السياق اللغوي في بيان دلالة الألفاظ، ومعرفة إعجاز القرآن، فضلاً عن مراعاة سياق الحال، ويعد استشهاد البلاغيين واللغويين بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب شعره ونثره،

(1) - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 49.

(2) - المصدر نفسه، ص 537.

(3) - المصدر نفسه، ص 39.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

نوعاً من أنواع استحضار السياق اللغوي أو الحالي.

لقد ناقش البلاغيون علاقة السياق بطرائق الكلام، وأسلوب الحديث، وطبيعة الأحداث المرافقة للحديث الكلامي، كما تناولوا علاقة المستوى العقلي للمتكلم بطبيعة الخطاب ومستواه العقلي كذلك، لأنّ اتساق الكلام مع غرضه، ومع حال المتكلم وحال السامع وعنايته بالأسلوب، من أجل إيصال الرسالة اللغوية، قول ينطبق على كل رسالة لغوية، ومن هذا الوجه يعرف فضل القرآن الكريم، باعتباره يمثل الذروة في الاتساق والإبلاغ والبيان، والمخاطب هو محور عملية الإبلاغ في هذه الرسالة الإلهية، ولذلك فقد توافر لهذا النص القرآني كل عناصر الاتساق التي تؤدي إلى تمام الإبلاغ⁽¹⁾.

ولأجل هذا كله تبدو كتب إعجاز القرآن ميداناً فسيحاً تتجلى فيه نظرية السياق بأوضح صورة وأعماقها، وهذه النظرية تتناول جميع جوانب العلاقة بين النص والسياق.

ويرسم الخطابي صورة الائتلاف بين النص والسياق من جهة، وبين أجزاء النص نفسه في مستوياته المختلفة من جهة أخرى، يقول: «وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنّها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان»⁽²⁾.

فالعالم الخارجي يتشكل صورة في النفس، ثم تترتب هذه المعاني ألفاظاً متألّفة متسقة منتظمة يمسك بعضها ببعض، وهذه هي رؤية الخطابي لطبيعة التكامل بين الواقع (سياق الحال) وسياق اللغة.

إن علماء الإعجاز يبدؤون بالحديث عن إعجاز القرآن بالحديث عن بلاغة العرب، ويشيرون إلى الوقائع التاريخية التي نزل القرآن في سياقها، وقد عالج القدماء التماسك النصي من خلال استخدام المشاكلة.

أما مفهوم السياق عند المفسرين فيبدو أكثر وضوحاً وتحققاً للاتصال في دراساتهم للنص القرآني، واشتروا لمن يقوم بمهمة التفسير والتأويل شروطاً لها علاقة بالسياق اللغوي والحالي، وعلى المفسر أن يراعي السياق اللغوي، فيستحضر النص القرآني بأسره عند تفسير بعضه، وكل ما يحيط

(1) - خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ص 57.

(2) - الرماني، الخطابي، الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط 3، دار المعارف، القاهرة، 1986م، ص 36.

الفصل الأول: النحر ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

به، وهي من أهم مكونات سياق الحال⁽¹⁾.

يعني أن المفسرين اهتموا بالسياق كغيرهم من البلاغيين واللغويين، والنحاة، واستعانوا به كوسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى المراد.

ونقل السيوطي (ت911هـ) تعريف الزركشي في الإتيان، وذكر تعريفاً آخر نسبته إلى بعضهم، حيث إن التفسير هو كشف معاني القرآن، وبيان المراد منه، سواء أكانت معاني لغوية أو شرعية بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعونة المقام⁽²⁾.

لقد اهتم السيوطي في تعريفه هذا بالقرائن والمقام.

وتعتمد كل أنواع التفسير على السياق بنوعيه، أي باستقراء النصوص (سياق القرآن) فإنه يفسر بعضه بعضاً، أما سياق الموقف فيبدو في أقوال الصحابة في التفسير، لأنهم شاهدوا القرائن والأحوال التي تتمثل أولاً في أسباب النزول⁽³⁾.

وإن تناول المفسرين للقرآن من الناحية اللغوية والدلالية منها بوجه خاص، أفضى إلى الاهتمام بتحليل النص (الآية، السورة، السور)، تحليلاً نصياً يعتمد المعطيات اللغوية من تركيبية (صوتية وصرفية ونحوية)، ودلالية (لفظية وتركيبية)، وهذا التحليل يفضي بدوره إلى نمط من التحليل لم تحظ به نصوص غير القرآن، وقبل الإشارة إلى أهم ملامح هذا التحليل النصي للقرآن، لا بد من الإشارة أولاً إلى تأكيد المفسرين على أهمية السياق معولاً عليه في فهم القرآن، وأنه لازم في التفسير مع تفصيل واضح في مكونات السياق.

إن التحليل النصي للقرآن الكريم يقتضي المعرفة اللغوية والبلاغية، وطرق أساليب الكلام عند العرب، لأن القرآن قد نزل وفق ألسنتهم.

كما اهتم المفسرون بالعناصر السياقية (الزمان والمكان)، و بكل ما يتعلق بالنص القرآني، وجملة المخاطبين وأحوالهم، وذلك من خلال الإشارة إلى أماكن نزول الآيات، وزمانها، وإن معرفة مكان وزمان نزول القرآن نوع من العلوم القرآنية يطلق عليه (المكي والمدني)، تعليلاً لكثرة ما أنزل

(1) - محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، ص28.

(2) - أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المملكة العربية السعودية، ج6، ص2263.

(3) - ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص107.

فيهما⁽¹⁾.

وما يمكن استخلاصه هو أن المفسرين قد تناولوا السياق بنوعيه وفق ما تقتضيه نوعية اهتماماتهم، وطبقوه على النص القرآني، وأن العلاقة بين التفسير والسياق علاقة وطيدة جدا، لأنه لا يمكن الاستغناء عن علاقة أحدهما بالآخر مهما كانت الظروف، فالمفسر بحاجة إلى السياق بنوعيه، لأنّ هذا الأخير عنصر فعال وضروري في عملية التفسير.

ج- العلاقة بين النص والسياق في الدراسات اللغوية الغربية الحديثة:

إنّ الحديث عن دلالة السياق في الدراسات الغربية متشعب بسبب كثرة المدارس اللغوية، فلكل مدرسة وجهتها ورؤيتها الخاصة، كالوصفية، والاجتماعية، وتحليل الخطاب... إلخ، وقبل التفصيل في هذه التوجهات لا بدّ من الإشارة إلى أن السياق قد لاحت بوادره في الدراسات اللغوية الغربية في فواتح القرن العشرين، في إطار علم جديد يسمى بـ"علم الدلالة الوصفي"، وكان من مقاصده آنذاك إبراز الوظيفة الاجتماعية للغة، وبيان أثر السياق في تنوع الدلالة، ولم يخطر ببال مالينوفسكي Malowinsky عند إطلاقه لمصطلح الحال، أنه مسبوق إلى هذا المفهوم بمدة من الزمن غير قصيرة، وقد كتب العرب القدامى هذا في باب المقام، يقول تمام حسّان: «...إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح "المقام"، ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي من تلك الدعاية، بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات، وبراعة الدعاية الغربية الدائبة»⁽²⁾.

لقد صاغ الغربيون السياق في فكرهم اللغوي في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى صوتية وصرفية ونحوية واجتماعية، ووضعوا لها الإجراءات والمعايير اللازمة لها.

ففردينان دي سوسير f.de saussure الذي أخذت العلاقات اللغوية مساحة في مقولاته، سعيا وراء كشف عن عمل اللغة (النظام)، وكيف تتحكم في سير عملها، فإنّه وصل إلى القول بالترابطات السياقية والإيحائية، وهذه الفكرة أساسية لسياق النص على النحو الذي يعنى الإفادة من الملفوظ بشكل متابع في فهمه، يقول دي سوسير: «إن مفهوم السياق لا ينطبق على كلمات

(1) - ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص113، وينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص43. وينظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، آب (أغسطس)، 1977م، ص167.

(2) - تمام حسّان، اللغة العربية: معناها ومبناها، ص372.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

فرادى فحسب، وإنما على مجموعات من الكلمات والوحدات المركبة مهما بلغت من الطول والتنوع، كالكلمات والمشتقات، وأجزاء الجمل، والجمل الكاملة»⁽¹⁾.

وقد تناول سوسير السياق من وجهة نظره الماثلة في ثنائية اللغة والكلام، فبعد أن قدّم اعتراضاً فحواه: «إنّ الجملة أحسن نموذج يمثل السياق، إلّا أنّها من مشمولات اللفظ (الكلام) لا اللغة، أفلا ينجر ذلك أن يكون السياق من مشمولات اللفظ»⁽²⁾.

وخلاصة فكرة سوسير عن السياق وقيمتها تظهر في قوله: «والكلمة إذا وقعت في سياق ما، لا تكتسب قيمتها إلّا بفضل مقابلتها لما هو سابق، ولما هو لاحق بها، أو لكليهما معا»⁽³⁾.

وهذا معناه أن المناهج الحدائية هي التي حددت دور السياق، وكشفت ماهيته، ومنه فإنّها تعوّل عليه كثيراً في المقاربات النصية، بوصفه المرجع الذي تشكل في رحابه النص.

أما فيرث J. firth فقد قدّم السياق على أنّه إطار منهجي يمكن تطبيقه على الأحداث اللغوية، فقد كان ينظر إلى أن دراسة اللغة تكون بشكل عام، وكذلك دراسة عناصرها من كلمات وأصوات وجمل هي دراسة دلالية لمعاني هذه العناصر⁽⁴⁾.

وهذه النظرة إلى دراسة اللغة عند فيرث، تقف على طرف النقيض من نظرة بلومفيلد Ploomfield، الذي استبعد المعنى من دراسة اللغة.

وعند فيرث جملة من المعاني الوظيفية وهي: الوظيفة الصوتية، الوظيفة المعجمية، الوظيفة الصرفية، الوظيفة النحوية، الوظيفة الدلالية، والأخيرة هي وظيفة المنطوق في سياق موقف ما⁽⁵⁾.

كما دعا فيرث أيضاً إلى دراسة أبعاد الحديث الكلامي من جميع جوانبه، ويقوم منهجه في دراسة الخطابات المختلفة من خلال قراءتها في سياقها الحالي و الثقافي، فيشمل سياق الحال عند فيرث تجربة المتكلم والسامع، وسياق الفعل والصوت، وعناصر أخرى مثل حركات اليدين والوجه وطريقة الجلوس وتقديم الكأس، فالسياق يمثل المفتاح الذي يفسر في رأي فيرث،

(1) -فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجيبة، الدار العربية للكتاب، تونس، (دت)، ص186.

(2) -المرجع نفسه، ص188.

(3) -المرجع نفسه، ص186.

(4) -ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص189-190.

(5) -المرجع نفسه، ص196.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة لدى كل من منتج الكلام ومتلقيه ضمن الوظيفة التواصلية للغة⁽¹⁾.

ولهذه الأسباب كانت للسياق أهمية كبيرة عند فيرث، لذا اهتم به، ويقول: «أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة...معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها»⁽²⁾.

معنى هذا أنّ علاقة الكلمة مع الكلمات في النص هي من يحدّد معناها.

ويعدّ فان ديك ممثلاً لمنظور لسانيات الخطاب، بحيث درس الجانب الدلالي والتداولي في النص، ووضع نظرية تهدف إلى تحديد أنواع الأقوال المقبولة تواضعياً، كما وضع مجموعة من الاقتراحات اللازمة لتطوير التعامل مع اللغة وفق هذه النظرية، ومنها⁽³⁾:

- أن النحو يجب أن يوسّع نظرتة إلى البنى اللغوية المختلفة، بحيث تشمل إضافة إلى البنية الداخلية والمعنى المسند إليها مستوى ثالثاً هو مستوى الفعل المنجز، الذي سيمكّن من إعادة بناء جزء من المقتضيات التي تجعل الأقوال مقبولة تداولياً ومناسبة، بالنظر إلى السياق التواصلية الذي تنجز فيه.

- سعى فان ديك إلى إقامة نحو للنص أو الخطاب المترابط، وهذا النحو يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية.

وأما تحليل الخطاب وفقاً لفان ديك، فيعني تحليل عنصر الانسجام بين النص والسياق الذي له مظاهر وهي: الترابط وانسجام مكونات المقطع اللغوي الواحد، ثم المقاطع جميعها وترتيب الخطاب وموضوعه أيضاً.

ويعد كتاب (م.أ.ي هاليداي ورقية حسن): الاتساق في اللغة الإنجليزية، من كتب اللسانيات الوضعية التي تطرقت إلى العلاقة بين النص والسياق، وذلك من خلال البحث في وظائف اللغة، وهي عندهما ثلاث: الوظيفة التحريسية، والوظيفة التفاعلية (وتتصل بالبعد

(1) -خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ص30.

(2) -أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط05، عالم الكتب، القاهرة، 1998م، ص68-69.

(3) -خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ص36.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

الاجتماعي)، والوظيفة التواصلية، وتتضمن الأصول التي تتركب منها اللغة لإبداع النص باعتباره وحدة دلالية ليصبح مشغلاً من خلال موضوع، ومنسجماً في علاقاته، وفي سياق المقام الذي وظف فيه⁽¹⁾.

والسياق في تعريف هاليداي مجرد مذكرة تفسيرية أو إيضاحية تلي النص، لا تسبقه ولا توازيه، وهذا ما تجاوزه علماء القرآن الذين نظروا إلى السياق بوصفه طاقة دينامية فاعلة في تشكيل الخطاب نفسه، وليس مجرد إطار ساكن، ولك أن تتعجب من هذا الفهم المتقدم لطاقة النص التخاطبية، ومدى تأثير هذه الطاقة على بنيته الداخلية وأسلوبه، رغم أنهم يقاربون نصاً مقدساً، ولعلّ هذا ما انتبعت إليه نظريات الخطاب مؤخرًا⁽²⁾.

وبهذا يعتبر هاليداي ورقية حسن أن السياق يؤدي إلى تماسك النص من خلال وسائل وآليات معروفة، يقترحها الباحثان موجودة داخل النص، مما يترتب عليه أن الباحثين لا يعتبران دور القارئ في صنع اتساق النص، ما دام هو متسقاً في ذاته، أما (براون J.brown وجورج يول G.yule) فيريان أن يأخذ محلل الخطاب السياق بعين الاعتبار، لأنه يؤدي دوراً فعالاً في تحليل الخطاب، فكثيراً ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين، والسياق لدهما يضم الأطراف التالية: المتكلم، والمتلقي والزمان والمكان⁽³⁾.

فعلاقة السياق عندهما علاقة ساكنة، أي السياق مجرد مرجع أو إطار يدور فيه الكلام، ولكي يبيّن أهمية السياق في التأويل يقدمان أمثلة معزولة عن سياقاتها الأصلية التي ظهرت فيها، وعلى القارئ محاولة توقع مميزات السياق الذي يمكن أن تكون قد وردت فيه.

وعليه، فإنّ فكرة السياق لم تكن جديدة عندما تناولها الغربيون، إلاّ أنهم قد صاغوا هذه الفكرة في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى، ووضعوا لها المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات، التي تتناول المعنى بالتحليل والتفسير.

(1) -خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ص35.

(2) -طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، 1998، ص215 وما بعدها.

(3) -محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص52.

ثانياً- نحو النص :

لقد شهدت الدراسات اللغوية تحولات عديدة، مسّت أبنيتها، ولعلّ أهمها تجاوز الجملة التي كانت تمثل أكبر وحدة لغوية إلى محور جديد للدراسة اللغوية تمثّل في النص، فكان موضع الاهتمام، ومن ثمّ تناوله الدارسون بالوصف والتحليل، ضمن نظام لغوي، قيل إنّه يبحث في العلاقة بين الأبنية الداخلية والخارجية، وبه يتحقق التواصل اللغوي.

وأرجع أحمد محمد عبد الراضي أسباب هذا التحول في الدراسة اللغوية، وبخاصة عند العرب، عجز النحاة القدماء عن معرفة ما أسموه (نحو النص)، لأنهم قصرُوا جهودهم على الجملة العربية ومعزل عن النص، ومن ثمّ كانت نظرهم إلى النص نظرة جزئية محددة، وبما أنّهم لم يعرفوا نحو النص، فإنّ هذا يعني أنه علم وافد إليهم من غيرهم⁽¹⁾.

إلا أنّ ما سنورده من معطيات، سيكشف لنا أن العرب كانوا منظرين لهذا الوافد الجديد، ولم يكونوا معدومي العلم والدراية به.

وإن ما وُجد في التراث العربي عند النحاة القدامى من عنايتهم بالجملة وصولاً إلى تطبيق القاعدة، فإن هذا من باب الاهتمام بالمكونات، التي هي بمثابة العنصر الأساسي في تشكيل النص، فمن خلالها يستقيم معنى التركيب، والسياق، وفهم النص، ومن هنا نجد أنّه ليست هناك حدود زمانية فاصلة أو مكانية بين كل من النظرتين الجزئية والكلية، فالنظرتان تسيران جنباً إلى جنب⁽²⁾.

يقول صبحي إبراهيم الفقي عن هذا العلم الذي لم تتضح معالمه إلا في بداية السبعينات من القرن الماضي، وقد استقل: «علم اللغة النصي بوضع نظرية على يد علماء الغرب، مع التأكيد أن جذوره واضحة في ذخائر العربية...» ومع كون هذه النظرية استقلت بصورة غريبة، ونماذجها غريبة، ونماذجها غريبة، وذكرت أدوات تتفق مع اللغات الغربية، فإن هناك أدوات كثيرة تتفق مع الأدوات المستعملة في اللغة العربية، بل تكاد تكون كلها مندرجة، أو قابلة للتطبيق على اللغة العربية⁽³⁾.

ولذا يمكن القول بأن النحاة العرب قد أدركوا أهمية التركيب والترتيب بين العناصر المكونة

(1) - أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص 01.

(2) - المرجع نفسه، ص 6.

(3) - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج 1، ص 115.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

للجملة، وكلها قضايا أولية لإحداث الاتساق في الدراسات اللغوية، بين القضايا المشكلة لعملية التخاطب بين أطراف العملية الاتصالية: «إن النحاة العرب قد أدركوا بوضوح، دور التركيب في تكوين الجملة في العربية الفصحى، وأكدت دراساتهم أنها تصدر عن تصور محدد، أي أنه بدون مراعاة الترتيب يصعب في كثيرة من الأحيان تحقيق الاتساق في التراكيب اللغوية، ويستحيل في أحيان أخرى فهم ما تقصد إليه؛ تصبح مجرد جمجمة بألفاظ لا رابط بينها ولا اتصال»⁽¹⁾.

ومن الدراسات التي اهتمت بنحو النص في التراث العربي، ومحاولة الربط بينه وبين معطيات الدرس الحديث نجد على سبيل المثال كتاب: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، لمحمد خطابي، الذي حاول من خلاله أن يربط بين التراث، وبعض المعايير النصية.

وقد جاء عمله على ثلاثة مستويات تراثية وهي:

-المستوى البلاغي، ومستوى النقد الأدبي، والمستوى التفسيري، والباحثون في علوم القرآن⁽²⁾.

إلا أن دراسة محمد الخطابي، قد جاءت عامة لا تقدم نظرة دقيقة، عن الدرس النصي العربي التراثي منه و الحدائي، فقد جاءت كما قال أشرف عبد البديع: «جاءت تمثل رؤية عامة، يمكن أن تطوّر وتعمّق بشكل أكثر فاعلية؛ وصولاً إلى نتائج أكثر دقة من تلك الملاحظات العامة، والتي لا يمكن تجاهلها أو الغض منها»⁽³⁾.

وكتاب البديع بين البلاغة العربية، واللسانيات النصية، لجميل عبد المجيد، الذي كانت دراسته للبديع من منظور لسانيات النص؛ حيث جاءت وفق معيارين من المعايير النصية عند دي روبرت دي بوجراند ودريسلر، وهما: السبب والحبك⁽⁴⁾.

وكتاب نحو النص: بين الأصالة والحداثة، لأحمد محمد عبد الراضي⁽⁵⁾، الذي يعد محاولة لدراسة نحو النص في ضوء التراث العربي، بحيث يرى الباحث، أن كثيراً من القضايا النحوية لا

(1) -علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي: (الظواهر التركيبية)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م، ص337-338.

(2) -أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص8.

(3) -أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، دار فرحة للنشر والتوزيع، 2003م، ص11.

(4) -المرجع نفسه، ص12.

(5) -أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص أ، ب، ج.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

تفهم من كتب النحو وحدها، بل من كتب التفسير، وشرح المختارات الشعرية، والروايات الأدبية. كما أنه حاول من خلال المباحث الموزعة على الكتاب، أن يُلقي الضوء على كثير من القضايا المختلفة مقارنة بينها، وبين معطيات التراث.

ولعل ما يتميز به هذا الكتاب، هو أن الباحث لم يكتف فقط بما كتبه الباحثون في القضايا المشهورة في هذا العلم، بل إنه أعطى للنصوص التراثية جهداً ومساحة كبيرين من كتابه، وأعطى للنص التراثي قيمته وحقه اللذين لم يعطيا في كثير مما كتب عن هذا العلم، خاصة في آخر مباحث الكتاب: (أسس التحليل النصي عند القدماء)، فقد أعطى للنص القرآني حقه الذي كان ينبغي أن يعطيه له بطريقة توافق البحث النصي، وكشف عن الذي ينبغي أن يوجه للنص القرآني، من خلال تفسير القيم اللغوية التي يمتاز بها النص القرآني، كما أشار إلى أثر كل مفسر في بيان وجهة لغوية بحتة عن التماسك بين أجزاء القرآن وآياته من خلال علاقاتها الدلالية بعضها البعض الآخر، ولم يكتف أحمد محمد عبد الراضي بمجرد الإشارات والأحاديث العامة عن الجمال القرآني ودلالاته العظيمة، بل وسَّع مجال التطبيق لهذه الدلالات، وكشف عن مدى الترابط والتماسك بين النصوص من خلال عرض مناهج التفسير المختلفة.

وهناك الكثير من الدراسات الأخرى التي اهتمت بدراسة نحو النص في التراث العربي، والكشف عن نقاط التلاقي والتقاطع مع الدرس اللساني الحديث.

1- مفهوم نحو النص:

ربط فان ديك نشأة هذا العلم الجديد بعلم البلاغة، فقال: «ويمكن أن نعدّ البلاغة السابقة التاريخية لعلم النص، إذا ما تأملنا التوجه العام للبلاغة القديمة إلى وصف النصوص ووظائفها المتميزة، إلا أنه لما كان اسم البلاغة يرتبط غالباً بأشكال ونماذج أسلوبية معينة، وأشكال ونماذج أخرى: فإننا نؤثر المفهوم الأكثر عمومية: علم النص»⁽¹⁾.

ومعنى هذا أن هناك صلة وثيقة بين علمي البلاغة والنص، وهو ما جعل فان ديك يعتبر البلاغة السابقة التاريخية لعلم النص، لكن مع الاختلاف في المنهج والأدوات والتحليل والأهداف، وارتباط البلاغة بمناهج أسلوبية، ومعناه أيضاً أن البلاغة المعاصرة عليها أن تندرج في المفاهيم

(1) - تون أ. فان ديك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، ط01، دار القاهرة للكتاب، 1421هـ_2001م، ص23.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

العلمية الحديثة، وتكسب تقنياتها التحليلية، ومجالها هو النصوص، وعندئذ تدخل في إطار ونطاق علم النص.

وكان هذا الاتصال من أسباب صعوبة تحديد مفهوم واضح محدد لهذا العلم، أما نحو النص، فهو اتجاه معاصر في دراسة النص اللغوي؛ لأنّ هذه المادة (نحو النص) تشتمل على أشياء تخلو منها الكلمة أو الجملة، ولهذا فنحن نقول إن النص يتجاوز جميع الحدود المعيارية لنحو الجملة، كما أنّه يخرج نفسه من حدود كل عادات القراءة التقليدية، وكذلك من طرق التحليل النحوي المعروفة.

إنّ نحو النص مصطلح لساني حديث، عرف في الدراسات اللسانية الأوروبية الحديثة، وأطلقت عليه تسميات عدّة، وتباينت ترجماته أيضا إلى العربية، فهناك من يترجمه إلى نحو النص، ويترجمه آخرون إلى نحو النصوص، وآخرون إلى علم النص، وآخرون إلى لسانيات النص، وهو في الإنجليزية (Text Grammar) وفي الفرنسية (Grammaire de text)، ويعبر عنه بعض المترجمين بعلم اللغة النصي أو بعلم النص أو بعلم لغة النص أو بأجرومية النص، أو بنظرية النص، وسبب هذا التنوع والتعدد والاضطراب راجع إلى عدم استقرار هذا المصطلح في الغرب، فقد عبّر عنه في الإنجليزية أيضا (Linguistics of text) و(text Linguistics) إلى أن أصبح (Text Grammar) أكثرها قبولا ودورانا⁽¹⁾.

ومصطلح (نحو)، ذو دلالة خاصة، فهو يعني كل القوانين التي تحكم نظاما ما⁽²⁾، وليس مجموعة من القواعد أو القيود الصارمة التي تطبق على النص، وتحتّم على النص أن يخضع لها مهما اختلف جنسه، وإنما يتضمن مجموعة من القوانين الاختيارية التي تستخلص من النص ذاته بوصفه بنية كلية أو بنية شاملة⁽³⁾.

إن مفهوم نحو النص في اصطلاح النصيين: هو العلم والوحدة اللغوية الكبرى التي يعرف بها اتساق النص، وتواصله وتماسكه، أو ما يحقق نصيّته.

(1) -الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص6_14.

وينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص628. وينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ج1، ص210.

(2) -المرجع نفسه، ص18.

(3) -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص218-219.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

وإنّ نحو النص فرع عن علم النص ومرتبطة به، ومختلف عن نحو الجملة، لأنّ النص له معايير سبعة ذكرها دي بوجراند ودريسلر؛ حيث أن نصية النص لا تقوم إلاّ على هذه المعايير، التي تحدد معالمه، كما أن هذه المعايير قد جعلت للنص الذي يستحق التحليل النصي، والذي لم يعد أمراً غريباً تماماً على تحليل التراكيب اللغوية، بل هو معروف في تحليل الجملة الذي كان سائداً قبل الاتجاه إلى النص⁽¹⁾.

«ومن ثم فإنّ كثيراً من الظواهر التي تعالج في إطار النص كوحدة كبرى، هي في حقيقة الأمر قد كانت محور كثير من البحوث النحوية السابقة، التي كانت تعدّ الجملة أكبر وحدة في التحليل لا تتعداها، غير أن نحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها»⁽²⁾.

ويرى فان ديك أيضاً أن مهمة نحو النص: «هي أن يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي، وأشكال الاتصال ويوضحها، كما تحلل في العلوم المختلفة في ترابطها الداخلي والخارجي»⁽³⁾.

وعلى هذا فإنّ نحو النص يشترك مع بقية المصطلحات مثل: علم النص، وعلم اللغة النصي، ونظرية النص، والتي حددت لنفسها هدفاً واحداً وهو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي، وإن كان نحو النص أكثر اقتراباً من تحقيق الهدف وتوضيح صور التماسك والترابط النصي⁽⁴⁾.

ومن ثم يرى فان ديك أن علم نحو النص/علم لغة النص، وظيفته الأولى دراسة نحو النص، وذلك ضمن منهجه العام القائم على شرح معايير بناء النص، وجوانب الاستخدام اللغوي المهمة، وبخاصة إنتاج النص من خلال قواعد وشروط وأهداف مغايرة لعلم اللغة النظامي مما جعله في طريقه للاستقلال عن العلوم الأخرى⁽⁵⁾.

(1) —أحمد محمد عبد الرّاضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص26-28.

(2) —سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص134.

(3) —فان ديك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص11.

(4) —أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص31.

(5) —المرجع نفسه، ص ن، وينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص222.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

لقد تباينت واختلفت ترجمات المصطلح، عند اللغويين، إلا إنهم يؤكدون على شيء واحد، وهو وصف الأبنية النصية ودراستها دراسة لغوية، وكما تباينت الترجمات، فقد تباينت أيضا تعريفات مصطلح نحو النص.

يعرفه صبحي إبراهيم الفقي: «بأنه فرع من فروع علم اللغة، يدرس النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، ويبين جوانب عديدة فيه منها التماسك والترابط ووسائله، وأنواعه، والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص عند إنتاجه وتلقيه سواء كان منطوقا أو مكتوبا»⁽¹⁾.

ويعرفه مصطفى النحاس بأنه: «النحو الذي يتخذ من النص وحدته اللغوية الكبرى للتحليل بعكس نحو الجملة، الذي يعد الجملة وحدته الكبرى للتحليل، أو هو دراسة الوظيفة الدلالية لبعض العناصر النحوية وربطها بشبكة الدلالة في النص»⁽²⁾.

إنّ التعريفين السابقين لنحو النص، يركزان على التفريق بين نحو النص ونحو الجملة، من حيث المادة التي يعنى بدراستها كل نوع، وإمكاناته، إضافة إلى تقنياته في التحليل، فحين يهتم نحو الجملة بالجوانب الخاصة بالعلاقات بين أجزاء الجملة والمتواليات الجمالية، وشروط الفصل والوصل ومعاني الأساليب، والدلالات الخاصة، يهتم نحو النص بقضايا أعمق من ذلك، فهو يبحث في المشكلات النصية الاتصالية، والمشكلات الدلالية المحورية، إضافة إلى القضايا التركيبية⁽³⁾.

وهناك مجموعة من الأسباب دعت اللغويين إلى توسيع مفهوم النحو ليشمل النص بعد أن كان مقصورا على تحليل الجملة منها⁽⁴⁾:

1- أهمية الابتعاد عن الشواهد المتكلفة أثناء المعالجة اللغوية، والحاجة إلى شواهد مقنعة بالظاهرة اللغوية موضوع الدراسة.

2- عدم اكتفاء الجملة المفردة بذاتها، وحاجتها إلى ما حولها من الجمل، أي أن بترها عن سياقها لا يعطيها دلالة صادقة.

3- في الاقتصار على دراسة الجملة تجاهل لنواحٍ دلالية وسياقية كثيرة، مما يؤدي إلى التركيز

(1) - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص36.

(2) - مصطفى النحاس، نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ذات السلاسل، الكويت، 2001م، ص4.

(3) - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص134-135.

(4) - تحليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص32-33.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

على الجوانب التركيبية البحتة، ويحول اللغة إلى شكل فارغ من أي مضمون، ما عدا البنية السطحية الظاهرة لها، وإذا صلح هذا في دراسة الخطاب اليومي فلن يصلح في دراسة اللغة الأدبية.

4- انفتاح الدراسات اللغوية على مختلف العلوم الإنسانية، مثل علم الاجتماع، وعلم النفس، والإعلام، مما أدى إلى الحاجة لدراسة أثر هذه الجوانب في العملية الاتصالية.

5- عندما نعلم التحليل النصي نجد أن هناك إمكانية عالية لتأويل الأوضاع المختلفة للجملة بناء على السياق الواردة فيه، على العكس من حالة فصل الجمل عن سياقاتها.

6- الحكم على تركيب ما بأنه جملة من عدمه يكون حسب المقابلات والمقارنات بين الأنماط المعهودة المتفق عليها، أما النص فيكون الحكم عليه من خلال تحقيقه لوظيفة الاتصال، وإن خالف بعض القواعد النحوية وشذ عنها أحيانا.

7- العوامل الاجتماعية والنفسية أوثق علاقة بالنصوص منها بالجملة⁽¹⁾.

هذه مجمل الأفكار والتصورات التي جعلت اللغويين يوسعون النحو ليشمل النص وليس هذا معناه التحلي نهائيا عن نحو الجملة، لأنّ نحو الجملة بالنسبة للنص هو الأساس الذي ينطلق منه في وصف الأبنية النصية داخليا وخارجيا.

وعليه فإنّ علم نحو النص لا يعد قديما فقد ظهر منذ عقود قليلة تقريبا، أما مصطلح تحليل النص أو تفسير النص، فهو مصطلح عُرف في بدايات القرن العشرين، وأهداف علم النص متعلقة بأشكال النص الممكنة، وبالسياقات المختلفة، وبمناهج نظرية ووصفية وتطبيقية.

لقد رأينا وفي أكثر من موقف، أن الدراسات اللسانية تتخذ من الجملة وحدة لغوية كبرى للتحليل، وهذا قبل أن يتجاوزها البحث اللساني طبعاً، وهناك إشارات وإرهاصات للبدايات الأولى لنحو النص، حيث بعد محاولات زيليج هاريس سنة 1952م، كانت الدراسات اللسانية في أوروبا، ومناطق أخرى من العالم، قد فتحت الباب للدرس اللساني على علوم البلاغة والنقد والاجتماع، والنفس والفلسفة، مما شجع على ذلك الحواجز التي أقيمت بينها، والجمع بين الاعتبار اللغوية والتركيبية، والاعتبارات المعنوية والمقامية في مجال البحث اللساني⁽²⁾.

وهذا الانتقال الإجرائي في إعادة تشكيل المعرفة اللغوية على هذا النحو كان له أسباب

(1) - روبرت دي بوجراند، النص و الخطاب والإجراء، ص 93.

(2) - الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصّاً، ص 5.

هي⁽¹⁾:

1- ضيق مجال الدراسة اللسانية، فبدأ الباحثون يشعرون بأن فضاء نحو الجملة ضيق، ولم يعد كافياً للإجابة عن تساؤلاتهم، ففيه إقصاء كبير للدلالة والمعنى والسياق، مما يجعل اللغة مجردة فكان لزاماً التوجه إلى بعض معطيات التداولية وتوسيع دائرة البحث عن الجملة إلى النص.

2- انفتاح الدراسة اللغوية على الدراسات الاجتماعية، والنفسية والفنية والإعلامية مما أدى إلى دراسة أثر هذه العوامل في بناء اللغة التي تظهر أقوالاً منجزة على شكل نصوص.

3- أزمة الاتجاهات النقدية، التي بحثت عن حل لمأزقها، لما عجزت عن الوصف والتحليل، فوجدوا ضرورة توسيع الدراسة اللغوية لتشمل النص والخطاب، وتجاوز حدود الجملة.

4- الحرص على توفير ملاءمة الدراسة اللغوية للواقع اللغوي، فقد وجد اللسانيون أن اختياراتهم المنهجية والنظرية الماثلة لها خصوصيات تختلف عن تلك التي سادت قبل التفاهم إلى النص من حيث هو بنية لغوية، لا سيما بعدما وجه النقد إلى نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، وزيد الشك في جدواها⁽²⁾.

وكانت هناك محاولات ودراسات متعددة، قد بحثت عن وسائل تحليل تجاوزت في إطار الجملة، وجاءت بمفاهيم وتصورات جديدة، ولكن ما يجمع بينها أنها استندت على أربع مقولات جوهرية هي: الاستعمال والتأثير والتفاعل والاتصال.

2- علاقة نحو الجملة بنحو النص:

بعد أن تطرقنا لمفهوم نحو النص ونشأته عند اللغويين، وما قدموه من آراء حول علاقة نحو النص ببقية العلوم والمصطلحات: كعلم النص ولسانيات النص، ونظرية النص، سنحاول أن نحدد العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص، ونبين أن نحو الجملة هو الأساس في الدراسة النصية، لأنها أمدت البحث النصي بنماذج تحليلية قيمة، وبعد تحديد العلاقة نعقد مقارنة بين النحويين (الجملة والنص).

(1) -عثمان أبو زينيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط01، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 1431هـ -2010م، ص33.

(2) -المرجع نفسه، ص ن وينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ج1، ص80-81.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

إن كلا التحوين _ نحو الجملة ونحو النص _ قائم على الآخر، وكما أن الكلمة تتكون من الحروف والجملة تتكون من كلمات، فإنّ النص يتكون من الجمل، وكما أن الكلمة لا تقدم في الجملة إلاّ معنّى معجميا جزئيا، فإنّ الجملة لا تقدّم في النص إلاّ دلالة جزئية وبنية غير مكتملة بذاتها، ولكنه يركّز عليها ارتكازا شديدا⁽¹⁾.

وليس المقام مقام مفاضلة بين نحو الجملة ونحو النص، كما يرى بيتوفي Petovi، فإن لكل منهما حدودا وأهدافا ووسائل، ولا خلاف في أنّ الجملة هي المقولة الأساسية في النظرية اللغوية، ولكن الوحدة الأساسية للاتصال ليست الجملة بل النص⁽²⁾.

وتحليل نص يتطلب تصورات واسعة تشمل عناصر نحوية ودلالية ومنطقية وتداولية يحددها نوع ذلك النص؛ إذ تتغيّر عناصر التحليل بتغيّر نموذج النص شكلا ومضمونا، ويتسم التحليل النصّي بالدينامية الحرة في استخلاص المعايير والقيود من النص، ولا يفرض شكلا تحليليا معيّنا على نصّ من خلال تصورات مسبقة، لأنّ النص لا يخضع لقواعد معيارية مثل الجملة⁽³⁾.

إنّه وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة لنحو الجملة، فلا يفهم منها أنّه لم يعد ذا قيمة، ويمكن الاستغناء عنه، وبالتالي ضياع تراث نحوي ضخم، بل لا يمكن التخلي عن نحو الجملة أثناء التحليل اللغوي والتحليل النصي يعتبر أساسا له ومنطلقا، أما حقيقة هذا النقد فهو أن علماء اللغة قد وضعوا تصورات جديدة ذات أهداف معينة، وكان عليهم أن يجربوا ما لديهم من إمكانيات ووسائل وأدوات، وعندما أدركوا قصورها عن بلوغ الأهداف التي وضعوها لجؤوا إلى أدوات أخرى وأشكال جديدة، للتحليل والوصف اللغوي، وصرّحوا في أكثر من موضع أن التراث النحوي السابق بكل ما يضمه من تصورات ومفاهيم وقواعد وأشكال، ووصف وتحليل، وغير ذلك هو الأساس الفعلي الذي بنيت عليه هذه الاتجاهات النصية، بكل ما تتسم به من تشعب أفكارها وتصوراتها ومفاهيمها⁽⁴⁾.

وعلى هذا لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، لأنّ نحو الجملة جزء مهم، ولا يتشكل نحو النص إلاّ في ظله، يقول مصطفى النحاس: «وتأتي أهمية نحو النص في مجال التحليل اللساني من

(1) -صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص49.

(2) -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص285.

(3) -الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص20. وينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في

النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ج1، ص102-103.

(4) -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص133-134.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

حيث احتواؤه على نظم النحو التقليدي وأدواته، فكما أن نحو الجملة عالج المعنى في الأمثلة والنماذج اللغوية المتقطعة من نصوصها من خلال أدواته، ليحقق الربط الدلالي في الإسناد (المسند والمسند إليه)، فإنّ نحو النص يتجاوز ذلك بكثير، إذ إنه يستخدم أدوات النحو ذاتها، ويوظفها في تحقيق الترابط بين الجمل المتتابعة في النص أو الخطاب»⁽¹⁾.

وهو نفس ما ذهب إليه فان ديك من أن نحو الجملة يشكل جزءا مهما من نحو النص، وقد حاول النحو التحويلي أن يعالج اللغة، لكنه وقع في المأزق نفسه الذي وقع فيه النحو التقليدي، فوجد نفسه يعالج اللغة على أنها نظام افتراضي وليس نظاما فاعلا أو مستخدما، فهو لم ير فيها أكثر من أنماط معقدة ثابتة على الرغم من الإمكانية التوليدية العالية لهذه الأنماط، ومما أخذ عليه في معالجته الأمور الآتية:

أ- وُجدت هذه النصوص التي يولدها هذا النحو لا تكشف عن نموذج مقبول للنشاط الإنساني، لأنها غير مرتبطة بمواقف إنسانية فعلية، وإنما هي نماذج مفترضة.

ب- لا تصلح هذه النماذج لمجموعة كبيرة من النصوص.

ج- لا تراعي هذه المعالجة القضايا الآتية: النصوص الشاذة، تحديد الأسلوب الأفضل.

أو الأسوأ والإعلامية، التفاعل الاتصالي، وذلك لأنّ مثل هذه القضايا يتم حلّها بواسطة السياق، والإحالات الخارجية للنص، ولا يمكن حلّها ببتن النص عن سياقه⁽²⁾.

وإذا كان تحليل النص مبنيًا على تحليل الجملة، لأنها وحدة من وحداته، فإنّ نحو الجملة ينبغي أن يكون لنحو النص، أي ينبغي لنحو الجملة أن يُقدم لنحو النص مجموعة من الإجراءات التي لا بدّ منها عند التحليل، يقول فان ديك: «ونظرا لأن أيّ تتابع يمكن أن ينشأ من جملة، فيجب أن يشتمل أي نحو لوصف التتابع - في حقيقة الأمر - على نحو لوصف الجملة، فالنظر العميق في بنية الجمل ضروري للغاية إذا ما وضع في الاعتبار أن العلاقات على نحو ما ترد في التتابعات لا تقوم في الأغلب على علاقات بين عناصر الجمل المنفردة (المختلفة)، ويجب أن يقدم - انسجاما مع أهداف النحو - وصف لتتابع الجمل يعد أساس المنطوق اللغوي»⁽³⁾.

(1) -مصطفى النحاس، نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص9.

(2) -روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص132.

(3) -فان ديك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص45-46.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

إن نحو النص إنما هو تطوير لمعطيات نحو الجملة، ولذلك لا ينبغي أن نتنكر لما وُجد عند القدماء في نظرهم إلى الجملة، ولا ينبغي أن نرفض هذا التراث النحوي، فقد كان بكل ما يضمنه من تصورات ومفاهيم وقواعد وأشكال ووصف وتحليل، وغير ذلك الأساس الفعلي الذي بنيت عليه هذه الاتجاهات النصية بكل ما تتسم به من تشعب لأفكارها وتصوراتها ومفاهيمها، ورأوا أن الدراسات النحوية مثلاً قدمت تحليلات جزئية لبعض الجوانب الخاصة بالعلاقات بين أجزاء الجملة والمتواليات الجمالية، وشروط الفصل والوصل، ومعالي الأساليب، وأشكال السياقات والدلالات الخاصة، وغير ذلك من الظواهر التي يختص بها نحو الجملة⁽¹⁾.

أما نظرة سعيد حسن بحيري إلى العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص، التي يبينها من خلال دفاعه عن نحو الجملة مع الإفادة من نحو النص، فيقول مترجماً قول كلاوس برينكر: «وفي داخل هذه الاتجاهات التي لم تحدد معالمها هنا إلاّ بوجه عام للغاية، تعدّ الجملة لعقود طويلة أعلى وحدة محورية لغوية، ولا يركز علم اللغة البنيوي تقريباً إلاّ على تحليل بنية الجملة ووصفها، لا سيما على تجزئ وحدات لغوية وتصنيفها داخل مستوى الجملة «وهي أركان الجملة، و المورفيمات، و الفونيمات»؛ ... والعلامة اللغوية الأساسية ليست الجملة بل النص، ولذلك يجب أن يتجه التحليل اللغوي بشكل أقوى ممّا هو قائم حالياً إلى النص»⁽²⁾.

ويعقب سعيد حسن بحيري بقوله: «في الواقع تصدق أقوال كثيرة سواء في النحو التقليدي أو في النحو البنيوي تستند إلى الترابط النصي للجملة ... غير أنّ النص هنا لا يقوم إلاّ بوظيفة سياق لوصف علاقات لغوية نحوية أو معجمية متجاوزة حدود الجملة، ينظر إليها على أنها مستقلة، دون أن تُجعل هي ذاتها موضوعاً، ومع تجاوز حدّ الجملة والاشتمال على جملة سياقية عند الوصف النحوي، فإنّه برغم ذلك نادراً ما مُست مشكلة (النص) بمفهوم صريح للنص»⁽³⁾.

أما أحمد المتوكل، فيؤكّد ذلك الارتباط الوثيق بين نحو الجملة ونحو النص، وبيان أهمية الاتساق في ذلك، فيقول: «...إلاّ أنّ النص لا يمكن حسب التصور الذي نقترحه هنا أن يكون إلاّ مجموعة من الجمل، وقد تكون الجمل المكوّنة للنص جملاً بسيطة أو معقدة أو جملاً من الفئتين معاً وهو الأغلب، وليس كل مجموعة من الجمل نصّاً، فلا يقوم النص إلاّ إذا ربطت بين وحداته

(1) -أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص42.

(2) -كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص23.

(3) -المرجع نفسه، ص ن (الهامش).

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

علاقات اتساق، بعبارة أخرى لا تشكل مجموعة من الجمل نصًا إلا إذا كانت تكوّن خطابا أي وحدة تواصلية يمكن أن تكون جملة بسيطة أو جملة معقدة أو نصًا كاملاً⁽¹⁾.

وهذا معناه حسب أحمد المتوكل أن نحو النص امتداد لنحو الجملة على أساس أن نحو الجملة يمكن أن يكون أساسا لنحو النص.

إن المتوكل يبيّن نظريته وفق نظرية فان ديك الذي يربط ربطا قويا بين الجملة والنص إذ هو يعيد في كتابه هذا قراءة الفصل الأخير من كتاب فان ديك الذي أفاد منه في كتابه "بنية الخطاب من الجملة إلى النص".

ومن خلال ما سبق يتضح توجه سعيد حسن بحيري وأحمد المتوكل، إلى عدم إغفال نحو الجملة، وبيان دوره في تحليل النص، مع بروز دور كل من سعيد حسن بحيري في تقريب هذا النهج الجديد في التحليل من التراث العربي، والكشف عن أصالة هذا التراث في محاولة جادة وعميقة للربط بين الدراسات اللغوية الحديثة في مجال تحليل النص وبين التراث العربي الأصيل.

وما يمكن قوله أيضا عن هذه العلاقة، أنّه على الرغم من أن نحو النص، لا يعترف باستقلال الجملة داخل النص، إلاّ أنه لا يفتأ ينتفع بما قيل عنها في النحو التقليدي، وبهذا يتضح أن نحو النص لا يرفض الطريق التي سلكها المتقدمون، لكنه ينتفع من علوم أخرى كالبلاغة واللسانيات.

ومن خلال ما سبق يمكن توضيح الفرق بين نحو الجملة ونحو النص، إذ أن هناك أموراً يختص بها نحو الجملة، وأمور أخرى يختص بها نحو النص، وأمور مشتركة بينهما.

فما يختص به نحو الجملة؛ الاستقلال عن رعاية الموقف اللغوي واستقلال الجملة داخل النص والاطراد، والمعيارية، والإطلاق، واقتصار العلاقة على حدود الجملة، أما ما يختص به نحو النص، فالقصد، و التناس، و المقامية، والإعلامية، والقبول⁽²⁾.

يشارك نحو النص ونحو الجملة في السبك وهو الربط اللغوي والحبك، وهو الربط الدلالي والانسجام، بحسب نظرة أحمد عفيفي⁽³⁾، وبحسب المصطلح الذي وُضِع للتداول به في ثنايا هذا

(1) —أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ط5، دار الأمان، الرباط، 2005م، ص82.

(2) —أحمد محمد عبد الراضي: نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص43.

(3) —أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص90.

البحث: "التماسك".

بمعنى أن العلاقة بينهما علاقة تداخل، لأن كل منهما جزء مهم في الآخر، فالجملة بمثابة اللبنة الأولى والأساسية في النص، والنص عبارة عن مجموعة من الجمل، بحيث ترتبط هذه الجمل ببعضها ارتباطاً لغوياً ودلالياً ونحوياً.

يشارك النحوان أيضاً في أنه إذا كان نحو النص يستخدم كثيراً من المسلمات التي انتهى إليها نحو الجملة، فنجد فيه حديثاً عن أسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وغيرها من الوسائل التي تساعد على تحقيق الترابط/ التواصل بين الجمل، وإنّ أهم شيء في نحو النص هو الحديث عن الروابط التي تربط الجمل ببعضها ببعض.

وهناك نقاط اختلاف تميّز بين نحو الجملة، ونحو النص، نلخصها في ما يأتي⁽¹⁾:

نحو الجملة هو صورة من صور التحليل النحوي، يقف عند معالجته عند حدود الجملة، ويرى أن الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى التي ينبغي أن يقعد لها دون أن يتجاوزها، في حين نحو النص غاية القصوى فهم أوجه الترابط النحوي المتجاوزة للجملة الواحدة على سلسلة طويلة أو قصيرة من الجمل تؤلف نصاً محدداً مؤمناً بضرورة وجود روابط توفر للنص تماسكه الشكلي والمعنوي.

التحليل في نحو الجملة يبعد الجمل ويعزلها عن سياقها اللغوي في النص أو الخطاب، وبعبارة أخرى فنحو الجملة يتصف باستقلال النحو عن المواقف اللغوية، غير أنّ نحو النص ينظر إلى المسألة في إطار شمولي وتصوري كلي يراعي السياق الداخلي والخارجي مثلما يراعي المؤلف ودوره، والمتلقي ودوره، وآليات الفهم والاستيعاب والتذكر والاسترجاع وإعادة البناء والتفسير، وبعض تلك الخواص مرتبطة بالأبنية النحوية والدلالات والأسلوب وبعضها بالفرد من حيث هو منتج للكلام، أو الجماعة من حيث هي متلقية لذلك الكلام.

نحو الجملة يخضع كل الجمل المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة بمعنى أنه يؤمن باستقلالية الجملة فهو تحليل لا تركيب، بينما عُدّ نحو النص نمطاً من التحليل يمتد تأثيره إلى ما وراء الجملة، فيسعى لتوضيح علاقة الجملة بالأخرى في إطار وحدة أكبر قد تكون فقرة أو عدداً من الجمل محدوداً.

(1) - أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 65 وما بعدها.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

وإذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإنّ النص ليس وحدة نحوية أوسع أو مجرد مجموع جمل أو جملة كبرى، وإنما هو وحدة من نوع مختلف، فهو وحدة دلالية لها معنى في سياق تتحقق وتتجسّد هذه الوحدة في شكل جمل.

من أساسيات نحو الجملة "الإطلاق"، ومعناه إطلاق القاعدة لتصدق على كل ما قيل أو سيقال، فهي الحكم الذي يرد إليه كل كلام في نحو الجملة، أما نحو النص فلا يطبق على كلام قبل صياغته أو أثناءها، ومن هنا يكون الحكم دائما في النص بعد إنتاجه، وفي حالة التواصل الفعلي.

من مبادئ نحو الجملة "الاقتصار"؛ إذ يبحث كما تقدّم في علاقات حدود الجملة الواحدة دون تجاوزها، إلا عند إرادة معنى الإضراب أو الاستدراك أو غير ذلك من الدلالات التي يمكن أن تربط بين جملتين مثل التعليل والشرط أو ما شابه ذلك، في حين نحو النص، وكما يتضح من تسميته، فميدانه النص كاملا دون تجزئته، ومن هنا كانت أهم ملامحه دراسة العلاقات بين أجزاء النص كاملا.

ومن الفروق أيضا ما كشفه دي بوجراندي ودريسلر عن مهمة لا يستطيع نحو الجملة تأديتها، وهي التمييز بين أنماط النصوص، حيث منها ما هو إخباري، وما هو علمي، وما هو قصيدة، وغير ذلك، مما يبدو معقولا أنّها تتطلب علم النصوص، الذي يجب أن يكون قادرا على وصف أو شرح كل الخصائص والعلاقات الفارقة بين هذه النصوص، أو أنماط النص⁽¹⁾.

كما أنّ نحو النص يمكن من تشخيص علاقات لم ينظر إليها في نحو الجملة، وهي علاقات فيما وراء الجملة: بين الجمل والفقرات والنص بتمامه، وذلك على المستوى المعجمي، والمستوى النحوي (الصوت، الصرف، والتركيب)، والمستوى الدلالي⁽²⁾.

هذه أهم الفروق بين النحويين، التي تحدد معالم كل منهما، كما أنّها تؤكد العلاقة الوطيدة التي تجمعهما، وحاجة كل نحو إلى الآخر.

3- حاجة الدراسات النصية إلى نحو الجملة والنص:

نظرا للعلاقة الوطيدة بين النحويين، كان لا بد من حاجة أحدهما إلى الآخر، وعليه فإنّ

(1)- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 68.

(2)- المرجع نفسه، ص ن.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

مسألة جعل نحو الجملة إلى الوراثة أصبح غير مطروح أصلا في النظرية اللسانية، لأنّ نحو الجملة يمثل نواة النص، مثلما الحرف نواة الكلمة، والكلمة نواة للجملة.

وكذلك معظم العلاقات النصية، هي علاقات قائمة على العلاقة بين الكلمات داخل عدّة جمل، فالنص قائم على الجملة، غير أنّ النحو على مستوى الجملة لا يقدّم العلاقات بين الجمل بصورة كافية كما يقدمها علم النص، وكذلك الجملة تمثل الدلالة الجزئية لا الكلية، إضافة إلى أنّ الجملة المجردة عن السياق لا تقدّم شيئا سوى معان معجمية للكلمات الموجودة في الجملة، على حين تقدم الوحدة النصية في الغالب في وجود السياق الدلالة الكاملة⁽¹⁾.

وإذا كان النحو العربي وغيره قد انطلق من نحو الجملة، وانحصرت التحليلات النحوية في هذا الإطار، فإنّ هذا ليس قصورا فيها، وإنما هو راجع إلى الأسباب التي من أجلها تمّ القيام بتقعيد اللغة؛ فقد كان من أهمها الرغبة في تقويم اللسان في نطق الجملة، ومن ثم كان الاهتمام بالقواعد التي تضمن سلامة الجملة بمستوياتها المختلفة، وعليه فلم يرتبط الحكم بالصحة أو عدمها بالنص، بل بالجملة ومكوّنها الصوتية والصرفية والمعجمية⁽²⁾.

فالجملة إذن تمثل -في غالب الأحيان- بنية مكثفة بنفسها، بمعنى أنّ الجملة المجردة تحتاج إلى جارئاتها من الجمل حتى تتضح دلالتها وضوحا كاملا، وحتى يتحقق الإخبار والإعلام المقصود من وجود النص، هذا النص الذي يتركز على الجملة -كما أشرنا سابقا- ارتكازا شديدا، ولا يمكن الفصل بينهما غير أنّ تجاوز نحو النص حدود الجملة في التحليل يسمح بطرح إمكانات متعددة للفهم، وفضاءات أرحب للتفسير⁽³⁾.

ولم يكن الاهتمام بنحو الجملة من قبل النحويين العرب فقط، بل كان محور اهتمام المدارس الوصفية والتحويلية التوليدية، ولكن بعد ذلك عدّ نحو النص في رأيهم تطورا وتوسيعا لعلم لغة الجملة، حيث استطاع هاريس -كما رأينا- بمناهجه النصية المبكرة التي اعتمدها في تحليل الخطاب تطوير المناهج البنائية في تحليل الجملة⁽⁴⁾.

فاللغويون الغربيون لم يتوجهوا إلى الدراسات النصية على حساب نحو الجملة، فعلى الرغم

(1) -أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص 48.

(2) -صحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج 1، ص 49-50.

(3) -المرجع نفسه، ج 1، ص 51.

(4) -المرجع نفسه، ج 1، ص ن.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

من أن فان ديك قد بدأ ببيان أوجه عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة، فإن ذلك لا يعتبر بأي حال رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من قيمتها أو التشكيك في صحتها، بل إنّ الأمر بالنسبة له ولغيره من علماء النص، يمكن أن يتحدد في أنه قد تحتم بعد إدخال عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين أن يتغير الإطار الأساسي الذي يضم الجملة⁽¹⁾.

ويرى أحمد عفيفي، فيذكر أن تداخل النحويين هو الهدف من عدم استقلالية أحدهما عن الآخر، فإذا كان نحو النص ينظر في بنية النص الذي يكون -أحياناً- دون الجملة ويساويها، ويتجاوزها في كثير من الأحيان، فإن نحو الجملة ينظر في بنية الجملة، والملاحظ أن بين ما يدخل تحت الجملة والنص، وما يدخل تحت نحو الجملة ونحو النصوص بالاستتباع تداخلاً وتمازجاً لاشتراك الجملة والنص أحياناً في شكل واحد، بل إن نحاة الجملة يعتمدون على السياق في التحليل النحوي، وهذا الشكل التحليلي يعطي نوعاً من التداخل بين الجملة والنص⁽²⁾.

ويرى سعد مصلوح أن هذا التداخل بين النحويين، قد يزول إذا توافرت المعايير السبعة، بغض النظر عن حجم النص، يقول: «ولا شك أن أعمال تلك المعايير السبعة في تحديد ما به يكون الكلام نصّاً إنما يدل من نظرتنا إلى التقابل المفترض بين مفهومي الجملة والنص، ومن ثم يكون معيار التمييز بين صدقات المفهومين بعيداً من أن ينحصر في الكم، أو مطلق البنية النحوية، وتكون الجملة النحوية التي توافر لها هذه المعايير السبعة نصّاً، أما سلسلة الجمل التي يتخلف عنها أحد المعايير المذكورة، فلا تعدّ نصّاً، حتى وإن تحققت لها سلامة التركيب النحوي»⁽³⁾.

إن سعد مصلوح يؤكد على أمر هام، وهو توفر المعايير النصية في الجملة التي قد تكون نصّاً ما، بمعنى أن التحديد الحجمي للنص غير مطروح عند سعد مصلوح، فقد يكون النص مكوّناً من جملة واحدة، كما يتكون من عديد الجمل المترابطة، إلاّ أنّه دعا كما غيره من بعض اللسانيين إلى تغيير القبلة البحثية -الجملة، بحيث يقول: «وهنا نجزم بأننا في حاجة لكي نرسي هذا المنهج إلى ما يشبه تغيير القبلة البحثية، وذلك بالانتقال بالنحو العربي واللسانيات العربية عامة من طور ظل

(1) -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص218.

(2) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص67.

(3) -سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، ص226.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

فيه حبيس أدوار الجملة، أي الكلام المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، إلى طور يكون فيه النحو -بالمفهوم الواسع للمصطلح- قادرا بوسائله على محاصرة النص ووصفه، والكشف عن علاقاته التي تتحقق بما نصية النص بما هو حدث تواصلية مركب ذو بنية مكتفية بنفسها قادرة على الإفصاح والتأثير والفعل»⁽¹⁾.

لقد صوّر سعد مصلوح حاجة النحو العربي إلى نحو النص تصويرا دقيقا، إلا أنّ دعوته إلى تغيير القبلة البحثية بالإعراض عن الجملة، يتنافى والمعطيات التي قدّمناها سابقا عن حاجة أحدهما إلى الآخر -حاجة نحو النص إلى نحو الجملة والعكس-، وعليه فإنّ النحو العربي بحاجة إلى نحو الجملة ونحو النص، ويقول تمام حسان: «ليس لأحد الاتجاهين أن يلغي الآخر، فلا الاعتراف بالنصية يلغي الدراسات التحليلية، ولا تعني الدراسات التحليلية عن الاعتراف بالدراسة النصية، وفي تراثنا العربي من الدلائل ما يشير إلى ضرورة الجمع بين المنهجين، ذلك أن من مآثراتنا أن القرآن يفسّر بعضه بعضا، وأن السنة تفصل ما في القرآن من إجمال، كما تدل نشأة الدراسات البلاغية على محاولة الاعتداد بالتركيب في مقابل التحليل: كاعتدادها بالمعنى المجازي، وبلازم المعنى، فالغاية من هذه الأمور، وما شابهها هي الانتفاع بالنص في جملة، لبيان وفائه بما تعلّق به من أعراض، ثم بيان انتفاع النص بالنص في جلاء ما غمض من مراميه»⁽²⁾.

إنّ تمام حسان يشير إلى مسألة هامة ويؤكدّها، وهي أنّ الدراسات التحليلية المتمثلة في الجملة، والدراسات النصية المتمثلة في نحو النص يسيران إلى جنب، ولا أدلّ على ذلك من ما وُجد في تراثنا العربي، وتحديدًا في الدراسات القرآنية والدراسات البلاغية.

وقد يكون ما ذهب إليه سعد مصلوح، لا يعني به النحو العربي، أو لنقل لا ينطبق على النحو العربي، لأنّ هذا النحو له صلة وثيقة بالقرآن والحديث النبوي الشريف، وربما انطبق على نحو النص عند الغربيين، لما في نحوهم التقليدي من نقص، والدعوات إلى ضرورة تجاوز الجملة، وقد بيّن دي بوجراند السبب في ذلك، وهو أنّ: «النحو التقليدي أخذ من عدد من المنابع التي لا يمكن بصفة دائمة أن ينسجم بعضها مع بعض، فالمنطق والفلسفة والبلاغة، والأدب والاتجاهات العامة، والنظرات الفردية لكل من النحويين، بل النظم النحوية للغات (وبخاصة اللاتينية)، كل ذلك كان من مصادر الأخذ فكانت النتيجة اختلافا كبيرا بين المبادئ من حيث طبقت بصورة

(1) -سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، ص223.

(2) -روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص4(المقدمة).

متناثرة أو لأغراض مختلفة»⁽¹⁾.

ونخلص إلى أنه لا يمكن للنحو أن يستغني عن الجملة، ولا عن النص، بل الحاجة إلى النمطين قائمة قديماً وحديثاً، حيث تنطلق الدراسات النصية من تحليل أجزاء النص، وهي الوحدات الجملية المكوّنة له.

4-وظيفة نحو النص:

انطلقت الحاجة إلى ضرورة الخروج من قالب التحليل على مستوى الجملة إلى التحليل على مستوى أكبر هو المستوى النصي، بعد أن أصبح نحو الجملة غير كاف لإشباع حاجة المحلل اللغوي، لأنّ الجملة تمثل بنية غير مكتملة بنفسها، وتحتاج إلى جمل أخرى لتتضح دلالتها بالكامل، في حين يشكل النص وحدة أساسية بالنسبة لعلم نحو النص الذي يهدف بالأساس إلى استخراج المبادئ المتحكمة فيما يحدث من تفرعات للجمل داخل هذه الوحدة النصية.

مثال: ناقشا وضع العلاقات الثنائية، وحدّد بذلك المجالات الممكنة للتعاون المستقبلي⁽²⁾.

إن صعوبة الفهم الناشئة عند تلقي مثل هذه الجملة المعزولة تزول إذا أكملت هذه الأقوال بجمل تحدّد العلاقات الإحالية المتضمنة في الجملة مثل: التقى وزير الشؤون الخارجية لجمهورية النمسا بزميله الهولندي يوم الخميس في لاهاي للتباحث في المشكلات الدولية الراهنة، ناقشا وضع العلاقات الثنائية وحددا بذلك المجالات الممكنة للتعاون المستقبلي⁽³⁾.

إنّ من وظائف نحو النص تجاوز وظيفة النحو التقليدي، ولا تقتصر وظائفه على مجرد تنظيم الحقائق اللغوية فحسب، ولا تقف عند المستويات اللغوية، الصوتية والصرفية والدلالية من خلال وصف ظواهر كل مستوى وتحليلها، وإنما تعدّته إلى الاهتمام بالاتصال اللغوي وأطرافه وشروطه وقواعده وخواصه وآثاره، وأشكال التفاعل ومستويات الاستخدام وأوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصية في المتلقي، وأنواع المتلقين، وصور التلقي، وانفتاح النص وتعدد قراءاته⁽⁴⁾.

كما أنه يهدف إلى صياغة نظرية نصية عامة تشكّل الأساس لوصف شامل للأشكال

(1) -روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص560-561.

(2) -فولفجانج هاينه مان ديتز فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، ط01، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2004م، ص16.

(3) -المرجع نفسه، ص17.

(4) -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص162-163.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

النصية المتباينة وعلاقتها المتبادلة، يسهم بشكل فعال مع النظرية اللغوية في تشكيل نظرية عامة للاتصال الفعلي الذي يتم عبر النص⁽¹⁾.

وهكذا فوظيفة نحو النص توضيح السمات والخواص الفردية وأشكال الأبنية وأنواع السياقات ومستويات اللغة ودرجات الربط النحوي والترابط الدلالي، وتحليل الخواص المعرفية العامة التي تجعل من الممكن إنتاج البيانات النصية المقعدة في مرحلة الأداء - وإعادة إنتاجها في مرحلة التلقي⁽²⁾.

كما أن وظيفة نحو النص تتناول محورين مرتبطين بالجانب العملي الوظيفي لنحو النص، وهما:

أ- أهداف نحو النص :

يركّز بعض الباحثين على النواحي اللغوية في الدراسات النصية، ويرون أن النتائج المتوخاة من ممارسة نحو النص وتحليلاته هي لذات اللغة، وبهدف إيجاد نماذج نصية مقننة في تلك اللغة، وتقييد اللغة على مستوى النص، بعد أن تمّ ذلك على مستوى الجملة، ومن الباحثين الذين تبوّأوا هذا الرأي، نجد فان ديك في كتابه: "علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات"، فهو يرى ضرورة توظيف العلوم المختلفة في التحليل النصي من أجل النص نفسه، أو من أجل قراءة النص؛ لأنّ علم النص يستهدف ما هو أكثر عمومية، وأكثر شمولية، فهو يتعلّق بكل أشكال النص الممكنة "الأدبية، الاجتماعية، الطبية، القانونية..."، وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها⁽³⁾.

كما يرى فان ديك أنه لا يمكن فصل علم النص عن العلوم الأخرى المرتبطة به، ويعرض في كتابه بعض التطبيقات العملية التي توظف فيها علوم مختلفة لقراءة النص، إذ يناقش مشكلة إدراكية نفسية متعلقة بفهم النصوص، ويطرح التساؤل الآتي: لماذا تختزن بعض المعلومات حول النص المتلقي في الذاكرة وتزول أخرى؟ وما صفة هذه المعلومة التي تبقى في الذاكرة؟ وكيف يمكن أن نعرّ عليها مرة أخرى بشكل فعال لتوجيهها في وظائف أخرى؟ وكل هذه التساؤلات ناقشها فان ديك تحت عنوان: سيكولوجيا استيعاب النص⁽⁴⁾.

(1) -عثمان أبو زيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ص38.

(2) -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص143.

(3) -فان ديك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص14-15.

(4) -المرجع نفسه، ص257.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

وفي موضع آخر يعرض فان ديك نموذجاً لتحليل الحوار أو المحادثة من خلال توظيف نحو النص، وما يميّز به هذا النموذج أنه حصيلة تخصصات مختلفة، فلعلم اللغة في هذا التحليل وظيفة محدودة، وهي العناية بالجوانب النحوية للنص، والربط الدلالي والبراغماتي، أما علم النفس فمكانته من خلال بيان الشروط الإدراكية والانفعالية في هذه المحادثة، وهكذا باقي العلوم كل حسب تخصصه⁽¹⁾.

وينحو صلاح فضل منحى فان ديك، في عرضه لمهمة نحو النص، فيرى أنها تختص بوصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستعمال اللغة، كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة، ثم يتعمق في الهدف المرجو من نحو النص إلى مظاهر براغماتية مثل: شرح كيفية امتلاك المتحدثين لكفاءة القراءة، وسماع المظاهر اللغوية المعقدة المتمثلة في النصوص، وفهمها، واستخلاص معلومات محددة منها، والتخزين الجزئي على الأقل لهذه البيانات في الذهن، وإعادة إنتاجها طبقاً للمهام أو الأغراض أو المشكلات التي تثار من أجلها⁽²⁾.

أما الاتجاه الآخر من الباحثين، فيرى أنه لا يجب التوقف عند النتائج التي يفرزها التحليل النصي، والاكتفاء بذلك، بل لا بد من توظيف تلك النتائج في تطبيقات تمس حياة الإنسان، وتعمل على تطويرها، بما يحقق له مزيداً من التقدم والرخاء، مثل التربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع.

ومن العلماء الذين تبوّأوا هذا الرأي نجد روبرت دي بوجراند، الذي يرى أنه لا نكتفي بإيجاد نماذج نصية مقننة، وهياكل لغوية محددة، بل نتعدى ذلك إلى توظيف تلك النتائج في ممارسات عملية تمس نواحي الحياة المختلفة، ومن النماذج التطبيقية التي يعرضها الكتاب، تفعيل نتائج نحو النص في التعليم والتربية بشكل عام، فهو ينتقد طريقة التربية السائدة في أمريكا، ويرى أنها تسير في طريق الخطأ من الناحية المعرفية، لأنّ المعلومات المكتسبة عرضة للنسيان بعد الامتحان، ويضع حلاً لهذه المعضلة، إلى تنمية طائفة من القدرات العقلية القوية والمرنة من أجل اكتساب المعرفة وتطبيقها، بغض النظر عن المحتوى، ويرى أن نشاط استعمال النصوص مرتكز هذا المشروع التربوي، لأنّ القدرات العقلية القوية والمرنة التي اقترحها يمكن أن تنمى من خلال مهارة

(1) - فان ديك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص345.

(2) - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، صفر1413هـ - أغسطس 1992م، ص246.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

إنتاج النصوص واستقبالها بآليات محددة لا تتوفر إلا في علوم اللغة ومنها النص⁽¹⁾.

ويرى الكاتب أن من أهم تطبيقات نحو النص في مجال التربية أن يسهم هذا العلم في إيجاد خطاب حسن التنظيم يصلح لحمل الرسائل المراد إيصالها للمتعلمين، ويعرض الكاتب بعدها لتطبيقات تربوية أخرى يمكن توظيف نحو النص فيها مثل تعليم القراءة والكتابة⁽²⁾.

ب- أدوات نحو النص:

تتنوع الأدوات بين الباحثين والممارسين للتحليل النصي، وذلك لتنوع المبادئ والتوجهات التي يقيم عليها كل منهم نظرية نحو النص، فهائنه مان وديتر فيهفجر يقرران أن علم النص لا يمكن أن يمارس بمعزل عن بعض الظروف، التي يجب أخذها في الاعتبار أثناء التحليل النصي، ويمكن إجمالها في النواحي اللغوية والاجتماعية والنفسية.

أما سعيد حسن بحيري فقد عرض ثلاثة نماذج يرى أنها تمثل الاتجاهات الأكثر نضجا في التحليل النصي: يمكن أن نوجزها في الآتي⁽³⁾:

-التجزئة النحوية للنص:

وظهر هذا الاتجاه في التحليل عند فاينرش، وهذا الاتجاه يهتم بالجملة ونحوها، ولكن ليس لذاته إنما ليمهد به إلى النقلة التالية على مستوى النص، فلا ينظر إلى الجملة بحسبانها جزءا مستقلا مفيدا يمكن عزله عن بقية الأجزاء المكونة لكلية النص، والمعلومات التي تقدمها الجملة محدودة، ولكنها تشكل مع المعلومات الأخرى الخطاب الكلي.

-آجرومية النص:

وظهر هذا الاتجاه في التحليل عند فان ديك، بحيث يرى أن النحو ليس مجموعة من القواعد التي تطبق على النص، ولكن مفهوم القاعدة يقتصر على القوانين المستخلصة من النص ذاته، ويدعو هذا الاتجاه إلى حرية الدلالة، وجعلها تتصف بالدينامية والتغير في النص، لكن لا تكون الحرية مطلقة لأي دلالة، بل تحدد بحدود عامة تحكم بنية النص.

ويحاول هذا الاتجاه دراسة النص وتراكيبه وأبنيته ووظيفته بمعايير علمية، وهي معظمها من

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 50-51.

(2) - المرجع نفسه، ص 53.

(3) - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 191_218_256.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

المعايير المستخدمة في النحو التحويلي التوليدي، إذ نجد في معالجة الأشكال النحوية معايير الحذف، والإضافة والترتيب... وغيرها.

- التحليل التوليدي للنص:

وعرف هذا الاتجاه عند بيتوفي، وهو ينطلق من المبدأ نفسه الذي عمل سابقوه بمقتضاه وهو الوحدة الكلية للنص، ويقترب نموذج من نموذج فان ديك، إلا أنه تميّز بتركيزه على توضيح كفاءات المتحدثين والمستمعين في تحليله، أي كيفية إنشاء النص وتلقيه.

وأكد أن مكونات النص تتعدى النواحي الدلالية إلى العناصر التداولية والتي يجب ألا يغفلها التحليل النصي، ولا بدّ من تحقيق توازن دائم بين العالم الخارجي وعالم النص.

ومن هنا فإنّ هذا الاتجاه يرى عدم الاقتصار في التحليل على المعاني الداخلية والسطحية للنص، بل يجب أن يتعداها إلى ما يسمى بالمعاني الإضافية أو الإشارية أو الإحالية أو التداولية.

أما فيما يخص مهمة نحو النص، وفوائد هذا العلم، وأهمية البحث فيه مع أسباب الحاجة إليه، بعد أن أصبحت تلك الحاجة ملحة لتغيير الكثير من المفاهيم النقدية الحديثة، وتغيّر النظرة اللسانية إلى مفهوم اللغة ووظيفتها عند تحليل النص، وتكمن هذه الأهمية في النقاط الآتية:

1- تتمثل مهمة نحو النص في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل، واستخدام اللغة كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة⁽¹⁾، في حين أهمل نحو الجملة السياق الاجتماعي والذي أكد أهميته الاتجاه الوظيفي، فاللغة إذن «لديهم وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف وغايات»⁽²⁾، وهذا ما أشار إليه فان ديك⁽³⁾.

أي أن مهمة نحو النص، وصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي، وأشكال الاتصال، ويوضحها كما تحلّل في مختلف العلوم في ترابطها الداخلي والخارجي.

2- الاهتمام بالجانب الدلالي⁽⁴⁾؛ في حين كانت الدراسات اللغوية في نحو الجملة تهمل هذا

(1) - نعمان بوقرة، المصطلح اللساني النصي: قراءة تأصيلية سياقية، منشورات مخر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عنابة، الجزائر، 2002م، ص44.

(2) - جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص67.

(3) - فان ديك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص11.

(4) - جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص66-67.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

الجانب، بعبارة أخرى: اهتم علم النص في تحليلاته بضم عناصر جديدة لم تكن موجودة في نحو الجملة، تتمثل في قواعد جديدة منطقية ودلالية وأخرى تركيبية ليقدّم بذلك شكلا جديدا من أشكال التحليل النصي، ويصوّر معايير وأدوات التماسك.

3-زيادة مهام جديدة لم يتطرق إليها نحو الجملة، ومن تلك المهام كما يقول فان ديك: «صياغة قواعد تمكّنا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح، ومن تزويدنا بوصف الأبنية، فنحو النص إعادة بناء شكلية للكفاءة اللغوية الخاصة بمستخدم اللغة في عدد لا نهائي من النصوص»⁽¹⁾.

4-نحو النص له دور فعّال في خدمة الترجمة، من لغة إلى لغة أخرى⁽²⁾، بمعنى أن لنحو النص إسهاما في دراسات الترجمة، لأنّ هذه الأخيرة تُعنى بالأداء، ولا يكفي امتلاك النحو والمعجم فقط للقيام بعملية الترجمة، بسبب الحاجة إلى الترابط في استعمال اللغة، وذلك من أبرز مهام نحو النص، لأنّه يفيد في مجال النقل للغات من الأجنبية إلى العربية والعكس.

5-يستطيع نحو النص التمييز بين أنماط النصوص⁽³⁾، إذ تتنوع هذه الأخيرة بين الإخبارية، العلمية، والأدبية، ونحو النص يتيح الفرصة للتفريق والتمييز بينها.

6-يمكن من خلال هذا الفرع اللغوي تشخيص علاقات ما وراء الجملة على مستويات مختلفة: دلالية، معجمية ونحوية (صوت، صرف، تركيب).

7-يتيح نحو النص إعادة النظر في بعض المفاهيم اللغوية التقليدية السائدة بغرض تعميقها أو تعديلها⁽⁴⁾، وكمثال على هذا: عندما أشار النقاد إلى افتقار قصيدة العصر الجاهلي إلى الوحدة العضوية نتيجة تعدّد الأغراض فيها، وهنا يتيح نحو النص فرصة إعادة دراسة هذه القصيدة وفق منهج نصّاني، وذلك من خلال وسائل الاتساق والتماسك.

إن المتتبع لهذا الفرع اللغوي لا يفوته أن يلحظ أن أوجه الترابط التي أفرزتها التحليلات على مستوى الجملة، لم تعد كافية لتغطية مستوى النص، إذ لا يمكننا إدراك الصلة بين فقرتين أو نصّين

⁽¹⁾—فان ديك، النص السياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قيني، ط01، افريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000م، ص84.

⁽²⁾—أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص41.

⁽³⁾—جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص68.

⁽⁴⁾—أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص41.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

من خلال نحو الجملة، بل تلزم نظرة أكثر اتساعاً وشمولاً هي النظرة النصية.

وإن مهمة نحو النص راجعة إلى عدم الاكتفاء بالجملة في التحليل اللغوي للنصوص فعلى الرغم من أنها تمثل نواة النص، إلا أنها ليست بنية كاملة للتحليل، ومن ثم كان الداعي لتخطي بنية الجملة إلى بنية النص، ويبقى لعلم النص/نحو النص، ميدانه ومساحته الخاصة، ولا بدّ من تطور الأبحاث الخاصة في كليات النصوص إلى نماذج وصفية خاصة وعليه فإنّ مصطلح نحو النص، قد استعمله الباحثون النحاة، بهدف الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتوضيح صور ترابطها النصي، ونحو النص لا يختلف عن مصطلح لسانيات النص، سوى أن نحو النص مصطلح استعمله النحاة على غرار نحو الجملة، لأنهم رأوا فيها وحدة التحليل النحوي، ولسانيات النص استعمله اللسانيون على غرار لسانيات الجملة لأنهم رأوا فيها وحدة التحليل اللساني.

وإذا كان نحو النص أو لسانيات النص يتعلق بنوع محدد من النصوص ومن التحليل، فإن علم النص؛ استعمال يوسع من نطاق التحليل ولا يقتصر على نوع واحد من النصوص بل يشمل أنواعاً عديدة مثل الرواية، والإعلان الإشهاري، والمقال الصحفي، والعلمي والفيلم السينمائي، وكل ما يرتبط بالثقافة المعاصرة، وما ينتج عنها من نصوص.

ثالثاً_ لسانيات النص :

أحيط بهذا المصطلح الكثير من الأفكار والآراء حول نشأته، كما صُيغ بمصطلحات متشعبة ومختلفة الرؤى والتصورات.

1- لسانيات النص النشأة والتطور:

إنّ أبرز ما يتصف به البحث النصي، صعوبة مفاهيمه وإجراءاته وتعدد مرجعياتها التأسيسية، حتى بات من الصعب تحديد نشأته المدرسية وضبط منهجية تحليل النصوص ضمن أطره العامة؛ فيمكن اعتباره أحدث فروع اللغة، غير أنه يمتاز عنها من جهة النشأة والتطور، إذ إنه لم يرتبط ببلد أو مدرسة أو اتجاه معين، ويمكن تقسيم نشأة لسانيات النص إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى - الإرهاصات الأولية:

تشير بعض الدراسات إلى أن بداية البحث في النص -بشكل عام- ترجع إلى رسالة

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

(I.NYE)^(*)، التي بحث فيها علامات عدم الاكتمال، وهي حجة نمطية في علم لغة النص، والتكرار بناء على أسس نصية، وبوصفها إشارات وأشكالا محددة للعلاقات⁽¹⁾.

حيث أشارت في فصل منها إلى الربط بين الجمل، وعلاقتها الداخلية على أسس نصية، وقد ظهرت بعض النداءات من لغويين عرب، للانتقال من دراسة الجملة إلى الفقرة الأدبية، ثم إلى النص بصفة عامة، حيث دعا أمين الخولي في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي إلى مجاوزة البحث البلاغي مستوى الجملة إلى الفقرة والنص، حيث قال: «وأما التحلية فبأشياء منها توسعة دائرة البحث، وبسط أفقه، فلا يقصر على الجملة كما كان في القديم من عمل المدرسة الكلامية، التي لم تأت المدرسة الأدبية بعده بشيء ذي غناء، فإننا اليوم نمدّ البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبية، ثم إلى القطعة الكاملة من الشعر أو النثر، ننظر إليها نظرنا إلى كل تماسك، وهيكل متواصل الأجزاء، تقدر تناسقه وجمال أجزائه وحسن ائتلافه، ونتحدث فيما لا بدّ منه في هذه النظرات من شؤون فنية»⁽²⁾.

وما يستنتج هو أن هناك دعوة جدّ مهمة وجدّ قيمة، في إحداث ثورة في الدرس اللساني والبلاغي في العربية، تنقله من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، لكن هذه الثورة لم تحدث على أيد عربية، بل حدثت وبدأ ثورانها واتجاهها في الغرب عن طريق: «التحول الأساس الذي أخرج اللسانيات نهائيا من مأزق الدراسة البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية: البنيوي، الدلالي والتداولي»⁽³⁾.

ويرى دي بوجراند أن البدايات الأولى للدراسات النصية ترجع إلى العلوم البلاغية التي سادت العصور الوسطى الكلاسيكية (اليونانية، والرومانية)، فقد اتجهت عناية البلاغيين في تلك المرحلة إلى تدريب الخطباء في أربعة مجالات هي إنشاء الأفكار وتنظيمها، وإيجاد التغييرات المناسبة وحفظها، وذلك قبل عملية الإلقاء⁽⁴⁾.

(*)—باحثة أمريكية قدمت أطروحتها للدكتوراه سنة 1912م، ينظر: سعيد حسين بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص290.

(1) — المرجع نفسه، ص18.

(2) —أمين الخولي، فن القول، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1996م، ص239-240.

(3) —خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة، 2006م، ص167.

(4) —ليندة قّياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق: مقامات الهمداني أمودجا، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2009م، ص50.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

وقد أشير إلى عمل مبكر لفايل H.Weil سنة 1887م، علّق فيه تتابع اللفظ على تتابع الأفكار، وفصل هذا التتابع عن النحو، وقدم في عمله هذا المعايير الوظيفية للجملة، ومفهوما خاصا لأسلوب الأفكار أيضا، وما تزال قواعد بناء النص البلاغية ضرورية، ولا يمكن الاستغناء عنها في دراسة النص، وبخاصة دراسة النص الشعري بمفهومه الواسع⁽¹⁾.

ومقال زيلينغ هاريس عام 1952: تحليل الخطاب، وقد رأى فيه أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى الوقوف بمجال التحليل النحوي عند الجملة، ولا ما يقتضيه اقتضاء، بل أنه من عُرف النحاة الذين ساروا عليه، لأنهم وجدوا في ما دون الجملة ما يفي بوصف جميع الظواهر اللغوية وقد تصور تحليل الخطاب «من ضربين من المسائل هما في الحقيقة أمران مترابطان: أما الأول فيتمثل في مواصلة الدراسة اللسانية الوصفية بتجاوز حدود الجملة الواحدة في نفس الوقت، وأما الثاني فيتعلق بالعلاقة بين الثقافة واللغة»⁽²⁾.

وكان هاريس مهتما بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص المطولة، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي⁽³⁾.

ولم تكن هذه المحاولة من زيلينغ هاريس تأسيسا لعلم جديد بقدر ما كانت تعديلا لنظريته، وخطوة لنقل المناهج البنيوية التوزيعية في التحليل إلى مستوى النص⁽⁴⁾.

حيث اعتبر عمل هاريس بمثابة البدايات الأولى والإرهاص المادي لهذا العلم -لسانيات النص- على الرغم من المحاولات التي أشرنا إليها سابقا.

يقول هاريس إن: «اللغة لا ترد في صورة كلمات أو جمل منعزلة، بل في نص مترابط»⁽⁵⁾. فحاول بذلك الوصول إلى وصف بنيوي للنصوص، لا يفقد عند حدود الجملة، ولكي يتحقق هذا الهدف، رأى هاريس أنه لا بد من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية (الوصفية والسلوكية)، وهما:

الأولى: قصر الدراسات على الجملة والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

(1) -سعيد حسن مجيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 17-18.

(2) -محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ج 1، ص 38-39.

(3) -جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص: دراسة لسانية نصية، ص 19.

(4) -محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، ج 1، ص 76.

(5) -فولفجانج هاينه مان ديتر فيهيفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص 17.

الثانية: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي.

لقد اعتمد هاريس في منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين:

–علاقات توزيعية بين الجمل –الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي⁽¹⁾.

وبعد هذه الفترة تنبه بعض اللسانيين إلى المشكلة التي طرحها هاريس، خصوصا فيما يتعلق بالعلاقات التوزيعية بين الجمل، ومشكلة الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي، والتي في مجملها تنادي بضرورة مجاوزة محور الجملة في الدراسات اللسانية إلى النص.

وقد عرف هذا الاتجاه بـ"لسانيات النص" وهو الاتجاه الذي يتخذ النص كـ وحدة للتحليل، وبهذا حدثت أكبر نقلة في اللسانيات، كشفت عن ضيق شديد في الدراسات التي اعتمدت على الجملة، واعتبرتها الوحدة اللغوية الكبرى، خاصة في الدراسة الأدبية، وهذا ليس نبذا للنموذج القديم وإحلال آخر جديد⁽²⁾، بل الانتقال من الدرس القديم للوصول إلى موضوع الدرس اللساني الحديث (لسانيات النص).

ولقد أخذت ملامح هذا العلم تتبلور منذ الستينيات تقريبا، وازدادت وضوحا خلال السبعينيات من القرن الماضي، فقد استطاع دي بوجراند أن يستعرض المسار التاريخي لللسانيات النص في هذه الفترة وقبلها، حيث قسّمها إلى ثلاث مراحل، ويقول: «ففي المرحلة الأولى التي استمرت حتى آخر الستينيات، لا نجد غير إشارات تلمح إلى أنه ينبغي للنص أو الخطاب أن يكون أساسا للدراسات اللسانية، مثل: أنجاردن 1939م، وهيلمسليف 1943م، وهاريس 1952م، وهارتمان 1964م»⁽³⁾.

وفانيرش 1966م الذي حرص أن يقدم نهجا جديدا في معالجة النص⁽⁴⁾ وعدّ منهج تجزئة النص منهج بديلا للمنهج المعروف والمستخدم باستمرار في كل مراحل الدراسة اللغوية في تحليل الجملة⁽⁵⁾.

لكن هذه الآراء لم تؤثر في مسيرة اللسانيات المألوفة، لأن أصحاب المناهج المتداولة اتجهوا

(1) –جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 65.

(2) –فولفجانج هاينه مان ديتير فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص 15.

(3) –روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 65.

(4) –سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 191.

(5) –المرجع نفسه، ص 194.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

اتجاهها معاكسا، ذلك أن الانهماك في النظر إلى الوحدات الصغرى والجمل المفردة⁽¹⁾، لم يتح الفرصة للاهتمام مباشرة بدراسة النص كاملا.

وإذا كان مقال زيليغ هاريس يؤسس لمنهج تحليل الخطاب، كما يصرح بذلك منذ البداية، فإنّ أهم ما فيه هو مقدمته التي عرض فيها مجموعة من الإشارات التي تؤسس لهذا التحليل الذي يروم الوصول إليه، وأول هذه الإشارات الكيفية التي بها يتم القيام بتحليل الخطاب، حيث يقول هاريس في هذا السياق: (يمكن أن نقوم بتحليل الخطاب انطلاقا من نوعين من القضايا، التي هي مرتبطة ببعضها، أولاهما هو توسيع مجال اللسانيات الوصفية (Linguistique descriptive) إلى خارج حدود الجملة الواحدة والثانية تمس العلاقات بين "الثقافة" واللغة «أي بين السلوك غير اللغوي، والسلوك اللغوي»⁽²⁾.

من الواضح أن توسيع مجال اللسانيات الوصفية هو وفاء من هاريس لأستاذه بلومفيلد، وهو وفاء يظهر في سياقات دفاعية كثيرة عن هذه اللسانيات الوصفية وقدرتها على تحليل ما أكبر من الجملة، حيث: «تقف اللسانيات الوصفية عمادة عند حدود الجملة، وهذا ليس نتيجة لقرار مسبق، لأنّ الأدوات أو التقنيات اللسانية بلورت بشكل يسمح بدراسة أي قول مهما كان طوله»⁽³⁾.

ويؤكد في سياق آخر: «إن تتابع الجمل في خطاب يشكل في المقابل مجالا محبذا لمناهج اللسانيات الوصفية، لأنّ هذه الأخيرة لها كموضوع التوزيع النسبي للعناصر داخل قول تتابع جملة مهما كان طوله»⁽⁴⁾.

وإذا كانت اللسانيات الوصفية التي يتكلم عنها هاريس، قد أثبتت قدرتها على تحليل بناء الجمل، وسمحت ببلورة أنحاء ملائمة، فإنّ عبارة "مهما كان طوله" تؤكّد حرص هاريس على ضرورة توسيع مجال اللسانيات إلى ما هو أكبر من الجملة.

والنقطة الثانية هي علاقة القول المتتابع بما هو غير لغوي أو بعبارة أخرى علاقة هذا القول بالخارج، ويبدو أن الذين اهتموا بهاريس باعتباره مؤسساً لتحليل الخطاب، وقفوا عند حدود

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 65.

(2) - Zellig Harris: Analys du discours. Tr François Dubois Charlier, 1996, P9.

(3) - المرجع نفسه، ص 11.

(4) - المرجع نفسه، ص ن.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

الإشارة الأولى المتعلقة بتحليل القول المتتابع في حدّ ذاته دون ربطه بالخارج، ويؤكد هاريس بوضوح أن التحليل الذي تقوم به هذه اللسانيات الوصفية بإمكانه أن يمدنا بمعلومات عن بعض التعالقات بين اللغة والخارج، يقول هاريس: «يمكن أن يمدنا التحليل التوزيعي داخل نفس الخطاب، منظور إليه فرديا، بمعلومات عن بعض التعالقات بين اللغة وأشكال أخرى من السلوكات، ومرّد ذلك إلى أن كل خطاب متتابع منتج في مقام معين»⁽¹⁾.

إنّ الإشارة السابقة تبين لنا تصوّر هاريس لقدرة اللسانيات الوصفية على أن تدرس القول من حيث هو قول مهما كان طوله، وتدرس علاقته بالخارج.

إن المرحلة الأولى هذه لا يمكن عدّها مرحلة تأسيس لسانيات النص، فهي لا تتعدى كونها دعوات لتوسيع دائرة البحث من الجملة إلى ما هو أوسع منها.

المرحلة الثانية-تطور المفاهيم:

في هذه المرحلة التقت آراء مجموعة من اللغويين حول فكرة (لسانيات ما وراء الجملة) منهم: هايدولف، كريمز، فان ديك، هارفيج، رقية حسن، وبايك.. وآخرون، وركزت دراساتهم على أن النص مجموعة من الجمل المتوالية، لذا استعاروا قواعد الجملة في تطبيقاتهم على النص، لكنهم أدركوا فيما بعد أنّ هذا الاتجاه لا يمكن من رؤية المميزات المهمة في النص⁽²⁾.

ونضرب أمثلة لبعض لغويي هذه المرحلة:

-إيزنبرغ Isenperg: الذي اعتنى بالبحث في العوامل المتحركة في اختيارات صاحب النص، وفي أبرزها تلك العوامل -في نظره- المجاورة التي تضم مجموعة من الأدوات التي تنظم علاقات الجمل بعضها ببعض، كالضمائر، وحروف التعريف، والاقتران بعلائق سببية أو فائية أو أي علاقة أخرى⁽³⁾.

هارفيج Harveg: الذي قدّم نموذج استبدال، تتحرك فيه عناصر الاستبدال على المستوى الأفقي، وغلب عليه إدراك النص إدراكا وظيفيا، ثم أدخل فيما بعد جوانب نصية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية-التداولية⁽⁴⁾، والتي تشكل بناء النص.

(1)-Z. Harris: Analys du discours.p11.

(2)-روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص64-66.

(3)-إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ط01، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007م، ص187.

(4)-سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص94.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

-فان ديك: الذي قدّم عدة نماذج نصية، ونظرات مختلفة حول دراسة النص، ووصفها وتفسيرها، وقد اعتمد في نماذجه على عناصر لغوية، فأدخل فيها مكونات نفسية ومنطقية، دلالية واتصالية، وتداولية، إلى جانب المكونات التحويلية والدلالية- التداولية⁽¹⁾.

وقد حاول فان ديك تعديل نماذجه قصد استيعاب عدد أكبر من النصوص.

وفي العموم فقد نركز الانتباه في هذه المرحلة على موضوعات كان الكلام عنها ممكنا بواسطة مفردات من لسانيات الجملة، لكن دون الوصول إلى حلول مقنعة، وكان الاتجاه السائد، كما يقول دي يوجراند: «هو النظر إلى النص من حيث هو جمل متوالية»⁽²⁾.

ولم توضح لنا هذه المرحلة إلا جزءاً يسيراً من مجموعة المميزات المهمة للنص.

وقد شهدت حقبة السبعينيات ظهور مشاريع كثيرة، تدور في مجملها حول القواعد النصية، فنشر فان ديك كتاباً بعنوان: بعض مظاهر نحو النص سنة 1972م، اعترض فيه على النحو التقليدي، ودعا إلى اتباع طرائق جديدة في تحليل النص، والتعامل مع النص على أنه بنية كبرى، ومحاولة تحديد القواعد التي تحكم بنية المعنى الكلي للنص⁽³⁾، وظل كتابه مستمرا إلى سنة 1977م، مع كتابه: النص والسياق.

وفي كتاباته الأخيرة، بدأ ينطلق من تحليل سيكو لساني للخطاب والنص رابطاً بين الدلالة والتداولية⁽⁴⁾.

يقول فان ديك: «لقد توقفت القواعد واللسانيات التقليدية غالبا عند حدود وصف الجمل... فإننا نستطيع أن نتكلم عن قواعد النص»⁽⁵⁾.

ويذهب فان ديك إلى القول أيضا: «ينظر إلى ظهور علم النص مرتبطا بظواهر ومشكلات تعالج في علوم ومناخ أخرى للبحث، وبخاصة في علم اللغة العام في الدراسات الألمانية، وفي علم الأدب، وعلم الأسلوب، وأخيرا في علم النفس، وعلوم الاجتماع، مثلما يكون الشأن في علم

(1) - سعيد حسن مجيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص94.

(2) - روبرت دي يوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص65-66.

(3) - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ج1، ص94.

(4) - سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ص14.

(5) - مندر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ص147.

الاتصال الجماهيري»⁽¹⁾.

وفي الغالب ما تظهر علوم جديدة بوصفها تخصيصا لعلوم أخرى نشأت من قبل: «فقد ظهرت اتجاهات البحث اللغوي في وقت كان ينظر فيه في إطار الدراسات اللغوية الجرمانية واللغات والآداب الأجنبية إلى المناهج التاريخية والفيلولوجية الواصفة على أنها قاصرة، ومن ثمّ وجه انتباه خاص إلى (اللغة بوصفها نظاما) وعلم اللغة النظري، وقد حدثت تغيرات مماثلة في علوم الاجتماع: فقد تطور علم الاتصال أو علم الصحافة على سبيل المثال انطلاقا من علم السياسة أو علم النفس الاجتماعي»⁽²⁾.

وفي سنة 1977م أعاد فان ديك صياغة ما تجمّع له من آراء العلماء المتفرقة، ونشر كتابا بعنوان: النص والسياق، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، حيث ركّز فيه على الظواهر الدلالية والتداولية، وبحث في مفاهيم الترابط والاتساق وتحليل الخطاب، والعلاقات بين دلالية الخطاب وتداوليته⁽³⁾ وقد عدّ بعض الباحثين المؤسس الحقيقي لعلم النص أو لعلم اللغة النصي⁽⁴⁾.

لقد اعتمد فان ديك في رؤيته لعلم النص على «المقابلة بين مفهومي التركيب الأدنى والتركيب العلوي، لوصف شكل النص، والمقابلة بين مفهومي البنية الصغرى والبنية الكبرى لوصف دلالة (معنى) النص»⁽⁵⁾.

وتعدّ محاولات فان ديك «من أكثر محاولات تحليل النص توفيقا، إذ يسعى إلى صياغة نموذج تحليل للنص بإدخال عناصر من المنطق الحديث، وعلم النفس التجريبي، وذلك لتفسير كيفية إنتاج النصوص، من خلال تحديد قواعد توليدية، ويرى أنّه يمكن أن تضاف في خلال عملية التفسير في إطار صياغة محدّدة للنماذج اللغوية أسس اتصالية، وتداولية، وقد فصل القيود التوليدية، والنحوية - التوليدية للمتواليات النحوية (الجملية) تفصيلا واسعا»⁽⁶⁾.

لقد كانت سنة 1972م بشيرا بمرحلة جديدة من البحث في اتجاه نظريات بديلة مما سبقها في حقل اللسانيات، أكثر مما هي مراجعة للقديم، كما هو الحال مع فان ديك، أو مع من سيأتي

(1) - فان ديك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص14-15.

(2) - المرجع نفسه، ص15.

(3) - فان ديك، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص11.

(4) - جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، ص20.

(5) - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص222.

(6) - المرجع نفسه، ص219.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

ذكرهم، حيث جاءت هذه الدراسات الجديدة نقداً لأسس الدراسات النحوية المبينة على الجملة، فأدت إلى مقترحات بأفكار جديدة، جاء بها: بيتوفي⁽¹⁾، الذي قدم محاولات جدية وثرية، ولها سمات خاصة، وقد اتسمت نظريته بالتوسع، والتي استقرأ عناصرها من المنطق والنحو التحويلي ومكونات أخرى دلالية وتداولية⁽²⁾.

والتي انتقل بها يتوفي من محورية الجملة في الدراسة إلى اعتماد النص، وكانت محاولاته قفزة هامة للتحويل للسانيات النص.

كما أن بيتوفي قد استطاع أن يؤلف القواعد التوليدية مع نظرية الدلالة المستوحاة من المنطق الرياضي، فوصل إلى بناء قواعد تقوم على الاستنباط، لذا اعتمد على البنية العميقة للنصوص، وضوابط التفسير، التي تسمح بالمرور إلى البنية السطحية (الخطية)، وكذلك على المكوّن الدلالي القادر على أن يضع النص في علاقة مع مراجعه⁽³⁾.

وفي هذه المرحلة أيضاً ظهر (ديسلر: 1973م)، (شميدت: 1973). (هارتمان: 1975م)، و(هاليداي ورقية حسن، وعملهما سنة 1976م)، الموسوم ب: الاتساق في الإنجليزية (Cohésion in English)، حيث يعتبر هذا العمل من السمات الأساسية في تحديد معالم لسانيات النص، كما أنه شكّل أول دراسة نصية متكاملة، حيث عالج فيه مؤلفاه مفاهيم مثل: النص، النصية، الاتساق، وبحث مظاهر الاتساق، مثل: الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل، والاتساق المعجمي، وعدّ الاتساق جزءاً من مفهوم اللغة، ومفهوماً دلالياً قوامه العلاقات المعنوية الموجودة في النص، وهو في الحين نفسه ما يكون به النص نصّاً⁽⁴⁾.

ثم أَلّف دي بوجراند كتاب: (النص والخطاب والإجراء) سنة 1980م، الذي يمثل مرحلة متقدمة، وأهمّ ما امتاز به هذا الكتاب أنه بيّن أن الصفة المميّزة للنص هي استعماله في الاتصال، وأن الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقة المشتركة، وبيّن معايير النصية لأي نص، بعد أن أقام مقارنة بين النص والجملة، ولم يقف دي بوجراند في كتابه هذا عند حدود اللسانيات، فقد

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 67.

(2) - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 95-96.

(3) - المرجع نفسه، ص 258.

(4) - شريفة بلحوت، الإحالة دارسة نظرية، مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب Cohésion in English لهاليداي ورقية حسن، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص 71-72.

تطرق إلى الكفاءات الإعلامية، والمشاريع التربوية، ودراسات الترجمة⁽¹⁾.

كما ظهرت كثير من المحاولات التي ابتعدت عن الجانب التداولي، لا سيما في سنة (1990م)؛ إذا انطلقت هذه المحاولات من النص المجرد، بعيدا عن الجوانب غير اللغوية التي تحيط به، تلك الجوانب التي اعتمدت عليها التداولية في دراستها النصوص اللغوية، إذ إن النص ما هو إلاّ ارتباطات وتوافقيات بين النص ونصوص أخرى، تحكمها سلسلة من القواعد النحوية والدلالية، في إطار من العلاقات التبادلية العليا بين الأفراد؛ فإنّ « النصوص المنجزة أبنية نسقية عرضية ذات طبيعة معقدة تشبه في تعقيدها بيت العنكبوت الذي تتعالق خيوطه الرفيعة، وتتكامل مشكّلة بناء هندسيا محكما، لعلّ أهم وصف فيه كونه منسجما متعاضدا، فإنّ لسانيات النص تضطلع بمهمة وصف هذه الشوائج، وتبيان مقوماته وقيّمته المادية من حيث هو صورة معبّرة عن غرض الخطاب في التداول اللساني البشري»⁽²⁾.

وقد مثلّ جون ميشال أدام (J.M.Adam) أبرز الباحثين في هذا الاتجاه، إذ «تعدّ مؤلفاته الحجر الأساس للمشروع اللساني الذي يختزل جهود المدرسة الفرنسية في مقارنة الخطاب بشتي أنواعه وأنماطه»⁽³⁾.

إنّ ما مرّ به علم لسانيات النص من التأسيس إلى تطور المفاهيم ونضجها حتى السبعينيات من القرن الماضي، التي ذكرها دي بوجراند، لا تزال مصطلحاته تتقاطع مع مصطلحات علوم أخرى وخصوصا العلوم اللغوية، لأنّ هذا العلم لم يكتمل بعد، اكتمالا تتضح فيه معالمه الأساسية، وتتوحد فيه مصطلحاته الرئيسية، وقد يرجع هذا إلى كونه أحدث فروع علم اللغة، والذي يتميز عنها من جهة النشأة والتطور، حيث إنّه لم يرتبط كما يذهب سعيد حسن بحيري، ببلد معين، أو بمدرسة بعينها أو باتجاه محدد⁽⁴⁾، كما سبق وأنّ أشرنا إلى هذا الأمر، وهذا على عكس معظم العلوم الأخرى التي لم تتسم بهذه الميزة في الغالب.

وعلم لسانيات النص على الرغم ما يكتنفه من كثرة في المصطلحات وتعدد في المفاهيم، إلاّ أن رقعته البحثية تزداد في مختلف الجامعات والتخصصات، لأنّ تعدد مفاهيمه نتيجة لتعدد

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 88، 249، 411.

(2) - نعمان بوقرة، نحو النص: مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة، مجلة علامات، جمادى الأولى 1428هـ، مايو 2007م، مج 16، ج 61، ص 22.

(3) - المرجع نفسه، ص 20.

(4) - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 01.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

مشارب الباحثين فيه، فقد نجد اللغة والتاريخ وعلم النفس والجغرافيا... الخ، وكلها تدعو إلى ضرورة الانتقال من لسانيات الجملة ودون إهمالها نهائيًا إلى لسانيات النص.

وهناك أمر هام ينبغي الإشارة إليه، وهو أن محمد الشاوش قد لاحظ فيما ضبطته مجلة Bulletin de Linguistique، أن عدد الأعمال التي صُنفت تحت عنوان:

Linguistique du texte وAnalyse du discours، والتي نشرت بين 1978م و1990م يتراوح بين 94 عملاً و298 عملاً، ومن هنا فإنه يذهب إلى أنه لم يتم تجاوز نحو الجملة سوى في نهاية الستينيات الميلادية في حين أن سنة 1984م تمثل ذروة الاهتمام بنحو النص وتحليل الخطاب، حيث بلغت الأعمال المنشورة فيها 298 عملاً⁽¹⁾.

إنّ علم لسانيات النص علم يتداخل مع علوم أخرى تداخلًا شديدًا، وهذا راجع كما أشرنا سابقًا إلى تعدد مشارب البحث، واتساع رقعته العلمية، وبعد عرض لأهم المحطات التي مر بها هذا المصطلح اللساني، نعرض فيما سيأتي مفهوم هذا العلم الجديد، وأهم ما أحاط به من مصطلحات.

2- مفهوم لسانيات النص:

تركّز لسانيات النص على النصوص في ذاتها، أشكالها وقواعدها ووظائفها، وتأثيراتها المتباينة بوصفها فرعًا علميًا متداخل الاختصاصات، فهي تشكل محور الارتكاز بين العلوم مثل: الشعر، البلاغة، الأدب، الأسلوب، الاجتماع، وعلم النفس وغيرها⁽²⁾.

ويرى الأزهر الزناد أن لسانيات النص هي من أقدم العلوم موضوعًا وأحدثها نشأة، وذلك لأنّ «النصوص تعمل منذ نشأ الاجتماع البشري، إذ لا يوجد كلام خارج ملفوظ منجز هو (نصٌّ)، وتطوّرت علوم تدريسه (علوم الأدب، والنقد، والبلاغة، والتفسير، الخ)، وكانت وسيلة لغيرها من العلوم، متشابكة معها، ثم استقل كل واحد منها بنفسه فاقترص على موضوعه... والتحق جزء مما كان يجب أن يكون موضوع علم يدرس النص من حيث هو نص ب(اللسانيات)»⁽³⁾.

(1) - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ج1، ص76-77.

(2) - فان ديك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص25.

(3) - الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا، ص18.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

وهي فرع من فروع اللسانيات تعنى بدراسة النص بعدّه الوحدة اللغوية الكبرى، وتكشف وسائل تماسكه، واتساقه وتبحث عن محتواه الإبلاغي التواصلية، وتعمل على تحديد الطرائق التي ينسجم بها النص، وتكشف عن الأبنية اللغوية وكيفية تماسكها وتجاوزها، من حيث هي وحدات لسانية⁽¹⁾.

ويمكن أن «يُعدّ من لسانيات النص عادة كل بحث لغوي ينطلق من النص في شكل أو تخطيط مكتوب أو منطوق بوصفه وحدة أساسية للغة إنسانية، أو يتجاوز على الأقل نحو الجملة إلى حدّ بعيد بحيث يعالج تتابعات جملية أو قطعاً نصية أكبر بوصفها وحدات مستقلة بذاتها»⁽²⁾.

ويقول صبحي إبراهيم الفقي، بعد عرضه لبعض تعريفات علم اللغة النصي/لسانيات النص: «إذن علم اللغة النصي -فيما نرى- هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة أو المرجعية وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص "المرسل والمستقبل"، وهذه الدراسة تتضمن المنطوق والمكتوب على حدّ سواء»⁽³⁾.

بمعنى أن علم لسانيات النص فرع علمي، وحقل من الحقول المعرفية، الوافد على ساحة الدراسات اللسانية، ليكون بديلاً لمناهج لسانية سبقت، فيكمل ما عجزت عنه، وفي الحقيقة أنه لا يوجد خلاف حول المفهوم بالصورة نفسها التي وجدت في تعريفات مصطلح النص، حيث إن مصطلح لسانيات النص واحد من المصطلحات التي حددت لنفسها هدفاً واحداً، وهو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال لتواصل النص⁽⁴⁾.

ومن ثمّ فإن كثيراً من الظواهر تعالج في إطار الوحدة الكبرى للتحليل، وقد استطاع علم لسانيات النص أن يجمع بين عناصر لغوية وغير لغوية لتفسير الخطاب أو النص تفسيراً إبداعياً⁽⁵⁾.

(1) -صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص36. وينظر: أحمد مداس، لسانيات النص: نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ط1، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، 2007م، ص3.

(2) -كريستين آدمستيك، لسانيات النص عرض تأسيسية، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2009م، ص34.

(3) -صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص36.

(4) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص31.

(5) -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص99.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

إذ تتمثل مهمة لسانيات النص في وصف العلاقات الداخلية الأفقية منها والعمودية، وكذا العلاقات الخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة.

وبين سعيد حسن بحيري أنواع الظواهر التركيبية الموجودة في لسانيات النص بقوله: «لقد عُني علم اللغة النصي في دراسته نحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة منها: علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجتزأة وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى ضمير، والتنوعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر، التي لا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلا من خلال وحدة النص الكلية»⁽¹⁾.

وهدف لسانيات النص حسب منظور سعيد حسن بحيري، هو وصف كيفية تماسك النصوص، وكيف أنّ هذه الأخيرة -النصوص- تؤدي أغراضاً معينة في مقامات تبليغية محددة.

ومع هذا فلم ينبثق تحديد واضح وصريح لمفهوم لسانيات النص، سواء عند الباحثين الغربيين أو العرب، وهذا يعود إلى السمة الجوهرية الفارقة لها عن البحوث الأخرى، وهي التداخل المعرفي؛ فقد تشعبت المنابع التي استقت منها مفاهيمها وتصوراتها ومناهجها⁽²⁾.

وكذلك اتخذت اتجاهات البحث فيها أشكالاً متعددة، وذلك تبعاً للأسس التي يستند إليها الباحثون النصيون، فهناك اتجاه يعتمد على اللسانيات الوصفية، واتجاه آخر يعتمد على اللسانيات الوظيفية، كما أن هناك اتجاهاً يعتمد على النحو التوليدي التحويلي⁽³⁾، ويرى صبحي إبراهيم الفقي أن صعوبة تحديد تعريف لهذا العلم، راجع إلى عدم اكتمال نضجه فهو ما زال في تطوّر مستمر⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من أن تعريفات لسانيات النص لا يوجد خلافاً حولها بالدرجة التي يحدث فيها التباين، إلا أنّ الاختلاف الموجود هو حول المصطلح في حد ذاته، إذ لم يلق التوحيد من جانبين، سواء عند منظريه أو عند المترجمين، أما في إطار بدايات علم لسانيات النص فقد «اجتمعت طائفة من الباحثين في جامعة كونستانس في ألمانيا للمشاركة في مشروع يحظى بدعم

(1) - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 135.

(2) - المرجع نفسه، ص أ-ب

(3) - أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص 18.

(4) - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج 1، ص 27.

الفصل الأول:.....النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

الحكومة الاتحادية حول فكرة علم قواعد النص، وكانت هذه الجماعة الملتفة حول هانس ريزر، وبيتر هارتمان، ويانوس بيتوفي، وتون فان ديك، وينس أيوي، وولفرام كوك، وغيرهم، قد أخذت نفسها بصياغة معجم، وعلم قواعد مجرد يؤديان إلى (توليد) نص من أعمال بريخت عنوانه (الحيوان المفضل عند السيدك)؛ أي أنهما يحددان الأوصاف البنيوية لجمل النص، وتشير نتائج المشروع... إلى أن الفرق بين علم قواعد الجملة، وعلم قواعد النص أكبر شأنًا مما كان يعتقد قبلاً⁽¹⁾.

لقد كانت هذه لمحة عن ولادة لسانيات النص في الدراسات اللسانية الغربية، أما عن نشأته في الدراسات اللسانية العربية، فإن سعد مصلوح في بحثه الذي عنوانه: من نحو الجملة إلى نحو النص، الصادر سنة (1989م) في الكويت^(*)، يعتبر أن أول إشارة مهمة إلى علم لسانيات النص تنسب إلى سعيد يقطين ببحثه: انفتاح النص الروائي (النص والسياق) سنة 1989م في طبعته الأولى في الدار البيضاء⁽²⁾.

وقد كانت هذه البذور الأولى لهذا العلم في اللغة العربية، وإن لم يشهد اختلافا كبيرا بين الباحثين والدارسين، كما هو الحال في المصطلحات الدالة عليه.

3-المصطلحات المرادفة لعلم لسانيات النص:

ما دامت عملية تحديد المصطلح تمثل أول مظهر من مظاهر اكتمال العلوم واستقلالها، وتكامل رصيدها، فمن الضروري بمكان تحديد مصطلح معين لهذا العلم، فالعلماء النصيون الغربيون لم يتفقوا على تحديد مصطلح لهذا العلم، بل استعملوا أكثر من مصطلح، فمنهم من عبّر عنه بـ"لسانيات النص Text linguistics"، أو "نحو النص Text Grammar"، ومنهم من أطلق عليه "علم النص Science Text"، مثل هارفيج، في حين استعمل دريسلر "علم دلالة النص Semantics Text"، أما سوينسكي، فيستعمل "نحو النص، علم اللغة النص Text

(1) -إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية رويبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، ص49.

(*)-انظر: سعد مصلوح، من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن كتاب: الأستاذ عبد السلام هارون معلما ومؤلفا محققا (مجموعة بحوث مهداة إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذكره الثانية)، تحري: ودیعة طع النجم وعبد بدوي، جامعة الكويت، كلية الآداب، 1410هـ-1990م، ص406.

(2) -المرجع نفسه، ص ن.

Linguistics، ونظرية النص "Theory of text"⁽¹⁾.

وكذلك هو الحال في اللغة العربية، والتي ترجع دائما إلى الاختلاف في عملية الترجمة، فمن لسانيات النص Text Grammar، إلى علم النص Text Science إلى تحليل الخطاب⁽²⁾.

أما الأزهر الزناد فإنه لا يرى فرقا بين لسانيات النص ونحو النص، إذا أخذ ذلك بمعنى النحو الواسع الذي يشمل في معناه كل القوانين التي تحكم نظاما ما⁽³⁾.

والذي يظهر أن نحو النص يرتبط بعلم اللغة النصي ارتباط جزء بكل، بل يكاد يكون نحو النص أهم مقولة في علم اللغة النصي مما يجعلهما أحيانا يتمايهان عند أغلب الباحثين⁽⁴⁾.

إن الذي يفهم من هذا المصطلحات، هو أن علم النص أشمل من لسانيات النص وعلم لغة النص ونحو النص، لأنه لا يقتصر على نوع واحد من التحليل بل يتجاوز إلى أشكال أخرى من النصوص "إعلانات، مقالات صحفية، إشارات"، وكل منتج ثقافي يتشكل في هيئة نص، وكذلك لأن التحليل اللغوي اتجه إلى النص وأصبح المحور الأساسي اللغوي في وقتنا الحاضر، ولذلك جاء تغيير المنهج والأهداف أحد العوامل الرئيسية لضرورة الحاجة إلى نحو النص.

وهناك من يفرق بين هذه المصطلحات على أساس اختلاف اللغة، فمثلا الفرنسية تفضل علم النص Science du text، واللغة الانجليزية تفضل تحليل الخطاب Discourse Analysis⁽⁵⁾.

والبعض الآخر يفرق بينهما على أساس تنوع المادة اللغوية، فتحليل الخطاب يرتبط باللغة المنطوقة، ومجال اختصاصه هو المشافهة، في حين علم النص فيرتبط باللغة المكتوبة، كما يذهب إلى ذلك ديفيد كريستال، وإن كان يرى بعد ذلك أن التحليل سواء أكان نصًا، أم خطابًا، فهو يشمل اللغة المنطوقة والمكتوبة مع تحديد الوظيفة التواصلية⁽⁶⁾.

(1) - نعمان بوقرة، نحو النص ومبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة، ص 20.

(2) - جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص: دراسة لسانية نصية، ص 22. وينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 10-16. وينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ص 75-79.

(3) - الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا، ص 18.

(4) - جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص: دراسة لسانية نصية، ص 23.

(5) - فان ديك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص 14.

(6) - جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص: دراسة لسانية نصية، ص 23.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

والرأي الشائع كما يرى فان ديك، أن علم لسانيات النص/ علم اللغة النصي، يدرس النصوص المكتوبة والمنطوقة على حدّ سواء، وإن ظلت كلمة ألصق بالمطبوع والكتابة⁽¹⁾.

وذلك لشيوع كلمة نص في الدراسة النقدية بعمومها، وقد يرجع ذلك إلى تعدد النصوص، واختلافها، فالمكتوب نص، واللوحه الإشهارية نص، والموائد المستديرة تناقش مختلف القضايا نصوص... الخ.

أما عن الباحثين العرب فقد اختلفوا في المصطلح الدال على هذا العلم، فاستعملوا (علم النص عند: علي خليل محمد وسعيد حسن بحيري، وإلهام أبو غزالة، وصلاح فضل وجميل عبد الحميد)، واستعمل (علم اللغة النصي عند: صبحي إبراهيم الفقي، وفالح بن شبيب)، و(لسانيات النص عند: محمد خطابي، وأحمد مداس)، و(نحو النص عند: إبراهيم خليل وأحمد عفيفي، وأحمد محمد عبد الراضي).

وقد لوحظ أن المغاربة مثل: محمد خطابي، وبشير إبرير، ونعمان بوقرة، فيستعملون مصطلح لسانيات النص، كتعبير منهم على الدراسة العلمية اللغوية للنصوص.

أما مسوّغات اختيار مصطلح دون آخر عند الباحثين:

-إطلاق مصطلح (نحو النص) فيه تقييد، لأنّ مجال نحو النص يقتصر على الكشف عن الوسائل النحوية المتحققة نصيًّا⁽²⁾.

-مصطلح (علم النص) أوسع المصطلحات موضوعا، إذ إنّهُ يدرس النص من جوانب متعددة، بعضها لغوي، وكثير منها غير لغوي⁽³⁾.

وقد يستعلم مصطلح (لسانيات النص) للدلالة الأقرب إلى هذا العلم، على أساس أن كلمة (لسان) قد وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وتدل على اللغة الإنسانية.

أضف إلى ذلك أن فردينان ديسوسير قد فرق بين اللسان واللغة، بحيث رأى أن اللسان جزء جوهري، واللغة جزء محدد منه، على اعتبار أن اللسان هو الأساس عنده في النظام اللغوي.

(1) -منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ص143-144.

(2) -زنتسيسلاف واورزنيك، مدخل إلى علم النص: مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، ط01، مؤسسة المختار، القاهرة، 1424هـ_2003م، ص69.

(3) -فان ديك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص23 وما بعدها.

4-وظيفة لسانيات النص:

يرى صبحي إبراهيم الفقي، أنه لما بدأت معالم لسانيات النص تتضح، ذهب الكثير من العلماء اللغويين، إلى الحديث عن وظيفتها، كما أنه رأى التكرار الواضح في بيان هذه الوظيفة، سواء أكان من علماء الغرب، أم من علماء العرب، إلا أنه رأى أن يوفق بين مختلف الآراء، وانحصرت الوظيفة في أمرين أساسيين:

أ-الوصف النصي

ب-التحليل النصي.

إنّ المنطلق في تحديد هاتين الوظيفتين، هو أنه لا يمكن البداية بالتحليل دون الوصف، فيجب إذن توضيح مكونات النص ابتداء من الجملة الأولى، ثم بيان الموضوعات التي تناولها النص، وإدراج الدراسة الإحصائية تحت إطار الوصف من حيث بيان الروابط الموجودة بالنص، حتى نصل إلى بيان وظيفة هذه الروابط، حينئذ يبدأ التحليل النصي⁽¹⁾.

ثم يوضح أن التحليل يعتمد على⁽²⁾:

1-الروابط الموجودة بين أشتات النص الداخلية:

2-ثم يتعدّد ذلك إلى الروابط الخارجية، ومن ثمّ يبرز دور التحليل النصي في بيان وظيفة السياق، في تفسير أبعاد النص التي قد تبدو متنافرة، فيقرب السياق بينها لتظهر جلية متجاذبة.

وقد حاول صبحي إبراهيم الفقي ترتيب خطوات هذا الأداء بما يأتي⁽³⁾:

1-إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل.

2-التحليل بإبراز دور هذه الروابط في تحقيق التماسك النصي، مع العناية بالسياق والتواصل.

وهذه المحاولة هي إحدى المحاولات الرّامية إلى وضع منهاج علمي يحدد العلاقات النحوية في النص، ويدرس الترتيب والتنظيم الداخلي مع التنبيه إلى أهم الروابط التي تسهل على كل من المبدع والقارئ إدراك التماسك النصي الداخلي، وربطه بالمستوى التداولي.

أما صلاح فضل فيرى أنه يجب ربط الوظيفتين اللتين تكلم عنهما صبحي إبراهيم الفقي

(1) -صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص55.

(2) -المرجع نفسه، ج01، ص ن.

(3) -المرجع نفسه، ج01، ص56.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

بالتواصل، وهذا يعني عدم إغفال دور القارئ أو المتلقي، أثناء عملية التفكيك، أي القراءة للنص⁽¹⁾.

إن لسانيات النص تُعنى بكيفية فهم النص وتأويله، وكيفية تخزين المعلومات النصية في الذاكرة، وكيف يربط المتلقي بين قضايا النص، وتأثير الوضعية الاجتماعية والتاريخية والثقافية في النص وغيرها⁽²⁾.

وتبحث لسانيات النص عن كيف ارتبط الأول بالآخر، أو الآخر بالأول؟ وما هو الرابط بين كلمات النص وجمله وفقراته؟ فتربط الجمل بعضها مع بعضها الآخر وتجاورها في بنية النص الواحد يجعلها «مسؤولة عن تكوين سياق نصي معين يساعد على تفسير التراكيب داخل النص، وكل جملة في النص لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأحواتها في النص»⁽³⁾.

ويرى فان ديك أن وظيفة لسانيات النص، هي دراسة نحو النص، وذلك ضمن منهجه العام القائم على شرح معايير بناء النص، وجوانب الاستعمال اللغوي، لا سيما إنتاج النص، عن طريق قواعد وشروط وأهداف تغيّر علم اللغة العام⁽⁴⁾.

ومن مهام لسانيات النص الأخرى عند فان ديك، أنها تُمكن من صياغة القواعد التي تمكّننا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما⁽⁵⁾.

وكذلك دي بوجراند فقد توقع أن تؤثر مساهمات لسانيات النص في دراسات الترجمة، لأنها أمر من أمور الأداء التي عجزت اللسانيات التقليدية عن تقديم ما يساعدها في الترجمة الآلية⁽⁶⁾.

هذه أهم الوظائف التي رآها بعض علماء لسانيات النص، والتي رأوا من خلالها أنها تسهم في العملية التحليلية، وتربط بين منتج النص وقراءه، أو المنتج الثاني للنص.

وعليه فإن مهمة لسانيات النص هي وصف الأبنية الداخلية والخارجية للنص.

(1) -صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص241.

(2) -نوال الخلف، الانسجام في القرآن الكريم: سورة النور أمودجا (أطروحة دكتوراه)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص31.

(3) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص97.

(4) -المرجع نفسه، ص31-32.

(5) -فان ديك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص20.

(6) -روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص276.

5- أهمية لسانيات النص:

تسعى لسانيات النص إلى تحليل البنى النصية واستكشاف العلاقات النسقية المفضية إلى اتساق النصوص وانسجامها، والكشف عن أغراضها التداولية، إذ يرى صبحي إبراهيم الفقي أن مهام لسانيات النص تتجلى في إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل ويتحقق هذا الأخير بإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التماسك النصي مع الاهتمام بالسياق وأنظمة التواصل المختلفة⁽¹⁾.

فمن أهم ملامح لسانيات النص دراسة الروابط مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة، وهذا بالاتساق الذي يتضح في تلك النظرة، الكلية للنص، برصد وسائل الترابط العميق بين الوحدات الجزئية، دون فصل بين هذه الأجزاء.

فلسانيات النص تراعي في وصفها وتحليلاتها عناصر لم توضع في الاعتبار من قبل، وتلجأ في تفسيراتها إلى قواعد تركيبية⁽²⁾، وقواعد دلالية ومنطقية، بحيث تسعى إلى تحقيق هدف يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النص، إذ لم يعد الاهتمام مقتصرًا على الأبعاد التركيبية للعناصر اللغوية في انفرادها وتركيبها، بل لزم أن تتدخل معها الأبعاد الدلالية والتداولية، حتى يمكن أن تفرز نظامًا من القيم والوظائف التي تشكل جوهر اللغة، إذ ليس من المجدي الاهتمام بالوصف الظاهري للمفردات، وأبنية تتضمن في أعماقها دلالات متراكمة نشأت عن استخدامها وتوظيفها في سياقات ومقامات متعدّدة.

ويرى دي بوجراند أن أهمية لسانيات النص، تكمن في دراسة مفهوم النصية (Textuality)، من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص⁽³⁾.

وهكذا يكون تميز لسانيات النص في اتساع مجال الرؤية، بأنها تنطلق من دلالات عامة تتجاوز الجمل إلى وحدات نصية كبرى، لأنّ هدفها تحديد الوسائل التي مكنت من ربط الجمل، والوصول إلى وحدة النص.

إذن لسانيات النص جاءت لتثبت نصية نص ما من عدمها، إذ تفيدها في التفريق بين ما

(1) - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص56.

(2) - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص135.

(3) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص95.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

هو نص يعتمد في الدراسة والوصف والتحليل، وما هو ليس بنص، فهي بمثابة غربال يكشف به ترابط النص في وحدة علائقية، تلتحم أجزاؤه لتشكّل لنا وحدة كلية شاملة، أو يبين لنا عدم الترابط والاتحام بين هذه الأجزاء والوحدات.

هذا فيما يخص أهداف لسانيات في معالجتها للنصوص، وربطها بالمتلقي، أما عن أهميتها فقد أجرى دي بوجراند مقارنة بين الجملة والنص، أبرز فيها مميزات النص، مما يؤكد ضرورة الاتجاه إلى النص بدلا من الجملة⁽¹⁾.

فالجملة لا تقدم سوى الضئيل بالنسبة لما يقدمه النص؛ فما الجملة إلا جزء صغير بالقياس للنص، وما يقدمه النص يمثل المعنى الكلي، على حين الذي تقدمه الجملة يمثل جزءا فقط من المعنى العام، مع الأخذ في الاعتبار، أن هذا لا يجعلنا نطرح الجملة خلفا، بل العكس هو الصحيح؛ لأنه كما يمثل الحرف نواة الكلمة، والكلمة نواة الجملة، فكذلك الجملة تمثل نواة النص؛ فالنص عبارة عن متتاليات من الجمل في الأغلب، بصرف النظر عن كونه جملة واحدة أو كلمة واحدة.

فالنحو على مستوى الجملة لا يقدم العلاقات بين الجمل بصورة كافية، كما يقدمها علم لسانيات النص، وكذلك فالجملة تمثل الدلالة الجزئية لا الكلية، إضافة إلى أن الجملة المجردة عن السياق لا تقدم شيئا سوى معانٍ معجمية للكلمات الموجودة في الجملة، على حين الوحدة النصية في الغالب في وجود السياق، تقدم الدلالة الكاملة.

ولهذه الأهمية نجد أن النداءات انطلقت تنادي بضرورة الخروج من بوتقة التحليل على مستوى الجملة إلى التحليل على مستوى أكبر هو التحليل على مستوى النص، وذلك انطلاقا من إحساس اللغوي أن نحو الجملة لم يعد كافيا لإشباع حاجته.

وهذا السبب في دعوة هاليداي ورقية حسن إلى أن «فهم اللغة يكمن في دراسة النصوص»⁽²⁾.

وهذه دعوة صريحة إلى ضرورة تجاوز الجملة، والبحث عن محو للعملية اللغوية، حيث مثله في النص، ولا يتأتى هذا إلا بوسائل تكون قادرة عن الكشف على الأبنية الداخلية للعملية

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 88 وما بعدها.

(2) - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج 1، ص 50.

الفصل الأول:النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم)

التواصلية، ثم إنّ عوامل ساعدت على توسيع الدراسات النصية تمثلت في الاتصال بين علم النحو وعلم البلاغة، وعلم النقد وعلم الشعر أيضاً، الذي يشكل وحدة عضوية وموضوعية في أحيان كثيرة، والنص كذلك تتمثله هذه الوحدة.

وعليه فإنّ النص نسيج تنتظم فيه الحروف والجمل، وتترابط وتتماسك في قطعة نصية واحدة، ونستخلص من علاقته بالخطاب والجملة والسياق ما يأتي:

— يمثّل النص المظهر الشكلي للخطاب، أي المظهر النحوي، بينما يُعنى الخطاب بالممارسة الاجتماعية الفعلية للنص.

— إنّ النظريات اللسانية التي جعلت من الجملة محور الدراسة اللسانية، قد غيّبت النص وأغفلت الطرائق الإجرائية في بيان الحدود الفاصلة بين الجمل المكونة للنص.

— يتفق القدماء والمعاصرون من علماء اللغة على أن السياق هو الأساس في عملية تحديد المعنى، وفهم دلالات الألفاظ والتراكيب والنصوص.

الفصل الثاني: التماسك النصي من منظور لسانيات النص.

_أولا: المعايير النصية.

_ثانيا: التماسك النصي في التراث العربي.

_ثالثا: التماسك النصي في درس اللساني

الحديث.

تعددت - كما رأينا- النظريات اللسانية التي تهتم بمعالجة النص، وتنظر إلى الجملة نظرة قصور وجب تجاوزها، وكان للمدرسة الأنجلو أمريكية فضل السبق في ذلك، حيث يمثل مقال: "تحليل الخطاب" لهاريس سنة 1952م، إرهاصا ماديا لظهور هذا العلم، الذي عرف ازدهارا، وتطورا بداية من السبعينيات من خلال جهود دريسلر سنة 1977م، وبيتوفي ورايزر، وغيرهم.

ومن المهتمين بحقل لسانيات النص في المدرسة الأنجلو أمريكية نجد أيضا روبرت دي بوجراند، الذي استطاع أن يقدم نظرية منسجمة في لسانيات النص، يمكن الاطلاع على بعض جوانبها في كتابه: النص والخطاب والإجراء، الصادر سنة 1980م، حيث كان الغرض منه النظر إلى النص من زوايا مختلفة، بداية من الرصف إلى المفاهيم، إلى تطبيق نتائج الدراسة على المحادثة والقصص، وصور الإنتاج النصي الأخرى، قصد الاستفادة من هذا العلم أثناء الترجمة، وتعلم اللغات⁽¹⁾.

أولا- المعايير النصية:

اقترح روبرت ديوجراند سبعة معايير تجعل النص نصًا، أو تفقده نصيته إذا ما غاب عنصر منها، بمعنى أن هذه المعايير تخدم بعضها البعض، وقبل الحديث عنها، نعرض لمفهوم النصانية، لنتعرف فيما بعد على دور المعايير السبعة المساهمة فيها.

1- مفهوم النصانية:

يرى روبرت دي بوجراند، أن الكتاب الذي نشره سنة 1967م مع دريسلر بعنوان "مقدمة في علم النص"، كان باكورة البحوث التي تناولت مفهوم النصانية بالنقد والتحليل والدراسة، بحيث رأى دي بوجراند أيضا أن هذا الاتجاه يقصر عن الرؤية التي بدأت معالمها تتضح خلال الثمانينات، وهي رؤية لا تميل إلى اعتبار النصوص وحدات تكبر حجمها عن الجمل، بينما تحتفظ بنفس خصائصها، ذلك أن النص يتميز عند دي بوجراند بقيمته الاتصالية⁽²⁾.

وهذا بغض النظر عن القيمة الاتصالية للجملة، التي يمكن لها هي أيضا أن تكون نصا.

ويرى دي بوجراند أن الدراسات النصانية مرت بثلاث مراحل رئيسية هي⁽³⁾:

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص6.

(2) - يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، ط01، دار الأمان، القاهرة، مصر، 1414هـ-1994م، ص91.

(3) - المرجع نفسه، ص92.

-المرحلة الأولى: انتهت بحلول الستينات، ولم تكن ذات أثر يذكر على تيار ألسنية الجملة الغالب، ومن رواد هذه المرحلة (انجاردن) و(بوهلر) و(هيلمسليف) وغيرهم.

-المرحلة الثانية: بدأت في نهاية الستينات (1968م)، حين بدأ بعض العلماء مثل (رقية حسن) و(إيزنبرج)، يعملون بشكل منفرد في مجال الدراسات التي تتجاوز مستوى الجملة، إلا أنّ اتجاه هؤلاء لم يحرز أثراً حاسماً لكونه نظر إلى النصوص على أنّها تتابعات لمجموعات من الجمل.

-المرحلة الثالثة: بدأت سنة 1972م، ومن روادها (فان ديك)، و(دي بوجراند) و(دريسلر)، وقد حاولوا إيجاد نظرية بديلة، تحل محل النظريات الألسنية السائدة، والتي ثبت عدم قدرتها على الصمود في وجه التساؤلات الأساسية التي تستحوها الدراسات اللغوية المتكاملة. ما يلاحظ على هذه الاتجاهات أنّها شهدت تطورات بداية من اهتمامها بلسانيات الجملة، وانتهاء بلسانيات ما وراء الجملة.

2-الفرق بين لسانيات النص ولسانيات الجملة عند روبرت دي بوجراند:

لقد كانت الجملة ولعصور طويلة الوحدة الأساسية للغة، وهي محور الدراسة اللسانية، وقد اتجه دي بوجراند مباشرة إلى تحليل النصوص بصفتها تعبيراً عن اللغات الطبيعية التي تحتوي في داخلها على مستويات مختلفة، وقد تصاغ في شكل جمل، أو في غير ذلك، والمهم أن تحمل خصائص النسانية التي أجملها دي بوجراند فيمياً⁽¹⁾:

-يعتبر النص نظاماً حقيقياً بسبب كونه وسيلة عملية للاتصال، بينما تعتبر الجملة مجرد نظام عرفي اعتباري، لأنها من الممكن أن تنشأ بغير غرض الاتصال.

-يمكن عند تكوين النصوص تجاوز كثير من العقبات النحوية، والتركيبات غير الضرورية التي يمكن أن تستخلص من السياق دون حاجة إلى ذكرها في النص، ويبدو في ضوء ذلك أن النحو لا يعتبر قانوناً ينظم الكلام، بل هو في كثير من الأحيان يشكل عقبة يجب تجاوزها بكثير من الأساليب النسانية.

يخضع التفريق بين ما هو نص، وما هو غير نص إلى مبدأ القبول، الذي يلعب فيه السياق دوراً حاسماً وكبيراً.

(1) -يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، ص 99-100.

- لا بد للنص أن يتوافق مع الموقف، لأنّ هذا الأخير هو الذي يحدد نوعية الاستراتيجيات الفعّالة، ومن جهة أخرى يساعد على وجود السياق الذي به يخدم النص غرضه الاتصالي.

- النص ليس نتاجا للرموز والمورفيمات، لأنّه علاقة بين منشئ النص والمتلقي.

- النص تتابع لحالات مختلفة عاطفية واجتماعية واقتصادية، ويخضع لضوابط تجعل عملية التغيير والتحول في داخله ممكنة.

- يرى دي بوجراند أن الأعراف الاجتماعية تجد طريقها إلى التطبيق المباشر على النصوص أكثر من تطبيقها على الجمل.

- يرى دي بوجراند أنّه إذا كان مستخدم اللغة يحتاج إلى معرفة القواعد لتكوين الجمل، فإنّ النصوص تحتاج إلى التناص لأجل إنشائها وفهمها.

- إن مهمة النص هي خلق بيئة اتصالية، وليس تبرير الكيفية التي تستخدم بها القواعد اللغوية، كما هو الشأن في اللغويات التي تستند على الجملة، ويعني ذلك أن لسانيات النص لا تستهدف وضع قوانين مجردة تولد بها النصوص، كما تولد الجمل.

- إن النجاح الذي حققته لسانيات الجملة حسب روبرت دي بوجراند، استند على استبعاد النماذج غير الملائمة، ويعتمد بنجاح لسانيات النص على تنوع النصوص المشتملة على ألوان تعبير مختلفة في مختلف القطاعات مثل: الصحافة والإعلان، والعلم والأدب، ونحو ذلك.

- تهدف لسانيات النص إلى التركيز على دراسة مبدأ النصّانية وليس إيجاد النحو الذي يفرق بين ما هو نص، وما هو غير نص.

- يرى دي بوجراند أن ينظر إلى علم لسانيات النص على أنّه علم يجمع بين علوم مختلفة، اجتماعية وسيكولوجية وحاسوبية، ولا يمكن أن ينظر إليه من منظور اللسانيات التقليدية.

هذه هي أهم الفروق بين لسانيات النص ولسانيات الجملة عند روبرت دي بوجراند، والتي من خلالها فهمنا منهج ونظرة دي بوجراند إلى النص، الذي يرى أن مبدأ النصية إنما يتحقق من الخاصية الاتصالية، بين أطراف عملية التواصل.

وتعتبر نظرة روبرت دي بوجراند نظرة حديثة مقارنة مع سابقه، الذين ركزوا على التابع الجملي والدلالة والمعنى، في حين هو وضع مجموعة من الإجراءات المنهجية التي تتحقق بها النصّانية، حيث ربطها بالمفهوم، ويقول في هذا الشأن: «وأنا اقترح المعايير التالية لجعل النصية

أساسا مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها، وهي: السبك، والالتحام، والقصد، والقبول، ورعاية الموقف، والتناص، والإعلامية»⁽¹⁾.

وبذلك يكون دي بوجراند قد ربط مفهوم النص بالأسس التي يعتمد عليها.

إن ما ذهب إليه دي بوجراند قد وجد صدى وقبولاً لدى فئة غير قليلة من الباحثين على غرار سعد مصلوح الذي يقول: «وقد آثرنا هنا أن نعلم تعريف روبرت ألان دي بوجراند، وولفجانج أولرخ دريسلر لمفهوم النص من حيث إنه: حدث تواصل يلزم لكونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي: السبك، والحبك، والقصد، والقبول، والإعلام، والمقامية، والتناص، ويمكن تصنيف هذه المعايير السبعة في:

أ- ما يتصل بالنص في ذاته، وهما معيار السبك والحبك.

ب- ما يتصل بمستعملي النص، سواء أكان المستعمل منتجاً أم متلقياً، وذلك معيارا: القصد والقبول.

ج- ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص، وذلك معيار الإعلام والمقامية والتناص»⁽²⁾.

ومن الباحثين الذين أعجبوا بتعريف دي بوجراند ودريسلر أيضاً نجد سعيد حسن بحيري، الذي يقول: «وقد عرفنا النصّ -استناداً إلى هذه المعايير- بأنه: حدث اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت سبعة معايير، وهي الربط والتماسك والقصدية والمقبولية والإخبارية والموقفية والتناص»⁽³⁾.

وأحمد عفيفي، الذي يقول: «قبل أن نتكلم عن تلك الصفات التي يستقل بها نحو النص سوف نعطي صورة لتلك المبادئ أو المعايير التي تحكم النص بالنصية أو ما به يكون الكلام نصّاً، فقد قدّم دي بوجراند، وفولفجانج دريسلر تلك المعايير السبعة عندما قالوا عن النص: إنه حدث اتصالي يلزم لكونه نصّاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وهي: السبك (الربط)، الحبك (التماسك)، والقصد، والقبول،

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 103-105.

(2) - سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، ص 225-226.

(3) - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 146.

والإعلام... والمقامية، والتناص»⁽¹⁾.

وصبحي إبراهيم الفقي الذي يشير إلى تعريف دي بوجرانودريسلي، الذي نقله كل من سعد مصلوح، وسعيد حسن بحيري، بعد عرض المعايير السبعة، يقول: «فهذه المعايير تركز على طبيعة كل من النص ومستعمليه (المتحدث والمتلقي)، والسياق لمحيط بالنص والمحدثين»⁽²⁾.

وقد وضح دي بوجرانودريسلي المقصود من هذه المعايير؛ فالسبك يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، والالتحام-الحبك- يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة؛ لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على:

أ-العناصر المنطقية: كالسببية والعموم، والخصوص.

ب-معلومات عن تنظيم الأحداث، والأعمال، والموضوعات والمواقف.

ج-السعي إلى التمسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية.

والقصد يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون النص صورة ما من صور اللغة، ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتماسك.

ورعاية الموقف تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه.

والتناص يتضمن العلاقات بين نص ما، ونصوص أخرى مرتبطة به في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة.

والإعلامية هي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة⁽³⁾.

ثم لفت بوجرانودريسلي إلى أنّ «من هذه المعايير السبعة معيارين تبدو لهما صلة وثيقة بالنص، وهما السبك والالتحام، واثنين نفسيين بصورة واضحة، وهما رعاية الموقف والتناص، أما المعيار الأخير، وهو الإعلامية فهو بحسب التقدير»⁽⁴⁾.

(1) -أحمد عفيفي نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص75-76.

(2) -صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص33-34.

(3) -روبيرت دي بوجرانودريسلي، النص والخطاب والإجراء، ص103-105.

(4) -المرجع نفسه، ص106.

وهذا التصنيف كما يرى أحمد عفيفي، يدخل في حساباته بدقة شديدة النص، وكل ما يتصل به من ظروف محيطية كالمنتج، والمتلقي، والسياق المقامي التواصلية، والإعلامية، والتناس، وإن كان يرى أن المعيار الأخير: _التناس_ يدخل ضمن إطار ما يتصل بالنص، وسياقه مرتبطين معا، لا كما صنف من قبل، ولا كما صنفه روبيرت دي بوجراند، حيث صنفه هو والمقامية ورعاية الموقف ضمن عوامل نفسية⁽¹⁾.

وصنف سعد مصلوح معيار التناس تحت السياق حيث قال: «ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص؛ وذلك معايير الإعلام والمقامية والتناس»⁽²⁾.

ووضع صبحي إبراهيم الفقي شروط النص الكامل وسماته، وأطلق عليها المعايير، وذلك في معرض حديثه عن المعاني اللغوية لكلمة نص، وأن هذه المفاهيم لا تخرج عن أحد المعايير الآتية، التي إذا اختلت سمة منها يصبح النص ناقصا:

- كون النص منطوقا أو مكتوبا، أو كليهما، ومراعاة جوانب الدلالة، والتحديد الحجمي (طول النص)، والتداولية، والسياق، والتماسك، والجانب الوظيفي للنص، والتواصل بين المنتج والمتلقي، والربط بينه وبين مفاهيم تحويلية، مثل: الكفاءة والأداء، وغيرهما، وإبراز كونه مقيدا⁽³⁾.
تلقتي هذه المعايير التي وضعها صبحي إبراهيم الفقي، مع معايير دي بوجراند ودريسler، في كثير من النقاط، وقد تكون شارحة وموضحة لما ذكره روبيرت دي بوجراند.

وقد أشار تمام حسان إلى أن معياري السبك والحبك، يطلق عليهما (الالتحام)، وهما أشد المعايير اتصالا بالنص، لأنّ السبك هو الترابط الرصفي، بمعنى أنّه يمثل الجانب اللغوي للنص، بما يشتمل عليه من علاقات وروابط بين أجزائه، وأنّ الحبك أو الالتحام هو معيار الترابط المفهومي أو الدلالي، وهذان المعياران لا يختص بهما نحو النص، وإنما يشاركه فيهما نحو الجملة، وأما المعايير الخمسة الأخرى، وهي: القصد والتناس، ورعاية الموقف (المقامية)، والإعلامية، والقبول، فهي خاصة بنحو النص⁽⁴⁾.

(1) - أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص76.

(2) - سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، ص226.

(3) - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص28-29.

(4) - روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص8. وينظر: أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص77.

ووضح أحمد عفيفي العلاقة بين هذه المعايير، ونحو النص «حيث يتصل بعضها بالأسلوبية، وهو التناص، وبعضها بالبلاغة، وهو المقامية والإعلام، وبعضها بمنتج النص ومتلقيه، وهو القصد والقبول، وذلك يوضح لنا أن نحو النص نحو هجين، يتكون من مجموعة من الفروع اللغوية والأدبية والنقدية والنفسية... الخ»⁽¹⁾.

وقد ذكرنا سابقا أن معياري السبك والحبك يتصلان بالنص ذاته، لأنّ بنية النص كما يقول برينكر تعرض على مستويين، يرتبط كل منهما ارتباطا وثيقا: المستوى النحوي، والمستوى الموضوعي، وعلى مستوى الوصف النحوي ندرس التماسك النحوي، أي العلاقات النحوية بين الجمل المتعاقبة في نص ما، ومن بين الوسائل اللغوية المختلفة التي تقيم هذه العلاقات تعزى إلى مبدأ الإعادة أهمية خاصة لتكوين تماسك النص، وعلى المستوى الموضوعي يتعلق الأمر بتحليل الربط الإدراكي الذي ينشؤه النص بين الأحوال والمضامين الجمالية، والقضايا المعبر عنها في الجمل⁽²⁾.

وهذان المستويان هما اللذان عبّر عنهما دي بوجراند بمعياري السبك والحبك، وإذا كان تمام حسان قد بيّن أن المعايير الخمسة الأخرى، وهي: القصد، والتناص ورعاية الموقف (المقامية)، والإعلامية، والقبول، تختص بنحو النص ولا تعني نحو الجملة في شيء، فإنّ هذا الأمر يحتاج إلى إعادة نظر ومناقشة، لأنّ التحليل اللغوي على مستوى الجملة لا يخلو من هذه المعايير، وخاصة عند البلاغيين الذين ربطوا بين التراكيب، ودلالاتها، كما ربطوا أيضا بينها وبين المقام والسياق، ولذا علّق أحمد عفيفي في الهامش على ما بيّنه تمام حسان من اختصاص هذه المعايير الخمسة بنحو النص، فقال: «بعض هذه المعايير التي أشير إليها على أنها تخص نحو النص تحتاج إلى مناقشة، وسوف يأتي الحديث عن ذلك بإيجاز، عند الحديث عن المقامية (رعاية الموقف)، والإعلامية والمقبولية»⁽³⁾.

ومن ثمّ يصبح التعبير نصّا متى توافر فيه شيء من هذه المعايير، بغض النظر عن طوله أو قصره، ولو كان جملة واحدة.

(1) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص77.

(2) -كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص21.

(3) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص77.

3- الأنماط النصية:

وتمثل معايير للنص وطرائق ينظر بها إليه على أساس أنه وحدة مستقلة في ذاتها، وتحدد ابتداءً ماذا يشكل نص ما، ونتجت هذه المعايير عن سؤال؛ ما الذي يجعل تتابعا جمليا نصًا؟ وما الشروط التي يجب أن تقدم في تكوين النص؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة يمكن أن يتحدث عن النص، ويمكن أن يفصل ذلك النص عن تتابعا تجملية عارضة يجب أن توصف بأنها ليست نصوصاً⁽¹⁾.

ولقد تباين الباحثون النصيون بعضهم عن بعضهم الآخر في التصورات والإجراءات التي يعتمدونها في التمييز بين النص واللانص، أو السمات الكافية لإطلاق اسم النص على مقارنة ما. ويعتبر مفهوم النصانية أهم المقومات التي يقوم عليها علم النص، بل هو المفهوم الذي يبرز أساسا وجود هذا العلم كعلم مستقل، إذ يرى روبرت دي بوجراند أن مفهوم النظام لا يقتصر فقط على المستويات المختلفة في اللغة بصفة عامة، بل على النصوص أيضا بصفاتها نُظما حقيقية، يتم إنشاؤها من خلال عمليات الاختيار والمفاضلة، واتخاذ القرارات بحسب ما أوضحه (هارتمان)، وقد أوضحنا الفرق بين هذا النوع من النظم والنظم العرفية مثل النحو التي لا يشترط أن تستخدم استخداما فعليا، وعلى الرغم من وجود كثير من التيارات القرائية الحديثة التي تتعامل مع النص وكأنه وجود غير قائم، فإن (دي بوجراند) يرى أن كثيرا من المشاكل التي تتعلق بالغموض واحتمالات التفسير، إنما تتحكم فيها العناصر العرفية الداخلة في نظام النص⁽²⁾.

ويرى دي بوجراند أن محاولات هاريس والتحويليين في إيجاد قواعد عرفية لإنشاء النصوص آلت جميعها إلى الفشل، لأنها لم تستطع أن تضع معيارا ثابتا للكيفية التي يتصرف بها الناس في إنشاء النصوص، ولأنها لم تستطع أن تحدد موقفا ثابتا ومحددا وواضحا من النصوص غير النحوية، ومن اختلاف الأساليب في داخل النصوص، لذلك اقترح دي بوجراند بعض المبادئ العامة، التي تصلح أساسا للنصانية دون أن تكتسب هذه المبادئ صفة القوانين الصارمة، أي هي مجرد مؤشرات مهمة في إنشاء النصوص⁽³⁾.

وقد انطلق دي بوجراند ودريسيلر من عجز الدراسات اللسانية السابقة في كشف نماذج

(1) - كريستين آدمستيك، لسانيات النص: عرض تأسيسي، ص 55.

(2) - يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، ص 101.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

مقبولة للنشاط الإنساني، وعدم صلاحية هذه الدراسات من الناحية العلمية لأية مجموعة من النصوص، وانعدام النظرة الواقعية فيها لقضايا مثل: النصوص الإعلامية والتفاعل الاتصالي، فقد اقترحا معايير النصية أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها، وهي:

3-1- السبك (Cohésion): ويرد بمصطلحات مختلفة منها:-التناسق أو الربط الرصفي أو التضام، أو الربط النحوي (السبك/الاتساق)، أو النظام والربط، ويختص بكيفية اتصال عناصر النص السطحي، أي الكلمات التي نسمعها، أو نراها عندما تتابع بشكل سطري (أفقي)، يقول دي بوجراند:«وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط، ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة المشتركة والحذف والروابط»⁽¹⁾.

وتقول إلهام أبو غزالة عن السبك:«وموضوعه ما يقوم بين مكونات ظاهر النص، أو الكلمات الفعلية التي نسمعها أو نبصرها، من ترابط متبادل، ضمن تنال لغوي معين، وتعتمد مكونات ظاهرة النص بعضها على بعض، وفقا للأعراف والأشكال القائمة في علم القواعد، أي أن التضام يعتمد على التبعيات القواعدية، وكما أشار اللغويون في كثير من الأحيان فإنه لا مندوحة عن وقوع اختلال عن القيام بإعادة ترتيب جذرية للتاليات اللغوية في لغة ما»⁽²⁾.

وقد مثل دي بوجراند لنحو التبعية، وهو النحو المتبع في النصوص لإيضاح تماسكها بالمثل الآتي:

جاء في إشارة تحذير للسائقين على الطرق السريعة الإعلان الآتي: (تمهّل... الأطفال يلعبون).

إن السائق عندما يقرأ هذا التحذير سيفهم أنه يمر بمنطقة يلعب فيها الأطفال، لذا يُطلب منه أن يقلل من سرعته، حتى يتفادى تهديد هؤلاء اللاعبين من الأطفال.

والذي يساعد القارئ على ملء هذا الفراغ هو تماسك النص، فلا بد من قيام التفاعل بين التضام ومعايير النصية الأخرى، من أجل تحقيق جودة الاتصال.

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 103.

(2) - إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند ولفجانج دريسلر، ص 25.

وقد يعني هذا المعيار أيضا بحسب سعد مصلوح بأنه: «يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص، ويعني بظاهر النص: الأحداث اللغوية التي نطق بها، أو نسمعها في تعاقبها الزمني، التي نخطها أو نراها... وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصًا إلا إذا تحققت لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكيونوته، واستمراريته»⁽¹⁾.

إن معيار السبك لا يختص بنحو النص، وإنما لا بد منه على مستوى الجملة، لأنه يتعلق بمجموعة الروابط التي تربط بين أجزاء الجملة، وأجزاء النص، فهو معيار يهتم بظاهر النص، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي⁽²⁾ أما وسائله، فيجمعها مصطلح عام وهو الاعتماد النحوي، الذي يتحقق في الاعتماد على الجملة، والاعتماد فيما بين الجمل، والاعتماد في الفقرة أو المقطوعة، والاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات⁽³⁾.

وقد حصر دي بوجراند أهم وسائل السبك في ثماني وسائل وهي⁽⁴⁾:

1-إعادة اللفظ، وهو التكرار الفعلي للعبارات، ويمكن للعناصر المعادة أن تكون هي نفسها، أو مختلفة الإحالة، أو متراكبة الإحالة.

ويختلف مدى المحتوى المفهومي الذي يمكن أن تنشطه هذه الإحالات بحسب هذا التنوع.

ولقد ارتبط التكرار في التراث النحوي بالتوكيد اللفظي، وفي التراث البلاغي بالتوكيد، كتأكيد الإنذار، أو الإيغال، أو زيادة المبالغة، أو غير ذلك مما نص عليه البلاغيون وأوردوا عليه الشواهد⁽⁵⁾.

2-التعريف: وهو المدى الذي يفترض عنده إمكان التعرف على طبيعة عالم النص بالنسبة لتعبير ما في نقطة بعينها، ثم استعادة هذه الطبيعة في مقابل حالة ذكرها لأول مرة عند هذه النقطة.

ويمكن شرح التعريف بأنه وضع للعناصر الداخلة في عالم النص، حين تكون وظيفة كل من

(1) - سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، ص 227.

(2) - أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 90.

(3) - سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، ص 227-228.

(4) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 301-302.

(5) - سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، ص 237.

هذه العناصر لا تتحمل الجدل في سياق الموقف، ومعنى تحديد الوضع بأنه اسم علم أو صفة معرفة أنك تقول للسامع أو القارئ: إن المحتوى المفهومي لمضبوط ينبغي أن يكون سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلوماتية المنشطة بالفعل، أما النكرات فتتطلب من ناحية تنشيط مساحات معلوماتية أخرى⁽¹⁾.

ويمكن للتعريف أن يشمل أي عنصر من عناصر عالم النص يقع في نطاق وصلة تحديدية، أو نموذجية تربطه بمركز الضبط، أما إذا كانت الوصلات عرضية، فإنّ التعريف لا يمتد إلى العنصر العرضي، فلا يقال هذا مثلاً: (تلفت الولد)، إلا أن يكون قد سبق ذكره، بخلاف القلب⁽²⁾. وقد عدّ دي بوجرانند ما يراه صالحاً للوصول إلى الوصف بالمعرفة على النحو الآتي⁽³⁾:

أ- ما ذكر من قبل، وهو ما يعرف في العربية بـ(العهد الذكري)، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [سورة المزمل: 15].

ب- ما عهد من المعلومات المشتركة بين طرفي الاتصال، وهو ما يعرف بـ(العهد الذهني)، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [سورة التوبة: 40]، فليس المقصود جنس الغار، وإنما هو غار معهود، وهو غار ثور.

ج- العناصر المتفردة: كالشمس والقمر، وهو ما يعرف بـ(العهد الحضورى).

د- ما ينتمي إلى النظام العام: كالرئيس والشرطة، وهو ما يعرف عند النحاة بـ(تعريف الجنس).

هـ- عناصر التعويض التي يطلبها استمرار عالم النص، مثل: (البلاد المجاورة).

و- العناصر التي تمثل نماذج تأصيلية، مثل: الأمريكى القبيح.

ز- العناصر التفضيلية، مثل: هو الأفضل بين إخوته.

ح- العناصر العلائقية التي يمكن الوصول إليها بواسطة الوصلات النموذجية المحددة المأخوذة

(1) - أحمد محمد عبد الرازى، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص 103.

(2) - روبرت دي بوجرانند، النص والخطاب والإجراء، ص 31-32.

(3) - أحمد محمد عبد الرازى، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص 104-105.

من العناصر المعرفة: كالصفة والصلة⁽¹⁾.

3- اتحاد المرجع، وهو استعمال عبارات سطحية مختلفة للدلالة على أمر واحد في عالم نص ما.

يقول تمام حسان في مقدمة (النص والخطاب والإجراء): «اتحاد المقصد مع تعدد اللفظ، وهذا نوع من الإحالة المشتركة التي تشير فيها الكنايات، وهي الضمائر والإشارات والموصولات إلى شيء واحد في عالم النص، والإحالة هي: العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع الاختياري في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص»⁽²⁾.

4- الإضمار بعد الذكر، وهو نوع من الإحالة المشتركة، يأتي فيه الضمير بعد مرجعه في النص السطحي.

5- الإضمار قبل الذكر، وهو نوع من الإحالة المشتركة، يأتي فيه الضمير قبل مرجعه في النص السطحي، وهو ما يعبر عنه ب(ضمير الشأن أو القصة).

6- الإضمار لمرجع متصيد، وهو الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقاً، غير أنه يمكن التعرف عليه من سياق الموقف.

والإحالة إلى غير مذكور من الأمور التي تستنبط من المواقف، لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب، وهي أداة حاضرة لعلاج موقف يشتمل على احتمال لتعارض وجهات النظر بين طرفي الاتصال حول ما يحدث كما في الاستفهام: (ما هذا؟)، ولا مرجع لضمير المتكلم إلا التكلم نفسه، ولا لضمير المخاطب إلا الحضور⁽³⁾.

ويمكن للإحالة إلى غير مذكور سابق أن تطبق على كل ما يتضح من الموقف الاتصالي نحو

قوله تعالى: ﴿ مَا تَرَكْ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ [سورة فاطر: 45]، وكما في قوله تعالى: ﴿

فَلَا أُقِيمُ بِمَا بُصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا بُصِيرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ

﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص31.

(2) - المرجع نفسه، ص32.

(3) - أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص106.

لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُنْقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَتَعْلَمُونَ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لِحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ [الحاقة: 38-52]، وقوله تعالى: ﴿عَأْتَتْ فَعَلَّتْ هَذَا بِأَهْلَتِنَا يَتَّابِرَهُمْ﴾ [سورة الأنبياء: 62]، فضمير المخاطب جاء شرحه بعد ذلك ببناء إبراهيم، ومعنى (فعلت): حطمت، ومعنى (هذا): التحطيم؛ فكل كلمة من كلمات السؤال إحالة غير مذكور سابق، وواضح من الإحالة إلى غير مذكور، أن هناك تفاعلا متبادلا بين اللغة والموقف⁽¹⁾.

لقد ذكر دي بوجراندي أربعة أنواع من الإحالة، وهي: اتحاد المرجع لألفاظ متعددة والإضمار بعد الذكر، والإضمار قبل الذكر، والإضمار لمرجع متصيد، وكان من الممكن أن يعد الإحالة بأنواعها وسيلة واحدة من وسائل السبب، أو وسائل الربط الرصفي.

7- الحذف، وهو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة، وهو اعتداد بالمبنى العدمي؛ فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالبا بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي، ففي قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران: 18]، لا مفر من فهم «وشهد الملائكة، وشهد أولو العلم» بدليل ما في آخر الآية من قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران: 18].

ولولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولي العلم آلهة مع الله، ولكن هذا الفهم يوصل إليه حتى عن غير طريق هذا التحليل، فالنص وما فيه من تناص بين أول الآية وآخرها، وما يحيط به من عالم العقيدة والخطاب الديني يحول دون ذلك الفهم الخاطيء، فالعنصر المحذوف متوقع نحويا، أو كما يسميه النحاة العرب: (مقدر)، ويستعان على تقديره بدليل الحذف، وللحذف استعمالات مختلفة وصور مختلفة، منها: حذف المفرد، وحذف التركيب، وحذف الجملة، وجمل، ويتوقف كل ذلك على مطالب الموقف⁽²⁾.

8- الربط، وهو يتضمن وسائل متعددة لربط المتواليات السطحية بعضها ببعض بطريقة تسمح بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنص: كالجمع بينها

(1) - روبرت دي بوجراندي، النص والخطاب والإجراء، ص 33-34.

(2) - المرجع نفسه، ص 34-35.

واستبدال البعض ببعض، والتقابل والسببية، أما الأنواع الفرعية للربط، فهي مطلق الجمع والتخيير، والاستدراك والتبعية⁽¹⁾.

هذه هي أهم الوسائل التي يتحقق بها سبك النص، حيث من خلالها يتم ربط الأفكار في بنية النص الظاهرة، أو بصورة مبسطة يقصد به التشكيل النحوي للجمل والعبارات في شبكة من العلاقات الهرمية والمتداخلة، ويأتي في مستويات صوتية وصرفية تركيبية، ومعجمية، ودلالية، كما يتخذ أشكالا من التكرار والاستبدال، والحذف، والإضافة، ونحو ذلك.

3-2-الحبك (Cohérence): ويرد بمصطلحات مختلفة منها: -الالتحام، الاتساق، الترابط الفكري، التماسك، الانسجام.

وإذا كان المعيار الأول مختصا برصد الاستمرارية المتحققة في ظاهر النص، فإن معيار الحبك يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجا وإبداعا، أو تلقيا واستيعابا، وبما يتم احتباك المفاهيم من خلال قيام العلاقات، أو إضفائها عليها، إن لم تكن واضحة مستعلنة على نحو يستدعي فيه بعضها بعضا ويتعلق بواسطته بعضها ببعض⁽²⁾.

والحبك أو الالتحام بحسب ما يقول دي بوجراند: «وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي، واسترجاعه، وتشمل وسائل الالتحام على:

-العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.

-معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

-السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية.

ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم⁽³⁾.

تقول إلهام أبو غزالة: «وهو يدرس ما تتصف به مكونات عالم النص من وثاقة صلة وسهولة تواصل فيما بينها، وفي وسعنا تعريف المفهوم بأنه تشكيلة من المعرفة يمكن استرجاعها أو اشتراكها

(1) -أحمد محمد عبد الرازي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص108.

(2) -سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق لسانية، ص228.

(3) -روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص103.

بقدر ما من الوحدة والاتساق في الذهن، أما العلاقات فهي الروابط القائمة بين المفاهيم، والتي تتجلى معا في عالم النص وتشتمل كل رابطة منها على تسمية للمفهوم الذي تتصل به، فمثلا تعد كلمة (أطفال) في (أطفال في الطريق) مفهوما لشيء، كما تعد كلمة (تمهّل) مفهوما لحدث، وهنا تقوم علاقة المكان بين الأطفال والطريق، وفي بعض الأحيان نجد أنّ العلاقات غير متمثلة بصراحة في النص، أي أنها لا تحظى باستشارة مباشرة من خلال تعبيرات ظاهرة النص، وإنما يقوم المرء بتزويد ما يلزم من العلاقات لاستخراج المعنى من النص...»⁽¹⁾.

وينتج أيضا عن الدعم الحاصل للالتحام، في أنه يجب على علم لسانيات النص أن تتعاون مع المعرفة السيكولوجية ليستكشف أمرا أساسيا كمعنى النص، ونلاحظ أن مختلف النظريات والطرق ستكون أكثر اختلافًا، وأقلّ اتحادًا، وهذا يعني أنها ستوضح الحالات العادية، ولن توضح الحالات الدائمة، والمستخدمون المختلفون للنصوص يستنبطون معان مختلفة اختلافًا طفيفًا، حتى لو كانت هناك نواة عامة للعمليات المحتملة، والمحتوى الموجود بين معظم مستخدمي النص لذلك فمعنى النص غير مستقر.

ويقول صلاح الدين صالح حسنين عن هذا المعيار الذي ترجمه بالاتساق: «ويختص بالطرق التي بواسطتها تنظم عناصر عالم النص، وهي أشكال ومفاهيم العلاقات التي تشكل البنية العميقة للنص السطحي، وتجعلها وثيقة الصلة بموضوع واحد محدد، ويُعرف المفهوم بأنه شكل معرفي (محتوى معرفي)، يمكن أن يستردّ أو ينشّط مع وحدة وتماسك وثيقين، أو غير وثيقين في الذهن، أما العلاقات فهي الروابط بين المفاهيم التي تظهر معا في عالم النص، وكل علاقة أو رابطة ستحدد ناحية محددة من المفاهيم التي تتصل بها»⁽²⁾.

ثم يعطي مثالاً على ذلك: (الأطفال يلعبون)، «نجد أن الأطفال مفهوم يوضح شيئاً ما و(يلعبون) مفهوم آخر يوضح حدثاً ما، أما العلاقة الرابطة بينهما فهي علاقة المنفّذ، لأنّ الأطفال هم الذين ينفذون عمل اللعب (يقومون بعمل اللعب)»⁽³⁾.

ويقول أيضاً: «ويمكن أن يشرح الاتساق بواسطة عدد من العلاقات، نلخصها تحت

(1) -إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبيرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، ص27.

(2) -صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة و النحو، توزيع مكتبة الآداب، القاهرة، ص227-228.

(3) -المرجع نفسه، ص228.

عنوان: (السببية)، ونقصد بها الطرق والوسائل التي فيها يؤثر موقف، أو حدث على الظروف المهينة لوقوع حدث آخر»⁽¹⁾.

ويضرب لذلك مثلا: (وقع جاك وكُسر تاجه).

«إن حادث الوقوع أدى إلى حادث الكسر؛ أي أنه خلق الظروف الضرورية التي أدت إلى وقوع الحادث الثاني.

-أعدت ملكة القلوب عددا من الترات في نهار يوم صيفي، وسرقت سكينه القلوب هذه الترات، وأبعدتها بعيدا.

-هنا قامت ملكة القلوب بعمل أتاح ظروفها كاملة لحادث آخر، ولكنها ليست ضرورية لوقوع الحادث الآخر، هذه العلاقة هي التي تسمى بعلاقة التمكين.

-يتقاضى جاك جنيها واحدا يوميا، لأنه لا يستطيع العمل بسرعة، وهذا يعني أن الأجر الضئيل راجع أو ناتج عن البطء في العمل.

من هنا يمكن لنا القول: إن مصطلح السبب قد يستخدم لإيضاح علاقة بين حدث وحدث آخر تلاه، فالحادث الأول أتاح الظروف لحدوث حدث آخر، وعلى العكس ففي مثال كسر تاج جاك نجد أن الحادث الأول هو سبب لهذا الكسر، فكأن الكسر نتيجة للوقوع»⁽²⁾.

وفي مثال آخر: «لقد ذهبت الجدة إلى النملية، لتبحث عن عظمة لكلبها المسكين).

إن الحادث الذي قامت به الجدة؛ وهو الذهاب إلى النملية، يهدف إلى غرض معين يوضحه الحادث الثاني: وهو البحث عن عظمة للكلب.

إن مصطلح الغرض يستخدم لشرح حدث أو موقف خطَّط له من قبل بحيث يكون هدفا للحادث الأول»⁽³⁾.

ويعلق على ما سبق: «هناك طريقة أخرى ننظر بها إلى الأحداث، وإلى المواقف وهي ترتيبها ترتيبا زمنيا، ويعتمد الترتيب الزمني على ترتيب أحداث محددة أو مواقف مذكورة.

-وعندما وصلت الجدة إلى النملية وقع قبل الوصول إليها، ثم تلاه حدث آخر. هو أنه

(1) - صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة و النحو، ص228.

(2) -المرجع نفسه، ص228-229.

(3) -المرجع نفسه، ص229.

اتضح للجدّة أنّها فارغة.

إن الترتيب الزمني يوضح طريقة أخرى للربط بين الأحداث ويجعل منها أمرا متسلسلا. لقد اتضح لنا أن الاتساق ليس مجرد ملمح في النص، ولكنه فضلا عن ذلك نتيجة عمليات معرفية يقوم بها مستخدمو النص. إن التجاوز البسيط للأحداث والمواقف في النص سينشط عمليات هي التي تكون مسؤولة عن العلاقات المتسقة داخل النص، ونستطيع أن نلاحظ هذا الأثر في المثال الآتي:

«لقد كان الملك في الخزينة، يعدُّ نقوده، وكانت الملكة في قاعة الاستقبال تأكل خبزا وعسلا، وكانت الخادمة في الحديقة تعلق الملابس المغسولة»، في هذا النص الواضح يوجد عدد من الأحداث: (العدّ، الأكل، والتعليق)، والعلاقات الوحيدة الموجودة في هذا النص، التي تربط بين هذه الأحداث هي علاقة المكان، والمنفذ والكائن المتأثر، وبفضل تشكيل هذا النص يميل متلقي النص إلى أن يفترض أن للحدث في كل حالة غرضا محددًا في مكان محدد، ويختلف عن المكان الآخر، ولكن مع ذلك فكل هذه الأماكن متجاوزة، فيجمعها جميعا القصر الملكي، وواضح أن الأحداث كلها وقعت في أوقات متقاربة أو في وقت واحد تقريبا»⁽¹⁾.

ويمكن تعريف المفهوم بأنّه: «محتوى مدرك يمكن استعادته أو تنشيطه بدرجات متفاوتة من الوحدة، والاتساق في العقل، أما العلاقات فهي حلقات الاتصال بين المفاهيم، وتحمل كل حلقة اتصال نوعا من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به بأن تحمل عليه وصفا أو حكما، أو تحدد له هيئة أو شكلا»⁽²⁾.

ويوضح هاليداي ورقية حسن التماسك بأنّه: «علاقة معنوية بين عنصر في النص، وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير هذا النص، هذا العنصر الآخر يوجد في النص، غير أنه لا يمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة التماسكية»⁽³⁾.

وقد تحدث هاليداي ورقية حسن عن أدوات التماسك في كتابهما (التماسك في الإنجليزية) عن خمس أدوات: المرجعية، الإبدال، الحذف، العطف، والتماسك المعجمي⁽⁴⁾.

(1) -صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة و النحو، ص229-230.

(2) -سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبية اللسانية: آفاق لسانية، ص228.

(3) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص90.

(4) -صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص116.

وهناك تشابه كبير في وظيفة هذه الوسائل بين العربية والانجليزية، غير أن الإبدال في العربية نوع من أنواع التوابع المعروفة، وهو يقوم بوظيفة التماسك النصي أيضا، ومثاله في النحو العربي، قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا لَّيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ يَصْفَهُ ۖ أَوْ أَنْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾﴾ [سورة المزمل: 2-3]، (نصفه) بدل بعض من كل من (الليل)، وهو يمثل مرجعية سابقة ومن ثم يسهم البديل في تحقيق التماسك بين هاتين الآيتين⁽¹⁾.

ولا شك أن السياق يقوم بدور أساسي في الربط الدلالي بين عناصر النص، ولذا فإن المكونات الدلالية لأي نص لا تظهر إلا من خلال السياق، ومن ثمّ يصحّ فيرث «بأنّ المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي: وضعها في سياقات مختلفة، سواء كانت هذه السياقات لغوية، أم اجتماعية، وهي ما أطلق عليه فيرث "سياق الموقف"⁽²⁾.

ومن هنا «عدّ السياق من الأدوات الضمنية التي تحقق التماسك النصي، فأيّ وحدة لغوية من النص الواقع تحت إطار التحليل تشمل بيئتين:

أ- البيئة الخارجية عن النص -السياق- وهي تتصل بالنص.

ب- البيئة اللغوية المصاحبة للنص»⁽³⁾.

وقد قسّم صبحي إبراهيم الفقي أدوات التماسك النصي قسمين:

-أدوات خارجية: وتمثل في السياق، والإحالة الخارجية، وتجمعها الدلالية.

-أدوات داخلية: وتمثل في ثلاثة أقسام: شكلية، ودلالية، ومشاركة، فالشكلية تشمل: العطف، التكرار، المعجم، والترتبة، والدلالية تشمل: المرجعية، الإبدال، الحذف، المقارنة، التكرار بالمعنى، الترادف، الانضواء، السببية الزمنية، التخصيص، التعميم، التوكيد، الإضراب، والعطف، والمشاركة تشمل: العطف⁽⁴⁾.

ومن هذا يتضح أن بين الربط الرصفي والربط الموضوعي أو الدلالي علاقة عضوية، فلا ينفك أحدهما عن الآخر إلا انفكاكا نظريا عند التحليل أو وصف البنية.

(1) -صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص117.

(2) -أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص68.

(3) -صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص117.

(4) -المرجع نفسه، ج1، ص120.

أما من الناحية العملية فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، لأنّ النص يوصف «بأنّه وحدة لغوية تواصلية، فالأمر يتعلّق بوصف بنية النص، وهي تدرك على أنّها تكوين من علاقات توجد بين الجمل أو القضايا بوصفها العناصر المباشرة لبنية النص، وتحدث الربط الداخلي، أي: التماسك الدلالي للنص»⁽¹⁾.

وينتهي برينكر إلى أن النص يُعرض «على مستويين يرتبط كل منهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً: المستوى النحوي، والمستوى الموضوعي، وعلى مستوى الوصف النحوي يدرس التماسك النحوي، أي العلاقات النحوية، الدلالية الوثيقة الصلة بربط النص بين الجمل المتعاقبة في نص ما، ومن بين الوسائل اللغوية المختلفة التي تقيم هذه العلاقات، تعزى إلى مبدأ الإعادة أهمية خاصة لتكوين تماسك النص.

وعلى المستوى الموضوعي يتعلّق الأمر بتحليل الربط الإدراكي الذي ينشؤه النص بين الأحوال "المضامين الجمالية والقضايا" المعبر عنها في الجمل»⁽²⁾.

فهناك تلازم بين الربط الرصفي أو السبك، والربط الدلالي أو الحبك، وكلاهما يمثل الربط النصي، ومن ثمّ «يقدم علماء النص تصوراً دقيقاً لصور الربط النصي، فيذكرون أنّ التماسك خاصة دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنص ما يتمثل في مؤشرات لغوية مثل: علامات العطف، الوصل، الفصل والترقيم، وكذلك أسماء الإشارة وأدوات التعريف، والأسماء الموصولة، وأبنية الحال، والزمان، والمكان، وغير ذلك من العناصر الرابطة التي يعنى علم اللغة بتحديدها، وتقوم بوظيفة إبراز ترابط العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنص في مستواه الخطي المباشر للقول»⁽³⁾.

ويشير تمام حسان في معرض حديثه عن التقاء نحو الجملة ونحو النص في هاتين الصفتين وهما: التضام والاتساق إلى العلاقة بينهما، حيث يرى أنّ التضام: علاقة تشمل أموراً مثل الافتقار، والاختصاص، والتلازم، والمطابقة، وعود الضمير... الخ.

وأنّ الاتساق علاقة في المعنى بين المتضامين تجعل أحدهما غير ناب في الفهم عن الآخر،

(1) - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص 31.

(2) - المرجع نفسه، ص ن.

(3) - سعيد حسن بجيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 123.

فلا وجه لجملة فعلية، مثل: (فهم الحجر)، ولا لجملة اسمية مثل: (السماء تحتنا)، فذلك غير مقبول في الظروف العادية⁽¹⁾.

وعند ما قسم سيويو الكلام إلى مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فإنه قد راعى الربط النحوي والربط الدلالي بين أجزاء التركيب، وإذا كان يطبق ذلك على مستوى الجملة فإنّ هذا التطبيق واقع على مستوى النص أيضا؛ لأنّ أبواب النحو التي تعتمد على علاقة الإسناد كلها يمكن أن يندرج تحت مبدأ التماسك النصي، نعم معظمها يعتمد على الجملة، لكن المتفق عليه أن الجملة نواة النص، وبناء على ذلك فهذه الأبواب كلها قابلة للتحليل النصي⁽²⁾.

وإذا كنا نراعي التضام والاتساق، أو السبك والحبك على مستوى الجملة، ساقنا ذلك إلى مراعاتهما على مستوى البنية الكبرى للنص، إذ لا يمكن عزل المستوى اللغوي عن المستوى الدلالي، لما للمستوى الدلالي من أهمية أساسية في الربط بين عناصر النص، واتساقها «فإن الاتساق اللغوي لا يمكن أن يعزل مستوى من مستويات النشاط اللغوي عن غيره من مستويات هذا النشاط، ويستحيل أن يكون الأداء اللغوي صحيحا مع فقدان الصحة في أي مستوى من مستوياته: الصوتية، والصرفية والنحوية والمعجمية، والدلالية.

ومن هنا لا بدّ في تحليل أي مستوى من مستويات هذا النشاط أن يوضع في الاعتبار نتائج تحليل المستويات الأخرى، وبذلك يتضح أن تلاحم مستويات النشاط اللغوي ينبغي أن يقابل بتضافر العلوم المتوفرة على دراسة هذا النشاط، وليس من شك في أن محاولة تحقيق هذه الغاية أمر بالغ الصعوبة، إذ يتطلب قدرة على النظر الشامل، ويستلزم دقة في تلمس العلاقات المتشابهة، ويحتاج إلى بصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة»⁽³⁾.

وإذا كانت العلاقات بين مستويات اللغة وطيدة، فإن العلاقة بين النحو والدلالة علاقة وطيدة أيضا، ويصعب على الدارس الفصل بينهما.

ومن ثمّ فإن الدلالة هي غاية الفروع اللغوية، واللغة كلها ممثلة فيها: «فنحو النص يدور في ميدان أكثر رحابة واتساعا وشمولا في المزج بين كل هذه المستويات المتداخلة التي لا يصح الفصل

(1) —أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص114.

(2) —صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السورة المكية، ج1، ص115.

(3) —علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي: (الظواهر التركيبية)، ص347.

بينها»⁽¹⁾.

ومن هنا فإنّ الاتساق يعني تحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وآخره، دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، حيث لا يعرف التجزئة، ولا يحده شيء⁽²⁾.

وإن تحقيق هذا أمر بالغ الصعوبة كما ذكرنا سابقا، وهذا ينطبق على نحو النص، الذي ينظر إلى النص كله باعتباره نسيجا واحدا وبنية كلية، لها قانونها الخاص من حيث ضرورة وجود علاقات بين أجزاء النص، وهذه العلاقات تتم في صور كثيرة متنوعة⁽³⁾.

وعليه فإنّ النص وحدة لغوية متكاملة من حيث المبنى والمعنى؛ إذ يتفق أوله مع آخره، وآخره مع أوله، وتسهم كل جملة من وحداته في تكوين دلالة لا تسمح لإقصاء كلمة أو جملة أو فقرة عن موضعها.

ومن هنا يكون الترابط النصي، أو التماسك النصي هو وجود علاقة بين أجزاء النص أو جمل النص، أو فقراته، لفظية أو معنوية، وكلاهما يؤدي دورا تفسيريا؛ لأنّ هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص، فالتماسك النصي هو علاقة معنوية بين عنصر في النص، وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير النص⁽⁴⁾ الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية «فإذا كانت الجملة تشير إلى حقيقة بمجموعة من الكلمات، فإنّ توالي الجمل سوف يشير إلى مجموعة من الحقائق»⁽⁵⁾.

ثم يأتي نحو النص ليكشف عن العلاقات المعنوية بين هذه الحقائق، ويرى هاليداي ورقية حسن أن هذه العلاقات المعنوية تأتي غالبا عن طريق الأدوات في ظاهر النص، حيث قالوا: «تظهر الروابط عن طريق الأدوات بين الجمل أكثر وضوحا؛ لأنها المصدر الوحيد لخاصية النص»⁽⁶⁾.

ومعنى ذلك أنّهما يعولان في الكشف عن العلاقات المعنوية على الأدوات، مع اعترافهما بأن التي تملك قوة الربط في الواقع هي العلاقة المعنوية الضمنية.

(1) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 96.

(2) -المرجع نفسه، ص ن.

(3) -المرجع نفسه، ص ن.

(4) -المرجع نفسه، ص 98.

(5) -المرجع نفسه، ص 98-99.

(6) -المرجع نفسه، ص 99.

وقد انتقد كل من براون ويول، وبوجراند مثل هذه التصريحات التي تعطي الأدوات النحوية أهمية أساسية في الربط الدلالي بين أجزاء النص⁽¹⁾.

وعقب أحمد عفيفي على ما رآه هاليداي ورقية حسن بقوله: «والحق أن الربط بالأدوات ظاهر في نحو الجملة ظهوراً ملحوظاً: كأدوات العطف والشرط والقسم والتعليل، بين الكلمات داخل الجملة أو الجملتين المتواليتين، أما نحو النص فينبغي أن يبحث عن تلك الوسائل الضمنية في بنية النص الكلية بحوار تلك الوسائل التقليدية، إذ الربط يمكن أن يكون دلالياً دون أداة بين فقرتين، أو جزأين متباعدين في نص ما»⁽²⁾.

ويقسم (جون كوين) الربط قسمين:

الأول: الربط الواضح، ويجري من خلال وسائل تركيبية قوية، يمكن أن تكون حرف عطف (الواو - لكن)، أو ظرف (مع - أن).

الثاني: الربط الضمني، ويتم من خلال تجاوز بسيط، وعلى هذا النحو يمكن أن نقول: (السماء زرقاء والشمس تتلألأ)، (السماء زرقاء الشمس تتلألأ).

ثم يقول: «ونحن نرى أن العبارة الثانية خالية من حرف العطف، وهي مساوية - مع ذلك - في المعنى للعبارة الأولى، وفي الواقع فإنّ التجاور أكثر وسائل الربط شيوعاً، فوجود حرف الواو في صدر كل جملة يثقل المقال بدرجة ملحوظة، والكلام المكتوب يفضل اللجوء إلى مجرد التجاور»⁽³⁾.

إن جون كوين يولي الربط الضمني أو الدلالي بين أجزاء النص أهمية أكبر، مما سماه الربط الواضح، وهو الربط بالأدوات، فلا تحتاج الجمل المتجاورة إلى أدوات عطف مثلاً، بل وجود حرف الواو في صدر كل جملة يثقل المقال بدرجة ملحوظة.

فالربط المعنوي بين عناصر النص أهم من الربط بالأدوات، حيث يؤكد أحمد عفيفي ذلك بالإشارة إلى إمكانية وجود أداة رابطة بين أجزاء النص، مع الإحساس بالتفكك الدلالي لعدم وجود الربط المعنوي، يقول: (شبّ حريق في المبنى التجاري بالأمس، وانتصر المصريون في السادس

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 299.

(2) - أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 100.

(3) - جون كوين، النظرية الشعرية: بناء لغة الشعر - اللغة العليا - ط 4، تر: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، 2000م، ج 1، ص 188.

من أكتوبر عام 1973م)، فمع وجود الواو الرابطة بين الجملتين فإنهما منفصلتان دلاليًا؛ لأنّ الانتقال من فكرة إلى فكرة لا يوجد بينهما علاقة منطقية واضحة تجمع بينهما، كذلك لو تم الربط بين كلمتين في الجملة الواحدة بالأداة، مثل: (الفتاة جميلة وماشية)، فمع وجود الواو بين الكلمتين، نشعر بالتفكك والتنافر، فما هي العلاقة بين الجمال والمشى في المثال؟ إن إحداهما معنوية، والأخرى حسية، ولا يجمع بينهما حقل دلالي واحد، حيث يحتاج الأمر إلى هذا الجمع الدلالي⁽¹⁾.

بخلاف قولنا: (الفتاة جميلة وذكية)، فإنّ بين الكلمتين رابطًا دلاليًا، لأنهما يعبران عن شيئين معنويين متلازمين في الفتاة، ولذلك لو قيل: (الفتاة جميلة ذكية) لما فقدت الجملة ترابطها الدلالي، ومن ثم فلا بد من تعالق أنظمة اللغة الخارجي منها والداخلي، واللغوي منها والدلالي.

3-3- القصد (Intentionnalité): ويرد بمصطلحات أخرى مثل: القصدية أو المقصدية.

يقول روبرت دي بوجراندي عن معيار القصد: «وهو يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة، قصد بها أن تكون نصًا يتمتع بالسبك والاتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها، وهناك مدى متغير للتغاضي في مجال القصد، حيث يظل القصد قائمًا من الناحية العملية حتى مع عدم تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوة، وهو التغاضي عامل من عوامل ضبط النظام يتوسط بين المرتكزات اللغوية في جملتها والمطالب السائدة للموقف»⁽²⁾.

ويقول صلاح حسنين عن هذا المعيار: «ويتعلق بموقف منتج النص من اتخاذ مجموعة من الوحدات المتناسكة، والمتسقة وسيلة لإنجاز قصد المتكلم، ومثال ذلك توزيع المعرفة، أو الوصول إلى هدف يحدد في ضوء خطة ما»⁽³⁾.

وتقول إلهام أبو غزالة: «التضام والتقارن من الأفكار المتمركزة حول النص؛ أي التي تشير إلى عمليات متجهة ناحية مادة النص، وفضلا عن هذا النوع من الأفكار، يحتاج المرء إلى أفكار متمركزة حول مستعمل النص، وهي ذات تأثير على نشاط الاتصال من خلال النصوص بوجه

(1) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص101-102.

(2) -روبيرت دي بوجراندي، النص والخطاب والإجراء، ص103-104.

(3) -صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة و النحو، ص231.

عام، سواء أكان ذلك من قبل المنتجين أم المستقبلين»⁽¹⁾.

إن معيار القصد هو أن يتضمن موقف منشئ النص وهدفه من بناء نص متماسك منسجم، لأنه لا بد أن يكون للحدث اللغوي نية الدلالة، فليس نصا ما يقوله المكروه أو السكران مثلا.

كما أن القصد يعنون به ما يريده منشئ النص من خلال تعبيره، فهو «التعبير عن هدف النص»⁽²⁾.

وينطلق مفهوم القصد -عند كرايس- من أن كل حدث سواء كان لغويا أم غير لغوي، إما أن يكون محتويا على نية الدلالة، وإما ألا يكون محتويا عليها، فتراكم الغمام يدل على أن السماء قد تمطر، واحمرار وجنتي العذراء يعني الخجل، فهذان الحدثان لهما دلالة، ولكن ليس وراءهما قصد، وقولنا لأحد الناس: اقرأ، أو أغلق الباب، يتحكم فيه قصد، فهناك فرق بين الدلالة في (هدوء الليل)، أو (نهر النيل)، وبين نسبة هذه الدلالة إلى شيء ما، مثل: (لقد هدوء الليل)، أو (سرتنا رؤية نهر النيل)، والقصد هو توصيل هذا المفهوم إلى المتلقي، أو ربما كان القصد هو طلب شيء ما يعقبه استجابة⁽³⁾.

وعليه فإن مقصدية النص لا تتمثل في مجرد الدلالة الكامنة فيه، وإنما تتمثل أيضا في نية منشئ النص في أن يوصل هذه الدلالة إلى المتلقي.

ويرى تمام حسان أن لغو الكلام، وحشوه، وكلام السكران، والمكروه، والناعس والمخطئ، ليس من قبيل النص⁽⁴⁾.

وقد اعترض أحمد عفيفي على كلام تمام حسان، وأبدى أمامه كثيرا من الحذر، لأنّ المكروه في رأيه «يقصد مقولته، وكذلك الناسي، وكذلك المخطئ وقت حديثه، وربما أدى لغو الكلام قصدا أو حقق هدفا، ولهذا صعب الحكم عليه باللغو، لأنه حقق معيارية القصد»⁽⁵⁾.

(1) -إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، ص30.

(2) -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص146.

(3) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص79-80.

(4) -أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص89.

(5) -المرجع نفسه، ص80.

ولذا يؤمن بما ذهب إليه (سورل) من أن الحالات العقلية مثل: الاعتقاد، والخوف، والتمني، والرغبة، والحب، والكراهية، ورائها مقصدية، والسبب أنها يجب أن تكون حول شيء ما، ومن هنا يكون للمكره أو الناسي أو السكران مقصدية لا من خلال المتكلم، لكن من خلال النص إذا تحققت له معايير النصية⁽¹⁾.

إن أحمد عفيفي يرى أن مقصدية النص، إنما تكون بالنظر إلى اعتقاد منشئ النص، وبالنظر إلى ما يحمله النص من هدف أيًا كانت حالة المتكلم، فهو في اعتقاده نص يحمل معنى وهدفًا.

إنّ المقصدية، تعد أحد المقومات الأساسية للنص، على اعتبار أن النص ليس بنية عشوائية، وإنما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقا ومترابطا لكي يحقق هدفا معينا، وبمعنى آخر هو عمل مخطط يستهدف به تحقيق غاية بعينها⁽²⁾، وعلى اعتبار أيضا أن لكل منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها، أو نية يريد تجسيدها، وهي بالتالي تعبير عن هدف النص، وليستفيد مفهوم القصد شرعية وجوده في الدراسات اللسانية، قديمها وحديثها، من أن كل فعل كلامي يفترض فيه وجود نية للتوصيل والإبلاغ⁽³⁾.

وبما أن النص مظهر من مظاهر السلوك اللغوي، وشكلا من أشكال اللغة، فإنه بالضرورة يحتوي على قصد معين، كما تكمن أهمية هذا الجانب في أنه يمثل جزءا مهما من دلالة الخطاب، كما أنه يتضمن موقف منتج نص منسق ومنسجم باعتبار منتج النص فاعلا في اللغة مؤثرا في تشكيلها، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها.

3-4-القبول (Acceptabilité): ويرد بمصطلح المقبولية، ويتعلق القبول بموقف المتلقي

من قبول النص⁽⁴⁾، أو يتعلق بموقف متلقي النص بأن مجموعة الوحدات (الكلامية مثلا) تشكل نصًا متماسكا، ومتسقا يمس المتلقي من طرف ما⁽⁵⁾.

يقول روبيرت دي بوجراند: «وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام، وللقبول أيضا مدى

(1) -أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص80.

(2) -يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، ص102.

(3) -محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1429هـ-2008م، ص96.

(4) -صبيحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص33.

(5) - صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة و النحو، ص231.

من التغاضي في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج»⁽¹⁾.

ويعني ذلك أنّ القبول يتعلق بالمتلقي، وقبوله للنص أو عدم قبوله، فيما يتعلق بالتماسك والانسجام بصفة خاصة، والخضوع للقواعد النحوية بصفة عامة، ويقوم علم النص على مساعدة المتلقي لقبول موقف دلالي محدد، واستبعاد باقي الدلالات، لأنّه يهتم بالسياق كلّ لصحة القواعد النحوية، لذلك يكون القبول على مستوى الجملة، ثم يتعدى ذلك إلى مستوى النص كلّ.

إن القبول مرتبط بمجموع الدلالات التي يطرحها النص بشرط تماسكها والتحامها وتحديدها بعيدا عن الاحتمالية الدلالية، أو عن جواز أكثر من وجه إعرابي، وذلك ما يقرهما نحو الجملة، ومن هنا تكون المقبولية في نحو النص في مقابل (مطابقة القاعدة)، في نحو الجملة التي تسمح بالاحتمال الدلالي، وتعدد الأوجه الإعرابية، مثل تحديد نوع الإضافة في (سرتني رؤية الأصحاب)، لا يعترض نحو الجملة على فهم إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول، ويكون المعنى إمّا: (رؤيتي للأصحاب)، (الإضافة للمفعول)، أو (رؤية الأصحاب لي)، (الإضافة للفاعل)، لكن لو وجد هذا المثال في نص لا يرتبط بمعنى أكثر قبولا وتحديدا من وجود المعنيين على حدّ سواء، ومثل ذلك أن تقع الصفة بعد المتضايين، فتكون صالحة لأي منهما، مثل: (أحب زيارة المدن المتقاربة)، هل تكون (المتقاربة) صفة للمدن أو الزيارة؟⁽²⁾.

فالتحليل على مستوى الجملة يقبل هذه الاحتمالات ولا يختار واحدا منها إلا إذا حدّد السياق أحدها.

أما نحو النص فلا يقنع بمثل هذا التردد⁽³⁾، ففي هذه الحالة تقوم المعايير النصية بالمساعدة على قبول موقف دلالي محدد من خلال استبعاد المتلقي للدلالة غير المرتبطة بالنص، وإيمانه بالدلالة التي تنسجم وتتسق مع بقية الدلالات النصية⁽⁴⁾.

وإذا كانت المقبولية مرتبطة بمنتج النص ومتلقيه، فإنّه يجب ألا نغفل تلك الظروف التي تحيط بهما في السياق أو الموقف، لغويا أو غير لغوي، فهو الذي يساعد على الحكم بالقبول أو

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 104.

(2) - أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحدثة، ص 99.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

(4) - أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 88.

عدمه من خلال مجموعة القواعد الحاكمة التي يشير إليها جون ليونز، حيث إن نظرية السياق عنده لا تعتبر الجملة كاملة المعنى إلا إذا صيغت طبقاً لقواعد النحو، وراعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة وتقبلها أبناء اللغة، وفسروها تفسيراً ملائماً، وهو ما أطلق عليه اسم (التقبلية)⁽¹⁾.

والسياق الذي يؤدي إلى التقبلية (القبول) ينبغي أن يراعى فيه:

أ- صحة القواعد النحوية.

ب- توافق الوقوع، أو الرصف بين مفردات الجملة.

ومن هنا نصل إلى النتيجة المطلوبة بقبول المتلقي؛ ولعلّ هذا يدل على أنّ المقبولية يمكن أن تكون على مستوى الجملة، وعلى مستوى النص، غير أنها تتطور في الجملة عن النص، حيث تكون المقبولية في الجملة أولاً على مستوى الوصف، وصحة القواعد النحوية، ثم يأتي المعنى النصي المتسم بالتماسك⁽²⁾.

وتقول إلهام أبو غزالة عن القبول: «اتجاه مستقبل النص إلى أن تؤلف مجموعة الوقائع اللغوية نصّاً متضاماً متقارناً ذا نفع للمستقبل أو صلة ما به، أي اكتسابه معرفة جديدة أو قيامه بالتعاون لتحقيق خطة ما، ويستجيب هذا الاتجاه لعوامل من مثل نوع النص، والمقام الثقافي والاجتماعي، ومرغوبية الأهداف، وهنا أيضاً يمكننا اعتبار المحافظة على تضام النص وتقارنه من جانب المستقبل هدفاً قائماً بذاته»⁽³⁾.

وقد يؤدي خضوع تقبلية النص للتقييد إلى تحول الاتصال عن مجراه، ولذا يعتبر من قبيل عدم التعاون أو ضعف القدرة على تحقيقه أن يقوم مستقبل النص بطرح أسئلة حول تقبلية النص، في حين يحاول المنتج المعنى بقصدته إلى غايتها⁽⁴⁾.

وعموماً فيقصد به مدى استجابة المتلقي للنص وقبوله له، ولا شكّ أن هنالك مدى لاحتتمال المتلقي من هذه الناحية.

3-5-رعاية الموقف (Situationnalité): وترد بمصطلحات أخرى مثل: الموقفانية،

(1) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 89. وينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 77.

(2) -المرجع نفسه، ص ن.

(3) -إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند و لوفجانج دريسلر،

ص 31.

(4) -المرجع نفسه، ص ن.

المقامية والموقفية، وتعني ضرورة أن يكون النص موجها للتلاؤم مع موقف معين بغرض كشفه أو تغييره، وقد يكون الموقف مباشرة يمكن إدراكه من البيئة أو غير مباشر، ويمكن استنتاجه بواسطة التأمل، وهذا العنصر يفترض وجود اثنين يتعاملان مع النص أحدهما مرسل والثاني مستقبل⁽¹⁾.

يقول صلاح حسنين: «ويتعلق بالعوامل التي تجعل النص مناسباً للموقف الذي تُسرد فيه الوقائع (أحداث النص)»⁽²⁾.

ويقول روبرت دي بوجراند: «وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صور عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره، وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف، كما في حالة الاتصال بالمواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجد وساطة جوهريّة كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية، يدور حول أمور تنتمي إلى عالم آخره، إن مدى رعاية الموقف يشير دائماً إلى دور طرفي الاتصال على الأقل، ولكن قد لا يدخل هذان الطرفان إلى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين»⁽³⁾.

ويوضح ذلك كله المثال الآتي:

-تمهل... أطفال في الطريق.

إن يكن الاستعمال المقصود الأكثر احتمالاً أمراً واضحاً تمام الوضوح، فإنّ السهولة التي تمكن المرء من البتّ في هذه القضية تعود إلى تأثير الموقف الذي يعرض فيه النص، وفي حالة النموذج السابق كانت إشارة المرور موضوعة في مكان تتعرض فيه طائفة معينة من المستقبلين أي السائقين، لتبعية القيام بعمل معين، وما من شك في أن اعتبار كلمة (تمهل) فعل أمر، مطالبة بتخفيف السرعة أمر معقول بقدر أكبر بكثير من اعتبارها فعلاً ماضياً مسنداً إلى أطفال في الطريق، ثم أن في وسع المشاة القول بأن ليس لهذا النص صلة بهم، إذ أن سرعتهم لن تلحق ضرراً بأحد، وهكذا نرى أن المعنى المقالي للنص واستعمال النص يتحددان من خلال الموقف⁽⁴⁾.

(1) -يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، ص102.

(2) -صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة و النحو، ص232.

(3) -روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص104.

(4) -إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات النظرية روبرت دي بوجراند و لفجانج دريسلر،

ويكاد الدارسون أن يجمعوا على أنّ المقامية تتعلق بمناسبة النص للموقف⁽¹⁾، فهي المناسبة أو المقام الذي يوضح المقصود من النص، أو بعبارة أخرى يفهم النص في ضوء هذه المناسبة، أو المقامية، وبما أن معنى النص واستعماله يتحدد من خلال الموقف، وذلك بتوفر مجموع العوامل التي تجعل نصا ما ذا ارتباط وثيق بالموقف الاتصالي، لذلك لا يوجد نص دون ارتباط بالموقف، فلا بد من ربط النص بالمقام، فالنص يكون متأثرا بالموقف مراعى له، قادرا على التأثير فيه، ومجموعة المعارف السابقة مفيدة في تحديد الموقف وتحليل الخطاب لذلك تساعد الظروف التي يقال فيها النص على فهمه وتأويله.

3-6-التناسق (Intertextualité): وتتعدد تعريفات التناسق بشكل عام، بين النقاد واللغويين، غير أنّها تظهر هذا التفاعل والتعلق والالتقاء والتداخل اللفظي أو المعنوي بين نص ما ونصوص أخرى سبقتة، استفاد منها هذا النص المراد دراسته⁽²⁾.

ويعرفه سعيد حسن بحيري بأنّه: «يختص بالتعبير عن تبعية النص لنصوص أخرى، أو تداخله معها»⁽³⁾.

والتناسق مسؤول بشكل عام عن تطور أنماط النصوص، باعتبارها أنواعا من النصوص لها خصائص نمطية نموذجية؛ فإذا تناولنا نمطا محددًا سنجد أن الاعتماد على التناسق سيكون بارزا إما بقلة أو بكثرة⁽⁴⁾.

يقول روبرت دي بوجراند: «وهو يتضمن العلاقات بين نص ما، ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة، فالجواب في المحادثة، أو أي ملخص يذكر بنص ما بعد قراءته مباشرة، يمثلان تكامل النص بلا وساطة، وتقوم الوساطة بصورة أوسع عند ما تتجه الأجوبة أو النقد إلى نصوص كتبت في أزمنة قديمة، وتكامل النصوص عامل أكبر في مجال تحديد أنواع النصوص، حيث تشكل التوقعات بالنسبة لطوائف كاملة من الوقائع اللغوية»⁽⁵⁾.

(1) -صباحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1 ص33.

(2) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص81.

(3) -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص146.

(4) -صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة و النحو، ص232.

(5) -روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص104.

إن روبيرت دي بوجراند يرى أن عنصر التناص هو أهم العناصر في نظرية أنواع النصوص، ذلك أن النصوص إنما تكتب بحسب رأيه في إطار خبرة سابقة؛ وعلى الرغم من أن مفهوم التناص يثير كثيرا من الإشكالات لأنّ بعض المحدثين حرفوه عن معناه الصحيح، فالواضح أن المقصود به ليس هو أن النصوص إنّما تمثل إعادات لبعضها البعض، بل المقصود به أن النصوص السابقة تشكل خبرة يستند إليها في تكوين النصوص اللاحقة والكشف عنها⁽¹⁾.

ويعتبر التناص مسؤولا بوجه عام عن تطور أنواع النصوص بصفاتها فئات لنصوص ذات أشكال نمطية من الخصائص، وقد يكون الاعتماد في هذا النوع أو ذاك على التناص كبيرا أو صغيرا، ففي نصوص من مثل المحاكاة الساخرة أو المراجعات النقدية أو المرافعات القضائية أو التقارير، يستلزم الأمر أن يستعين المنتج بنصوص سابقة استعانة مستمرة، وكذلك يحتاج مستقبلو النص في العادة إلى قدر من الألفة من نصوص سابقة⁽²⁾.

والتناص أيضا يمثل عملية استبدال من نصوص أخرى، والمقصود به تداخل وتقاطع النصوص في أشكالها ومضامينها، حيث لا يوجد نص يخلو من حضور أجزاء أو مقاطع من نصوص أخرى.

إن التناص يتحقق في النص عندما يتضمن مجموعة من النصوص السابقة عليه، شرط أن يحدث تفاعل وتعلق في اللفظ والمعنى بين هذه النصوص المتداخلة، وهو بهذا المفهوم يكون تابعا لمجموعة نصوص سابقة يتفاعل ويتعلق معها بكيفيات مختلفة، حصرها محمد عبد المطلب في نمطين أساسيين:

أولهما: يقوم على العفوية وعدم القصد، إذ يتم التسرب من الخطاب الغائب إلى الحاضر في غيبة الوعي، أو يتم ارتداد النص الحاضر إلى الغائب في نفس الظرف الذهني.

ثانيهما: يعتمد على الوعي والقصد، بمعنى أن الصيغة في الخطاب الحاضر تشير إلى نص آخر، وتكاد تحده تحديدا كاملا يصل إلى درجة التنصيص، وهنا تطفو على السطح مفاهيم الملاحقة والمثاقفة، والسرقات الأدبية، والتضمين والمعارضة⁽³⁾.

(1) - يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، ص 102.

(2) - إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبيرت دي بوجراند و لفجانج دريسلر، ص 35-36.

(3) - أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 82.

غير أن علماء النص توسعوا في مفهوم التناص، وجعلوه شاملا لإدخال نصوص مختلفة في النص الحادث.

والتناص بهذا المفهوم الشائع في الدراسات النقدية والأسلوبية والأدبية ألصق بنحو النص، ويرى تمام حسان أن التناص: «علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض، كما تقوم بين النص والنص: كعلاقة المسودة بالتبييض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضحه، وعلاقة المحتمل بما يحدد معناه، وهذه العبارة الأخيرة هي المقصودة بعبارة: القرآن يفسر بعضه بعضا»⁽¹⁾.

فالتناص بهذا المفهوم الذي أبرزه تمام حسان، يكون ألصق بنحو النص، لأن التناص الذي يخدم نحو النص، كما يقول أحمد عفيفي، إنما يحمل خصوصية التطبيق، فبدلا من أن تكون المفاهيم والصور المطروحة بين نص حاضر، ونصوص أخرى غائبة، فإن التناص المقصود هنا ينصب على النص الواحد دون نصوص أخرى⁽²⁾.

وبذلك يكون التناص عنصرا مهما من عناصر النص في الربط بين أجزائه، وتحديد معناه وتأكيده، إضافة إلى أن التناص يتضمن النص به علاقات مع نصوص سابقة، بسبب حركتي التأثير والتأثر؛ ذلك أن أي نص لا ينطلق من فراغ، بل يتفاعل مع غيره من النصوص لإنتاج نص جديد، حيث اهتمت الدراسات الحديثة بالتناص. رغم أن الظاهرة قديمة قدم الآداب والفنون.

3-7- الإعلامية (Informativité): وترد بمصطلحات أخرى مثل: الإخبارية والإبلاغية أو بمصطلح الإعلام، ويتعلق هذا المعيار بالمعلومات الواردة في النص، من حيث توقع هذه المعلومات أو عدم توقعها⁽³⁾.

ويرى روبيرت دي بوجراندي أن هذا المعيار يشكل عنصرا مهما من عناصر النص وتختلف درجة الإخبار من نص إلى آخر بحسب نوعه وغايته، ولكن المؤكد هو أن كل نص يجب أن يشتمل على قدر من المعلومات الإخبارية، والتي تشكل محتوى الاتصال، وننظر إليه أيضا من ناحية الجودة والتنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف، فإذا كان استعمال نظام في صياغة نص ما يتكون من الهيئة التي تبدو عليها العناصر المستعملة في وقائع صياغة هذا النص، فإن إعلامية عنصر ما تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين، بالمقارنة بينه وبين العناصر

(1) -أحمد محمد عبد الرازي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص94.

(2) -أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص83.

(3) -صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص33.

الأخرى من وجهة النظر الاختيارية، وكلما بعد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية⁽¹⁾. فليست الإعلامية إذن متمثلة في مجرد المعلومات التي يحتويها النص، وإنما تتمثل في جدّة هذه المعلومات، وتنوعها الذين توصف بهما المعلومات في بعض المواقف، «فإعلامية أي عنصر إنما تكمن في قلّة احتمال وروده في موقع معين، بالمقارنة بالعناصر الأخرى في نفس النص»⁽²⁾.

إن خلوّ النص من صفة الإعلامية، لا يعني خلوّه من الدلالة تماما، وإلقاءه على المتلقي شكلا بحتا بلا مضمون، لأنّ القضية ليست احتواء النص على مضمون، وعدم احتوائه على مضمون، وإنما القضية احتواء النص على معلومات توصف بالجدّة والتنوّع، ولذا كلفنا قلّة احتمال المتلقي لها ازدياد مستواها الإعلامي.

يقول صلاح حسنين عن معيار الإعلامية: «ويتعلق بمدى (توقع/عدم توقع) أو (معرفة/عدم معرفة) العناصر (الوقائع) التي يقدمها النص، ويقصد بذلك المعلومات الجديدة التي يقدمها النص للمتلقي، فإذا كان المتلقي يتوقع هذه المعلومات الجديدة، فإن النص يوصف بأنه أقلّ إعلامية، أما إذا كان المتلقي لا يتوقع هذه المعلومات الجديدة، فإنّه يوصف بأنه أكثر إعلامية، وهذا يعني أن المعلومة الجديدة، إذا قدّمت للمتلقي فإن النص يكون أقلّ إعلامية، أما إذا تركت لحدس المتلقي، فإنّ النص يكون أكثر إعلامية»⁽³⁾.

ثم ضرب مثلا على ذلك:

أ- نادينا قبل أن نبدأ الحفر، وإلا فلن نستطيع ذلك.

ب- نادينا قبل أن نبدأ الحفر، فهناك خط تليفوني تحت الأرض، فإذا قطعناه، فستفقد الخدمة التليفونية، وقد تحدث مشكلة كهربائية، فعندئذ لن تقدر على الاتصال تليفونيّا لمعالجة هذه المشكلة.

إن المثال (أ) أكثر إعلامية من المثال (ب)؛ لأن المثال (ب) يقدم عناصر معروفة جيدا للمتلقي، أما المثال (أ) فهو لا يقدم معلومات يمكن التنبؤ بها، ويترك للمتلقي استنتاج ما يراه قد ينتج عن الحفر، دون مثل هذا الاستدعاء⁽⁴⁾.

(1) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 252.

(2) - المرجع نفسه، ص 23.

(3) - صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة و النحو، ص 231.

(4) - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 105.

ويقول دي بوجراند: «فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد أن لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع»⁽¹⁾.

وتقول إلهام أبو غزالة: «إن لكل نصّ حظّه من الإعلامية، فمهما يكن نصيب الشكل والمحتوى من التوقع، فإنّه لا مندوحة عن وجود بعض الوقائع المتغيرة التي يتعذر التنبؤ بها بمخاطيرها، ومن المحتمل أن يؤدي ضعف الإعلامية بوجه خاص إلى الارتباك، وإلى الملل، بل إلى رفض النص في بعض الأحيان...»⁽²⁾.

إنّ الإعلامية هي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم نصّي في مقابل البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي كبديل من خارج الاحتمال، ولكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع، ومن هنا ترتبط الإعلامية ببنية النص من خلال المنظور الوظيفي للنص.

هذه هي المعايير النصية عند روبرت دي بوجراند، وإن معايير القصد، والقبول ورعاية الموقف والتناص والإعلامية، تختص بنحو النص، ولكنها أيضا توجد على مستوى الجملة، وحينئذ تتسم بالنصية إذا كانت هي الوحدة اللغوية الكبرى.

ولقد فرّق دي بوجراند بين السبك والحبك، حيث يعني بالأول العلاقات اللغوية أو النحوية بين عناصر النص، ويعني بالثاني العلاقات المعنوية أو الدلالية بين عناصره، وهناك علاقة وثيقة بين معياري السبك والحبك والاجتماع؛ هذين المعيارين يتحقق الترابط النصي أو التماسك النصي، وهو الانسجام بين اللفظ والمعنى، أو بين الشكل والمضمون، أو بين بنية النص اللغوية وحقله الدلالي، وكل هذا يؤكد أهمية الربط الدلالي بين عناصر النص.

4-المعايير النصية في الدراسات القرآنية والبلاغية:

لقد اعتنى المفسرون ودارسو النص القرآني؛ بالكشف عن الوسائل والعلائق التي تسهم في وحدته وتماسكه، وتجعله نصّا واحدا، رغم اختلاف أوقات نزوله وأسبابه، وفي علوم القرآن كثيرة هي الإشارات في هذا الاتجاه، منها ما يوجد عند الباقلاني، الذي يربط بين أسلوب القرآن

(1) -روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص105.

(2) -إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد، مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند و لفجانح دريسلر، ص33-34.

وانسجامه؛ إذ يرى أن إعجازه يكمن في تفرد أسلوبه وفي سيره على نمط متجانس، من دون اختلال أو اضطراب، كما يبدو ذلك واضحا عند تحليله لسورة النمل؛ إذ يقول: «ثم انظر في آية آية، وكلمة كلمة: هل تجدها كما وصفنا: من عجيب النظم، وبديع الرصف؟ فكل كلمة لو أُفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أحوالها، وضامتها ذواتها، مما تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها؟... من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلًا، بديع التأليف وبلغ التنزيل»⁽¹⁾.

ويقدم الباقلاني نظرة أخرى تجمع بين التحليل، والتذوق، إذ يحاول تفسير انسجام الآيات رغم تباعد مقاصدها، فقد ترد آيات متباعدة في المواقع، قد جعلها النظم أشدّ تآلفًا من الشيء المؤتلف في الأصل فيقول: «قوله: ﴿وَأَبْتَعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: 77]؛ وهي خمس كلمات كلها متباعدة في المواقع، نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشدّ تآلفًا من الشيء المؤتلف في الأصل، وأحسن توافقًا من المتطابق في أول الوضع»⁽²⁾.

ولم يغب شرط الإفادة والفهم في التركيب عن ذهنية السكاكي (ت626هـ)، فيقول: «إن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره وأعني بتراكيب الكلام: التراكيب الصادرة عمّن له فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكيب البلغاء... وأعني بخاصية التركيب: ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له... وأعني بالفهم: فهم ذي الفطرة السليمة مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب: (إنّ زيدا منطلق)، إذا سمعته من العارف بصياغة الكلام، من أن يكون مقصودا به رفض الشك أو ردّ الإنكار»⁽³⁾.

هذه بعض الإشارات عن المعايير النصية في الدراسات القرآنية والبلاغية، لأنّ عناية المفسرين والمهتمين بحقل الدرس القرآني كثيرة، وجليلة، وتهدف إلى بيان الإعجاز البلاغي في نظم القرآن الكريم، وكيف أنه كل متكامل، يمثل بنية نصية واحدة، رغم اختلاف المناسبات وأسباب

(1) - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (دت)، ص289.

(2) - المصدر نفسه، ص295.

(3) - السكاكي، مفتاح العلوم، ص161.

النزول.

ثانياً_ التماسك النصي في التراث العربي:

لم تولد الدراسات النصية علما مكتملا يحقق التماسك النصي لمجموعة من الجمل، كما أنها قد اعتمدت في تحقيق ذلك على معطيات قديمة أو تراثية؛ بمعنى أن علم لسانيات النص لم ينشأ من عدم، وإنما كان للدراسات التراثية أثرها الواضح في نشأته، فهي إذن بمثابة الإرهاصات الأولى لظهور هذا العلم، سواء أكان ذلك على مستوى الدراسات العربية، أم على مستوى الدراسات الغربية.

فكانت المزاجية بين القديم والحديث منهجا في دراسة الفكر الإنساني في عمومها، والفكر اللغوي خصوصا، ولعلّ الدراسات اللغوية العربية خير دليل ومثال على ذلك، خاصة فيما تعلق بجانب الدراسة النصية في طورها الأول، بعيدا عن المصطلح اللساني المتداول الآن، بحيث تعتبر البلاغة والتفسير والنقد والنحو وما فيها من أفكار تحمل بين ثناياها تحليلات نصية معاصرة.

وموضوع التماسك النصي من المواضيع الهامة التي نالت قدرا لا بأس به من حيث الدراسة، واهتمام علماء لسانيات النص به، حيث ذكروا أنه: «خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكوّنة للنص في علاقاتها بما يفهم من الجمل الأخرى»⁽¹⁾.

وهذا يعني أن التماسك النصي أحد أسس البحث النصي الحديث، حيث تنطلق الدراسات اللسانية المعاصرة من أن النص «بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة»⁽²⁾.

فالتماسك له حضور واجب في أي نص، ذلك أن كل جملة تمتلك بعض أشكال التماسك مع الجملة السابقة، أو اللاحقة دلاليا أو شكليا، وإذا خلا النص من هذه الأدوات، سواء أكانت شكلية أم دلالية، فإنه يصبح جملا متجاوزة ولا يربط بينها رابط، ويصبح النص هيكلا خاليا من الروح الفنية، كما أن بنية النص هي «ذات نسق داخلي تربط بين عناصره علاقات منطقية ونحوية ودلالية»⁽³⁾.

(1) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص244. وينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص123.

(2) سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط01، مكتبة الآداب، 1426هـ-2005م، ص94.

(3) محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص10.

وقد يساهم التماسك النصي في ربط النصوص بينيتها العميقة، متجاوزا بذلك الربط على مستوى الجمل والمتتاليات، وفي هذا الصدد يقول محمد عبد الله علي سيف العبيدي: «ولا يقتصر التماسك على علاقات الترابط بين الجمل والمتتاليات، لأن ذلك يؤدي إلى تفسير جزئي لمكونات النص بوصفه عملا كليا فريدا، وهذه البنية الكبرى لا تؤدي إلى التماسك الكلي فحسب، بل تؤدي أيضا إلى التماسك الجزئي، الذي يتعلق بمتتاليات الجمل على المستوى العميق، كما يقضي هذا النحو التوليدي التحويلي»⁽¹⁾.

ويمكننا القول إن التماسك النصي **Cohésion** يرتبط بالنص ارتباطا وثيقا، فيرتبط به وجودا أو عدما، فلا يوجد تماسك دون نص، ولا يتحقق للنص نصيته، إن لم يكن متماسكا، وهذا ما نسعى لأجله، حيث سنقوم بتوضيح مفهوم مصطلح التماسك النصي، وكذلك التطرق إلى التماسك النصي في الدراسات العربية القديمة لإبراز دور العرب في وضع أسس هذه النظرية.

1_ مفهوم التماسك Cohésion:

حيث سنحاول التعرف على المعنى اللغوي لهذا المصطلح، الذي أخذ الكثير من المعاني عند علماء اللغة العرب.

1-1- التماسك/لغة:

جاء في أساس البلاغة للزخشي «أمسك الحبل وغيره، وأمسك بالشيء ومسك وتمسك واستمسك وامتسك و(أمسك عليك زوجك) وأمسكت عليه ماله، حبسته، وأمسك عن الأمر: كف عنه وأمسكت واستمسكت وتماسكت أن أوقع على الدابة وغيرها، وغشيني أمر مقلق فتماسكت، وفلان يتفكك ولا يتماسك، وما تماسك أن قال ذلك: وما تمالك، وهذا حائط لا يتماسك ولا يتمالك، وحفر في مسكة من الأرض في صلابه»⁽²⁾.

وجاء في لسان العرب: «... شيء ذيف يربط به... ومسك بالشيء وأمسك به وتمسك وتماسك واستمسك وامتسك، كله احتبس، وفي التنزيل ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ .. وفي حديث ابن أبي هالة في صفة النبي ﷺ: (بادن متماسك)، أراد أنه مع بدانته متماسك اللحم ليس بمسترخيه، ولا منفضحه، أي أنه معتدل الخلق، كأن أعضائه يمسك بعضها بعضا... وأرض

(1) _ محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، ص194.

(2) _ الزخشي، أساس البلاغة، مادة (مسك)، ج02، ص213.

مسيكة: لا تشفّ الماء لصلابتها، وأرض مساك أيضا»⁽¹⁾.

لقد ورد مصطلح التماسك في لسان العرب بثلاثة معان هي: الارتباط، والاحتباس والاعتدال، بحيث يتطابق المفهوم الأول مع المعنى الاصطلاحي، لأنّ التماسك النصي هو ارتباط الجمل بعضها ببعض كما سنرى لاحقا.

إن التماسك في اللغة مقابل للتفكك، وهو بهذا يعني الترابط التام، والشدة والصلابة وترابط الأجزاء بعضها ببعض.

ولم ترد الإشارة في المعاجم اللغوية إلى ارتباط التماسك بالنص اللغوي، سواء أكان منظوقا أم مكتوبا، بل إن مجاز استعماله مرتبط بالإنسان.

1-2- التماسك/اصطلاحا:

أمّا المعنى الاصطلاحي لمفهوم التماسك **Cohésion**، ولا سيما في مجال الدراسات اللغوية المعاصرة، أو ما يسمى بلسانيات النص، فإنّه يعني التلاحم والترابط بين الوحدات المكوّنة للنص، حيث توجد علاقة بين كل مكوّن من مكونات النص، وبقية أجزائه فيصبح نسيجا واحدا، أي عبارة عن «علاقة أو مجموعة علاقات عامة مكوّنة للنص، يتعرض بعضها لقيود حتى يندمج في بنية الجملة، لأنّ الشرط النحوي لوجود الجملة يضمن بلا شك انسجام أجزاء النص لتكوّن نصّا بأية حال، لكن العلاقات الاتساقية هي ذاتها، سواء أكانت عناصرها في جملة واحدة أو لا»⁽²⁾.

إن التماسك يدور حول البنية السطحية للنص، أي العلاقات والروابط التي تشكل بنية النص، فقد استعمل هذا المصطلح عند اللغويين، للإشارة إلى الوحدات المترابطة فيما بينها، والتي تكون بدورها وحدة كبرى، كما يمكن أن يوصف بأنه انسجام أو تماسك داخلي.

فالتماسك إذن خاصية تتصف بها الوحدات الأكبر من الكلمة أو حتى الجملة، وكما يعرفه محمد خطابي فهو «ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برتمته، ومن أجل وصف اتساق الخطاب/ النص، يسلك المحلل الواصف طريقة خطيّة، متدرجا من بداية

(1) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (مسك)، مج2، ج46، ص4203-4205.

(2) _ شريفة بلحوت، الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Cohésion in English) لـ م. أ. ك. هاليداي ورقية حسن، ص83.

الخطاب (الجملة الثانية منه غالباً) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحلية، إحالة قبلية أو بعده، مهتما أيضاً بوسائل الربط المتنوعة، كالعطف والاستبدال، والحذف والمقارنة والاستدراك... كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/ الخطاب (المعطى اللغوي بصفة خاصة) يشكل كلا متآخذاً»⁽¹⁾.

إن التماسك علاقة نحوية تركيبية سطحية ودلالية، داخليا وخارجيا، كما أنه جزء من مكونات النظام اللغوي، الذي يتكون من المكوّن الفكري، والمكوّن التواصلية، والمكوّن النصي، إذ يشكل المكوّن الأخير -النصي- النص في النظام اللغوي، ويضم الوسائل التي تمتلكها اللغة لإنتاج النص، وعمل المكوّن النصي كالمكوّنين الآخرين عن طريق أنظمة مرتبطة بمراتب خاصة في النحو، كما يمكنه القيام بربط عنصر في النص بعنصر آخر أين وجدا، ومن دون اعتبار أن كل ما في النص متعلق به⁽²⁾.

و التماسك هو كذلك « إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرنية الربط النحوي من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية، إلا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي ورعاية الاختصاص والافتقار في ترتيب الجمل»⁽³⁾.

وهذا يعني أن التماسك النصي هو من أهم عناصر الموضوع، بمعنى أن التحليل النصي يعتمد أساساً على التماسك، لأنه يربط بين أجزاء الجملة وأجزاء النص، وهذا الرابط شكلي ودلالي، وهو السر في ثبات النص واستقراره بوصفه نظاماً شكلياً ودلالياً، فالتماسك النصي يجعل النص كالكلمة الواحدة، وله أهمية كبيرة في عمليات إنتاج النصوص وفهمها وتفسيرها، فحين يكون النص متماسكاً، فإنه يرقى بالخطاب إلى مستوى تعبيرى قادر على شد انتباه المتلقي والتأثير فيه⁽⁴⁾.

ونظراً للأهمية القصوى التي حضي بها مصطلح التماسك في الدراسات النصية، فإنه يمكن تمييز هذه الدراسات في اتجاهين اثنين:

(1) محمد خطاي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص5.

(2) شريف بلحوت، الإحالة دراسة نظرية: مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Cohésion in English) لـ م. أ. ك. هاليداي ورقية حسن) ص112-113.

(3) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص78-79.

(4) ناصر محمود صالح النواصرة، التماسك النصي بين النظرية والتطبيق، "سورة الأنعام أمودجاً"، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2009م، ص48.

الاتجاه الأول: يرى أن التماسك خاصية نصية تتحقق من خلال النص ذاته، دون الإشارة إلى وسائل خارجية مثل السياق والمتلقي، وينقسم مؤيدو هذا الاتجاه إلى ثلاثة أقسام: الأول: يرى أن التماسك أمر شكلي، والثاني: يرى أن التماسك أمر دلالي، والثالث يمزج بين الرأيين إلى شكلي ودلالي⁽¹⁾.

الاتجاه الثاني: يرى أنه لا يمكن وصف أي نص بأنه متماسك، أو غير متماسك بعيدا عن المتلقي والسياق، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على النص بالتماسك، كما أن السياق متمم للمعنى، ولا يمكن الاستغناء عنه عند تفسير وتحليل النص، وهذا ما نادى به هاليداى ورقية حسن⁽²⁾.

لهذا نجد أن الدراسات النصية أولت التماسك عناية خاصة، لأنه من خلال هذا المصطلح يتم تمييز النص عن اللانص.

2- التماسك النصي في التراث اللغوي العربي:

إن الدراسات النصية ليست وليدة الدراسات اللغوية الحديثة، بل لها جذور وامتدادات في الدراسات اللغوية السابقة لها، عربية كانت أم غربية، وهناك من الباحثين من يعود بها إلى العهد الأرسطي، ويربط بينه وبين مقولات أرسطو في البلاغة والنصوص كالشعر والخطابة.

ويرى بعض الباحثين أن هناك ارتباطا وثيقا بين البلاغة وعلم النص، لأن البلاغة تضع في الاعتبار مستويات القراءة وأحوالهم النفسية والاجتماعية، وتعدد القراءة، وأشكال التواصل، ودرجات الفهم والاستيعاب وغيرها من المبادئ التي يقوم عليها التحليل النصي⁽³⁾.

غير أن كثيرا من الدارسين من يرفض هذا الارتباط بين البلاغة وعلم النص، إلا أنه لا يمكنهم الانفلات من هذه الحقيقة، والتي تجعل علم لسانيات النص منطلقا من أفكار سابقة له كانت بمثابة الإطار المرجعي، وأنه لم يأت من فراغ.

وحري بنا الآن إثبات أن علم لسانيات النص لم ينطلق من عدم، ومن ثم نصل إلى أن التماسك النصي هو أحد أسس هذا العلم، الذي يحقق للنص تماسكه على مستويات: معجمية،

(1) _صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص340.

(2) _ناصر محمود صالح النواصرة، التماسك النصي بين النظرية والتطبيق "سورة الأنعام أمودجا"، ص48.

(3) _سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص9.

نحوية، دلالية، وتداولية، حيث بيّن النصيون دور كل مستوى من هذه المستويات في تحقيق نصية النص، غير أن العلاقة بين هذه المستويات علاقة عضوية، فلا يمكن فصل أحدها عن الآخر، لأنّ النص بوصفه وحدة لغوية ينبغي النظر للمستويات السابقة مجتمعة لتحقيق نصيته، بحيث يصعب الفصل بين المستوى النحوي والدلالي، أو بين النحو والمعجم والدلالة، وهذه الأخيرة هي المحصلة النهائية للمستويات اللغوية السابقة فهو غايتها، وما المستويات الأخرى إلاّ ممهّدات له، فاللغة كلها ممثلة في هذه المستويات، والأدوات التي تحقق التماسك النص تدرج تحت تلك المستويات وممثّلة لها في الوقت نفسه.

ولم تكن قضية التماسك النصي وليدة الفكر الغربي - كما رأينا - فلها جذور في التراث العربي؛ إذ اهتم اللغويون والبلاغيون والمفسرون بعناصر التماسك، وقد دفع القرآن الكريم العلماء إلى البحث في سر إعجازه، وبيان روعة نظمه وترابطه، واختلفت آراؤهم في مفهوم النظم، لكن هذه الآراء كلها تصب في إطار تأسيس مفهوم التماسك.

كما أن تلك الرؤى والتصورات هي في أصلها خادمة للقرآن الكريم، باعتباره كتاب معجزة، يحمل خصوصية تجعله يختلف عما عهده البشر من شعر أو نثر، ألا يفرض ذلك منهجا خاصا في التحليل والوصف؟ من أجل ذلك سيكون التعامل مع كتاب الله تعاملًا حذرًا يضع نصب عينيه أمرين:

أ- أن القرآن الكريم كتاب مقدس ليس كغيره من النصوص.

ب- أن النظريات اللغوية الغربية الحديثة، قامت على أسس فكرية وفلسفية متباينة تعبر عن روح المجتمع الغربي⁽¹⁾.

لقد أدرك اللغويون العرب أن النص يجب أن يكون وحدة واحدة، وعبروا عن ذلك بعبارات منها: جودة السبك، وقد ذكروا بعض أسس التماسك، النصي التي أقام عليها العلماء المحدثون أصول نظرية التماسك النصي، وإن لم يؤسسوا نظرية عربية في هذا المجال، إلا أن ما أثبتته الدراسات اللسانية المعاصرة أن العلماء العرب قدموا نظرية نحوية نصية متكاملة في كتب الإعجاز القرآني⁽²⁾، وكتب البلاغة والنقد الأدبي وعلوم التفسير وعلوم القرآن⁽³⁾.

(1) نوال خلف، الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أمودجا، ص2.

(2) أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، ص34.

(3) محمد خطايي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص97-140.

غير أنه من الدارسين من يعتبر أن النصوص التي ظهرت في زمن مبكر جداً، لا تمثل نظرية لغوية نقدية، مثل نظرية تماسك النص التي تشغل بال الباحثين في العصر الحديث لكنها على أية حال تعدّ مقدمة طيبة تؤكد أن علماء العربية القدامى كان عندهم حس لغوي صحيح، وكانت لديهم رؤية مبكرة في البحث اللغوي والنقدي، وكان يمكن لمن جاء من بعدهم أن يستثمر هذه الرؤية ويطورها فتصل في النهاية إلى حد النظرية العربية في اللغة والنقد.

2-1- التماسك النصي عند النحويين:

لقد حاول القدماء أن يصلوا إلى قيم فنية لنقد النصوص، ولم يكن البحث اللغوي واقفاً عند حد الجملة، كما يحلوا للبعض أن يصوره، لكنه لم يكن بالمفهوم الذي نتناوله به الآن، بل هو تهمة ألصقت بالقدماء: «على أننا ينبغي أن نعيد النظر فيما اتهم به بعض المحدثين نحاة العرب من أنهم قصروا جهودهم على نحو الجملة، ولم يتجاوزوها إلى النص، ومن ثم لم يتعدّ تحليلهم للجملة بيان وظائف الكلمة: كالفاعلية والمفعولية داخل الجملة، والعلامة الإعرابية لكل وظيفة، والحق أن هذه التهمة لا تصدق عليهم، لأنّ النحاة الأوائل إنما وضعوا القواعد النحوية من استقراء كلام العرب، أي استنبطوا القواعد من النصوص العربية الفصيحة، ويشهد بذلك كتاب سيبويه الذي تضمن علم العربية كله بأصواتها و صرفها، وتراكيبها ودلالاتها وبلاغتها»⁽¹⁾.

إن هذا القول يثبت أن للعرب القدماء نظرية نصية، حتى وإن كانت نحوية فهي في أصلها جزء لا يتجزأ من النظرية اللغوية التي تُخدم النص القرآني، غير أنه يمكن تسجيل بعض المآخذ على هذه النظرية منها⁽²⁾:

1- إن النحاة أغفلوا التعامل مع النص القرآني ضمن إطار الترابط النحوي.

2- عدم وضوح نظرية نحوية نصية في الربط النحوي على المستوى الداخلي للنص (الآية بالآية) أو الخارجي (السورة بالسورة) بل اعتمدوا على الحدس.

3- إن العلماء العرب، وعلى الرغم من جهودهم الضخمة لم يتوصلوا إلى قواعد تشكيل النصوص باستثناء تلك الشذرات التي قدمها عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز والبقاعي (885هـ) في "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

(1) _أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة و الحداثة، ص134-135.

(2) _عمر أبو خرمة، نحو النص: نقد النص.. و بناء أخرى، ص78.

إن المآخذ الثاني يتنافى مع تقديم العرب القدماء لنظرية لغوية نصية متكاملة، خاصة وأنهم اعتمدوا الحدس الذي يكشف عن النظرية في عمق تفكيرهم.

كما أن المتأمل والمدقق في الموروث النحوي يلمح نظرات عميقة للنحاة في بحث أسرار الترابط والتماسك النصي في القرآن الكريم، أو بيان آليات انسجام النصي، فقد دلت بحوثهم العميقة للنص القرآني على اهتمامهم بإثبات الوحدة النصية في القرآن الكريم، وإنما كانت حاضرة في أذهانهم وأنهم لم يتجاوزوها إلا أنهم لم يضعوها ضمن إطار نظرية نحوية نصية⁽¹⁾.

إن النحو النصي المتمثل في (نحو القرآن الكريم) لم يعتمد في أصوله على النحو فحسب، وإنما تضافرت جهود نحوية وبلاغية وتفسيرية وأدبية وأصولية لتوسيع علم النحو ليشتمل على دراسة النص.

وقد انطلق النحاة القدماء في دراستهم للنص القرآني من الجملة القرآنية (الآية) ثم انتقلوا به إلى مستوى أكبر وهو (النص): «فالتحليل النحوي عند العرب لا يقف عند حدود الجمل والكلمات بل يمتد بها إلى العبارة وما بعدها»⁽²⁾.

والعبارة وما بعدها أكبر من الجملة، ويصلان إلى مفهوم النص.

كما بحث النحاة القدماء مفهوم النص، وأقاموا نحوهم على أسس نصية معنوية، فكان لهم فضل الاهتمام المبكر إلى مواطن الفصل والوصل، وتعلق الكلام واتصال أوله بآخره، ومواقع الوقف والابتداء، وابتداء الكلام وانقطاعه واستثنائه، وكانت لهم نظراتهم العميقة، وفهمهم الدقيق لأنظمة الربط النحوي والتماسك، فلم يقتصر الأمر على ذلك، بل اعتمدوا على روابط خارجية غير لغوية وهي «السياق والمتكلم والمتلقي» وهذا يثبت أن: «دراسة النحاة لم تكن دراسة شكلية، بل دراسة عميقة، فلم يقتصروا على الروابط الداخلية وإنما الروابط الخارجية، ومنها إبراز دور المشاركين في العملية اللغوية ووظيفة السياق في تفسير أبعاد النص، ويظهر ذلك في التحليل اللغوي للنص في كيفية اختيار المبدع لأدواته اللغوية مثل: الأدوات والضمائر، والأزمنة، والتكرارات، والحذف والمقابلات والجمل... أي بالاهتمام بالعلاقات الداخلية والخارجية»⁽³⁾.

لقد اهتم النحاة القدماء بالمسائل التي تجعل النص اللغوي متماسكا، من علاقات بين

(1) _ عمر أبو خرمة، نحو النص: نقد النص.. وبناء أخرى، ص80.

(2) _ حسين خيري، نظرية النص: من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ص226.

(3) _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص63.

الجملة، ودور المشاركين والسياق، وبالروابط الداخلية والخارجية.

كما درس النحاة بنية النص القرآني على أنها بنية مقصودة متماسكة وغير مستقلة عن السياق، وبحثوا علاقات اتصال الكلام أوله وآخره، وعلاقات الألفاظ بعضها ببعض، وربطها بالحكم الإعرابي.

أ-سيبويه (ت180هـ)/الجانب الاتصالي في معالجة النصوص اللغوية:

اكتسبت المعالجات النحوية القديمة -عند العرب- كثيرا من سمات التحليل النصي المعروفة اليوم، فمنها على سبيل المثال: اهتمام القدماء بالنواحي الاتصالية في معالجة النصوص اللغوية، إذ صنّف كتاب سيبويه في النحو لهذا الغرض، الذي يقول في باب الاستقامة من الكلام والإحالة: «فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأيتك غدا.

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجمل وشربت ماء البحر ونحوه.

وأما المستقيم القبيح: فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكى زيداً يأتيك وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس⁽¹⁾.

إنّ قول سيبويه يحوي بعضا من خصائص التحليل النصي منها:

1-عدم الاقتصار على النواحي التركيبية والإعراب في معالجة اللغة، بل يتعداها إلى النواحي الدلالية.

2-الاهتمام بالجانب الاتصالي كما يفعل علماء النصية اليوم، وذلك من خلال اهتمامه بمناسبة اللفظ للسياق الخارجي واتفاه مع الواقع.

3-تركيزه على الرسالة التي يحملها النص من حيث مطابقتها للواقع، وهو ما يسمى اليوم بقصدية المنتج، ومدى قبول المتلقي لها، وهذا ما يطلق عليه في التحليل النصي بعامل المقبولية.

4-الإشارة إلى أهمية اتساق التركيب اللغوي، وهو ما يسمى بالترابط أو التماسك، ويظهر ذلك في قوله: «وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه»؛ أي في موضع لا يتحقق

(1) _سيبويه، الكتاب، ج1، ص25-26.

فيه الترابط⁽¹⁾.

هذا نموذج عن التحليل النصي وخصائصه، في قول سيوييه، مع أن هناك الكثير من الإشارات النصية.

لقد تضمن كتاب سيوييه علم العربية كله بأصواتها وصرفها، وتراكيبها، ودلالاتها وبلاغتها، يقول الشاطبي: «وكتاب سيوييه يتعلم منه النظر والتفتيش، والمراد بذلك أن سيوييه وإن تكلم في النحو فقد نبّه في كلامه على مقاصد العرب، وأحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب ونحو ذلك، بل هو يبين في كل باب ما يليق به، حتى وإن احتوى على علم المعاني والبيان، ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني»⁽²⁾.

فسيوييه لا يقرر في الكتاب قواعد، ولا يشترط للأحكام شروطاً، ولا يلتزم تعريف المصطلحات ولا ترديدها بلفظ واحد، وإنما الكتاب فيض غزير من الأساليب والمفردات، وبعض الأساليب مأثور، وبعضه محدث، يعرضها سيوييه ليدرسها ويحللها، ثم يقضي قضاءه فيها صحة أو خطأ حسناً أو قبحاً، كثرة أو قلّة، وهكذا⁽³⁾.

فلم يعالج كتاب سيوييه قضايا الأصوات والصرف والنحو فقط، بل تعرض في ثنايا ذلك، كله أيضاً لكثير من قضايا اللغة من دلالة وبلاغة وغيرهما، ومن ذلك تعرضه للعلاقة بين اللفظ والمعنى فقسّم الألفاظ - من حيث معانيها - إلى ثلاثة أقسام:

الأول: اختلاف اللفظين، لاختلاف المعنيين، مثل: جلس، ذهب.

الثاني: اختلاف اللفظين، والمعنى واحد، مثل: ذهب، انطلق.

الثالث: اتفاق اللفظين، والمعنى مختلف، مثل: وجدت عليه من الموحدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة⁽⁴⁾.

وهذا ما تعرض له علماء اللغة قديماً وحديثاً في علم الدلالة، حيث درسوا التباين، والترادف، والمشارك اللفظي.

(1) خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 36-37.

(2) الشاطبي، الموافقات، ج 4، ص 116.

(3) علي النجدي ناصف، تاريخ النحو، دار المعارف، القاهرة، 1978م، ص 19.

(4) سيوييه، الكتاب، ج 1، ص 24.

ولم يكن سيويه يدرس الأساليب دراسة نحوية شكلية دون النظر إلى معانيها، بل كان يربط بين صحة الأسلوب واستقامة المعنى، وهذا ما تطرقنا إليه من تقسيمه للكلام إلى مستقيم وحسن ومحال ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

وقد أدرك سيويه العلاقة بين ركني الإسناد، وهما: المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، فبنى حديثه عن التركيب على علاقة الإسناد التي تربط بين المسند والمسند إليه، ومن ثم لم يتناول التركيب كما تناوله المتأخرون من حيث تقسيمه إلى جملة اسمية وفعلية، ولكنه تناوله كما يتناوله البلاغيون، الذين ينصب كلامهم على علاقة الإسناد، ولذا لم يستعمل مصطلح النحاة المتأخرين، وهو مصطلح الجملة، وإنما استعمل مصطلح البلاغيين، وهو المسند والمسند إليه، وفي ذلك يقول: «هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يَغْنِي واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدءاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: «عبد الله أخوك»، و«هذا أخوك»، ومثل ذلك: «يذهب عبد الله»، فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء»⁽¹⁾.

وهذا معناه أن سيويه قد لاحظ علاقة الإسناد التي لا بد أن تنشأ من تضام كلمتين، وهذه العلاقة المعنوية هي التي أطلق عليها علماء النص الربط الدلالي، أو الحبك أو الالتحام، أو التماسك وإن كان على مستوى الجملة التي هي نواة النص.

وهناك أيضاً إشارات عميقة أخرى كونت اللبنات الأساسية للتحليلات النصية عند سيويه والنحويين الآخرين، من ذلك أن سيويه تحدث عن أهمية وجود الضمير الذي يحيل على السابق، وإلا يصبح الكلام غير حسن، ومن أمثلة ذلك:

- يوم الجمعة ألقاك فيه.

- أقل يوم لا ألقاك فيه.

- أقل يوم لا أصوم فيه.

- مكانكم قمت فيه.

- يوم الجمعة صمته.

حيث كان المضمّر -الهاء، هو الأول [يوم الجمعة] ولا يحسن في الكلام أن يجعل الفعل

(1) _ سيويه، الكتاب، ج1، ص23.

مبنيًا على الاسم [السابق] ولا يذكر علاقة إضمار الأول حتى يخرج من لفظ الأعمال في الأول ومن حال بناء الاسم عليه وشغله بغير الأول... ولكنه قد يجوز في الشعر، وهو ضعيف في الكلام...⁽¹⁾

ويعلق السيرافي في الهامش قائلا: «حذف الهاء يكون في ثلاثة مواضع: في الصلة والصفة والخبر.. وحذفها في الخبر قبيح»⁽²⁾.

فقد وقف الأعمال من عدمه على وجود الضمير من عدمه، فوجود الضمير الرابط بين المعمول المتقدم والعامل المتأخر يميز العمل مثل⁽³⁾:

قابلت عليا وزيدا رأيت

ويذكر سيويوه أنه «اختير النصب ها هنا لأن الاسم الأول مبني على الفعل، فكان بناء الآخر على الفعل أحسن عندهم...»⁽⁴⁾.

هذه أمثلة تمثل إحالات قبلية عند سيويوه، وهي من صميم التحليل النصي عند النحاة القدماء.

كما أن سيويوه يتحرى البنية العميقة للكلام، وتمييزه بين الوجوه الإعرابية المحتملة لأكثر من وجه بحسب المعنى ودلالات السياق، ومنه حديثه عن قطع البدل والاستئناف نحو قوله: (مررت برجلين مسلم وكافر، جمعت الاسم وفترت النعت، وإن شئت كان المسلم والكافر بدلا، كأنه أجاب من قال: بأيّ ضرب مررت؟ وإن شاء رفع كأنه أجاب من قال: فما هما؟ فالكلام على هذا وإن لم يلفظ به المخاطب، لأنه إنما يجري كلامه على قدر مسألتك عنده لو سألته، وكذلك مررت برجلين رجل صالح، ورجل طالح، إن شئت صيرته تفسيرا لنعت وصار إعادتك الرجل توكيدا، وإن شئت جعلته بدلا، كأنه جواب لمن قال: بأيّ رجل مررت؟ فتركت الأول واستقبلت الرجل بالصفة، وإن شئت رفعت على قوله (فما هما)⁽⁵⁾.

هذه الإشارات النصية التي تكلم عنها سيويوه في كتابه، لا تمثل سوى نسبة قليلة، مما هو

(1) _ سيويوه، الكتاب، ج1، ص84، 87-88.

(2) _ المصدر نفسه، ج1، ص87.

(3) _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص132.

(4) _ سيويوه، الكتاب، ج1، ص88.

(5) _ المصدر نفسه، ج1، ص431.

متناثر في كتب النحو العربي قديما، حتى وإن كان المصطلح النصي الحالي غائبا، فإنّ التطبيق على الكلام من جملة وعبارة ونصوص شعرية ونثرية فهي موجودة بكثرة.

ب- عبد القاهر الجرجاني (471هـ)/قواعد التماسك النحوي:

لقد حظي عبد القاهر الجرجاني بعناية كبيرة من قبل الباحثين والدارسين المحدثين، كونه من كبار أئمة العربية والبيان في القرن (05هـ)، حيث اهتم بالنص القرآني وبأسرار بلاغته، وتجسد ذلك في كتابه: (دلائل الإعجاز)، كما أنه صاحب نظرية النظم، ولا يعني هذا أنه المبتكر الأول لهذه النظرية، فقد سبقه إليها الجاحظ في البيان والتبيين، وأيضا الرماني، لكن الفضل يعود إليه في بلورتها وصياغتها صياغة جديدة، وحسن تشكيلها .

هذه النظرية التي تحمل في طياتها بذورا لعلم جديد، أصبح يعرف اليوم: بعلم لسانيات النص، يقول إبراهيم خليل: «...لا يشيرون إلى ما في آرائه من تمهيد مبكر، وتوطئة متقدمة في الزمن، لما أصبح معروفا اليوم باسم قواعد التماسك النحوي، الذي هو باب من أبواب النظر يعني به علم قواعد النص، أو ما يعرف بعلم النص، أو علم اللغة النصي... أن الجرجاني عن قصد، أو عن غير قصد، تطرّق إلى كثير مما يعرف بقواعد التماسك النحوي»⁽¹⁾.

لقد نظر الجرجاني إلى القرآن الكريم نظرة كلية باعتباره نصّا واحدا، ومتسائلا: ما الذي أعجز العرب من النص القرآني؟ ويجيب عن هذا السؤال من خلال نظرية النظم التي كشف بها أن القرآن الكريم نص متكامل متماسك بطريقة أبهرت العقول، وأنّ إعجازه جاء من هذا الجانب، يقول الجرجاني: «وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعُشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبهه أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتثام، واتفاقا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منهم -ولو حكّ بيافوخه السماء موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدّعي وتقول، وخذيت القُروم فلم تملك أن تصول»⁽²⁾.

وما يلاحظ على نص الجرجاني أنه نظرة كلية إلى النص القرآني، ثم اتبع ذلك ذكر مصطلحات ذات علاقة بالتحليل النصي، منها ما هو متعلق بالجانب الشكلي للنص مثل قوله: «التثام، إحكام، نظام»، ومنها ما هو متعلق بالجانب الدلالي مثل: «اتساق، اتفاق»، ولا يقف

(1) إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص213.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص39.

عند حدود هذه المعطيات، بل يتابع بين العناصر التي تكفل تحقق هذه المعايير في النص، مستندا على نص القرآن الكريم كنموذج للنص المتكامل في تماسكه وانسجامه، يقول الجرجاني: «من وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وتصحيح الأقسام، وحسن الترتيب والنظام، والإبداع في طريقة التشبيه والتمثيل، والإجمال ثم التفصيل، ووضع الفصل والوصل موضعهما، وتوفيه الحذف والتأكيد والتقديم والتأخير شروطهما، مدخل فيما له القرآن كان معجزا»⁽¹⁾.

لقد طبق الجرجاني نظرية النظم على النص القرآني، ليجعل منه نصّا إعجازيا تقف عنده العقول حائرة لسحر بيانه وإحكام تأليفه من أوله إلى آخره بين ألفاظه وآيه وفواصله، ويظهر ذلك من خلال أقواله وآرائه المورودة في كتبه المختلفة: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة والرسالة الشافية في الإعجاز، إذ نجده يؤكد في أكثر من موضع على أن القرآن لا يضاهيه نظم، ولا يرقى إليه فكر، كما أن النظم القرآني عنده لا يعود إلى ألفاظه منفردة عن تركيبها، وذلك لأن أهل العربية هم العرب، ومفرداتها في متناول العام والخاص منهم، لكن المزية تكمن في تراصف هذه المفردات مع بعضها البعض تحت غطاء معنى محدد مقصود، تتحد فيه أجزاء الكلام لتكوّن نصّا متماسكا بين أجزاء الجملة، وبين الجملة والجملة في مجموعة من العلاقات المنظمة والمتناسقة بين أطراف الكلام⁽²⁾.

لقد ربط الجرجاني بين النظم القرآني ومضمونه، وهذا يعني أنّه ربط بين جانبيين لا يمكن الفصل بينهما لفهم المقصد من النصوص، وهما الجانب التركيبي، والجانب الدلالي، أو التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، وهما كل ما يتعلق بتحليل النصي وبكل ما يتصل به من جوانب متعددة، حيث يقول مفرقا بين نظم الحروف في الكلمة ونظم الكلمات في النص: «لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض... نظيرا للنسج والتأليف... والبناء... وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض... والفائدة في معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها... واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك، علمت علمًا، لا يعترضه شك، أن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يُعلّق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذا بسبب من تلك... أن ننظر إلى التعليق فيها

(1) _ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص59.

(2) _ حسن عبد القادر، شرح وتفسير الشافية في الإعجاز مع دراسة وجوه الإعجاز، 01، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص24.

والبناء، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبها ما معناه وما محموله»⁽¹⁾.

لقد أشار عبد القاهر الجرجاني في هذا النص إلى أهمية التماسك الدلالي، والتماسك بين أجزاء النص، وإلى التعالق، وإلى علاقة السببية، وهي من علاقات التماسك النصي⁽²⁾.

كما يؤكد من خلال هذا النص مجموعة من المبادئ التي لا تفصل كثيراً عن ما جاء به علماء لسانيات النص:

أ- أهمية التماسك في النص على المستوى الأفقي.

ب- لا يمكن إغفال جزء من أجزاء النص عند معالجة غيره، بل هو أجزاء لا تُعرف إلا بالكل الذي يجمعها «ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض».

ج- اتسام النص بالتماسك في أجزائه جميعاً، إذ لا فرق هنا بين عمدة وفضلة، فالكل يسهم في صياغة الرسالة⁽³⁾.

ولعلّ الجرجاني أفضل من عالج موضوع التماسك النصي على المستوى الدلالي، إذ بنى نظرية النظم على التعالق بين الألفاظ والجمل، فهو يرى أن المستوى العالي من النظم هو الذي يتسم بالتماسك، وهو «أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع يمينه هاهنا في حال ما يضع يساره هناك، نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حدٌ يحصره، وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى، وأنحاء مختلفة»⁽⁴⁾.

وهذا معنى آخر للتماسك بصورة أوضح، مما نجده في النظريات اللسانية الحديثة المهمة بالنص.

إن ما سبق عرضه هو من ملامح النظرية النحوية النصية، التي تظهر بشكل جلي عند عبد القاهر الجرجاني، ومن الإشارات النصية أيضاً تحديده مفهوم النص وقواعد تشكيله، بالتزامه منهجا

(1) _ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 49-55.

(2) _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج 1، ص 127.

(3) _ خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 37-38.

(4) _ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 93.

فكرياً منظماً؛ فالنص عند الجرجاني هو النظم، وإن بناء النص وإنتاجه لا يكون إلا بقوانين وآليات خاصة، وهي قوانين النحو وأصوله، بحيث يقول: «اعلم ان ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تُهَجَّت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تخلّ بشيء منها...»⁽¹⁾.

فهذه جملة من القواعد ذكرها الجرجاني، ليصف من خلالها القيود التي يلتزمها المتكلم في تأليفه ثم يعرض لمعاني النحو.

وما يلاحظ على هذا القول أيضاً، أن الجرجاني لم يذكر مصطلح النص بمفهومه الحديث، غير أن هذا المفهوم كان حاضراً في الدرس النحو اللغوي القديم بمسميات أخرى، حيث يذكر محمد الشاوش ويرجح أن انعدام هذا المعنى في كلمة نص راجع إلى كون مجاله المفهومي مشغولاً بمصطلحات أخرى هي: القول، الخطاب والكلام⁽²⁾.

ويعلق حماسة عبد اللطيف على هذا القول: «والذي يكسب هذه النص قيمة وقدراً أنه ليس نصّاً عابراً، أو إشارة طارئة، بل هو نص جاء في سياق نظرية متكاملة عند عبد القاهر الجرجاني في النظر إلى النص وتفسيره، وهذا التفسير يقوم على معطيات النحو ومعانيه، وينبني على التعليق الذي شرحه عبد القاهر شرحاً وافياً»⁽³⁾.

ويرى بعض الباحثين أن الجرجاني انطلق من وعيه المتقدم، وفهمه لطبيعة (علم النحو) فهما علمياً دقيقاً، وبحث جزئيات (نحو النص)، وقد انتقل الجرجاني بالنحو من مستوى نحو الجملة إلى مستوى نحو ما فوق الجملة وهو (نحو النص)⁽⁴⁾.

وأرجع الجرجاني صحة النظم أو فساده إلى معاني النحو وأحكامه، وتحري أدوات الربط النحوية وأثرها في التماسك الدلالي، وحدد علاقاتها النحوية والأسلوبية، الأمر الذي جعل المحدثين يستفيدون كثيراً مما قدمه الجرجاني في هذا الشأن.

إن الجرجاني يميل إلى جعل النظم في الفكر أولاً قبل اللفظ، ولا يقيم وزناً كبيراً للفظ وحده

(1) _ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 81.

(2) _ محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ج 1، ص 197.

(3) _ محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1420هـ-

2000م، ص 14.

(4) _ عمر أبو خرمة، نحو النص: نقد النظرية.. و بناء أخرى، ص 44-47.

دون علائق تربطه بما حوله في النسق الواحد، فالمتكلم أو المرسل يمتلك مجموعة من المعاني التي تتربط أفكارا كاملة لديه، وهي الرسالة التي يبغى توصيلها، ولكل معنى لفظ محدد دال عليه، كما أن لكل تركيب معنى خاصا يقدمه، ليصل في النهاية إلى أفكار ومعايير مرتبة ترتيبا خاصا، ويستدعي هذا الترتيب الخاص في ذهن المرسل ترتيبا خاصا للألفاظ⁽¹⁾.

وهذا ما قرره روبرت دي بوجراند بالنسبة لعملية إنتاج النص وتلقيه، حيث يقول: «وعلى منتج النص أن يضع خطة للمحتوى المفهومي والعلاقي للنص، ثم يضع هذا المحتوى في صورة سطحية، أما من يستقبل فعليه أن يخطط لإعادة السطح إلى المحتوى، وإعادة المحتوى إلى الخطة التي وضعها هو لهذا المحتوى»⁽²⁾.

فبعد القاهر يتفق مع دي بوجراند في أن منتج النص يبدأ بترتيب المعاني والأفكار في نفسه، ثم يختار لها الألفاظ المناسبة فيرتبها ترتيبا خاصا، طبقا لهذه المعاني دون فصل زمني بينهما.

وهذا الموقف من عبد القاهر تجاه عملية إنتاج النص عدّه تمام حسان أمرا جديدا في الدراسات اللغوية عند القدماء، حيث «درجت الدراسات التحليلية على العناية بموقف المتلقي من النص دون العناية بموقف منتج النص؛ أي أنها وجهت كل عنايتها للفهم، ولم تعن إلا في القليل بالصياغة، فلا نجاد نجد في تراثنا العربي من يعنى بجانب الصياغة إلاّ عبد القاهر الجرجاني، الذي اقترح للصياغة أربع مراحل هي: النظم، والبناء، والترتيب، والتعليق، وإذا كان عبد القاهر قد استمد هذا الإطار الفكري من مذهب الأشاعرة في مسألة الكلام النفسي، فلقد كان سابقا بعدة قرون للدراسات اللغوية النفسية الحديثة التي تتناول إنتاج النص اللغوي»⁽³⁾.

كما ربط تمام حسان بين صنيع عبد القاهر، وما رآه دي بوجراند من إمكان النظر إلى عملية إنتاج النص في تطورها على أنها تمر بمراحل لا ينفصل بعضها عن بعض في سياقها الزمني، وهذه المراحل الأربع هي: مرحلة الخطة، ومرحلة التجريد، ومرحلة التطوير، ومرحلة التعبير، وعلى هذا علّق تمام حسان بقوله: «يذكرنا هذا بفكرة النظم لدى عبد القاهر الجرجاني الذي يتكلم عن النظم والبناء والترتيب والتعليق»⁽⁴⁾.

(1) _أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص140.

(2) _روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص421.

(3) _المرجع نفسه، ص5.

(4) _المرجع نفسه، ص43.

ومن خلال هذه النصوص نرجع إلى الاتهام الذي وصف به اللغويون المحدثون النحويين العرب القدماء، من أنهم قصروا دراساتهم النحوية على الجملة، لتأتي هذه النصوص لتدحض كل ما قالوه، لأنّ القدماء أعمالهم كانت بمثابة الإطار المرجعي والفكري لدراسات المحدثين.

ومن مظاهر التماسك النصي عند عبد القاهر الجرجاني، والتي اتخذت طابعا فكريا ومنهجيا منظما في نظرية النظم القائمة على نظام التعلّق، تحليلاته العميقة لقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأَهُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة هود: 44]، إذا أرجع مزية الإعجاز فيها إلى ارتباط الكلم بعضها ببعض، حيث يقول: «فتجلى لك منها الإعجاز وبهرك الذي تري وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذا الكلم بعضه ببعض، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة والرابعة، وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وأن الفضل نتائج ما بينها، وحصل من مجموعها؟ ... ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة "بقيل" في الفاتحة.. أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب»⁽¹⁾.

وعليه فيمكننا القول إن الجرجاني في نظرية النظم، قد أشار إلى الكثير من التحليلات النصية، الموجودة في كتبه، والتي أفاد منها علماء لسانيات النص المحدثين عربا كانوا أم غربيين.

ج- الفراء، ابن السراج، وابن هشام/الترابط النحوي النصي في القرآن الكريم:

لقد ظهرت عناية النحاة بعناصر الترابط النحوي في النص القرآني من خلال شيوع مفاهيم الترابط النحوي ووسائله في الدرس النحوي منذ وقت مبكر، نحو: مفاهيم الكلام والجملة، والتأليف والتركيب، وتعدد وسائل الترابط في الجملة وتتنوع من وسائل معنوية ولفظية بين العناصر الإسنادية وغير الإسنادية في الجملة، وعلى ضوء هذه المفاهيم درس النحاة بنية النص القرآني على أنها بنية مقصودة متماسكة وغير مستقلة عن السياق، وبحثوا علاقات اتصال الكلام أوله بآخره وعلاقات الألفاظ بعضها ببعض، وربطها بالحكم الإعرابي⁽²⁾.

حيث يميز الفراء (ت207هـ) بين دلالة الاستئناف والعطف في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا

(1) _ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص45-46.

(2) _ هناء محمود إسماعيل: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012م، ص184.

مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿إبراهيم: 4﴾... ثم قال: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾، فرجع، لأن النية فيه الاستئناف، لا العطف على ما قبله⁽¹⁾.

ويربط هذا الحكم بنصوص أخرى: ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج: 5] ومثله في: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: 14]، ثم قال: «ويتوب الله على من يشاء»⁽²⁾.

ويستنبط الفراء قاعدة التمييز بين العطف والاستئناف، وهي مشاكلة معنى الفعل السابق للواو، قال: «فإذا رأيت الفعل منصوباً وبعده فعل قد نُسِقَ عليه بواو، أو فاء، أو ثم، أو أو، فإن كان يشاكل معنى الفعل الذي قبله نسقته عليه، وإن رأيت غير مشاكل لمعناه استأنفته فرفعت»⁽³⁾.

ومن الجمل المنقطعة التي يتعين فيها الاستئناف، إذ لا يجوز حمل «ويريد الذين» على «أن يتوب»، لأنها لا تشاكل معنى الفعل، وإنما تستلزم التناقض، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ [النساء: 27] رفعت (ويريد الذين) لأنها لا تشاكل (أن يتوب)، ألا ترى أن ضمك إياهما لا يجوز فاستأنفت أو رددته على قوله (والله يريد)، ومثله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: 32] فيأبى في موضع رفع لا يجوز إلا ذلك⁽⁴⁾.

ويستنبط الفراء قاعدة الاستئناف ب(أو) والعطف منها، فالعرب تستند إلى المعنى وتجعله علماً للتفريق بينهما، فإذا صلح المعنى لمعنى ما صلحت فيه (أحد) و(إحدى) جعلوه على معنى (بل)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفوات: 147]⁽⁵⁾.

(1) أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي نجار، عبد الفتاح إسماعيل، شلي، ط3، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1422هـ-2011م، ج2، ص67.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص ن.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص68.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص ن.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص72.

وهذه معاني دقيقة أشار إليها النحاة القدماء، تنبؤ عن وعيهم المبكر بدقائق اتصال الكلام وانفصاله، وتعلق أجزاء بعضها ببعض، وإضافة إلى إدراك النحاة للفروق المعنوية الدقيقة في العطف بالواو، والاستغناء عنها في الآيتين: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: 6]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: 49]، وفرق الفراء بين دلالة (الذبح) ودلالة (التذبيح): «فمعنى الواو أنهم يمستهم العذاب غير التذبيح، كأنه قال: يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح، ومعنى طرح الواو كأنه تفسير لصفات العذاب، وإذا كان الخبر من العذاب أو الثواب مُحَمَّلاً في كلمة ثم فسرتة، فأجعله بغير الواو، وإذا كان أوله غير آخره فبالواو»⁽¹⁾.

لقد بني النحو العربي على مفاهيم الارتباط والتماسك بين أركان الجملة، فكانت علاقات الإسناد، والتلازم بين المسند والمسند إليه والمتعلقات مظهراً من مظاهر التماسك النصي في علم النص⁽²⁾.

كما تحرى النحاة البنية العميقة في الكلام، فقد ربطوا بين الدلالات السطحية والبنية العميقة، وهذا نوع من التماسك فطنوا إليه، وفسروا بعض النصوص القرآنية، وأقاموا أحكامهم عليها مع مراعاة المخاطب والمتكلم، وحقيقة الخطاب في الكلام، ومنه ما ذكره ابن السراج (ت316هـ)، في تقسيمه أنواع الفاعل الحقيقي وغير الحقيقي (الضرب الثالث منه)، قال: «والضرب الثالث: أفعال منقولة يراد بها غير الفاعل الذي جعلت له نحو قولك: لا أرينك هاهنا، فالنهي هو للمتكلم كأنه ينهي نفسه في اللفظ وهو للمخاطب في المعنى وتأويله: لا تكوننّ ها هنا، فإن (من) حضرنى رأيتة ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102] لم ينههم عن الموت في وقت، لأن ذلك ليس المهم تقديمه وتأخير، ولكن معناه: كونوا على الإسلام، فإن الموت لا بد منه، فمتى صادفكم صادفكم عليه، وهذا تفسير أبي العباس»⁽³⁾.

ومن كلامه أيضاً عن الروابط، والتي فصل من خلالها وأشار إلى مسألة الربط بالحرف،

(1) _الفراء، معاني القرآن، ج2، ص69.

(2) _صحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص71.

(3) _أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين القتلي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ-1996م، ج1، ص74.

قوله: «اعلم أن الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع، إما أن يدخل على الاسم وحده مثل: الرجل، أو الفعل وحده مثل: سوف، أو ليربط اسما باسم: (جاءني زيد وعمرو)، أو فعلا بفعل، أو فعلا باسم، أو على كلام تام، أو ليربط جملة بجملة أو يكون زائدا... وأما ربطه جملة بجملة فنحو قولك: (إن يقيم زيد يقعد عمرو)، وكأن أصل الكلام (يقوم زيد يقعد عمرو)، فيقوم زيد ليس متصلا بيقعد عمرو، ولا منه في شيء فلما دخلت (إن) جعلت إحدى الجملتين شرطا والأخرى جوابا»⁽¹⁾.

لقد أظهرت هذه الإشارات النصية دقة فهم النحاة في الربط بين ظاهر النص وباطنه، بما يحقق التماسك بين أجزاء النص وربط الأحكام النحوية بمقاصدها لتعيين المعنى المراد.

ومن النحاة الأوائل الذين أسسوا للترابط النصي، من خلال شيوع مصطلحات دالة على ذلك، نجد ابن هشام (ت761هـ)؛ حيث ساوى بين الجملة الابتدائية والمستأنفة، وهي عنده نوعان: «أحدهما: الجملة المفتوح بها النطق، كقولك ابتداء: زيد قائم، ومنه الجمل المفتوح بها السور، والثاني: الجملة المنقطعة مما قبلها نحو: (مات فلان رحمه الله، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٨٣﴾ إِنَّا مَكْنَالُهُ فِي الْأَرْضِ ﴿الكهف: 83-84﴾...»⁽²⁾.

كما توسع ابن هشام في حديثه عن الجملة الاستئنافية، وميّز الاستئناف البياني من الاستئناف النحوي، وهو ما كان جوابا لسؤال، مقدر، قال: (ويخص البيانين الاستئناف بما كان جوابا لسؤال مقدر نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنثِيَ ضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۝٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۝٢٥﴾ [الذاريات: 24-25]، فإن جملة القول الثانية جواب لسؤال مقدر تقديره: فماذا قال لهم؟ ولهذا فصلت عن الأولى فلم تعطف عليها، وفي قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾، جملتان حذف خبر الأولى ومبتدأ الثانية، إذ التقدير: سلام عليكم، أنتم قوم منكرون ومثله في استئناف جملة القول الثانية: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ ۝٥٢﴾ [الحجر: 51-52]، وقد استؤنفت جملتا القول في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود: 69]⁽³⁾.

(1) ابن السراج، الأصول في النحو، ج1، ص42-43.

(2) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج5، ص39-40.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص41.

كما أسهم ابن هشام ببحوثه في التأسيس لنظرية نحوية نصية في النحو العربي، فظهرت عنايته بمظاهر الترابط النحوي النصي في القرآن الكريم، فهو أول من حدد أنظمة الربط في الجملة القرآنية، ودرس علاقاتها، ومواضع الارتباط فيها، فقد حدد ابن هشام (روابط الجملة بما هي خبر عنه)، وهي عنده عشرة: الضمير والإشارة، وإعادة المبتدأ بلفظه، وإعادته بمعناه، وعموم المبتدأ، والعطف بفاء السببية جملة ذات ضمير على أخرى خالية منه، والعطف بالواو، ومنه الشرط المشتمل على ضمير مدلول على جوابه بالخبر، و(أل) النائبة عن الضمير، وكون الجملة نفس المبتدأ في المعنى⁽¹⁾.

كما أن الروابط التي حددها ابن هشام، أو المواضع التي تحتاج إلى روابط كالجملية المخبر بها، والجملة الموصوف بها، والموصول بها، والواقعة حالا، أغلبها اعتمدها علماء النص المعاصرون. فهذه إذن إشارات نصية كانت ماثورة في كتب النحو العربي، وما خفي منها كان كثيرا، وإن دلّ على شيء فإنما يدل على النظرة الثابتة لأمثال ابن هشام وغيره.

2-2- التماسك النصي عند البلاغيين:

علاقة البلاغة بالنصوص علاقة قديمة، على عدة مستويات، وعند الحديث عن التماسك النصي عند علماء البلاغة القدماء، فإن هذا يحيلنا إلى نظرية قديمة في الدراسات البلاغية، ألا وهي نظرية النظم - التي رأينا فيما سبق - أنها قد ارتبطت بالدراسات القرآنية، وظهرت على إثر ذلك مجموعة من المؤلفات حول نظم القرآن؛ إذ تواترت آراؤهم فيه، فذكروا أوجهها جملة، وذلك منذ مطلع القرن 04هـ، نذكر منها على الترتيب:

- إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه لأبي عبد الله محمد بن يزيد الرباطي (306هـ).

- نظم القرآن لأبي بكر بن أبي داود السجستاني (316هـ).

- نظم القرآن للجاحظ (255هـ).

- إعجاز القرآن للباقلاني (403هـ).

- الرسالة الشافية في الإعجاز للجرجاني (471هـ)... إلى غير ذلك من المؤلفات⁽²⁾.

(1) - ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج5، ص585-597.

(2) - محمد خان، القرآن الكريم ونظريات الإعجاز، مجلة التواصل، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، محكمة، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد2، جانفي1997م، ص7.

إن دراسة الأبنية النصية، والوظائف الجمالية المتعددة للنصوص، وكذلك الاهتمام بفصيح الكلام الذي تتناسق معانيه مع ألفاظه، كانت من اختصاص البلاغيين كما سترى.

أ- ابن قتيبة (213هـ-276هـ)/انسجام النص القرآني:

تظهر التحليلات النصية عند ابن قتيبة، منذ تأليفه لكتابه: "تأويل مشكل القرآن"، الذي ألفه في القرن 03هـ، وهدف الكتاب هو الرد على الملاحدة، الذي يريدون الطعن والانتقاص من القرآن الكريم، إذ اتبعوا ما تشابه منه لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: 07].

ويقول ابن قتيبة: « فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة وأكشف للناس ما يلبسون»⁽¹⁾.

فقد طعن هؤلاء الملحدون في القرآن من وجوه مختلفة، من خلال ادعائهم اللحن، والتناقض والاختلاف، كما تأولوا الكثير من القضايا.

ودفاعا عن القرآن الكريم وبلاغته، بدأ ابن قتيبة بتقديم حجج هؤلاء، ثم ينتقل إلى حججه بمنهج واضح وبموضوعية تجعل ابن قتيبة يخطو خطوة في الدرس العلمي العربي القديم، كما استطاع ابن قتيبة أن يقدم إرهابات نصية قريبة من علم لسانيات النص، وذلك من خلال⁽²⁾:

1- النظرة الشاملة للنص القرآني كله، فلا يقدم موقفه إلا بعد عرض مختلف الآيات الواردة، من ذلك في باب تكرار الكلام والزيادة فيه، فمثلا ابن قتيبة يفرق بين الواو كأداة ربط، والواو غير الرابطة، أو قد تزداد حتى يكون الكلام كأنه لا جواب له، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَتُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الزمر: 73]، والمعنى قال لهم خزنتها.

كما كان ابن قتيبة يهتم بدور أدوات الربط في اتساق النص.

2- حديثه عن التكرار والحذف في القرآن الكريم، ومن ذلك أن يأتي بالكلام مبينا أن له جوابا، فيحذف الجواب اختصارا لعلم المخاطب به، ويمنحه بعدا تداوليا.

3- انسجام القضايا الواردة في النص القرآني، ليبدا ذلك واضحا، وهو يرد على من ادعى

(1) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، ط3، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1971م، ص23.

(2) نوال لخلف، الانسجام في القرآن الكريم: سورة النور أنموذجا، ص103-104.

على القرآن التناقض، والاختلاف، يقول: (فأما ما نلوه من التناقض في مثل قوله تعالى: ﴿فِيَوْمٍ ذِي قُرْبَىٰ لَّا يَسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: 39]، وهو يقول في موضع آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: 92-93].

فالجواب في ذلك: أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى: ﴿مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 04].

إذن فقد عالج ابن قتيبة انسجام النص القرآني، من خلال نظره الشاملة للنص القرآني، ولا يتحقق هذه الشمولية إلا مثل النماذج التي أوردناها في النقاط الثلاث السابقة.

ب-الباقلائي (ت404هـ)/ائتلاف النظم:

أكد الباقلائي في كتابه: "إعجاز القرآن" على خصوصية امتياز بها النص القرآني عن باقي النصوص الأخرى، تمثلت في إخباره عن الغيوب وأمور المستقبل، وهذا وجه من وجوه الإعجاز، إلى جانب أن الباقلائي ركّز على ما تميز به ذلك النص من تآلف واعتصام بين أجزائه حتى كأنه نص واحد⁽¹⁾.

وفي هذا شيان: الأول: الوقوف على سر الإعجاز القرآني، والثاني: الإشارة إلى ما في كتاب الباقلائي من إشارات وتحليلات نصية.

وإعجاز القرآن عند الباقلائي يكمن في أسلوبه، بين سوره وآياته ومواضيعه؛ فالقرآن معجز في أسلوبه الذي يسير على سنن ونمط متجانس، دونما إخلال، أو اضطراب، أو تفاوت بين سورة وسورة، أو آية وآية، أو موضوع وموضوع، فهو على الدوام منفرد بذلك الأسلوب⁽²⁾.

ويرى الباقلائي في أسلوب البشر النقص والاضطراب، والاختلال في معانيه أحيانا، وقد يظهر لك منه عدم انسجام المعاني واختلال في المباني، على عكس القرآن الكريم، الذي تظهر لك منه روعة النظم، وحسن السبك، يقول: «وأنت ترى غيره -أي القرآن- من الكلام يضطرب في مجاربه، ويختل تصرفه في معانيه، ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقة... ويريبك في أطرافه وجوانبه... ونظم القرآن في مؤلفه ومختلفه، وفي فصله ووصله، وافتتاحه واختتامه، وفي كل نهج يسلكه»⁽³⁾.

(1) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، ص148.

(2) الباقلائي، إعجاز القرآن، ص213.

(3) المصدر نفسه، ص113-314.

هذا القول فيه الكثير من الإشارات النصية في القرآن الكريم، من ذلك، ائتلاف النظم، أي تماسكه وانسجامه، والفصل والوصل، والمناسبة في الافتتاح والاختتام.

إن حقيقة الإعجاز عند الباقلاني تكمن في بنية النص القرآني المنتظمة والمتماسكة والخارجة عن المؤلف والمعهود من جميع أصناف الكلام العربي، ويعبر الباقلاني عن هذه النظرة في (إعجاز القرآن)، بقوله: « وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمؤلف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد... حيث يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب... وهذا أمر عجيب تبيّن في الفصاحة وتظهر في البلاغة»⁽¹⁾.

ركّز الباقلاني على بديع نظم القرآن، وعجيب تأليفه، وليس النظم وحده معجزا بل ما يتفق معه من معاني دقيقة، إذ ليس الإعجاز، عنده في نفس الحروف، وإنما في نظمها وإحكام رصفها، بالإضافة إلى ائتلاف الألفاظ وفق المعاني في تماسك تام، وتأليف دقيق تعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا⁽²⁾.

ويربط الباقلاني في استعمالاته بين النظم والتأليف والرصف وبديع الرصف، كما يبدو ذلك واضحا، وهو يحلل سورة النمل، حيث يقول: «ثم انظر فيها آية وآية وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم، وبديع الوصف؟ فكل كلمة لو أفردت، كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية... ثم من قصة إلى قصة، ومن باب إلى باب، من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التأليف وبلغ التنزيل»⁽³⁾.

ويقدم الباقلاني نظرة أخرى تجمع بين التحليل البصير، والتذوق الرفيع، حين يقوم بتفسير انسجام الآيات، رغم تباعد مقاصدها، فقد تجد آيات متباعدة في المواقع نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تألفا من الشيء المؤلف في الأصل⁽⁴⁾.

ويستشهد بالآيات القرآنية، لتأييد موقفه، ومحاولا تفسير انسجام النص القرآني، رغم تعدد مواضعه، والانتقال من معنى إلى آخر، وكل هذه النصوص تأتلف وتتقارب، وما يلاحظ على

(1) _ الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 51-57.

(2) _ حسن عبد القادر، شرح وتفسير الشافية في الإعجاز مع دراسة وجوه الإعجاز، ص 22.

(3) _ الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 289.

(4) _ المصدر نفسه، ص 218.

المصطلحات الواردة عند الباقلاني، أنها من صميم الدراسة اللسانية النصية، كالضم والوصف والنظم والانسجام، دون أن نجد لها تفسيراً لغوياً في كتبه، بل يكتفي بالإشارة إلى موضع الظاهرة، ومستخدم المصطلح المناسب.

ج-الرماني، الخطابي، العسكري وابن الأثير/التلاؤم وحسن التأليف والسبك:

أشار الرماني (ت386هـ) إلى التلاؤم، وأراد به حسن النظم، وجودة السبك⁽¹⁾ وذهب الخطابي (ت388هـ)، إلى أن نظم القرآن لا يصل إليه نظم آخر، ولا يوجد نظم أحسن تأليف وأشد تلاؤماً من نظمه، لاشتماله على اللفظ الحامل والمعنى القائم والرباط الناظم⁽²⁾، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض⁽³⁾، وذكر أبو هلال العسكري (ت395هـ) أن من أحسن نعوت الثمام الكلام وأزين صفاته أن يكون من حيث الإطناب والإيجار مناسباً لموقعه موافقاً للمقام والحال⁽⁴⁾.

ويقول أيضاً أبو هلال العسكري معقبا على أبيات للنمر بن تولب (ت نحو 14هـ):
«فهذه الأبيات جيدة السبك حسنة الرصف»⁽⁵⁾.

ويقول أيضاً: «...وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً... وحسن الوصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم، والتأخير والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام، ولا يُعمي المعنى، وتضم كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لَفِيفِهَا»⁽⁶⁾.

وهذا لأنّ صحة السبك والتركيب والخلوّ من عوج النظم والتأليف شرط لكمال النظم ووضوح الفهم، مثل التماسك النصي الذي عدّ النص من خلاله نصّاً، وذلك باعتباره معياراً رئيساً من معايير النصية التي يشاد بها في الشعر الجيد المسبوك.

أما ابن الأثير (ت637هـ)، فحين تحدث عن تفضيل لفظ علي آخر، قال: «ومن عجيب

(1) _الرماني، الخطابي، الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص96.

(2) _المصدر نفسه، ص27.

(3) _المصدر نفسه، ص26.

(4) _أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 01، دار إحياء الكتب العربية، 1371هـ_1952م، ص141.

(5) _العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، ص169.

(6) _المصدر نفسه، ص161.

ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن الاستعمال، وهما على وزن واحد، وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: 4]، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: 35]، فاستعمل "الجوف" في الأولى و"البطن" في الثانية، ولم يستعمل "الجوف" موضع "البطن" ولا "البطن" موضع "الجوف"، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عدد واحد، ووزنهما واحد أيضا. فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل⁽¹⁾.

إن في حديث هؤلاء العلماء دليل على إدراكهم مفهوم التماسك النصي، وإحساسهم بأهميته، فقد أشاروا إلى النظم والارتباط والتلاؤم والسبك والتلاحم، وهذه المصطلحات تتصل بالتماسك النصي، وقد سبقوا بهذه الإشارات أصحاب نظرية علم النص في العصر الحديث.

3- التماسك النصي في التراث النقدي العربي:

لم يكن النقد بمنأى عن تلك المبادئ والنظرات في علم النص، إذ كانت حاضرة في ممارساتهم النقدية، حيث اعتمدوا علوم اللغة من نحو وصرف، وبلاغة، وهذا لتعينهم على اختبار نتاجات الأدباء والشعراء الذين يضعونهم في ميزان النقد، أما المصطلح النصي، فقد شاع في أدبياتهم النقدية للشعر، يقول سعد مصلوح: «أقرب شيء إلى المفهوم المراد، وأكثر شيوعا في أدبيات النقد القديم»⁽²⁾.

وهو بهذا يعني مصطلح "السبك"، ويمكن توضيح هذا القرب والشيوع معا، بالرجوع إلى التراث النقدي عند العرب، حيث نجد قدماء النقاد في إشاراتهم بالشعر -أو غيره- (المتلاحم الأجزاء) استخدموا كلمة (السبك)، كما أنهم كثيرا ما يذكرون -تلميحا حيننا وصراحة أحيانا- صفة الاستمرارية أو الاطراد التي تميز الشعر -أو غيره- على مستوى الجملة أو البيت غالبا (المتلاحم الأجزاء)⁽³⁾.

كما يعتبر القرآن الكريم دافعا، لظهور هذا المصطلح، وبروزه من خلال البحث في سر

(1) _ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، ج1، ص143.

(2) _سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، ص271.

(3) _جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية، واللسانيات النصية، ص77.

إعجازه، وبيان روعة نظمه وترابطه، واختلقت آراؤهم في مفهوم النظم، لكن كل هذه الآراء تصب في إطار تأسيس مفهوم للتماسك النصي.

وسنحاول إيجاد الوسائل التي يتماسك بها النص عند هؤلاء النقاد:

أ- الجاحظ (ت255هـ)/السبك وترتيب الألفاظ في النص:

أشارت الدراسات البلاغية إلى أن الجاحظ قد سبق عبد القاهر الجرجاني إلى إدراك قيمة النظم، وذلك في معرض حديثه عن التحدي في كتابه "حجج النبوة"، فقال: «إن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة، أو قصيرة لتبين له في نظمها ومخرجها، وفي لفظها وطبعها أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها، وليس في الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين، ألا ترى أن الناس يتهاون في طباعهم، ويجري على ألسنتهم أن يقول رجل منهم (الحمد لله)، و(إنا لله) و(على الله توكلنا)، و(ربنا الله)، و(حسبنا الله ونعم الوكيل)؟ وهذا كله في القرآن، غير أنه متفرق غير مجتمع، ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه، ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان»⁽¹⁾.

إن الجاحظ في قوله هذا لم يجرد الكلمة المفردة من مزيتها وفضلها فقط خارج التأليف والنظم، وإنما جردّ الجمل أو التراكيب من مزيتها أيضا، إذا انتزعت من نسق تأليفها ونظمها وتعالقها مع جارئاتها، مما يدل على أن التماسك النصي في القرآن الكريم، لا يتحقق في جملة وتراكيبه فضلا عن كلماته، وإنما يتحقق في تضام هذه التراكيب مع تراكيب أخرى في نسق متكامل من التتابعات الجمالية⁽²⁾.

وهذا يدل على فهم القدماء للمعايير النصية التي تكلم عنها المحدثون، ولم يقصروا نظرهم على مجرد الجمل والتراكيب بمعزل عن سياقها، بل نظروا في بنية النص كلها، مراعين ما يربط بين أجزائه من روابط لغوية ودلالية وسياقية.

لقد وسع الجاحظ قبل الجرجاني مفهوم النظم، فلم يفرق بين الكلمة المفردة والكلمة في النظم، بل تجاوز ذلك إلى الجمل والتراكيب، فإن مزاياها وفضلها لا تتضح من حيث دلالاتها إلا

(1) _أحمد محمد عبد الراضي، المعايير النصية في القرآن الكريم، ص22.

(2) _المرجع نفسه، ص23.

بتضامنها مع تراكيب أخرى، يكتسب كل تركيب من خلالها دلالة لا يكتسبها في حال انتزاعه من النص.

أما فيما تعلق بمصطلح السبك، فقد ذهب محمد سالم أبو غفرة إلى أن الجاحظ هو أول من استخدم مصطلح السبك، بالمعنى المراد في الدراسات اللغوية والنقدية⁽¹⁾، وقد ذكر الجاحظ ما يدل على اهتمام النقاد العرب بعملية السبك فقال: «ورأيت عامتهم - فقد طالت مشاهدتي لهم - لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيّرة، والمعاني المنتخبة، وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة،

والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكن، وعلى السبك الجيد، وعلى كل كلام له ماء ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمّرتها وأصلحتها من الفساد القديم، وفتحت للسان باب البلاغة، ودلّت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حسان المعاني، ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رّواة الكتاب أعمّ، وعلى ألسنة حدّاق الشعراء أظهر»⁽²⁾.

ربما يشير الجاحظ هنا إلى عملية سبك وترتيب الألفاظ في النص، وربطها ببعضها البعض، حتى لا يستطيع أحد أن ينقل لفظاً من موضع إلى آخر، وإن فعل فإنّ المعنى يختل، ويخرج النص من الجودة إلى الرداءة، ومن القوة والرصانة إلى الركاكة.

ويمكن أن نستشهد في هذا المقام بحديث الجاحظ عن تنافر الألفاظ في الشعر، إذ يقول: «ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه، فمن ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

ولما أرى من لا علم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج»⁽³⁾.

يناقش الجاحظ هنا قضية مهمة في التماسك النصي، وهي الانسجام الصوتي؛ إذ يرى في البيت الذي استشهد به أصواتا متنافرة، مما يؤدي إلى صعوبة النطق به جملة واحدة.

(1) محمد سالم أبو غفرة، السبك في العربية المعاصرة: بين المنطوق والمكتوب، ط01، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1431هـ - 2010م، ص2.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، ج4، ص24. وينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص251.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص65.

ويورد الجاحظ في هذا السياق بيتا لخلف الأحمر، فيقول: «وأنشدني أبو العاصي، قال:
أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى:

وبعض قريض القوم أولاد علة
يكذ لسان الناطق المتحفّظ

وقال أبو العاصي: وأنشدني في ذلك أبو البيداء الرّياحي:

وشعر كبعر الكبش فرق بينه
لسان دعيّ في القريض دخيل»⁽¹⁾.

ويعلّق الجاحظ على الأبيات التي ساقها مبينا رأيه في التماسك والترابط الواجب تحقّقه في الشعر فيقول: «أما قول خلف (وبعض قريض القوم أولاد علة) فإنه يقول: إذا كان الشعر مستكرها، وكانت ألفاظ البيت من الشعر، لا يقع بعضها مماثلا لبعض، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيّا موافقا كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة، وأجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»⁽²⁾.

وعلى الرغم من بساطة التشبيه في بيت خلف الأحمر، الذي استشهد به الجاحظ، فإنّه يعبر عن نظرة نصية للتماسك بين الأبيات الشعرية (فأولاد العلات) هم إخوة من أمهات شتى وأب واحد، فهم على الرغم من كون الأب جامعا لهم إلا أنهم لا يأتلفون ولا يتفقون، فكذلك الألفاظ حال كونها في بيت واحد، و التنافر بينها ظاهر بيّن⁽³⁾.

فالجاحظ إذا يريد من سبك البيت، أن يكون البيت بأسره ككلمة واحدة، وهذا يؤدي إلى سبك النص بأكمله، فإذا كان كل بيت في القصيدة في هذا المستوى في علاقته بأبيات القصيدة، تصبح القصيدة مسبوكه كلها؛ فالسبك يعني حسن الصياغة، وسلامة النظم وصحته، والتلطف في تدقيق الصنعة وإحكامها، عن طريق قوة الروابط⁽⁴⁾.

ويورد الجاحظ أبياتا أخرى يذم فيها الشعر غير المتلاحم والمفكك، وهذه الأبيات«من قول

(1) _ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص66.

(2) _ المصدر نفسه، ج1، ص66-67.

(3) _ خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص43.

(4) _ محمد بن مريس الحارثي، قراءة جديدة لمفهوم السبك، مجلة جذور، فصلية محكمة تعنى بالتراث وقضاياها، النادي الثقافي

الأدبي بمجدة، المملكة العربية، السعودية، مج4، ع7، شوال 1422هـ-2001م، ص17.

ابن يسير في أحمد بن يوسف، حين استبطأه يقول:

هل معين على البكا والعيول أم معز على المصاب الجليل

ثم قال:

لم يضرها والحمد لله شيء واثنت نحو عزف نفس ذهول

فتفقد النصف الأخير من هذا البيت، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض»⁽¹⁾.

ويضيف معلقاً على البيتين السابقين للرياحي، فيقول: «وكذلك حروف الكلام، وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء، ولينة العاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة ومستكرهة، تشق على اللسان وتكده، والأخرى تراها سهلة لينة...خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد»⁽²⁾.

أما عن السبك الصوتي، أو بين الحروف، فيقول الجاحظ: «فهذا في اقتران الألفاظ، فأما في اقتران الحروف، فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين، بتقدم ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقدم ولا بتأخير»⁽³⁾.

ويقف الجاحظ منصفاً لشعر أبي نواس لأنه اتسم بالجودة، وحسن السبك، فيقول في (الحيوان) عن شعر أبي نواس وعلاقته بالكلاب: «وأنا كتبت لك رجزه في هذا الباب، لأنه كان عالماً راوية، وكان قد لعب بالكلاب زماناً، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره، وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك، والحدق بالصنعة، وإن تأملت شعره فضلتته، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية، أو ترى أن أهل البدو أبدا أشعر، وأن المولدين لا يقاربونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك، فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوباً»⁽⁴⁾.

إن الجاحظ هنا يصف شعر أبي نواس بجودة الطبع، فلا تكلف فيه، وجودة السبك، فهو مترابط الأجزاء غير مفككها، وهذا يدل على حدق أبي نواس بصنعة الشعر.

(1) _الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص65-66.

(2) _المصدر نفسه، ج1، ص67.

(3) _المصدر نفسه، ج1، ص69.

(4) _أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده، مصر، 1385هـ-1965م، ج2، ص27.

أما حقيقة (تلاحم الأجزاء)، فيمكن حصرها فيما يأتي⁽¹⁾.

- الأبيات المشكلة للقصيدة.

- الأجزاء المشكلة للبيت (الصدر والعجز).

- الأجزاء المشكلة للشطر، الألفاظ.

- الأجزاء المشكلة للفظ-الحروف(الأصوات).

وقد انصب اهتمام الجاحظ على العنصرين الأخيرين، كما تشهد على ذلك الأمثلة الشعرية، وتعليقاته عليها، وأما جامع هذا الاهتمام فيكمن في البعد الصوتي ومدى تألفه أو تنافره، فالتألف مرتبط بتباعد مخارج الأصوات، سواء في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة، والتنافر مرتبط بتقارب المخارج أو تماثلها، لذا استقبح قول الشاعر: (وقبر حرب...) مما يعني أن تلاحم الأجزاء مترتب عن تلاؤم الأصوات المشكلة للألفاظ.

إن هذه النصوص التي ظهرت في زمن مبكر، لا تمثل نظرية نصية بالمعنى الذي نجده الآن في العصر الحديث، وإنما وإن كانت ملحوظات وإشارات نصية في الشعر، فإنها بالمقابل تعد مقدمة طيبة تؤكد أن علماء العربية القدماء، كان عندهم حس نقدي كبير، وكانت لديهم رؤية مبكرة في البحث اللغوي والنقدي.

ب-حازم القرطاجي (ت684هـ)/حسن التركيب والتأليف:

عاش حازم القرطاجي في القرن السابع الهجري، حيث امتازت هذه الفترة الزمنية بتطور النقد، الذي بلغ فيها فهما ناضجا للتركيب، تجاوز حدود الجملة إلى النص.

ويقول ابن الأثير (ت637هـ) عن مفهوم التركيب: «يحتاج صاحب هذه الصناعة _اللفظية_ في تأليفه إلى ثلاثة أشياء: الأول منها: اختيار الألفاظ المفردة، وحكم ذلك حكم اللآلئ المبددة، فإنها تتخير وتنتقى قبل النظم، الثاني نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها، لئلا يجيء الكلام قلنا نافرنا عن مواضعه، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها؛ الثالث الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، وحكم ذلك حكم الموضوع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارة يجعل إكليلا على الرأس وتارة قلادة في

(1) _محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص143.

العنق»⁽¹⁾.

فالتركيب عند ابن الأثير يحتاج إلى اختيار الألفاظ، نظم الكلمات المختارة ثم الغرض المقصود من النظم.

واهتم حازم القرطاجني أيضا باللفظ والأسلوب معا، ورأى في حسن التركيب والتأليف صورة أخرى تقترب مما قدمه ابن الأثير، فيقول: «واعلم أن منزلة حسن المحاكى به وإحكام تأليفه من القول المحاكى به ومن المحاكاة بمنزلة عتاقة الأصباغ وحسن تأليف بعضها إلى بعض وتناسب أوضاعها من الصور التي يمثلها الصانع»⁽²⁾.

وإلى جانب اهتمام القرطاجني باللفظ والنظم والأسلوب، رأي في حسن التركيب والتأليف صورة لها أهميتها الكبرى، ورأى بأن الكلام، كلما كان متلائما غير متنافر، متعادل الأجزاء ومتوصلا، ومشاكلا ومتساويا، كلما أحدث في المتلقي نوعا من الإحساس باللذة، والإفادة الفنية، فيحلو بذلك الكلام ويتزين، و يبرز في أنقى وأبهى صورة، وهذا ما أشار إليه بقوله: «وكلما وردت أنواع الشيء وضروبه مترتبة على نظام متشاكل وتأليف مناسب، كان ذلك أدمى لتعجيب النفس، وإيلاعها بالاستماع من الشيء، ووقع منها الموقع الذي ترتاح له»⁽³⁾.

وقسم حازم القرطاجني كتابه إلى أربعة أقسام وهي: اللفظ، المعنى، النظم والأسلوب، لأنه قبل الوصول إلى مستوى النص، لا بد من البدء باختيار اللفظ والنظم والأسلوب، وهذه المباحث والأقسام هي:

- | | | |
|--------------|---|--|
| مستوى الجملة | } | -مبحث اللفظ: يمثل المستوى المعجمي |
| | | -مبحث المعنى: يمثل المستوى الدلالي |
| | | -مبحث النظم: يمثل المستوى التركيبي |
| | | -مبحث الأسلوب: يمثل المستوى النصي ← مستوى النص |

يقول: «قد أشرنا إلى بعض ما ينحو الشعراء نحوه فيما يرجع إلى أمور لفظية أو معنوية أو

(1) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص142.

(2) أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتح: محمد الحبيب بن خوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص129.

(3) المصدر نفسه، ص245.

نظمية أو أسلوبية»⁽¹⁾.

ويشير حازم القرطاجني إلى ضرورة الانتقال من الجملة إلى النص من جهة، مع ضرورة الاطراد والاتساق في النص من جهة أخرى، حتى يحقق غايته وأهدافه وذلك في قوله: «...مايلاحظ في النظم من حسن الاطراد من بعض العبارات إلى بعض ومراعاة المناسبة ولطف التّقلّة...»⁽²⁾.

كما يعتبر حازم القرطاجني أول من قسم القصيدة العربية إلى فصول، زعم أن لها أحكاما في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة، وما سماه بالمقطع، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير والنهائي عن القصيدة⁽³⁾، ولا بد أن تكون مواد الفصل: متناسبة المسموعات والمفهومات، حسنة الاطراد، غير متخاذلة النسيج، غير متميز بعضها عن بعض التميز الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه، فإذا كانت الشروط الأربعة دالة على التناسب والاطراد والتماسك والترابط كأوصاف ينبغي أن تتوافر في المواد التي تشكل منها الفصل، فإن الشرطين الأخيرين خاصة، شديدا الإلحاح على الترابط، ويستفاد ذلك من سلبية "تخاذل النسيج"، أي كونه مهلهل الخيوط غير متصل بعضها ببعض على الوجه الأكمل، وكأني بالقرطاجني يرى الكلمات خيوطا متداخلة ينشأ من قوة تشادها ثوب مكتمل النسيج متينه⁽⁴⁾.

وكممارسة تطبيقية للتحليل النصي عند حازم القرطاجني من خلال تحليله لقصيدة المتنبي، فهو يطبق عليها قواعد مماثلة للتي حددها علماء النص اليوم، ويحلل التماسك النصي بطريقة ليست بعيدة عن التحليل الحديث لعلماء لسانيات النص، إذ يرى أن الشعراء يقسمون قصائدهم إلى فصول، وكل فصل يحقق غرضا ما، لكن الشاعر الحاذق يعمل على أن يوحد بين هذه الفصول حلقات تصل بعضها ببعض، وصور هذه الحلقات بقوله: «يكون اقتران صنعة رأس الفصل وصنعة عجزه نحوا من اقتران العرّة بالتحجيل في الفرس...»⁽⁵⁾.

ويقول ممثلا على كلامه بتحليله لقصيدة المتنبي: «وذلك نحو قوله:

(1) _ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدياء، ص373.

(2) _ المصدر نفسه، ص364.

(3) _ إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997م، ص56.

(4) _ محمد خطايي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص150-151.

(5) _ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدياء، ص297.

أغالب فيك الشوق والشوق أغلبُ وأعجبُ من ذا الحجر، والوصل أعجب⁽¹⁾
فضمن هذا البيت من الفصل تعجبا من الحجر الذي لا يعاقبه وصل، ثم أكد التعجب في
البيت الثاني... ثم افتتح الفصل الثاني بالتعجب من وشك بينه وسرعة سيره فقال:

ولله سَيْرِي ما أقل تَعَبَةً عَشِيَّةً شَرْقِيَّ الحَدَالِي وَعُزْبُ⁽²⁾

فكان هذا الاستفتاح مناسبا للبيتين المتقدمين من جهة التعجب وذكر الرحيل...»⁽³⁾،
ويستمر الكاتب على هذا المنوال حتى ينتهي من تحليل القصيدة كاملة.

ولم يتوقف حازم في نقده عند البيت الواحد بل نظر إلى القصيدة ونهايتها، فقد اهتم كذلك
بالنمو الداخلي للقصيدة، ولا شك أن الذي نذكره عن آراء حازم القرطاجني في الترتيب الداخلي
للنص، شيء قل أن نلاحظ نظيره في كتابات البلاغيين، من قدماء ومحدثين، وربما كان هذا
المنحى في النظر في بنية النص يسوغ لنا الدعوة لاستئناف النظر في التراث البلاغي العربي، على
هدى مما نجده لدى المحدثين الغربيين في علم لغة النص خاصة⁽⁴⁾.

وفي حديثه عن العلاقات بين الفصول وإشاراته إلى الاطراد في تسويم رؤوس الفواصل يتطابق
هذا النظر ويكاد يكون حرفيا مع ما ذهب إليه "فان ديك"، في حديثه عن ترابط البنى المؤلفة
لكل نص⁽⁵⁾.

ويستعمل حازم مصطلح الاقتران، وهذا المفهوم يقترب من مفهوم Cohésion، بمعنى
التماسك.

ومن هنا كان لحازم القرطاجني السبق في الاهتمام بتماسك النص الشعري وانسجامه
وتلاحمه، كما أن له السبق في تحديد بعض المفاهيم النقدية؛ كمفهوم النظام الذي يقترب من
مفهوم النسق، وكذا مفهوم الاقتران الذي يقترب من مفهوم التماسك.

كما اهتم حازم القرطاجني أيضا بالعلاقات والروابط بين الجمل، وفي هذا يقول جابر

(1) _ أبو الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه
ووضع فهرسه : مصطفى السقا ابراهيم الأنباري، عبد الحفيظ شليبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج 01، ص 176.

(2) _ المصدر نفسه ، ص 177.

(3) _ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 298.

(4) _ إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ص 62.

(5) _ المرجع نفسه، ص 61.

عصفور: «إن مفهوم حازم للوحدة الشعرية متصل بمفهوم الوحدة عند أرسطو في كتابه فن الشعر... ويبدو أن الذي ساعده على ذلك هو أن القصيدة العربية كانت قد تطورت عند الشعراء المحدثين إلى نوع من ترابط الأجزاء، ألمح إليه حازم عندما أشار إلى أن شعر المحدثين أحسن مأخذا في التخلص والاستطراد من القدماء»⁽¹⁾.

واهتم أيضا بالانسجام الصوتي، ويربطه بمستوى النص كله، أي أن اهتمامه كان منصبا حول التأليف والتلاؤم في الكلام، فتكلم عن تلاؤم حروف الكلمة الواحدة، وكذا كلمات الجملة الواحدة، وأيضا الجمل بعضها مع بعض، إلى أن تشكل لنا وحدة منسجمة يقول: «ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه، والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء: منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها، وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة، تلاصقها منتظمة في حروف مختارة، متباعدة المخارج، مترتبة الترتيب، الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما»⁽²⁾.

فالانسجام الصوتي عند حازم القرطاجني مهم جدا لربطه بين المعاني، كما أنه البداية للانسجام النصي الكلي أو للوصول إلى مستوى النص.

ولم يكن اهتمام حازم بالانسجام على المستوى الصوتي والمعجمي والدلالي، بل تعداها إلى المستوى التداولي؛ ويرى أن التأثير على المتلقي مرتبط بحسن ديباجته، وهي أمور تتعلق باللفظ والمعنى والنظم والأسلوب، ومرتبطة أيضا باستعداد وقابلية المتلقي، والاستعداد نوعان: حال وهوى النفس، الاعتقاد في الشعر أنه حكم وأنه غريم⁽³⁾.

فالبعد التداولي عند حازم مرتبط بالسياق النفسي، وهو ما يجعله يقترب من آراء فان ديك الذي يدخل عناصر دلالية وتداولية في وصفه وتحليله للنصوص.

وبهذا يكون حازم القرطاجني قريب جدا مما تناوله اللسانيون المحدثون في نظريته إلى مستوى الجملة ومستوى النص.

4- التماسك النصي عند الأصوليين:

لما كانت غاية النحويين من دراسة اللغة، هي معرفة سر صناعة العربية، فقد كانت غاية

(1) _ جابر عصفور، مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، ط4، قبرص، 1990م، ص235.

(2) _ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص222.

(3) _ المصدر نفسه، ص274.

الأصوليين أن تكون اللغة وسيلة يستعان بها في استنباط الأحكام الشرعية، وعلى الرغم من اختلاف الغايتين، فقد كان يجمع بينهما هدف مشترك هو خدمة النص القرآني.

كما تنبه علماء الأصول إلى: «أهمية اللغة بمختلف فروعها في فهم النصوص لكونها أداتهم الأولى في استنباط الأحكام، وتخريج المسائل الفقهية، لذلك نجد أنهم انفردوا مع قلة قليلة من علماء اللغة الأقدمين في وصل علوم اللغة في إطارها النظري بالنصوص، التي تعمل فيها اللغة عملها، لذلك يمكن القول: إن دراستهم للغة كانت دراسة وظيفية تطبيقية، تنظر إلى اللغة وهي تحيا في عالم النص: فتعطي الاعتبار الأول للمعنى الذي يؤديه كل عنصر من عناصر التركيب، وبذلك يمكن التفريق بين المنهج الذي أسسته المدارس النحوية والمنهج اللغوي للفقهاء، بأن الأول قواعد نظرية يراد بها الاطراد والشمول والاستيعاب للتراث اللغوي، وأن الثاني نظرة تطبيقية لهذه القواعد مع جعل فهمهم لروح النص ومدلولاته في المقام الأول»⁽¹⁾.

وهذا يفسر لنا أمرا هاما، وهو أن الأصولي لا يمكنه بأي حال أن تكون دراسته واستنباطه للأحكام الشرعية بمعزل عن الدراسة اللغوية، حيث لاحظنا أن مفاهيم النص والخطاب قد وردت عندهم بشكل يضاها ما هو موجود في الدراسات النصية الحديثة.

وسنعمل على توضيح الإشارات النصية، ومظاهر التماسك النصي عند الأصوليين، لنكشف عن بعض الظواهر النصية عندهم.

أ- ابن القيم الجوزية (751هـ)/نظرية التعليق:

حَلَّف ابن القيم الجوزية ثلاثة كتب، تخصصت أكثر من كتبه الأخرى في الدرس اللغوي، هذه الكتب هي: بديع الفوائد، التبيان في أقسام القرآن، والفوائد المشوق إلى علوم القرآن، وعلم البيان، فضلا عن اهتمامات ابن القيم بالدراسة المعجمية⁽²⁾.

ونجد الإشارات النصية عند ابن القيم متمثلة في الإحالة والوصل والفصل، والشرط، غير أن هذا الأخير -الشرط- نال اهتماما كبيرا من دراسة ابن القيم، وسنركز عليه كأنموذج لتوضيح المراد.

تناول ابن القيم موضوع الشرط موسعا، وذلك لاتصاله بالمعنى وتحديدده، وما يترتب عليه من

(1) _بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم: دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، دار الفجر، القاهرة، 1994م، ص 29 -

(2) _يوسف سليمان عليان، التماسك النصي في اللغتين العربية والانجليزية: دراسة تقابلية في "الربط النحوي"، رسالة دكتوراه،

أحكام شرعية، يعتمد عليها الفقهاء في تنظيم حياة الناس الاجتماعية، وقد قدم لدراسة أسلوب الشرط بيان أنواع الروابط التي تربط بين الجملتين، وعرف ابن القيم الروابط الشرطية بأنها الأدوات التي تجعل بين جملتين تلازماً لم يفهم قبل دخولها⁽¹⁾.

وقد استخدم ابن القيم مصطلح الروابط مكان مصطلح العوامل، الذي اشتهر عند النحاة، وقسم الروابط إلى أربعة أقسام⁽²⁾:

أولاً: رابط يوجب التلازم المطلق بين الجملتين، هذا الترابط يكون على النحو الآتي:

- بين ثبوت وثبوت، نحو: إن اتقيت الله أفحلت.

- بين نفي ونفي، نحو: إن لم تتق الله لم تفلح

- بين نفي وثبوت، نحو: إن لم تطع الله خسرت

- بين ثبوت ونفي، نحو: إن أطعت الله لم تحب

ثانياً: رابط يلازم بين الأقسام الأربعة السابقة، ويكون في الماضي خاصة، والرابط هو "لما" الذي يجعله كثير من النحويين ظرف زمان، في حين يجعلها سيبويه من أقسام الحروف التي تربط جملتين، وتكون الأقسام قبلاً على النحو الآتي⁽³⁾:

- بين ثبوتين، نحو: لما جاء زيد أكرمه.

- بين نفيين، نحو: لما لم يجيء زيد لم أكرمه.

- بين نفي وثبوت، نحو: لما لم يجيء زيد أكرمه.

- بين ثبوت ونفي، نحو: لما جاء زيد لم أكرمه.

ثالثاً: رابط يلازم بين امتناع الشيء ووجود غيره، وهو "لولا" نحو: لولا أن هدانا الله لضللنا.

رابعاً: رابط يلازم بين امتناع الشيء لامتناع غيره، وهو "لو"، نحو: لو أسلم الكافر نجاً من

عذاب الله.

(1) _ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد، جدة،

المملكة العربية السعودية، مج 1، ص 76.

(2) _ المصدر نفسه، مج 1، ص 76-77.

(3) _ المصدر نفسه، مج 1، ص 77.

وينتقل ابن القيم إلى نقطة أخرى متصلة بالمعنى أيضا، وهي ما إذا كان الشرط محالا ممتنع الوقوع، فالحكم أن يكون الجواب محالا كذلك، نحو: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ [الزخرف: 81]، وفائدة الربط في نحو هاتين الجملتين بيان استلزام إحدى القضيتين للأخرى، أولا، وأن اللازم منتف فالملزوم كذلك، ثانيا⁽¹⁾.

ومن الروابط التي وقف عندها ابن القيم "لو" التي هي عند النحويين، تفيد امتناع الشرط، وامتناع الجواب، أما ابن القيم -ووافقه ابن هشام- فقد رفضا هذا الرأي، لأن ذلك لا يصدق في مواضع كثيرة⁽²⁾.

ومن مظاهر اهتمام ابن القيم بالنحو والدلالة في تفسير الشرط وجوابه، أنه يعتقد أن أداة الشرط (إن) لا يعلق عليها إلا محتمل الوجود والعدم، نحو: إن تأتي أكرمك، ولا يعلق عليها محقق الوجود، لذا لا يجوز أن تقول: إن طلعت الشمس أتيتك، إلا إذا كانت وراء غيمة، وإنما الصواب أن تقول: إذا طلعت الشمس أتيتك، وبذلك فإن أداة الربط "إذا" يعلق عليها محتمل الوجود ومحقق الوجود، وذلك لخصوصيتها الظرفية⁽³⁾.

إن في تناول ابن القيم لظاهرة الشرط في الخطاب، فإنه ينتقل من مستوى الجملة إلى مستوى النص، من خلال اهتمامه بالمعاني النحوية، ولا سيما في تماسك الخطاب القرآني، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: 48]، ويقول ابن القيم: «...فتدبر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾... كيف أتى في تعليق الرحمة المحققة إصابتها من الله تعالى بـ"إذا" وأتى في إصابة السيئة بـ"إن" فإن ما يعفو الله عنه أكثر، وأتى في الرحمة بالفعل الماضي الدال على تحقيق الوقوع، وفي حصول السيئة بالمستقبل الدال على أنه غير محقق... وأسرار القرآن أكثر وأعظم من أن يحيط بها عقول البشر»⁽⁴⁾.

لقد أشار ابن القيم هنا إلى نظرية التعليق التي وُجدت عند عبد القاهر الجرجاني في محاولة منه لكشف الإعجاز البياني في الخطاب القرآني، كما أفاد ابن القيم من علم المعاني في الدرس

(1) _ ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، مج1، ص85.

(2) _ المصدر نفسه، مج1، ص90 وما بعدها.

(3) _ المصدر نفسه، مج1، ص81.

(4) _ المصدر نفسه، مج1، ص82-83.

البياني، ففي هذا التحليل للخطاب القرآني، نلمس أن ابن القيم قد انتقل من دراسة الجملة إلى دراسة النص، مستخدماً مصطلح الروابط والتعليق والشرط...

ب-الإسنوي، أبو حامد الغزالي، وأحمد بن عبد اللطيف الجاوي الشافعي/النحو والدلالة:

لقد تتبع الإسنوي (ت772هـ) في كتابه "الكوكب الدرّي" المسائل النحوية مرتبة كما جاءت في أبوابها، معتمداً على كتب النحو يقول: «واعلم أي إذا أطلقت شيئاً من المسائل النحوية، فهو من كتابي شيخنا أبي حيان، اللذين لم يصنف في هذا العلم أجمع منهما، وهما: (الإرتشاف)، و(شرح التسهيل)، فإن لم تكن المسألة منهما، صرحت بذلك ورتبته على أربعة أبواب: الأول في الأسماء، الثاني في الأفعال، الثالث في الحروف، الرابع في تراكيب متعلقة بأبواب متفرقة»⁽¹⁾.

في هذا القول ربط بين الظاهرة اللغوية، ودلالة النص، ويظهر جلياً في القسم الرابع المتعلق بالتراكيب.

ومن أمثلة استنباط الإسنوي الحكم الفقهي من الظاهرة النحوية حديثه عن القسم وجوابه وروابطه، فذكر أن جواب القسم إذا وقع في الإيجاب أو كان جملة اسمية يجب اقتراحها باللام، أو ب(إن) مخففة كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ [الطارق: 1]، إلى أن قال: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: 4]، يعني قراءة الجمهور بتخفيف "لما" فعليها عند البصريين تكون (إن) النافية، و(إن) المخففة، أما على قراءة الحسن والأعرج وقتادة وعاصم وابن عامر وحمزة، وأبي عمرو ونافع بخلاف عنهما بتشديد (لما)، فيتعين أن تكون (إن) نافية، وأن تكون (لما) بمعنى (إلا)، أو كانت (إن) مشددة نحو (والله إن زيدا لقائم)، سواء أكان في خبرها اللام أم لا، وقيل لا بد معها من (اللام)⁽²⁾.

وإن كان الجواب جملة فعلية، فإن صدرت بماض جامد، ك(نعم وبئس)، وجبت اللام، وامتنعت (قد)، أو متصرف ك(قام)، جاز دخول (اللام)، و(قد)، ودخول اللام وحدها، و(قد)

⁽¹⁾ جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، الكوكب الدرّي في تخرّيج الفروع الفقهية على المسائل النحوية، تح: عبد الرزاق السعدي، ط1، 1404هـ-1984م، ص61-62.

⁽²⁾ أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص152.

وحدها، كقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: 1]، إلى أن قال: ﴿قَدَّأَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ [الشمس: 9]، وجاز حذفهما معا كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ [البروج: 4]، وإن كان مضارعا مبتنا وجبت اللام والنون، وقال الكوفيون والفراسي، يجوز الاقتصار على أحدهما، وإن كان منفيا ب(لا) جاز إثبات النون وحذفها، كقوله تعالى: ﴿تَأَلَّه تَفْتَوُؤُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 85]؛ أي: لا تفتأ⁽¹⁾.

وعلى مجيء جواب القسم مضارعا منفيا ب(لا) مقدرة فرع حكما فقهيا، وهو أنه إذا قال: (والله أقوم)، فقياسه أنه إن قام حنث، وإن ترك القيام فلا، لأن المحلوف عليه هو نفي القيام، إذ لو حلف على إثباته لاقترن باللام والنون⁽²⁾.

هذه بعض الإشارات والأمثلة الواردة عند الإسنوي، التي سقناها لأجل توضيح معالجته لبعض القضايا الفقهية، والتي استند فيها على النحو والدلالة.

أما أحمد بن عبد اللطيف الجاوي الشافعي، الذي يحلل النص بما يكاد يتفق مع علماء النص المحدثين، وذلك في حاشيته المسماة (النفحات على شرح الورقات)، والورقات للجويني، يقف أمام قول صاحب الورقات: (أما بعد فهذه ورقات)، بالتحليل اللغوي مستعملا معايير التحليل النصي عند المحدثين: كالحذف، والإحالة الخارجية، والاستبدال ووسائل الربط المختلفة، فيقول: «أي بعد البسمة المتضمنة للحملة... وأصل هذا التركيب: مهما يكن من شيء في الأرض فأقول بعد البسمة، بدليل وقوع الفاء في الجواب، فحذفت مهما ومتعلقاتها، و عوض (أما) فصار (أما هذه)، فقدم الظرف ليكون فاصلا بين الشرط والجواب، وهو من متعلقات الجزاء، ويصح أن يكون من متعلقات الشرط، ولكن الأول أولى، لأنه أقوى امتثالا؛ لأنه يفيد أن قوله: (هذه... إلخ)، بعد البسمة... قوله: (فهذه ورقات) فيه أمور: الأول: ما مرجع اسم الإشارة، فيقال: الألفاظ المستحضرة في ذهن المصنف الدالة على المعاني المخصوصة، الثاني: أن الألفاظ المستحضرة معنى من المعاني، واسم الإشارة موضوع لمشار إليه محسوس بحاسة البصر...»⁽³⁾.

وواضح من هذا التحليل أنه لم يقف عند العلامات الإعرابية، أو الوظائف النحوية لكل

(1) _ أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص153

(2) _ الإسنوي، الكوكب الدرّي في تخرّيج الفروع الفقهية على المسائل النحوية، ص414-416.

(3) _ أحمد بن عبد اللطيف الخطيب الجاوي الشافعي، حاشية النفحات على شرح الورقات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1353هـ-1938م، ص10-09.

كلمة، وإنما تجاوز ذلك إلى جوانب النص كلها اللغوية والدلالية، وقد استعمل المعايير النصية كما نجدتها عند المحدثين: كالحذف، والإحالة الخارجية والاستبدال، وغيرها من وسائل التماسك النصي، كما لم تكن عنايتهم بالإعراب، دليلاً على نظرهم الجزئية للنص، بل هو جزء من عنايتهم بمراحل تحليل النص.

وبعد تتبع الزمني والعرض التاريخي لأصول التماسك النصي، اتضح لنا أنه ليس وليد الدراسات النصية الحديثة، وإنما الجديد هو طريقة توظيف المصطلحات وتطبيقها على النصوص، لأنّ القدماء من لغويين ومفسرين وأصوليين، أدركوا هذه اللمحات النصية المرتبطة بالتماسك النصي شكلياً ودالياً، غير أنه لم يصل إلى درجة نظرية متكاملة.

ثالثاً: التماسك النصي في الدرس اللساني الحديث:

إن الجمل بالنسبة للنص عبارة عن سلسلة تحكمها روابط وأدوات، وغياب جملة من السلسلة يؤدي إلى غموض معناها الفعلي، ممّا يحتم المعالجة الكلية دون الاعتماد المطلق على الناحيتين الدلالية والاتصالية، لهذا اعتنت لسانيات النص بالظواهر التي تتجاوز في دراستها نحو الجملة، إلى العناية بالجوانب الدلالية والتواصلية في النص بشكل كلي.

وقضية التماسك النصي، من القضايا المهمة التي شغلت علم لسانيات النص، لأنّ التماسك النصي يتأزر مع مجموعة من الأنظمة النصية الأخرى، للوصول إلى ما يطلق عليه كلية النص ونصية النص، كما تتظافر علوم كثيرة لتحقيق تلك النصية، والتي يستمد منها التماسك النصي قوته وأطره مثل البلاغة والنحو والتاريخ والمنطق والثقافة العامة.

فمسّ هذا التماسك بأنظمته النصية، ونواحيه الشكلية والدلالية، المستويات اللغوية في النص الواحد، بمعنى أن هناك ارتباطاً بين التماسك النصي، والمستويات اللغوية في النص، وكل هذا يؤدي إلى نظرة كلية للنص، يقول علي أبو المكارم: «إن الاتساق لا يمكن أن يعزل مستوى من مستويات النشاط اللغوي عن غيره من مستويات هذا النشاط، ويستحيل أن يكون الأداء اللغوي صحيحاً مع فقدان الصحة في أي مستوى من مستوياته الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية»⁽¹⁾.

وهذا يعني أنّ التماسك النصي تحقيق للترابط الكامل والتماسك الكلي، بين أجزاء

(1) _علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي (الظواهر التركيبية)، ص 325.

النص، دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة، حيث لا يعرف التجزئة، فهو النسيج الواحد والبنية الكلية.

ويرى صبحي إبراهيم الفقي « أن التماسك النصي هو أهم شيء بالنسبة لتحليل النصي حتى إن بعض الباحثين عدّه شرطاً ضرورياً وكافياً للتعرف على ما هو نص، وعلى ما ليس نصاً»⁽¹⁾.

ويتحقق التماسك النصي على مستويين؛ فأما الأول فمن خلال أدوات الربط النحوية أو المعجمية، وهو ما يعبر عنه بالاتساق، وأما الثاني فهو التماسك الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، ويتمثل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص، تقدم إيضاحاً لطرق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير متسقة أو مفككة على السطح؛ فهو ذو طبيعة دلالية تجريدية تظهر من خلال علاقات تعكسها العناصر اللغوية في النص⁽²⁾.

وإن الحديث عن التماسك يقودنا إلى الإشارة إلى دور السياق، في إزالة الغموض الذي يكتنف بعض النصوص، فلو أخذنا نصاً دون معرفة سياقه لواجهنا مشكلة في فهمه، في تحديد المرجع للألفاظ والضمائر، وخاصة إذا كانت مرجعية الضمير غامضة أو كانت مرجعية الضمير خارجية⁽³⁾.

والتماسك النصي يحتاج إلى وسائل شكلية ودلالية، بالإضافة إلى علاقة النص بالسياق الخارجي، وعلاقة النص بالمتلقي، حيث تمثل الجملة الأولى في النص معلماً للجمل اللاحقة، وداخل تلك الجمل نفسها يمثل اللفظ الأول معلماً تقوم عليه سائر مكوناتها.

وبشكل عام فإن التماسك النصي يتعلق بخاصيتين أساسيتين هما:

1- التركيب: يتم على المستوى الشكلي للنص، ويربط بين الكلمات والجمل.

2- الاتساق: خيط معنوي ناظم يربط بين الكلمات والجمل دلالياً.

والتماسك يتوزع على كامل مساحة النص، ويعمل على تدعيم العلاقة بين أجزاء النص جميعها.

(1) _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص99.

(2) _ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص122.

(3) _ صالح محمود صالح النواصرة، التماسك النصي بين النظرية والتطبيق: سورة الأنعام أمودجاً، ص49.

ومن خلال ما تقدم سنعمد في هذه الدراسة إلى الكشف عن وسائل وآليات التماسك النصي الموجودة في قصة موسى عليه السلام من خلال النظر إلى بنية القصة من الداخل، هذه الآليات التي قيل في شأنها الكثير عند علماء لسانيات النص، إذ أن هناك أقوالاً متعددة حولها، وفي المقابل هناك أدوات مشتركة بينهم، ومعظم الأدوات التي قال بها العلماء، لم تتجاوز الناحية النظرية، ولم تستطد إلى التوضيح التطبيقي، إلا في مثال أو مثالين، وفي نصوص متفرقة، وهذا ما يدفع بنا إلى تمثيل دور هذه الأدوات في تحقيق التماسك النصي في قصة موسى عليه السلام موضوع التطبيق.

وينبغي التنبيه إلى أن الكشف عن الآليات لا يعني أن النص القرآني غير متماسك، وإنما للبرهنة عن كيفية إسهام تلك الأدوات في تحقيق نصية القرآن المعجز كأنموذج يحتذى به، لأنّ هذا التماسك نوع من الإعجاز القرآني، فقد جعل السيوطي التماسك أو الالتئام أحد وجوه الإعجاز القرآني « فالوجه الثالث من وجوه إعجازه حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته ... والوجه الرابع مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني منتظمة المباني»⁽¹⁾.

1- الاختلاف حول تعدد آليات التماسك النصي:

قبل التفصيل في عرض آليات التماسك النصي، لا بد من الإشارة إلى نقطة هامة جدا في البحث النصي، تتعلق باختلاف الباحثين حول تعدد آليات وأدوات التماسك النصي، وتختلف باختلاف تحليل النص، وتعدد مصطلحاتها كذلك سبب في اختلاف الباحثين حولها، والمتأمل في هذه الوسائل عند الباحثين يجد قدرا مشتركا بينهم لا بد من توافره في تحقيق التماسك.

ومن جهة أخرى أجدها مهمة قبل التفصيل، اختلاف العلماء في تعريف التماسك **Cohésion**؛ إذ تعددت نظراتهم وتنوعت، فالتماسك معني بالجانبين: التركيبي والدلالي معا.

ولا يجب إغفال دور العرب القدامى في الكشف عن الأدوات التي تحقق النصية في التراث العربي، وخاصة لما تعاملوا مع النص القرآني، حيث اهتموا باستخراج الأدوات النصية المختلفة من النص القرآني، والتي جعلته كلا واحدا موحدًا، رغم اختلاف أوقات نزوله وأسبابه، وحدة يترايط بعضها ببعض، وتتعلق أجزاءه على نحو تكاملي، بحيث لا يستقل منه جزء عن الآخر.

(1) _جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد الجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1970م، ج1، ص27.

فالتماسك عند هاليداي ورقية حسن ترابط نصي بين الكلمات والجمل داخل النص، وظهورهما في المستوى السطحي، وقد ركّزا على هذا المعيار بوصفه أهم ما يحدد، إذا كانت مجموعة من الجمل تشكل نصًا يعتمد على علاقات الترابط النصي داخل الجمل، وفيما بينها مما يخلق بنية للنص بناءً يميّزه عما لا يمثل نصًا⁽¹⁾.

أما عن نظامهما في تصنيف أدوات التماسك النصي، فإنهما يحاولان تحديد السمات التي تميّز النص من اللانص، وهذه السمات تسهم في تكوين النص كوحدة دلالية؛ وتتمثل هذه السمات في مستويين:

-المستوى النحوي: ويضم الأدوات الآتية: الإحالة، الحذف، الاستبدال، الوصل.

-المستوى المعجمي: بحيث يبيّن النص ضمن علاقات تظهر بين عناصر معجمية، ذات تقارب دلالي تسهم في تماسك النص، ويضم: التكرار والتضام.

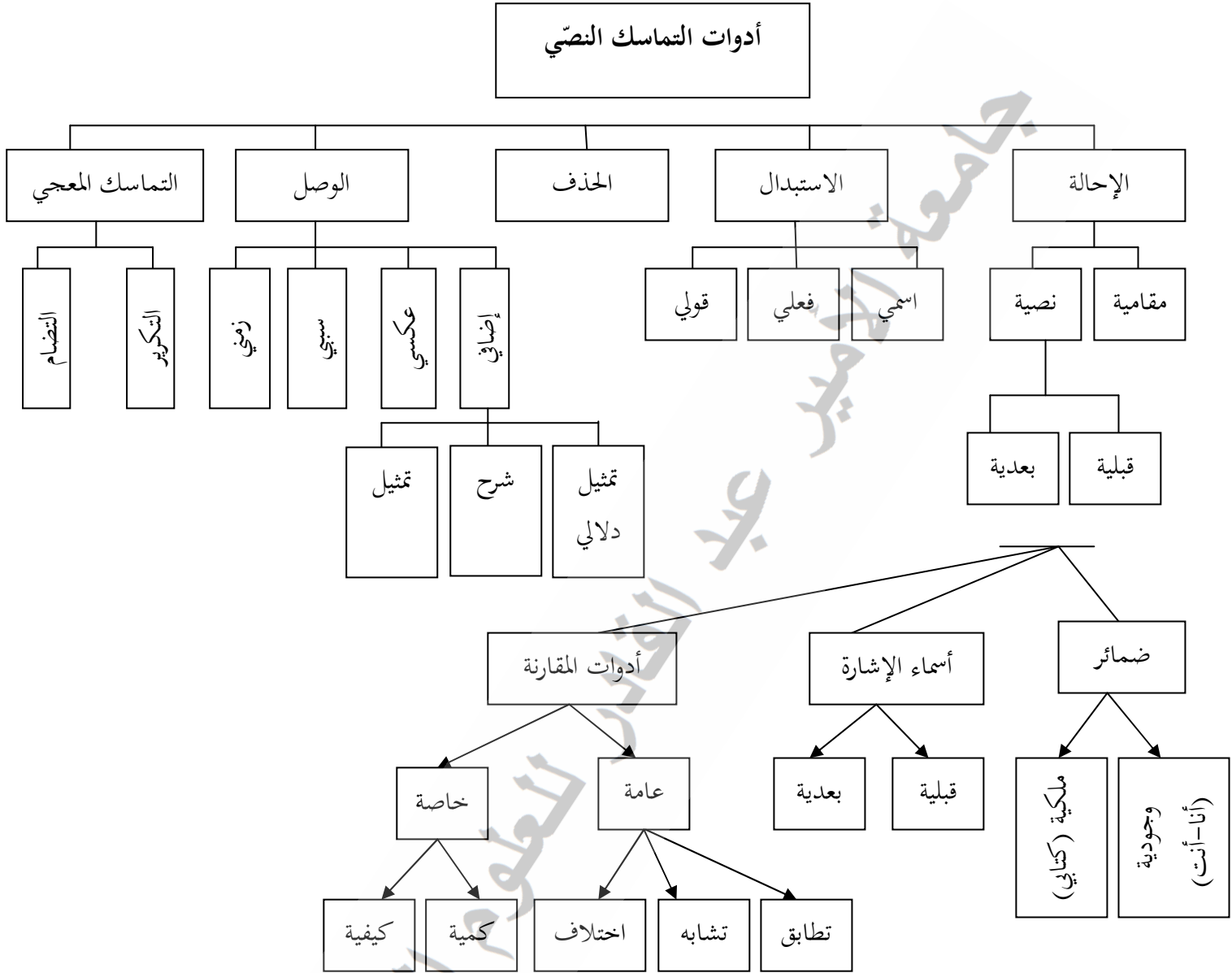
كما عدّ السياق من الأدوات الضمنية التي تحقق التماسك النصي، والمقصود بالأدوات الضمنية، ما هو خارج النص، ويفسر من خلال السياق، وقد يكون النص خالياً تماماً من الأدوات الشكلية المعروفة لتحقيق التماسك النصي، ويصل المتلقي إلى درجة اليأس من فهم هذا النص حتى يتحقق من وجود السياق المحيط⁽²⁾.

ويمكن تمثيل أدوات التماسك النصي عند هاليداي ورقية حسن، بالشكل الآتي⁽³⁾:

(1) _ج.ب. براون، ج. بول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م، ص22.

(2) _صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص117-118.

(3) _عثمان أبو زيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ص45.



لقد كانت دراسة هاليداي ورقية حسن، من أكثر الدراسات تفصيلاً؛ حيث إذا تضمن النص هذه الأدوات، فيمكن إطلاق مصطلح النصية، وبالتالي فالتماسك هو السمة التي تميز النص من اللانص، إلا أن الباحثين قد أغفلا دور المتلقي في المساهمة في تحقيق هذه النصية، حتى وإن أشارا ضمناً إلى ذلك.

أما الوسائل التي عرضها المؤلفان، فيشير الباحث جبار سويس حنين الذهبي، إلى أنها كلها تابعة للإحالة، عدا الترابط والتضام، وإن كانا لا يخلوان من الإحالة الضمنية فالإبدال في جوهره هو إحالة على كلمة أخرى، والحذف إبدال بدرجة الصفر، والمحذوف فيه يحيل على شيء مذكور في النص، وكذلك التماسك المعجمي في موضوع التكرار، فهو أيضاً إحالة مفردة على مفردة

أخرى في النص، فكان الأجدى أن يجعلنا وسائل التماسك وسيلة واحدة هي الإحالة، تندرج تحتها كل الوسائل الأخرى، ليكون ذلك أوضح للقارئ وأجلى لموضوعهما⁽¹⁾.

إن ما قام به الباحثان هو عمل يسهل على القارئ إدراك هذه الوسائل جيدا، واستجلاء للنصوص بصفة أوضح، لأن اعتبار هذه الوسائل إحالة غير ممكن؛ لأن الحذف غير الإحالة، والإحالة غير الاستبدال، ولا التضام، فهناك المحال عليه قد يكون مذكورا، وأحيانا أخرى يحذف، وأحيانا أخرى تكون إحالة إلى خارج النص، وأخرى تكون بالضد كما في التضام، فجاءت أدوات وآليات التماسك النصي لتوضيح المعنى وتقريبه إلى ذهن المستمع/القارئ، ومن جهة أخرى لماذا تمّ عرض هذه الآليات من قبل الباحث، وفي الأخير يقال أنها غير ذات فائدة وجدوى؟!، فكان الأولى به أن يشير إلى التداخل الحاصل بين هذه الآليات، والذي لا يعني إلغاءها.

أما روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، فوسائل التماسك النصي عندهما هي: التكرار، التكرار الجزئي، التوازي، إعادة الصياغة، الصيغ الكنائية، الحذف، الربط وله أربع أنماط (الوصل، التعارض، الفصل، التبعية)⁽²⁾.

وتهدف إلى تحقيق النصية إلى جانب المعايير الأخرى.

وقد ذكر براون ويول أن من الأدوات: العطف والسببية والزمنية، ثم قسما الأدوات إلى ما هو خارج النص، وما هو داخل النص⁽³⁾.

وتحدر الإشارة إلى أن براون ويول يستخدمان مصطلح الانسجام للدلالة على التماسك، ولا يعتبرانه شيئا موجودا في النص، ينبغي البحث عنه والعثور على مجسدياته؛ إذ لا يملك النص في ذاته مقومات انسجامه، وإنما المتلقي هو الذي يستند إليه هذه المقومات، بحيث يكون كل نص قابل للفهم والتأويل منسجما، وإلا فلا، وهما بذلك يستندان إلى السياق ويجعلان له دورا مزدوجا،

(1) جبار سويس حنين الذهبي، الاتساق في العربية: دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة ماجستير، في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، العراق، 1426هـ-2005م، ص63.

(2) عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، ص102.

(3) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص118. وينظر: أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص126.

فهو مرشد إلى فهم النص وتأويله، وموجه نحو التأويل المقصود ومحدد له في آن واحد⁽¹⁾.

أما محمد خطابي فقد تطرق إلى وسائل التماسك النصي عند فان ديك، والتي وردت بمصطلح الانسجام، واختزلها فيما يأتي⁽²⁾:

أ- تطابق الذوات، كالتطابق بين الاسم والضمير المحيل إليه.

ب- علامات: التضمن، الجزء- الكل، والملكية، مثل: الغرفة جزء من البيت المملوك لشخص ما.

ج- مبدأ الحالة العادية المفترضة للعوامل عموماً والحالات الخاصة للأمر أو مجرى الأحداث.

د- مفهوم الإطار، ويرتبط بتضييق تأويلات السباق غير المرتبطة بالسياق.

هـ- التطابق الإحالي.

و- تعالق المحمولات.

ز- العلامات الرابطة بين المواضيع الجديدة، مثل الحوار الداخلي (المنولوج)، والتذكر.

و يرى فان ديك أن تبين وسائل الانسجام هذه يتم بالتزامن مع العلاقات التي تحكم ترتيب

الوقائع في النص، وهي:

- العام، الخاص.

- الكل، الجزء.

- المجموعة، المجموعة الفرعية، العنصر.

- المتضمن، المتضمن.

- الكبير، الصغير.

- الخارج، الداخل.

(1) براون ويول، تحليل الخطاب، ص 267-268. وينظر: محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 52. وينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ج 1، ص 267-268. وينظر: عثمان أبو زنيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ص 47.

(2) محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 37، وينظر: عثمان أبو زنيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ص 46.

-المالك، المملوك.

ويعدّ تغيير هذا الترتيب دون أن يحقق أغراضا معينة سلفا سببا في جعل الخطاب غير منسجم⁽¹⁾.

غير أن المتمعن في هذه عرض هذه الآليات المختلفة، يجد أنها لا تشمل كل عناصر الموضوع، بمعنى أنها تقتصر على الشيء المعطى فقط، إضافة إلى أنها تنطلق من نظرات متباينة، ووسائل مختلفة، في حين لو اجتمعت هذه الآراء والنظرات، واتحدت الوسائل لتوصلنا إلى بيان وسائل وأدوات تماسك النص مجتمعة، بمعنى أنّ الوسائل المعبرة عن التماسك تكون موحدة.

هذا فيما تعلق بنظرة علماء الغرب المحدثين للمصطلح وآلياته، أما العرب المحدثون فإن نظرتهم تميزت بما سيأتي:

التماسك الكلي عند صبحي إبراهيم الفقي، هو عبارة عن ترابط دلالي للنص الذي يكون مكملا للترابط الشكلي؛ أما إذا كان الترابط من الناحية الشكلية، وعدم الترابط من الناحية الفكرية، فإنّ النصية غير مكتملة⁽²⁾.

كون الأول يعطينا نظرة شاملة حول التماسك السطحي للنص، والثاني من جهة اهتمامه بالعلاقات الخفية، والترابطات الدلالية، التي توصلنا إلى عالم النص ووحدته الكلية، فهما وجهان لعملة واحدة، لا قيمة لوجهها الأول، إلا بحضور الثاني، وهذا هو رأي صبحي إبراهيم الفقي في توحيد المصطلحين **Cohésion** و **Cohérence**، حيث يعينان التماسك النصي.

وقد بيّن الفقي أن أدوات التماسك النصي كثيرة ومتنوعة، بين الخارجية والداخلية، وبين الدلالية والشكلية، والمشاركة بينهم⁽³⁾.

أ-الخارجية: أدوات خارج النص، وليست من بنائه اللغوي، وتتمثل في السياق والإحالة الخارجية، ويمثلان الجانب الدلالي.

ب-الداخلية: وهي أدوات ضرورية في أي نص حتى تتحقق نصيته، وإلا تصبح جملا متجاوزة لا روح فيها، وقسمها إلى شكلية ودلالية مشتركة.

(1) _محمد خطاي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص36-43.

(2) _سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص146.

(3) _صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص119.

فالأدوات الشكلية هي: العطف والتكرار والمعجم والترتبة والتوكيد، والأدوات الدلالية هي المرجعية، والإبدال، والحذف والمقارنة والتكرار، والترادف والسببية والتوكيد والعطف، والأدوات المشتركة تتمثل في العطف⁽¹⁾.

وتتمثل أدوات التماسك النصي عند الفقى على النحو الآتي⁽²⁾:



مما تقدم يتضح لنا أن أدوات التماسك النصي كثيرة ومتنوعة، وأنها شرط ضروري في أي نص حتى تتحقق نصيته، وإلا يصبح جملاً متجاوزة لا روح فيها.

وصنف الفقى الإحالة والحذف تحت المستويين النحوي والدلالي، وصنف التكرار تحت

(1) _صبحي إبراهيم الفقى، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص119.

(2) _المرجع نفسه، ج1، ص120.

المستوى المعجمي والنحوي والمناسبة تحت المستوى الدلالي⁽¹⁾.

ويرى الفقي أن العلاقة بين هذه المستويات علاقة عضوية، فلا يمكن فصل أحدها عن الآخر، لأنّ النص يوصف بأنه وحدة لغوية تواصلية متماسكة، والعلاقة بين النحو والمعجم والدلالة والسياق علاقة تلازم، فلا نحو مثلا بغير معنى، ولا معنى دون سياق، وهذا الإدراك حاصل لشدة ارتباط المستويات، مع بعضها بعضا، حتى يصعب على الدارس مثلا الفصل بين المستوى النحوي الدلالي، ومن ثم كان فرع الدلالة هو المحصلة النهائية للمستويات اللغوية السابقة، فهو غايتها، وما المستويات الأخرى إلا ممهّدات له، فاللغة كلها ممثلة في هذه المستويات، والأدوات التي تحقق التماسك النصي تندرج تحت تلك المستويات وممثّلة لها.

لقد استوعب الفقي الآراء التي تعددت واختلفت حول وسائل التماسك، كما قد جمع بين جوانب النص الثلاثة: اللغوية، والدلالية، والسياقية، والأدوات التي أشار إليها الفقي يقابلها الربط المفهومي عند روبرت دي بوجراند.

ويبين خطابي الوسائل والعلاقات التي ينسجم بها النص وفق نظر المفسرين والمصنفين في علوم القرآن، وهي أربعة مستويات وفق الشكل الآتي⁽²⁾:



(1) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص64.

(2) محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص16-25.

أما أحمد عفيفي، فأدوات التماسك النصي الواردة عنده هي سبعة: إعادة اللفظ أو التكرار، التضام، التعريف، الإحالة، الاستبدال، الحذف، والربط الرصفي⁽¹⁾.

ويقابل هذه الوسائل عند دي بوجراند معياري السبك والحبك، وما يلاحظ أيضا أن أحمد عفيفي، قد صنف هذه الأدوات تصنيفا جيدا، إلا أنه قد أغفل وسيلة هامة في التماسك النصي، وهي الربط الدلالي، والوسائل المذكورة روابط لغوية ودلالية، وأكثرها لغوية شكلية كالربط الوصفي، وغياب الربط الدلالي الذي يلجأ إليه القارئ أو المتلقي حين يتعذر عليه فهم النص، ويتمثل في السياق المحيط بالنص، أو رعاية الموقف، ووحدة الموضوع الكلي للنص، والتناسق، والقرآن حافل بمثل هذه المظاهر النصية⁽²⁾.

هذه جملة من الآراء والمقارنات حول آليات التماسك النصي، التي تباينت واختلفت، وصعبت الدراسة على القارئ، بسبب تعدد المصطلحات والمفاهيم، الأمر الذي أدى أيضا إلى تباين الآراء حول مفاهيم مصطلح التماسك.

2- العلاقة بين أهم المصطلحات النصية (التماسك/الانسجام):

تعددت تعاريف النص وتعدد المشتغلون بحقل الدراسات النصية، الأمر الذي أدى بدوره إلى تعدد المصطلحات وتفرعها واختلافها، فقد يجد الدارس مثلا: النص، وعلم النص، والخطاب، وتحليل الخطاب، والسياق، ونظرية السياق، والتماسك النصي والانسجام، كما قد يجد أيضا الحبك والسبك، والاتساق والتضام، وكلها فيض من المصطلحات مستخدمة في حقل الدراسات اللسانية النصية.

وإن كثرة وتعدد المصطلحات قد يضع القارئ في بعض اللبس، وللوقوف على هذه الإشكالية سنعمل على توضيح العلاقة بين المصطلحات المستخدمة، كالعلاقة بين التماسك والانسجام والاتساق، والحبك والسبك.

ومن ثم تبرير استخدام مصطلح دون آخر في الدراسة موضوع البحث، وحتى لا نشتت ذهن القارئ ثانيا.

فقد يتداخل مصطلح التماسك مع مصطلح الانسجام، أو قد يأتيان بنفس المفهوم كما

(1) _أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص105.

(2) _أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ص132.

قد يتداخل التماسك مع السبك والحبك والاتساق، ونفس الشيء مع مصطلح الانسجام، إلا أن اغلب الباحثين يركزون على مصطلحين، التماسك والانسجام حيث تتفق الدراسات النصية الحديثة على أن النص مهما طال أو قصر، فإنه يتميز بمجموعة من الخصائص والمقومات، تعود إلى تماسك نسيجه التركيبي أو البنيوي، وأخرى خصائص ومقومات سياقية مقامية، وكلتا الخاصيتين (التركيبية والمقامية) ترتبط ارتباطا وثيقا بتحقيق ما يعرف ببنية النص، هذه الأخيرة تتحقق بما يعرف في علم لسانيات النص بالاتساق (التماسك) أو (الانسجام).

ولعل هذين المصطلحين أول ما يتعرض لهما الدارس من إشكاليات في هذه الدراسة، وهذا يلزم علينا تقديم جهود علماء اللغة في التفريق بين مصطلح (cohesion) ومصطلح (coherence) في لسانيات النص، ولقد تم اختيار هذين المصطلحين لتقاربهما معنويا ولاعتبارهما متصلين أساس بالنص.

2-1- عند الدارسين الغربيين:

تعرف اللسانيات النصية عند كل من جورج يول وجون براون بكونها «فرعا من فروع اللسانيات، تعنى بدراسة مميزات النص من حيث حده وتماسكه، ومحتواه الإبلأغي التواصلي».⁽¹⁾ ومن بين محاور اللسانيات النصية التماسك والاتساق أو ما يسمى بالنصية، مقابلا للمصطلح الغربي (textualité)، كما أن اللسانيات النصية تشتغل على مجموعة أخرى من المصطلحات، التي يمثل كل واحد منها جانبا من جوانبه، كما تتفاوت درجة الأهمية في تناوله لهذه المصطلحات بالدراسة والتحليل، ولعل مصطلح التماسك أحدها فقد نال اهتماما فائقا من طرف الدارسين الغربيين حيث سنتعرض لأهم آرائهم:

فهاليداي ورقية حسن فإنهما يضعان لكتابهما عنوان التماسك، حيث يعنون هذا الكتاب ب: (Cohésion in English)، حيث أكدوا فيه على هذا المصطلح وأدواته الإجرائية إلى درجة تجعلنا نقول أو نعتقد أن النص ما هو إلا تماسكا⁽²⁾.

وقد خص هاليداي ورقية حسن مؤلفهما لدراسة التماسك النصي في اللغة الإنجليزية، والذي يعني عندهما كل ما يتضمن علاقات المعنى العام لكل طبقات النص، وأن مصطلح cohesion لا يركز على ما يعني النص، بقدر ما يركز على تركيب النص باعتباره صرحا دلاليا.

(1) -ج. يول، ج. براون، تحليل الخطاب، ص30.

(2) -صباحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص93.

ورغم أنهما وقفا بعملهما عند دراسة أدوات التماسك النصي الشكلية، والتي لا شيء في علاقتها القوية بالدلالة في مستوى سطح النص.⁽¹⁾

إلا أن مصطلح **cohésion** عندهما لا يركز على ما يعني النص، بقدر ما يركز على تركيب النص باعتباره صرحا دلاليا.⁽²⁾

إن ما جاء به هاليداي ورقية حسن من آراء تبقى ناقصة، لأنهما ركّزا على أدوات التماسك الشكلي، وإن كانت علاقتها قوية بالدلالة والمعنى، ولكنها لا تصف بنية النص الدلالية، والروابط الدلالية بين قضاياه، بل تصف العلاقة الشكلية الدلالية في مستوى سطح النص.⁽³⁾

أما جورج يول وجون براون فنجدهما يتعرضان في كتابهما (تحليل الخطاب) لرأي كل من هاليداي ورقية حسن ليعقبا عليه بقصور الأدوات اللغوية وحدها لضمان التماسك النصي داخل النصوص، إذ يضيفان إليه مستوى التسلسل المنطقي بين الأحداث في بنية النص.⁽⁴⁾

كما أشار جورج يول في كتابه (معرفة اللغة) إلى قصور علاقات الربط التركيبية والمعجمية في الوصول إلى معنى النصية ونسيج الخطاب، إذ نجده يقول: (يتضح أن التلاحم الذي وحدناه في تفسير النصوص المعتادة لا يعتمد على الروابط بين الكلمات، فلا بد من عامل آخر نميز النصوص المترابطة الحاوية للمعاني من تلك التي لا معنى لها ويعرف بـ (coherence).⁽⁵⁾

واقترح روبرت دي بوجراند في كتابه (النص والخطاب والإجراء) مجموعة من المعايير الأساسية لجعل النصية (textualité) أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها، واختار على رأس هذه المعايير عنصر **cohésion**، ويترتب هذا الأخير على «إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي». ⁽⁶⁾

ثم أشار بعد ذلك إلى وسائله المختلفة لينتقل بعده إلى العنصر الثاني مباشرة وهو **coherence** الذي يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي، ثم

(1) _جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص: دراسة لسانية نصية، ص223.

(2) _صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص95.

(3) _جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص: دراسة لسانية نصية، ص223.

(4) _جورج يول، جون براون، تحليل الخطاب، ص236.

(5) _جورج يول، معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبد الحفيظ، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 1999م، ص146.

(6) _روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص103.

تحدث عن أهم وسائله والمتمثلة أساس في العلاقات المنطقية كالسببية والعموم والخصوص. (1)

والنص عند روجر فاوولر عبارة عن سلسلة من عبارات وجمل توجه انتباه القارئ من يمين إلى يسار البنية الإعلامية، وتعمل تدريجياً وبطريقة متقطعة لتمكينه من استنباط المعنى من البنية السطحية منتظمة أو غير منتظمة، والمظهر الإعلامي للنص هو أيضاً ذلك المنظور الذي نستطيع من خلاله دراسة تماسك قطعة لغوية أي كيف ترسخ نفسها كموضوع منسجم ومتكامل، وليس كسلسلة من الجمل العشوائية⁽²⁾ أي أنه جعل التماسك والانسجام بمعنى واحد، إذ المهم هو الارتباط بين الجمل بواسطة أدوات الربط وتكوينها لبنية إعلامية يتشكل من خلالها النص، لأن الجمل العشوائية لا تنتج معنى، ويقول في موضع آخر: «سمة أخرى تساهم في انسجام وتماسك النصوص، وتكيفها من الناحية الشكلية وهي: التكرار والتوازي...»⁽³⁾

وهذا يؤكد ما ذهب إليه في العلاقة التي تربط التماسك والانسجام، بحيث وردا بنفس المفهوم عنده.

وقبل الفصل في قضية المصطلح نلجأ إلى تقديم آراء الباحثين العرب ومن ثم ضبط مصطلح واحد يتم التعامل به في البحث.

2-2- عند الدارسين العرب:

اختلفت ترجمة هذين المصطلحين، حتى إننا نقع في تداخل وخط معرفي كبير، فتارة يترجم مصطلح **cohérence** بالانسجام، وتارة بالترابط الفكري، وأخرى بالاقتران، كما نجد مصطلح **cohésion** يترجم بالانسجام، وتارة أخرى بالتماسك، وهذا ما سنبينه من خلال الجدول الآتي:

| الرقم | الباحث | ترجمة مصطلح: cohésion | ترجمة مصطلح: cohérence |
|-------|--------------|-----------------------|------------------------|
| 01 | إبراهيم خليل | التماسك | الارتباط |
| 02 | محمد خطابي | الاتساق | الانسجام |
| 03 | أحمد مداس | الانسجام | الترابط الفكري |

(1) _ روبرت دي بوجراندي، النص والخطاب والإجراء، ص 103.

(2) _ روجر فاوولر، اللسانيات والرواية، تر: أحمد مومن، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، مطبعة البعث، 2006م، ص 71.

(3) _ المرجع نفسه، ص 74.

| | | | |
|----|----------------------|--------------------|--------------------------------|
| 04 | حسين خمري | التماسك | الانسجام |
| 05 | عزة شبل محمد | الربط اللفظي | التماسك المعنوي |
| 06 | الأزهر الزناد | التماسك | الانسجام |
| 07 | صلاح فضل | التماسك | الاقتزان |
| 08 | صبحي إبراهيم الفقي | التماسك | التماسك |
| 09 | أحمد عفيفي | السبك/الربط/التضام | الحبك/التماسك/الانسجام/الاتساق |
| 10 | محمد عبد الباسط عيد | التماسك | الانسجام |
| 11 | حسام أحمد فرج | السبك | الحبك |
| 12 | خليل بن ياسر البطاشي | السبك | الحبك |
| 13 | محمد الشاوش | الاتساق | الانسجام |

من خلال الجدول يتبين ما يأتي:

يفرق إبراهيم خليل بين المصطلحين في كتابه (في اللسانيات ونحو النص)، وذلك اعتماداً على آراء هاليداي ورقية حسن، إذ يترجم مصطلح **cohésion** بالتماسك الذي يكون بفضل قواعد النحو ودورها في إيجاد التناسق بين أجزاء النص، ويميزه عن مصطلح الارتباط **cohérence** الذي يكون بين الجمل المؤلفة للنص والسياق، إذ يعتمد أساساً على السياق للدلالة على معنى النص.⁽¹⁾

ويشير محمد خطابي في مقدمة كتابه (لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب) إلى ضرورة التفريق بين المصطلحين مقررًا أن التماسك، الاتساق **cohésion** يختلف عن الانسجام **cohérence** في كونه يتجسد في النحو والمفردات، ومن ثم يمكن الحديث عن الاتساق المعجمي والاتساق النحوي على خلاف الانسجام الذي يركز فيه على المتلقي والسياق، هذان العنصران اللذان يحددان أن العلاقة الخفية التي تنظم النص وتولده.⁽²⁾

ونجد عند أحمد مداس أثناء حديثه عن النصية يتطرق إلى المصطلحين فيترجم **cohésion** بالانسجام النصي، لكن بنفس معنى الاتساق عن خطابي وإبراهيم خليل إذ يؤكد على أنه الترابط الرصفي القائم على النحو في بنيته السطحية حيث المساحة للجمل والتراكيب

(1) إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، ص 192.

(2) محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 5.

والتكرار والإحالات والحذف والروابط في حين يختار ترجمة **cohérence** بالترابط الفكري، الذي يعني الترابط المفهومي الذي تحققه البنية العميقة للخطاب، ويظهر فيه دور العناصر المنطقية كالسببية، وعلاقات العموم والخصوص التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل البنية (الخطاب/النص).⁽¹⁾

ونجد في كتاب حسين خمري (نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال) تفرقة بين المصطلحين حيث استعمل مصطلح التماسك **cohésion** لوصف علاقة الوحدة على مستوى البنية السطحية (أو البنية الصغرى)، بينما تركز مصطلح الانسجام **cohérence** للمستوى العميق في النص.⁽²⁾

إلا أن ما ذهب إليه حسين خمري، جاء تعليقا على آراء فان ديك.

أما عمر عبد الواحد في كتاب له بعنوان: (التعلق النصي) يعتبر أن التماسك له نوعان: نحوي ودلالي، إذ يحتل الربط النحوي **cohésion** أو السبك المعيار الأول، ومثل التماسك الدلالي **cohérence** أو التلاحم المعيار الثاني، ويشير المعيار الأول عنده إلى الربط الذي يتم على المستوى السطحي للنص بواسطة أدوات الربط النحوية، أما المعيار الثاني **cohérence** يشير إلى التماسك أو التلاحم الدلالي الذي يتم على مستوى البنية العميقة للنص، أي على مستوى التصورات والمفاهيم التي تشكل عالم النص.⁽³⁾

وتذهب الباحثة عزة شبل محمد في كتابها: (علم لغة النص: النظرية والتطبيق) إلى أن مصطلح **cohésion** هو الربط اللفظي، ومصطلح **cohérence** التماسك المعنوي، فالربط اللفظي يقع بين العناصر داخل النص على مستوى البنية السطحية ويزداد التماسك عندما ترتبط جملة بجملة أخرى في الفقرة، وعندما تقدم الفقرات في النص في تتابع منطقي ولذلك فهي تعتبر العلاقة بين الربط اللفظي **cohérence** والتماسك المعنوي **cohérence** ليست علاقة ترادف.⁽⁴⁾

أي إن البحث في كيفية تماسك النص لا يقتصر فقط على دراسة وسائل الربط اللفظي بل يتعداها إلى دراسة وسائل أخرى للتماسك، تتجاوز الوسائل الصوتية، والمعجمية والنحوية إلى

(1) _ احمد مداس، لسانيات النص: نحو منهج تحليل الخطاب الشعري، ص83.

(2) _ حسين خمري، نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيمائية الدال، ص49.

(3) _ عمر عبد الواحد، التعلق النصي مقامات الحريري نموذجاً، ط1، دار الهدى، المنيا، 2003م، ص11-12.

(4) _ عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، ط02، مكتبة الآداب، القاهرة، 1430هـ_2009م، ص100.

مستويات أعلى من التحليل كالمستوى الدلالي والبراجماتي، أو ما يطلق عليه دي بوجرانودريسيلر مصطلح **cohérence** وهو أحد المعايير السبعة للنصية. (1)

وتذهب الباحثة إلى أن هناك عدة ترجمات لمصطلح **cohérence** منها التقارن عند إلهام أبو غزالة، والحبك أو الترابط المفهومي عند تمام حسان، والانسجام عند محمد خطابي، والتماسك المعنوي عند محمد لطفي الزليطي، ومنير التركي، والترجمة الأخيرة هي ما قالت بها الباحثة عزة شبل محمد، أي إن الانسجام عند غيرها، يكون بمفهوم التماسك عندها، وهذا طبعاً بعد الترجمة. (2)

ونجد الأزهر الزناد في كتابه (نسيج النص)، يفرق بين الانسجام والتماسك فيقول: «يطلق النص على كل الوحدات اللغوية ذات الوظيفة التواصلية الواضحة التي تحكمها جملة من المبادئ منها الانسجام **cohérence** والتماسك **cohésion** والإخبارية (توفر مضمون مفيد في النص)». (3)

ويفرق صلاح فضل بين التماسك **cohésion** باعتباره خاصية نحوية للخطاب تعتمد على علاقة كل جملة منها بالأخرى، والذي ينشأ غالباً عن طريق الأدوات التي تظهر في النص مباشرة، كأحرف العطف والوصل... إلخ، والاقتران **cohérence** الذي ينشأ عن طريق الروابط المعنوية التي يستخلصها المتلقي من الخطاب عن طريق التخزين والاسترجاع وبعضها قد يكون في النص فعلاً، وبعضها يحيل إليها عن طريق السياق الخارجي. (4)

فهناك إذن اختلاف وتداخل في ترجمة المصطلح وفي المقابل اتفاق في المفهوم للمصطلحين بالعودة إلى صيغتهما الأجنبية عند أغلب الدارسين العرب.

ويمازج صبحي إبراهيم الفقي بين المصطلحين ويعينان عنده مفهوماً واحداً، وهو التماسك النصي، حيث وقع اختياره على مصطلح **cohésion** للدلالة على التماسك **cohésion** والانسجام **cohérence**، وهذا في كتابه (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية)، إذ نجده بعدما أورد آراء مجموعة من الدارسين الغربيين والعرب والتي تميز بين المفهومين، يقرر في الأخير إطلاق مصطلح **cohésion** للدلالة على المعنيين، أي

(1) عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، ص 184.

(2) المرجع نفسه، ص ن.

(3) الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، ص 15.

(4) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 263، وينظر: إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص 219.

الدلالي والشكلي مترجما إياه إلى التماسك النصي الذي يعني «العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية وبين النص والبيئة المحيطة به من ناحية أخرى». (1)

ونجد أحمد عفيفي في كتابه (نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي)، يترجم المصطلحين كما يأتي:

أ-السبك أو (الربط) أو (التضام) **cohésion**: وهو معيار يهتم بظاهر النص، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي.

ب-الحبك أو (التماسك) أو (الانسجام) أو (الاتساق) **cohérence**: ويتصل هذا المعيار برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص. (2)

حيث يعتبر أحمد عفيفي أن التماسك هو الانسجام وهو نفسه الاتساق، وكلها تمثل ترجمة لمصطلح **cohérence**.

ويفرق الباحث محمد عبد الباسط عيد بين المصطلحين في كتابه: (النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن)، فالانسجام ذو خاصية دلالية مرتبطة بالمعنى، أما التماسك فما تعلق بالناحية الشكلية، حيث يقول: «وهذا الذي يقدمه علماء الخطاب وتحليل النص، يلتقي في جوهره مع ما يطرحه علماء القرآن الذين انطلقوا من وحدة النص الكريم، مصدرا وموضوعا، فقد تماسك النص لغة وانسجم مضمونا وفقا لمراد الله». (3)

وما يؤكد ما ذهب إليه من التفريق بين المصطلحين قوله: «لقد كانت الفرصة مهيأة أمام علماء القرآن، لأن يتجلى المنهج على أيديهم بيانا ساطعا، وخطى محددة أكثر من غيرهم، وأن يتسع أمامهم البحث ليجاوز حدود الجملة إلى الخطاب، فقد وجدوا أنفسهم إزاء نص آمنوا بداية باتساقه وانسجامه، وكان لهذا صداه في مقاربتهم...». (4)

ويذهب حسام أحمد فرج في كتابه: (نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري) إلى أن السبك ربط لفظي، والحبك ربط دلالي، والسبك مظهر من مظاهر عملية إنتاج النص

(1) _صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص96.

(2) _أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص90.

(3) _محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1430هـ، 2009م، ص16-17.

(4) _المرجع نفسه، ص19.

الكبرى، التي تشتمل على عناصر أخرى سياقية، ويمثل السبك مرحلة التعبير التي يتم تحويل المحتوى المتراكم إليها، أي إن السبك يمثل ظاهر النص إذا كان ربطاً لفظياً، حيث أكد دي بوجراندودريسلي أن السبك يتعلق بالطرق التي تترابط بها المكونات في سطح النص داخل تتابع.⁽¹⁾

ويؤكد هاليداي كذلك أن النص وحدة دلالية ترتبط أجزاؤها معا بواسطة أدوات ربط صريحة ظاهرة، أو مفاتيح داخلية تبين كيف تتماسك أجزاء النص معا.⁽²⁾

إن التماسك عند المؤلف يتعلق بظاهر من ناحية الربط اللفظي المتمثل في أدوات الربط النحوية، بمعنى أن التماسك هو نفسه السبك.

والسبك بذلك من أهم المعايير النصية عند علماء لغة النص، فهو عنصر جوهري في تشكيل النص وتفسيره، إذا أصبح الكلام خالياً من عنصر السبك أصبح غير واضح وتعلق به الغموض.⁽³⁾

فالسبك **cohésion** مختص بعمل الربط النصي على مستوى البنية السطحية.

والحبك **cohérence** مختص بالأساس الدلالي أو البنية التحتية للسبك، بما يقدمه من دلالات سياقية وبرجماتية تسهم في توضيح معاني قضايا النص المفردة، والمعنى العام للقضية الكبرى، وبيان البعد الوظيفي لأدوات السبك، بارتباطهما بأسس الدلالة الكلية للنص. وهذا الترابط بين السبك والحبك، هو ما يقدم المغزى الحقيقي للنص.⁽⁴⁾

هذا وتبقى دائماً مشكلة ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية عائقاً أمام ضبط مفاهيمه، فأحياناً التماسك وأحياناً أخرى يترجم بالسبك، وأخرى بالحبك... إلخ.

أما عند خليل بن ياسر البطاشي، فقد احتدم الجدل حول مفهوم التماسك أو بالأحرى التماسك في النص، حيث توجهت كل مدرسة لغوية حسب مبادئها ورؤيتها للنص، فمنهم من ركّز على الجوانب الشكلية والتركيبية للنص في تعريفه للتماسك، ومنهم من رآه في الوحدة الدلالية

(1) حسام أحمد فرج، نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط01، مكتبة الآداب، القاهرة، 1428هـ - 2007م، ص78.

(2) المرجع نفسه، ص ن.

(3) المرجع نفسه، ص80.

(4) المرجع نفسه، ص81.

للنص وفريق ثالث أخذ بمبدأ الوسطية، ورأى أنه لا يمكن فصل التركيب عن الدلالة والعكس، لذا فهو يرى أن التماسك يجب أن يتحقق في الجانبين، وإذا احتل أحدهما يفقد الأداء سمة النصية. (1)

وفي هذا الصدد يورد الباحث مصطلحين يمثلان هذين المحورين في التماسك اللغوي (التركيب والدلالة) وهما السبك والحبك. (2)

أ- السبك: هو الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية، في ظاهر النص، ويقصد بظاهر النص الأصوات والكلمات والجمل الناتجة عن العملية اللغوية، ويمكن إجمال أبرز وسائل السبك في التكرار، والمصاحبة المعجمية، والإضمار، والحذف، والربط «يقصد به أدوات الربط مثل: العطف والاستدراك...».

ب- الحبك: وهو ما يطلق عليه الترابط المفهومي الذي يهتم بالعلاقات بين المفاهيم وترابطها، ومن أبرز علاقاته: السببية والزمانية والإبدالية، والمقارنة والتضمن (علاقة الكل بالجزء، علاقة الملكية)، الإجمال والتفصيل. (3)

نفس الشيء نجد عند خليل بن ياسر البطاشي فيما يخص الترجمة فالسبك عنده **cohesion** وعند غيره هو التماسك، أي يكون عن طريق سطح اللغة.

أما الحبك **cohérence** فإنه يوظف أدوات أخرى مرتبطة بالنواحي الدلالية للنص، فهو يختص بترابط الجوانب الفكرية للنص.

وذهب محمد الشاوش في كتابه: (أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص)، في جزئه الأول، إلى التفريق بين المصطلحين، إلا أنه لم يورد مصطلح التماسك بهذا الاسم بل وسمه بالاتساق أي أن يُفترق بين الاتساق والانسجام (معتمدا على رأي لدويجراند حيث يقول محمد الشاوش: «...من المفيد ان نميز بين الاتساق **cohesion** باعتباره نصية قائمة على الصياغة، والانسجام **cohérence** باعتباره نصية قائمة على نقل المعلومات **information**». (4)

وهو بهذا يفصل بين المصطلحين فضلا عن تغيير المفهوم من التماسك إلى الاتساق كما

(1) _ خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 57.

(2) _ المرجع نفسه، ص ن.

(3) _ المرجع نفسه، ص 57-58.

(4) _ محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، ج 1، ص 109.

ذهب إلى ذلك بعض اللسانيين العرب، وقد يتعلق الاتساق عنده بالأدوات النحوية الشكلية، أو كما سماها المظاهر النحوية، أما الانسجام فإنه يتعلق بالأدوات الدلالية أو الترابط المفهومي، أو كما سماها الباحث مظاهر المقبولية، حيث يقول في هذا الشأن: «ودراسة الاتساق هي بالأساس دراسة علامات تحقق الانسجام، وقرائنه المتحققة باللفظ، ويمكن ألا يعتمد الانسجام إلا على عدد قليل من القرائن اللفظية، بل إنه قد يتحقق دون توفر أي قرينة من القرائن التي تعتبر منها كالضمائر والتمسية الإشارية والمطابقة بين الأفعال في الزمان والجهة».⁽¹⁾

وما يلاحظ على آراء محمد الشاوش أنها جاءت بالخاصية التأويلية لانسجام الخطاب، كما ذهب إلى ذلك جون ميشال آدم، حيث يعتبر الشاوش أن الصيغ النحوية لا تعبر في كثير من الأحيان عن البنية النصية، وعليه فإن تلك الظواهر تعتبر بناء تأويليا لا بنية لغوية، لأن ظهور أدوات الربط حسب الشاوش ليس ضروريا لانسجام النص، حيث يقول بأن: «عددا كبيرا من مظاهر البنية النصية ليس لها ما يقابلها في الصيغ اللغوية، فتعتبر تلك الظواهر بناء تأويليا لا بنية لغوية... فظهور أدوات الربط حسبها ليس ضروريا لانسجام النص».⁽²⁾

كما أن محمد الشاوش ينتقد آراء من ذهبوا إلى الفصل بين الصياغة والمعنى، وبين ألا يكون لمظاهر البنية والمعنى عماد صياغي، حيث اعتبروا مظاهر الترابط اللفظي عاملة في مستوى الجملة أو بين الجمل ومظاهر الانسجام التي ليس لها عماد لفظي عاملة في مستوى تكوّن النص.⁽³⁾

هذه مجمل آراء الباحثين العرب حول ما يتعلق بمصطلحات تدعى التماسك والانسجام والحبك، والاتساق بحيث لوحظ أن الإشكال تسببه ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية. إن ما تقدم ذكره هو مجمل آراء الباحثين والدارسين غربيين كانوا أم عربا، حول العلاقة بين المصطلحات النصية (التماسك/الانسجام).

وسوف نعمل في هذه الدراسة إلى رأي صبحي إبراهيم الفقي، فقد أورد المصطلحين بنفس المفهوم، وهو التماسك النصي، حيث وقع الاختيار على مصطلح **cohésion** أي بمعنى: [cohésion=التماسك، cohérence=التماسك)، بحيث يتم تقسيم **cohésion** إلى قسمين:

أ- التماسك الشكلي: يهتم بعلاقات التماسك الشكلية.

(1) _ محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، ج1، ص 109.

(2) _ المرجع نفسه، ج1، ص ن.

(3) _ المرجع نفسه، ج1، ص ن.

ب- التماسك الدلالي: يهتم بعلاقات التماسك الدلالية، بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من ناحية أخرى.

وهو بهذا يعنى العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة به من ناحية أخرى.

إن مصطلح التماسك النصي ليس بدعا في الدراسات اللغوية العربية، كما أنه ليس حكرا على الدراسات النصية الحديثة، فنجد عند العرب حضور الفكرة، وغياب المنهج والتأليف، أما الغربيين فقد اهتموا إلى توظيف المصطلحات النصية وتطبيقها على النصوص، وهذا كغيرها من المصطلحات اللسانية الأخرى، التي لها إطار مرجعي في التفكير اللغوي العربي.

الفصل الثالث

آليات التماسك النصي في

قصة موسى عليه السلام.

_أولا: تكامل قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم.

_ثانيا: التماسك النحوي في قصة موسى عليه السلام.

_ثالثا: التماسك المعجمي في قصة موسى عليه السلام.

تعتبر وحدة الموضوع من بين جوانب التماسك النصي في القرآن الكريم، سواء في السور المدنية التي تركز على موضوع التشريع، أم في السور المكية التي تركز على حقيقة العبودية والألوهية، وحقيقة العلاقات بينهما.

وقد لاحظ القدماء أنّ حسن النسق من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، فحاولوا دراسته بما يتناسب وتفسيره، لأنّ القرآن الكريم لشدة تماسكه، عدّ كالكلمة الواحدة على الرغم من أنّ كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة، ومع ذلك فإنّها تجتمع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة، وطرائقها المتميزة، ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع، وتحقيق هذه الغاية⁽¹⁾.

وإضافة إلى ما سبق فإنّ القدماء في علاقتهم بالنص القرآني، قد تحرّوا الدقة الكاملة من أجل الوقوف على مكان تماسكه، حيث بنوا تحليلهم على الربط بين بنية النص اللغوية والدلالية، وقد تجلّت هذه الدقة عند وقوفهم أمام النص القرآني، إذ تضافرت على الكشف عن أسرار إعجازه عدة أسس منهجية توصلوا بها إلى فهمه فهما صحيحا، وإلى الوقوف على مفرداته، وتراكيبه وأساليبه، والربط بينها وبين دلالاتها وقوفا يمكنهم من احتواء النص من جميع جوانبه، لا يكتفون ببيان وظائف الكلمات وعلامات إعرابها، ولكنهم يكشفون عن خصائص التعبير القرآني وسماته، وهذا ما قاله الطبري لما وضّح الأسس المنهجية التي بنى عليها تحليله للنص القرآني، فهو يقول رابطا بين خصائص لغة القرآن ولغة العرب التي نزل بها: «فإذا كان ذلك كذلك فبين إذا كان موجودا في كلام العرب الإيجاز، والاختصار، والاجتزاء بالإخفاء من الإظهار، وبالقلة من الإكثار في بعض الأحوال، واستعمال الإطالة والإكثار، والتّرّد والتكرار، وإظهار المعاني بالأسماء دون الكناية عنها، والإسرار في بعض الأوقات، والخبر عن الخاص في المراد بالعام الظاهر، وعن العام في المراد بالخاص الظاهر، وعن الكناية والمراد منه الصريح، وعن الصفة والمراد الموصوف، وعن الموصوف والمراد الصفة، وتقديم ما هو في المعنى مؤخر، وتأخير ما هو في المعنى مقدّم، والاكتفاء ببعض من بعض، وبما يظهر عمّا يحذف، وإظهار ما حظه الحذف، أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ من ذلك، في كل ذلك له نظيرا، وله مثلا وشبيها»⁽²⁾.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، ط11، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1405هـ-1985م، مج1، ج1، ص28.

(2) _ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط10، دار الهجرة، الحيزة، مصر، 1422هـ-2001م، ج1، ص12_13.

وهو بهذا يريد أن يقول أن النص القرآني هو الأجدر بأن يكون نصا لغويا متكاملا توافرت فيه جميع شرط النصية، ولم يغفل المتصلون بالنص القرآني قديما وحديثا عن هذه المعايير، حيث أدركوها حق الإدراك، وأبرزوها عن طريق التحليل النصي الدقيق، وإن اختلفت عباراتهم، ومصطلحاتهم إلى حد ما عن عبارات المحدثين.

أولا- تكامل قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم:

النص القرآني غاية في التماسك والانسجام شكلا ودلالة بين جملة، وآياته، كما أنه يبدو ظاهرة مميزة للقصص القرآني موضوع بحثنا.

فالجمل تترايط في القصة الواحدة، وتسهم في سرد أحداثها ومشاهدها، وكل قصة يربطها مع غيرها من القصص روابط مختلفة، ويترايط القصص القرآني غير من موضوعات القرآن الكريم على مستوى السورة الواحدة، وعلى مستوى النص القرآني كله⁽¹⁾.

والتماسك النصي لا يتحقق على مستوى الجمل والنصوص المنجزة فحسب، بل ينبغي أن نبحت عن التماسك بين النصوص وما يحيط بها في الخارج، وهذا يقتضي البحث في العلاقة بين النص والسياق المحيط به، فالعلاقات بين الجمل في متتالية نصية تشمل العلاقات الداخلية وامتداداتها الخارجية.

1_ منهج القرآن الكريم في عرض بداية ونهاية القصة:

تقوم القصة القرآنية على أسلوب خاص يميزها عن القصة البشرية، وهذا لأن القرآن الكريم ليس كتاب تأريخ للأمم والأقوام السابقة، وإنما يتضمن التشريع والأحكام، والقصة القرآنية أيضا ليست تأريخية في منهجها، وإنما دينية تتضمن عبرا وعظات موجهة للنبي ﷺ.

لهذا قام أسلوب القرآن في القصة على اللقطات والحركات الهامة، ويتخطى أحيانا الجزئيات، لأن القصة في القرآن لا تهدف إلى السرد الروائي، وإنما تبحت عن التدبر والاعتبار، فكما يختار الرسام للوحته أجمل الألوان والأشكال لتحقيق الجمال، ففي القصة القرآنية الجمال المطلق⁽²⁾.

أما عناصر القصة القرآنية فمتعددة، من شخصيات ومكان وزمان وحوار، وهي أحيانا متداخلة وموزعة على محاور القصة، مما يضمن التوازن بين هذه العناصر «لأن المقاصد والأهداف

(1) محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، ص 195-196.

(2) التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية، 1974م، ص 85.

التي يرمي إليها التركيب الكلامي والسياق القصصي هي التي توجه أسلوب العرض، وتتحكم في ترتيب الأحداث وتسلط الضوء على العناصر المراد إبرازها كالإنذار والترهيب»⁽¹⁾.

إن القصة القرآنية لم تعرض متتالية الأحداث، متعاقبة المشاهد، كما تعرض القصة الفنية في الآداب العلمية بغرض الإفادة التاريخية، وسوق الأحداث، والأخبار عن تتابعها وتواليها، وإنما الخصوية الكبرى التي تتميز بها القصة القرآنية أنها تساق لتعميق المفاهيم القرآنية، وأخذ العبرة، وترسيخ الموعظة، فلا غرابة من ناحية أخرى إن جاءت موزعة مفرقة على مقامات تناسبها، ومواطن تقتضيها⁽²⁾.

وهذا ما نحاول الوصول إليه من خلال تتبع قصة موسى عليه السلام، التي جاءت مفرقة في العديد من سور القرآن الكريم، إلا أن هذا لا ينفى تكاملها وتوزيعها رغم تفرق أحداثها، وفي هذا الصدد يقول الطاهر بن عاشور عن القصص القرآني: «لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها، لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع، هو ذكر وموعظة لأهل الدين، فهو بالخطابة أشبه»⁽³⁾.

و قبل التطرق إلى المشاهد المكونة لقصة موسى عليه السلام، نتناول منهج القرآن في عرض بداية القصة، حيث ذكر سيد قطب أربع طرق يبدأ بها القرآن قصته⁽⁴⁾، وهي:

- الأولى: يذكر ملخصا يسبق القصة، ثم يعرض بعد ذلك التفاصيل، ومثال ذلك من قصة موسى عليه السلام في سورة غافر، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهٰمٰنَ وَقٰرُونَ فَقَالُوا سَحِرٌ كٰذِبٌ﴾^(٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا اٰبْنَاءَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُۥ وَاَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِيْنَ اِلَّا فِيْ ضَلٰلٍ ﴿٥٥﴾ [غافر: 23-25]، فقد كان ذلك ملخصا سريعا للقصة، ثم بدأت الشخصيات بعرض تفاصيل القصة، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُوْنِيْ اَقْتُلْ مُوسٰى

(1) _خلدون سعيد صبح، التقديم والتأخير في القرآن الكريم: بلاغة وإبلاغ، ط1، دار الينايع، سوريا، 2002م، ص260.

(2) _محمد محمد صافي المستغاني، تصريف القول في القصص القرآني: دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام، ط01، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 1432هـ-2011م، ص233.

(3) _محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية، تونس، 1984م، ج1، ص64.

(4) _سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط16، دار الشروق، القاهرة، 1423هـ-2002م، ص180-183.

وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي
عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ [غافر: 26-27] إلى
آخر القصة.

-الثانية: يذكر عاقبة القصة ومغراها، ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أولها وتسير بتفصيل
خطواتها، ومثال ذلك قصة موسى عليه السلام في سورة القصص، حيث يذكر الله المغزى من هذه
القصة قبل بدء التفصيل فيقول: ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذَّيْحُ أَبْنَاءَهُمْ
وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمْعَانَ
وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ [القصص: 3-6].

-الثالثة: يذكر القرآن القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ومثال ذلك قصة موسى في
سورة النمل، حيث يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ
حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْتِيكُمْ بِهِ شِهَابٍ قَبَسَ لَعَلَّكُمْ
تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾
يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ [النمل: 4-9] إلى آخر القصة.

-الرابعة: يحيل القرآن القصة تمثيلية فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء العرض، ثم
يدع القصة تتحدث عن نفسها بوساطة أبطالها، ومثال ذلك قصة موسى في سورة الكهف، حيث
ابتدأ العرض بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ
أَمْضِيَ حُقْبًا ﴿٦٠﴾ [الكهف: 60]، ثم تكمل الشخصيات مهمتها في عرض القصة ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آئِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ
لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ [الكهف: 61-62] إلى آخر القصة.

هذه جملة الخصائص الفنية التي ذكرها سيد قطب، والتي تنوع طريقة العرض في القصص

القرآني في بدايته، أما عن منهج القرآن في ختم القصة، فقد استخدم طريقتين لذلك⁽¹⁾.

-الأولى: أنه لا يعقب على القصة، بل يكتفي بما عرض من أحداث مؤدية للغرض الذي سيقت من أجله، ثم ينتقل إلى موضوع آخر أو إلى قصة أخرى، ومثال ذلك قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء: 101-105].

إنّ الأحداث التي ذكرت في هذه القصة، أدت الغرض المطلوب، وهو إهلاك فرعون وقومه المكذبين بالآيات التسع، لذلك اكتفى القرآن بعرض هذه الأحداث المؤدية للغرض، وختم قصة موسى دون تعقيب، ثم انتقل إلى موضوع إثبات صدق الرسالة والمرسل إليه ﷺ.

-الثانية: أن يختم القرآن القصة بتعقيب؛ هذا التعقيب يكون أحد أمور ثلاثة:

أ- إما أن يكون تلخيصا سريعا للقصة، كما ختمت قصة موسى عليه السلام في سورة الدخان: ﴿فَدَعَارِبُهُمْ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرَفُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونِ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ جِئْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَكُوا مُبْتَلًى ﴿٣٣﴾﴾ [الدخان: 22-32]، فقد ختمت القصة بتلخيص لمصير بني إسرائيل بعد إهلاك فرعون.

ب- وإما أن فيه تركيزا لأحد الأهداف التي سيقت القصة من أجلها، كما نرى في تعقيب القرآن على قصة موسى عليه السلام في سورة الشعراء: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا

(1) _عمر علي حسان عرفات، منهج القرآن في عرض القصص، قصة موسى عليه السلام أنموذجا: رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، تشرين الثاني، 2009م، ص 119-121.

﴿الْآخِرِينَ﴾ ٦٦ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٦٧ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٦٨ ﴿[الشعراء: 65-68].

ج- وإما أن يكون بيانا لأمر ما خُتمت به القصة، كما نرى في قوله تعالى في سورة غافر على لسان الرجل المؤمن الذي كان يدافع عن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ ٤١ ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقْرِ﴾ ٤٢ ﴿لَا جُرْمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَإِنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ٤٣ ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ٤٤ ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِحَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ٤٥ ﴿[غافر: 41-45].

ثم كان التعقيب مبينا لحقيقة العذاب السوء الذي حاق بال فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ٤٦ ﴿وَإِذْ يَتَحَابُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ ٤٧ ﴿[غافر: 46-47].

هذه هي طريقة القرآن الكريم في ختم قصصه، والتي تبين من خلالها أن القصة القرآنية جاءت لأغراض دينية لا تأريخية، وبأسلوب بياني معجز.

وهناك نقطة أخرى مهمة تسمح بالتناول المنهجي السليم لقصة موسى عليه السلام، والوقوف على أثر السياق في بنائها القصصي، والتماسك النصي بين حلقاتها المكونة لمراحل حياة موسى عليه السلام، وعلاقته بفرعون وقومه، وهي ترتيب أحداث القصة في السور التي وردت فيها بحسب ترتيب النزول.

1-1- ترتيب السور والآيات التي وردت فيها قصة موسى عليه السلام بحسب ترتيب النزول:

كثيرة هي المؤلفات التي تناولت سور القرآن الكريم بحسب النزول، لا بترتيب المصحف الشريف، ومن بين هذه الكتب نجد مثلا: كتاب الفهرست لابن النديم، تاريخ القرآن لأبي عبد

الله الزنجاني، وكنوز القرآن لرشيد غزلان، والدرر المنتور لجلال الدين السيوطي، والمبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني لشاهر ذيب أبو شريح، أما المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي؛ فيعتمد ترتيب المصحف الشريف.

ويعتمد كتاب الفهرست لابن النديم على اسم موسى وعلاقته ببني إسرائيل فقط، وليس كل إشارة إلى قصة بني إسرائيل هي جزء من اسم النبي موسى عليه السلام، بمعنى أن قصة موسى عليه السلام، وبحسب ترتيب النزول وردت في واحد وثلاثين (31) سورة، موزعة على امتداد فترات نزول آيات القرآن الكريم، وكانت هذه السور ما بين مكية ومدنية،⁽¹⁾.

إذ جاءت معظم مراحل قصة موسى عليه السلام في سبعة وعشرين (27) سورة مكية، لأن القرآن المكي يهتم بذكر قصص الأنبياء وأقوامهم، ويدعو إلى أصول الإيمان بالله واليوم الآخر، وتصوير الجنة والنار، والدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير⁽²⁾.

أما بقية السور فهي مدنية -أربع سور- (04)، والقرآن المدني يهتم بمجادلة اليهود ودعوتهم إلى كلمة سواء، بمعنى أن هذه السور جاءت تتحدث عن طبيعة بني إسرائيل، وقد عرض الله تعالى قصة موسى مع بني إسرائيل في السور المدنية، ليكشف عن سلوكهم المنافق، وليحلل نفسياتهم، وليزيح الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين⁽³⁾.

وورد اسم موسى عليه السلام في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن في أربع وثلاثين سورة (34)، في 136 موضعاً، أي أنه يزيد عن الفهرست بالسور الآتية: الأعلى، النجم، فصلت، الشورى، السجدة، آل عمران، الأحزاب، الحج، الصف⁽⁴⁾.

إن قصة موسى عليه السلام في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ذكرت أولاً في السور المكية، لأن القرآن المكي في هذه الفترة كان يؤسس لقيام دولة إسلامية وفق أصول ومبادئ ثابتة، وبالتالي كانت قصص الأنبياء والأمم السابقة بمثابة المرتكز المتين لمحمد ﷺ وصحابته لذا جاءت

(1) _ محمد بن إسحاق بن النديم، الفهرست، تح: مصطفى الشويبي، مطبعة الجيش، الجزائر، 2007م، ص111_128. وينظر: أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، تح: محمد عبد الرحيم، تقديم: محمد كرد علي، ط1، دار الحكمة، دمشق، بيروت، 1410هـ_1990م، ص107_120.

(2) _ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص182-183.

(3) _ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط11، مكتبة وهبة، القاهرة، 2000م، ص60.

(4) _ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت)، ص680-

قصة موسى عليه السلام حسب هذا المعجم في سبع وعشرين (27) سورة مكية، وبينت مراحل حياته كلها، أما باقي السور المدنية السبعة (07)، فقد تناولت أخلاق بني إسرائيل من نفاقه ومكره، ليبين الله تعالى أن سلوكهم هذا مستمر على الرغم مما بعث فيهم من أنبياء ورسول. أضف إلى ذلك أن ما جاء في الجدولين-(الملاحق)- قد أعاد ترتيب أحداث قصة موسى عليه السلام وفق ترتيب النزول.

1-2- الترتيب الزمني لأحداث قصة موسى عليه السلام:

يتميز الأسلوب القرآني ويتفرد في عرضه لمادته القصصية، هذا العرض الذي قد يوجد في بعض القصص غير خاضع للتسلسل الموضوعي كقصة موسى مثلاً، إلا أنه لا يعدم وجود التناسق بين أجزائها، أو أن هناك خللاً في سماتها الفنية، وحين عرض الحلقات المكررة من قصة موسى وحين تقرأ بحسب ترتيب النزول يتضح هيكل القصة من خلال حلقاتها الكبرى، دون إغفال الإشارات المقتضية عند بداية كل قصة⁽¹⁾.

وإن المتتبع للحلقات الزمنية الكبرى في قصة موسى يجد مفارقات زمنية في السورة الواحدة، إلا أنه وفي نهاية عرض هذه الحلقات يحصل على جسم القصة كاملاً، حتى وإن لم ترتب أحداثها بدءاً بالميلاد وما يليه.

ويرى محمد عبده أن ترتيب الأحداث في القصص القرآني ليس قائماً على الأساس التاريخي الذي يضطلع به المؤرخون، وإنما يرجع إلى اعتبار بلاغي في غايته تحريك العواطف والوجدانات بغية إثارة العقول والأذهان⁽²⁾.

لأن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ، ولا عرض لقصص تاريخية جامدة تهتم برصد الأحداث فقط، إنما هو كتاب دعوة دينية وإرشاد في قالب فني يأخذ بالألوان ويسحر الحنان.

وما ذكر في السور التي وردت فيها قصة موسى إنما هو مواقف متعددة تمثل في النهاية قصة كاملة تبدأ بالحديث عن ولادته وإرضاعه في سوري القصص وطه، ومصاهرة الشيخ الكبير، وبعثته بالمواد المقدس، وعودته إلى مصر، ودعوته لفرعون وما حدث بينهما والسحرة وإلى إغراق فرعون ومواقف بني إسرائيل المتعددة مع موسى وأخيه، وما فعله السامري ومسألة البقرة بني إسرائيل

(1) _ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 128-129.

(2) _ محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ط1، 1993م، ص 19.

لموسى والسبعين رجلا، وطلب رؤية الله جهرة والتبشير بمحمد ﷺ والعبد الصالح معه... وغيرها من المواقف التي تمثل حياة موسى عليه السلام شبه كاملة التفاصيل خاصة ما تعلق بدعوته، وهذه البنية الكاملة لقصة موسى، المتواترة في سياقات قرآنية عديدة فجاء الحديث فيها مفتوحا ومكررا أحيانا، إلا أنها في النهاية تشكل الإطار العام لحياة موسى عليه السلام، ويضيف بعضها إلى بعض إضاءات جديدة في أطوارها المختلفة⁽¹⁾.

وقصة موسى كما وردت في كتب التفسير والسيرة يمكن تلخيصها إلى خمس مشاهد:

-المشهد الأول: قصة المولد والنشأة وما يتصل بهما.

-المشهد الثاني: قصة الرحلة.

-المشهد الثالث: قصته مع فرعون.

-المشهد الرابع: قصة موسى وقومه في شبه جزيرة سيناء.

-المشهد الخامس: قصة الانتقال من شبه جزيرة سيناء بحرا إلى البر الآسيوي.

هذه هي المشاهد التي تشكل قصة موسى عليه السلام من ميلاده إلى نهاية حياته تقريبا، قد ذكرت في القرآن الكريم في أماكن ومراحل مختلفة، ولكنها في مجموعها تكون قصة كاملة لحياة موسى وفي تماسك وتناسق تامين بين أجزائها في السور المكية والمدنية مجتمعة.

2- تماسك مشاهد قصة موسى عليه السلام مع المشاهد المعروضة في السور

المكية و المدنية:

أ- السور المكية:

قصة موسى في السور المكية تختلف عن القصة في السور المدنية تبعا لاختلاف الأسلوب والمنهج والخصائص في القرآن المكي والمدني، ورغم تعدد ورود القصة، والمفارقات الزمنية الموجودة، إلا أننا نجد هيكلا قصصيا متماسكا، وهذا ما سيتم إثباته من خلال بعض السور المكية والمدنية لنثبت مدى تماسك أجزاء القصة، معتمدا ترتيب النزول.

1- قصة موسى في سورة الأعراف:

(1) _ سليمان عشراي، الخطاب القرآني: مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1986م، ص 82-83.

وهي أول سورة تعرضت بالتفصيل لقصة موسى عليه السلام، وعلاقته ببني إسرائيل، ومن قبلها في هذه الظلال، المرتبة وفق ترتيب المصحف لا وفق ترتيب النزول في سورة البقرة، وسورة آل عمران وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الأنعام، وباعتبار ترتيب النزول، فإن هذه الحلقات الواردة منها هنا في سورة الأعراف المكية، تكون سابقة على ما ورد منها في السور المدنية.

لقد تناولت سورة الأعراف الفترة الزمنية الثانية من حياة موسى أي فترة تعامله مع فرعون بشيء من التفصيل، وبعض هذه الأحداث جديد في سورة الأعراف، وكل ذلك يجري في سياق جديد كما سنرى.

لقد جاءت قصة موسى في هذه السورة على شكل أحداث قصيرة متتابعة، حيث كان الهدف منصبا على إبراز مفهومات معينة، تتساقق وطبيعة الأفكار المطروحة في السورة، كما أنه تعقيب على أحداث ومواقف، فيما يشكل هذا التعقيب عنصر التذكير بالعظة التي ينبغي استخلاصها، بنحو يتناسق مع أفكار القصة وموضوعاتها⁽¹⁾.

وتتناول هذه الفترة الزمنية أحداثا ومواقف تتداخل فيما بينها أحيانا، وتنفصل أحيانا أخرى: هذه الأحداث هي:

أ-موسى مع فرعون، ب-موسى مع السحرة ج-فرعون مع السحرة د-موسى مع آل فرعون.

إن سورة الأعراف تبين واقع الشرك الذي نزلت لكي تعالجه، فقد كان المشركون يدعون آلهة يظنون أنها تنفعهم أو تضرهم، ومشاهد الجانب الأول من قصة موسى، جاءت متماسكة مع مشاهد المكذبين بكتاب الله؛ أي أنكم أصرتم على تكذيب نبيكم محمد ﷺ واتهامه بالتهم الباطلة، واستكباركم عن آيات الله، فسيحلّ بكم العذاب كما حلّ على من كذب واستكبر قبلكم، وهذه المشاهد كذلك تبين لهم أن الله قادر على أن يتليهم بالآيات كما ابتلى قوم فرعون من قبلهم، وفي ذلك رد على طلبهم الآيات من النبي ﷺ كما في الآية التي ذكرت قبل قليل.

أما الجانب الثاني من قصة سيدنا موسى عليه السلام فإنما يبين ما حلّ ببني إسرائيل لما أشركوا، وفي نفس الوقت يبين لمشركي قريش بطلان ما هم عليه من الشرك، ويتضمن تهديدا ووعيدا من نزول الغضب والعذاب عليهم إن أصروا على ما هم عليه من الشرك بالله تعالى.

(1) _ محمود البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن، ط01، دار البلاغة، بيروت، 1409 هـ _ 1989م، ص 151.

لقد جاءت مشاهد قصة موسى في سورة الأعراف، متماسكة مع المشاهد المعروضة في سورة الأعراف، وهذا لتعالج الواقع الذي نزلت فيه السورة ولهذا لم تأت قصة موسى من واقعة الميلاد في سورة الأعراف، مع العلم أنها أول سورة فصلت قصة موسى بحسب أسباب النزول، وابتدأت زمنيًا من تعامل موسى مع فرعون.

2- قصة موسى في سورة القصص:

الفصل الأول من قصة موسى في سورة القصص، يفصل جانبًا من التنبؤ بالأحداث، والمقطع الثاني يفصل جانبًا آخر، وهو أن موسى قد التقطه فرعون من اليم، ليكون طرف الصراع الذي أنبأت المقدمة القصصية به مقابلاً لفرعون وهامان وجنودهما.

ثم إن معطيات السماء كانت تندفق على موسى بنحو لافت للانتباه، بدءًا من إنقاذه من فرعون لحظة الميلاد، إلى إنقاذه من الغرق، إلى عودته لأمه، إلى إنقاذه من فرعون مرة ثانية، إلى إنقاذه منه ثالثًا في قضية قتله لأحد الأقباط، إلى إنقاذه من المتاه وهو يتجه إلى مدين إلى زواجه بإحدى ابنتي شعيب، وهذا بعد عملية الاستتجار التي ارتبطت فيما بعد بعملية الزواج⁽¹⁾.

وهكذا فسائر الجزئيات التي تلاحمت في القصة وتنامت بشكل هندسي، التي بدأت من لحظة الميلاد، وانتهت عند حياة الزوجية، قد تماسكت مع بقية المشاهد المعروضة في السورة، بمعنى أن مشاهد هذه القصة تبين أن بني إسرائيل بسبب إيمانهم، بدّل الله خوفهم أمنا ونصرهم على عدوهم، حيث يقول تعالى: ﴿وَرِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5] أي إن قوم موسى كانوا مستضعفين معذبين بالقتل والاستعباد، فلما آمنوا واتبعوا الهدى مع موسى بدلنا خوفهم أمنا ونجيناهم من عذاب أليم، وألقنا العذاب بمن طغى واستكبر، فأنتم يا أهل قريش إن أنتم واتبعتم الهدى مع النبي ﷺ، لن يزيدكم إيمانكم إلا أمنا.

3- قصة موسى في سورة الزخرف:

من أسباب نزول هذه السورة، هو كفر أهل قريش بالنبي ﷺ، وبالحق الذي جاء به، ووصفوه بالسحر، ومن شبهاتهم ما جاء في الآية الآتية: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبِيِّينَ

(1) _ محمد البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن، ص 465.

عَظِيمٌ ﴿[الزخرف:31] أي: « من إحدى القريتين: مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي، فإن الرسالة منصب عظيم، ولا يليق إلا بعظيم، ولم يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية، لا التزخرف بالزخارف الدنيوية»⁽¹⁾.

وفي قصة موسى عليه السلام نجد فرعون وملاه في مشهد مواجهة موسى عليه السلام لهم، يضحكون سخرية من آيات الله التي أيده الله بها ووصفوه بالسحر، وفيه يقول فرعون لقومه مستهزئاً: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَولاَ أَلْتَمَعْنَا عَلَى سَورَةٍ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: 52-53]⁽²⁾.

مما يذكر بطلب المشركين أن ينزل القرآن على رجل من القريتين عظم بالمكانة الاجتماعية والمال.

يقول فخر الدين الرازي: «اعلم أن المقصود من إعادة قصة موسى عليه السلام وفرعون في هذا المقام تقرير الكلام الذي تقدم، وذلك لأن كفار قريش طعنوا في نبوة محمد ﷺ بسبب كونه فقيراً عديم المال والجاه، فبين الله تعالى أن موسى عليه السلام بعد أن أورد المعجزات القاهرة الباهرة، التي لا يشك في صحتها عاقل أورد فرعون عليه هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش (...). فثبت أنه ليس المقصود من إعادة هذه القصة عين هذه القصة، بل المقصود تقرير الجواب عن الشبهة المذكورة وعلى هذا فلا يكون هذا تقريراً للقصة البتة وهذا من نفائس الأبحاث والله أعلم»⁽³⁾.

(1) _ عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998م، ج5، ص90.

(2) _ أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، تح: زهير الشاويش، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج7، ص321-322.

وينظر: محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م، ج27، ص218.

وينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان: تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك هذا الجزء: محمد رضوان عرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1427هـ-2006م، ج19، ص63.

(3) _ الرازي، تفسير الفخر الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج27، ص218.

إن هذه القصة تردّ الشبهة المثارة حول النبي ﷺ، ففرعون لما استخف بموسى وقومه أغرقه الله، وهو الأمر نفسه موجه لكفار قريش إن تكبروا على محمد ﷺ وسلم وأصحابه، مما يعني أن قصة موسى عليه السلام في سورة الزخرف متماسكة مع بقية المشاهد المعروضة في سورة الزخرف.

4- قصة موسى في سورة الدخان:

جاء الحديث عن فرعون وقومه في سياق الحديث عن قريش وما أصابهم حينما دعا عليهم النبي ﷺ يوم كذبوه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: 11-10]

ثم بين الله أنه سيكشف عنهم العذاب قليلا، فإنهم عائدون إلى الكفر، ولكن هددهم بالبطشة الكبرى، وهي ما سيصيبهم يوم بدر، ثم ذكر حديث قوم فرعون بقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: 17] ⁽¹⁾.

إن ما جاء في سورة الدخان هو تماسك تام بين المشاهد المعروضة فيها من قصة موسى عليه السلام، وانسجامها مع أحداث مكة وطمأنة الرسول ﷺ.

لقد أبانت السور المكية الأربعة (الأعراف، القصص، الزخرف، والدخان) عن مدى التماسك بين المشاهد المعروضة فيها، ومدى انسجامها مع الأحداث المصاحبة للرسول محمد ﷺ وفي هذا تثبيت له وطمأنة لأصحابه، وأن ما يجري له هو نفسه ما جرى لموسى عليه السلام على يد فرعون وملائه، ومن قبله بقية الرسل والأنبياء، فطريق الحق والدعوة إلى الله مشوبة بالمخاطر والأذى، أضف إلى ذلك كله أن المشاهد المعروضة في السور المكية تتناسب مع سبب النزول.

ب- السور المدنية:

1- قصة موسى في سورة البقرة:

سورة البقرة حافلة بالحديث عن بني إسرائيل، من حيث تذكيرهم بنعم الله عليهم، وموقفهم من هذه النعم لما جحدوها، ثم بين الله ما حل بهم من عذاب، وأول ما سجلته سورة البقرة هو تعنتهم وذبول الحس الديني وضآلة العقيدة التوحيدية عندهم، حينما اشترطوا على موسى رؤية الله

(1) _ فضل حسن عباس، القصص القرآني: إبحاؤه ونفحاته، شركة الشهاب، الجزائر، 1989م، ص 268.

جهرة حتى يؤمنوا به⁽¹⁾.

كما توضح السورة موقف اليهود من سيدنا محمد ﷺ، ومن القرآن العظيم، حيث جاء في تفسير الطبري لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 97].

«أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا على أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك؛ فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرّت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته»⁽²⁾.

وقصة ذلك أن ابن عباس قال: «حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، فقال رسول الله ﷺ: «سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه، لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني على الإسلام» فقالوا: ذلك لك... قالوا أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة، فعندها نجامعك أو نفارقك، قال: «فإن وليي جبريل....» قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك، قال: «فما يمنعكم أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا فأنزل الله عز وجل: «قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله» إلى قوله: «كأنهم لا يعلمون، فعندها باؤوا بغضب على غضب»⁽³⁾.

كما أشارت سورة البقرة إلى كفرهم وعنادهم، وجحودهم للنعمة، وقد حدث القرآن الكريم بهذا موسى عليه السلام، لما أكرمهم الله بما هو أزكى طعاما قولهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61]، كما

(1) _ فضل حسن عباس، القصص القرآني: إجاؤه ونفحاته، ص 321.

(2) _ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 2، ص 283.

(3) _ المصدر نفسه، ج 2، ص 284-285.

صورت سورة البقرة تعنتهم وانحرافاتهم ومماطلتهم في ذبح البقرة⁽¹⁾.

إن السورة حينما تتعرض لأفعال بني إسرائيل، إنما هو تسلية للنبي ﷺ، وتذكره بما جرى للأنبياء قبله، وأن ما تعرضوا له من ظلم، هو نفسه ما سيلاقيه، وفي هذا كله تماسك لمشاهد السورة من خلال قصة موسى عليه السلام.

2- قصة موسى في سورة المائدة:

وهي آخر الحلقات التي تحدثت عن قصة موسى عليه السلام- مع بني إسرائيل، بل عنه بشكل عام، وتبين هذه السورة نقض بني إسرائيل لمواثيقهم مع الله، لأنهم حرفوا الكلم عن مواضعه، ونسوا حظًا مما ذكروا به، يقول تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:13].

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: « يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، لا تعجب من هؤلاء، اليهود الذين هموا أن يسطوا أيديهم إليك وإلى أصحابك ونكثوا العهد الذي بينك وبينهم، غدرا منهم بك وبأصحابك، فإن ذلك من عاداتهم وعادات سلفهم، ومن ذلك أي أخذت ميثاق سلفهم على عهد موسى ﷺ على [...] بعد ما أريتهم من العبر والآيات، بإهلاك فرعون وقومه في البحر (...) فنقضوا ميثاقهم الذي واثقوني، ونكثوا عهدي فلعتهم بنقضهم ميثاقهم»⁽²⁾.

وتعرض السورة كثيرا من جرائم أهل الكتاب ومقولاتهم الكاذبة في حق الله تعالى، وفي حق الأنبياء عليهم السلام، وتبين عدم إقامتهم الأحكام التي أمروا بها في التوراة والإنجيل، كما يذكر موسى عليه السلام قومه بنعم الله، وأمرهم بدخول الأرض المقدسة يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:24] ، فكانت نتيجة معصيتهم، أن حرّمها الله عليهم، وجعلهم يتيهون في الأرض أربعين

(1) _ فضل حسن عباس، القصص القرآني: إجاؤه ونفحاته، ص 324.

(2) _ الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج8، ص 248.

سنة.

يبين هذا المشهد عدم وفاء بني إسرائيل لنعم الله التي أنعمها عليهم، وهذا يتناسب مع ما ذكرته السورة من بيان لجرائم أهل الكتاب المتواصلة والدائمة مع أنبياء الله ورسوله.

إن ما جاء في السور المدنية، يشرح وبتفصيل دقيق أخلاق اليهود ومعاملاتهم السيئة مع الأنبياء والرسل، وفي هذا بيان لمنهج كل سورة من السور المدنية التي عرضت فيها قصة موسى عليه السلام، وتناسبت وتماسكت مع دعوة محمد ﷺ.

لقد أشارت المشاهد السابقة إلى التماسك الموجود بين قصة موسى عليه السلام وبين المشاهد المعروضة في السور المكية والمدنية، وهذا ما سيؤكدده الحديث عن الحلقات الزمنية في قصة موسى عليه السلام، ومن ثم ترتيب المشاهد المكونة لقصة موسى عليه السلام وفق ترتيب النزول، في المباحث القادمة .

ثانيا- التماسك النحوي في قصة موسى عليه السلام:

يقوم التماسك النحوي على جملة من الآليات والأدوات، والتي هي عبارة عن وسائل لغوية، تعمل على تنظيم عناصر عالم النص، وإن انتظام الجمل في النص دليل على انتظام العناصر المكونة لعالم ذلك النص.

1- الإحالة référence:

تعتبر الإحالة رابطا مهما ذا دور فعال في تماسك النص، وربط أجزائه بعضها ببعض دلاليا عن طريق تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر الخليل والعنصر المحال إليه.

1-1-تعريف الإحالة:

أ- الإحالة/لغة:

-جاء في تاج العروس في مادة (حول): « أحال الشيء تحوّل من حال إلى حال أو أحال الرجل: تحوّل من شيء إلى شيء [...] وأحال عليه الماء من الدلو: أفرغه وقلبه»⁽¹⁾.

إن المعنى العام لهذا الفعل هو التغير ونقل شيء إلى شيء آخر.

ومن المعاني التي جاءت في تاج العروس أيضا: الإبتاع، قال الزبيدي: « ويقال: أتبع فلان

(1) _ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (حول)، ج28، ص 366.

بفلان، أي أحيل له عليه»⁽¹⁾.

-وجاء في لسان العرب، تعريف الإحالة تحت الجذر (حَوَّلَ)⁽²⁾:

* «ويروى أحوالوا، أي أقبلوا عليه هارين وهو من التحول».

* «وأحال الغريم: زجاه عنه إلى غريم آخر».

* «وأحال عليه بالسَّوط، أي أقبل، وأحلت عليه بالكلام: أقبلت عليه».

* «والمحيل: الذي أتت عليه أحوال وغيرته».

إن الإحالة لغة في لسان العرب، هي مصدر للفعل (أحال)، ولهذا الفعل الكثير من الدلالات المتباينة في المعجم، ويرجع هذا التباين إلى تعدد الدلالات التي تضيفها زيادة الهمزة على الجذر (حول)، وتعدد معاني هذا الجذر نفسه، والاستخدام المجازي له.

مما تقدم يتبين أن دلالة الكلمة على العودة على ما تقدم كانت حاضرة في المعجم العربية وهي من الدلالات التي ثبتت لها في الاصطلاح، والتغير والتحول ونقل الشيء إلى غيره ليس بعيدا عن الاستخدام الدلالي للإحالة النصية.

و يمكننا القول إن المفهوم اللغوي للإحالة، قد حمل في ثناياه الكثير من الدلالات التي يصعب حصرها، من جهة ومن جهة أخرى قد تكون ذات معاني متباعدة تماما.

ب- الإحالة/اصطلاحا:

لمصطلح الإحالة مجموعة من الترجمات العربية منها: الإرجاع، والإرجاعية، أو المرجعية نسبة إلى المرجع، والمصطلح الأكثر استخداما هو الإحالة⁽³⁾.

ويقدم أحمد عفيفي نظريته إلى الإحالة فيقول: «إن الإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل الضمير واسم الإشارة واسم الموصول... إلخ، حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، قصدت عن طريق

(1) _ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (تبع)، ج 20، ص 383.

(2) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (حول)، مج 2، ج 12، ص 1056-1060.

(3) _ عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، ص 119.

ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية»⁽¹⁾.

لقد حاول أحمد عفيفي أن يستفيد من نظرات سابقه ويقدم تعريفا شاملا للإحالة.

ويمكن القول: إن الإحالة هي علاقة بين عنصرين قد يكون أحدهما سابقا للآخر أو لاحقا به، سواء بالقرب النبوي أو حتى بالبعد النبوي، وبالتالي تربط بين جميع الجمل السابقة واللاحقة، ولها وسائل تتحقق بها، كالضمائر بأنواعها، أسماء الإشارة، المقارنة، والمواصلات.

إن الإحالة وسيلة من وسائل التماسك، تربط بين أجزاء النص وتأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين أجزاءه، وطريقة تجسيدها، وخلق علاقات معنوية من خلال تلك العناصر الإحالية.

1-2-أنواع الإحالة:

اختلف المؤلفون من باحثين ومترجمين في تقسيمهم للإحالة، وتسميتهم لهذه الأقسام، فجد بعضهم قسمها ثلاثة مستويات وأغلبهم قسمها قسمين، ولكنهم اختلفوا أيضا في تسميتها وترجمتها، وسنحاول أن نوفق بين هذه الاختلافات، وسنعمد تقسيما يقارب بينها جميعا، والإحالة نوعان:

أ-إحالة خارجية أو مقامية: وتشمل المستوى الخارجي الذي يقوم على وجود ذات المخاطب خارج النص، ولا يستقيم النص بإغفاله، أي فيها يحيل عنصر في النص إلى شيء خارج النص، ولا تدخل تلك الإحالة في إطار التماسك، وإنما ينظر لها في إطار السياق الخاص بالنص⁽²⁾.

ب-إحالة داخلية أو مقالية أو نصية: وهي مستوى داخلي يختص بالنص المدروس، ويمثلها تركيب لغوي يشير إلى جزء ما من عناصر النص التي ذكرت فيه صراحة أو ضمنا⁽³⁾.

فالمرجع المشار إليه لازم الوجود سابقا أو لاحقا، ليحيز وجود الحيل، ويشكلان معا بنية الإحالة وتقسّم الإحالات باعتبار تقدم العنصر الإحالي أو تأخره إلى:

أ-إحالة سابقة أو قبلية.

(1) _أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، (دط)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (دت)، ص 12_13.

(2) _ عثمان ابو زنيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية: ص 106، وينظر: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، ص 84.

(3) _حسام أحمد فرج، نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، ص 84.

وهذا النوع من الإحالة هو الأكثر شيوعا وورودا في النصوص.

ب- إحالة لاحقة أو بعدية.

أي أنها تعود على عنصر إشاري مذكور لاحقا في النص.

وأشار الأزهر الزناد إلى نوع ثالث وهو الإحالة النصية، وهي إحالة عنصر معجمي على مقطع من الملفوظ أو النص وتؤديها ألفاظ من قبيل: قصة، خبر، رأي، فعل⁽¹⁾.

كما تنقسم الإحالة الداخلية باعتماد المدى البعيد وبعتماد المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسره إلى نوعين هما⁽²⁾:

الأول: إحالة ذات مدى قريب: تجري على مستوى الجملة الواحدة حيث لا توجد فواصل تركيبية.

الثاني: إحالة ذات مدى بعيد: وهي تجري بين الجمل المتصلة، والمتباعدة في معنى النص وهذا النوع من الإحالة قد يؤدي إلى تماسك النص بشكل واضح، وذلك عندما يكون المرجع موضوعا مركزيا أو جوهريا، ومثل هذه الإحالة تعيد المتلقي إلى نقطة هامة في النص، وتجلي مقاصده.

1-3- وسائل التماسك الإحالية:

وهي تلك الأدوات أو الألفاظ التي نعتمد عليها، لتحديد المحال إليه داخل النص أو خارجه، وتنقسم إلى عناصر:

أ- الضمائر:

للضمائر دور في تحقيق التماسك الداخلي والخارجي للنص على غرار دور الإحالة في ذلك، حيث تشارك الضمائر في إبراز المعنى وتجليته، عن طريق الاختصار، أثناء نياتها عن الجملة أو الجمل المتعددة أو المفردة.

والفوائد التي يحققها الضمير ثلاث وهي:

-الاختصار: لما ينوب الضمير عن أكثر من دال.

(1) حسام أحمد فرج، نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص الثري، ص 84.

(2) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص 148.

-تفخيم ما يعود إليه الضمير، فالإضمار ناتج عن شهرة المضمّر، وعدم حاجته لأن يذكر مُظهِراً، كأنه يدل على نفسه، ويكفيه فقط أن تذكر إحدى صفاته كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 01].

-التحقير: في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 168].

فالضمير في (إنه) يحيل على الشيطان.

ب- أسماء الإشارة⁽¹⁾:

وهي أسماء الإشارة الزمانية والمكانية والظروف الدالة على الاتجاه والعناصر المعجمية التي تقوم بعمل الإشارة حسب الظرفية، والمسافة، والنوع، والعدد.

ج- المقارنة⁽²⁾:

وأول من اعتبرها وسيلة من وسائل التماسك النصي هما هاليدي ورقية حسن حيث اعتبرا المقارنة ضرباً من الإحالة بنوعيهما المقالية القبلية والمقالية البعدية، وأنها تقوم بدورها الاتساقى عندما يكون متعلقهما متحد الهوية أو مشابهاً لمثله أو مخالفاً له.

د- الاسم الموصول⁽³⁾:

أضافه روبرت دي بوجراند وهو أداة إحالية لا تملك دلالة مستقلة بل تعود إلى عناصر أخرى مذكورة في الخطاب، وتقوم على مبدأ التماثل والتطابق فيما هو موجود، وهذا الموصول الخاص أو المختصر مثل: الذي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي... إلخ.

ولعل موضوع الإحالة في القصص القرآني واسع، لذا سنركز في الدراسة على قصة موسى عليه السلام، وفق ترتيب نزول السور القرآنية، وذلك لأجل:

- معرفة أثر السياق في تحديد نوع الإحالة والكشف عن عناصرها.

- معرفة أثر الإحالة في التماسك النصي، في قصة موسى عليه السلام.

(1) _ عثمان أبو زنيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ص 108.

(2) _ المرجع نفسه، ص ن.

(3) _ أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، ص 27.

وسينصرف الاهتمام إلى الجانب الدلالي النصي، ليس على مستوى الجملة فحسب، بل على مستوى الفقرة أو القصة القرآنية.

1-4- الإحالة الخارجية والداخلية في قصة موسى عليه السلام:

الإحالة النصية بأنواعها آلية مهمة في تماسك النص القرآني، وعنصر فعال في تشكيل البناء القصصي في قصة موسى عليه السلام، وهذا ما سنوضحه من خلال الجداول الآتية:

| الرقم | نوع الإحالة | الشاهد | العنصر المحال عليه | الشرح |
|-------|-------------|--|--------------------|---|
| 01 | خارجية | ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ ءَانِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ بِمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [طه: 11-17] | الرسول ﷺ | ارتبطت الإحالة بأحداث خارجية ترجع إلى الرسول، الذي يمثل و قومه العناصر الأساسية لهذا النوع من الإحالة ، والمخاطب هو الله تعالى. |
| 02 | | ﴿ طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشعراء: 1-3] ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشعراء: 10]، | الرسول ﷺ | التشابه والاتصال بين قصتي النبيين (محمد ﷺ/موسى عليه السلام) لما لقيه من الأذى و التكذيب ونتيجته تماسك القصتين في السورة، حيث تبدأ سورة الشعراء بما يؤكد اتصالها بالمقصد الأساس للسورة، ويؤكد أيضا أن الرسول ﷺ هو المعنى الأول بالخطاب، وهذا الذي تضمنه الارتباط بين المقطع الأول من السورة بالمقطع الثاني، الذي |

| | | | | |
|--|--|---|---------------------|-----------|
| <p>يليه مباشرة والمتضمن لقصة موسى عليه السلام ، عن طريق حرف (الواو) في (إذا).</p> | | | | |
| <p>اشترك موسى عليه السلام مع الأنبياء (نوح/هود/لوط/صالح/شعيب/محمد عليهم الصلاة والسلام)، في الدعوة الواحدة إلى الله، وسياق الآية يحيل على الرسول ﷺ .</p> | <p>الرسول ﷺ</p> | <p>﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الشعراء: 109، 127، 145، 164، 180]</p> | | <p>03</p> |
| <p>سياق الآية يحيل على موسى عليه السلام، ويحيل أيضا على الرسول ﷺ، فاشترك كل منهما في الإحالة: موسى: إحالة قبلية ضميرية. محمد: إحالة ضميرية خارج النص.</p> | <p>موسى عليه السلام /الرسول ﷺ</p> | <p>﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَكْرُورِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: 26]</p> | | <p>04</p> |
| <p>سياق الآية يتضمن تذكيرا بالنعمة التي من الله بها على بني إسرائيل، والخطاب موجه كذلك لكفار قريش الذين قابلوا النعم بالجحود، فاشترك العنصران في الإحالة الخارجية بواسطة اسم الإشارة ذلك.</p> | <p>بنو إسرائيل/كفار قريش</p> | <p>﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [البقرة: 49]</p> | | <p>05</p> |
| <p>ربطت الإحالة الداخلية القبيلية بين النصوص الفرعية (قصص الأنبياء) ، وهذا غالبا ما يوجد في السور الطوال ، التي يتضمن معظمها نصوصا فرعية ، ويمكن أن نعتبر قصة كل نبي من هؤلاء الأنبياء نصا</p> | <p>أقوام الأنبياء: نوح/هود/لوط/صالح/شعيب عليهم</p> | <p>﴿ أَوْحَيْتُمُ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصُطَةً ۖ فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأعراف: 69]</p> | <p>داخلية قبلية</p> | <p>06</p> |

| | | | | |
|--|-------------------------|--|--|-----------|
| <p>فرعياً، حيث إن الإحالة على النص السابق تربط بينها، وهذا تذكيراً بنعم الله عليهم.</p> | <p>السلام.</p> | | | |
| <p>يحيل سياق الآية على الأقوام الذين عرضت لهم سورة الأعراف، فجاءت إحالة داخلية قبلية على متعدد (بنو إسرائيل / فرعون وقومه/ قوم نوح/ عاد/ ثمود/ قوم لوط / مدين) تشبيهاً لقلب النبي ﷺ.</p> | <p>الرسول ﷺ</p> | <p>﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ۗ ﴾ [الأعراف: 101]</p> | | <p>07</p> |
| <p>إحالة داخلية قبلية على نص سابق، تمثلت في آيات سورة [طه: 25-35]، ولفظ (سؤلك) في هذا السياق يفسره عنصر إشاري لغوي.</p> | <p>موسى عليه السلام</p> | <p>﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ۗ ﴾ [طه: 36]</p> | | <p>08</p> |
| <p>الإحالة بالعنصر الإشاري (ذلك) على متعدد، يقوم على إيراد مجموعة من العناصر الإشارية المتعاطفة المتمثلة في الحجج، والتي يتطابق معها في الجنس والعدد.</p> | <p>موسى عليه السلام</p> | <p>﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۗ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۗ ﴾ [٢٧] قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۗ ﴾ [الفصص: 27-28]</p> | | <p>09</p> |
| <p>الإحالة الداخلية القبلية على متعدد بالعنصرين (ذلك/ ما)، والمتمثلة في جملة الأحداث والأسئلة التي طرحها موسى عليه السلام، ولم يجد لها</p> | <p>موسى عليه السلام</p> | <p>﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۗ ﴾ [الكهف: 82]</p> | | <p>10</p> |

| | | | |
|---|-------------------|--|----|
| تفسيرا، وذلك في آيات سورة [الكهف: 71-82]. | | | |
| الإحالة الداخلية القبلية على متعدد، ساهمت في تحقيق التماسك بين سورتي المؤمنون والأعراف، من خلال النصوص الفرعية لقصص الأنبياء (صالح/لوط/شعيب) الواردة في سورة الأعراف. | صالح/لوط/ شعيب | ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ [المؤمنون: 42] | 11 |
| التماسك النصي بين سورتي النازعات والقصص، حيث تحيل سورة النازعات قبلها على المرجع المذكور في السورة المرتبة قبلها بحسب ترتيب النزول وهي سورة القصص، وذلك بإشارتها_النازعات_ إلى عقوبة فرعون، نكالا بما قاله في سورة القصص. | فرعون | ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ [النازعات: 25] | 12 |

من خلال قراءة الجدول يتبين ما يأتي:

__ للإحالة الخارجية دور مهم في بناء وتماسك قصة موسى عليه السلام، رغم قلة ورودها فيها مقارنة بالإحالات الداخلية .

__ تؤدي الإحالة الخارجية إلى الارتباط الوثيق بين النبيين، موسى عليه السلام ومحمدا ﷺ، كونه ﷺ المعني الأول بالخطاب، ومن بعده قومه، كما ورد في [المثالين: 02/01] .

وقد أدى هذا الارتباط إلى التماسك النصي بين المقطعين، من خلال الاتصال الحاصل بين القصتين، وقد أشار البقاعي إلى أن قصة موسى عليه السلام، تقترب من تجربة الرسول ﷺ، لما فيها من المشاركة في الهجرة، والقصد إلى الأرض المقدسة، واختصاص موسى عليه السلام بالكتاب الذي ما بعد القرآن مثله والآيات التي ما أتى بمثلها أحد قبله، وإقرار عينه بهداية قومه، وحفظهم بعده بالكتاب، وعدم استئصالهم بالعذاب والانتقام⁽¹⁾.

__ تعتمد الإحالات الخارجية على سياق الموقف، في الربط بين قصة موسى عليه السلام، وقصص أنبياء الله الآخرين، لاشتراكهم جميعا في الدعوة إلى الله، كما يحيل هذا السياق على الرسول ﷺ، وهذا ما ورد في [المثال: 03].

__ لا تقتصر الإحالات الخارجية على تتبع إحالة ضمائر المتكلم المحيلة على ذات المرسل -عز وجل- وضمائر الخطاب المحيلة على ذات المرسل إليه الرسول ﷺ، فقد ترد ضمائر الغائب لتحيل على مرجعها مباشرة، دون أن يكون في النص عنصر إشاري لغوي يشاركها في الإحالة، ويغلب أن يكون المحال عليه في مثل هذه الإحالات هو النبي ﷺ، كما ورد في [المثال: 04]، فموضوع الحديث بين ابنة مدين عليه السلام، وأبيها هو موسى -عليه السلام- وسياق الموقف يجعل من الرسول ﷺ مشاركا في الإحالة، كونه المخاطب الأول في النص القرآني.

__ الإحالات النصية القبليّة هي الأكثر ورودا في النص القرآني، لأنّ القبليّة تكون دائما مرتبطة بالمبدأ الأساس للسور القرآنية.

__ تربط الإحالات الداخلية القبليّة بين النصوص الفرعية، كما في [المثال: 06]، فبعد أن عرضت السورة لقصة نوح عليه السلام، عرضت لقصة هود عليه السلام، ثم عرضت بعد ذلك لقصة

(1) _ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،

(دت)، ج14، ص13-14.

صالح عليه السلام ودعوته لقومه عاد، وقال مخاطبا قومه: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ يَوْمًا فَأذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74].

— يقوم عمل الإحالات الداخلية القبلية على التكتيف والاختصار، وهذا ما ورد في [الأمثلة: 11/09/07]، من خلال تكتيف العناصر المحال عليها، واختصار قصتهم، تثبيتا ومؤانسة للنبي ﷺ في دعوته، فمثلا في [المثال: 11]، تحيل آية سورة (المؤمنون)، على سورة (الأعراف) بواسطة (قرونا)، التي تحيل على ثلاثة نصوص قصصية فرعية سابقة في سورة الأعراف (صالح/ لوط/ شعيب)، وما لاقوه في سبيل الدعوة إلى الله .

— تساهم الإحالات الداخلية القبلية في التماسك النصي بين السور المتضمنة لقصة موسى عليه السلام، كما ورد في [المثال: 12]، فهو صورة للإحالات القبلية بين السور، حيث يرى ابن عباس أن الآية تعني: (أي فأهلكه الله عقوبة له على مقالته الأخيرة: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24]، والأولى هي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38] ⁽¹⁾.

وتمثلت الإحالة الداخلية القبلية في أن سورة النازعات تحيل قبلها على سورة القصص الواردة قبلها، بحسب ترتيب النزول، وهو ما جاء على لسان فرعون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ، مِنْ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38].

2-4- وسائل تماسك الإحالة في قصة موسى عليه السلام:

وهي الأدوات التي نعتمدها لبيان المحال عليه في قصة موسى عليه السلام، ولتحديد نوع الإحالة: ضميرية كانت أم إشارية، أم مقارنة أم موصولة، وفق ترتيب نزول السور القرآنية المتضمنة لقصة موسى عليه السلام، وذلك من خلال الجدول الآتي:

(1) — محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ضبط واعتناء: عمر عبد السلام السلامي، ط01، دار إحياء التراث العربي، بيروت_ لبنان، 1416هـ_1995م، ج03، ص367.

| الرقم | نوع الإحالة | الشاهد | العنصر المحال عليه | الشرح |
|-------|------------------------|--|--------------------------------|---|
| 01 | داخلية قبلية ضميرية | ﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمُ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف: 148] | بنو إسرائيل/هارون عليه السلام. | ربطت الإحالة الداخلية القبلية الضميرية، بين آيات قصة موسى عليه السلام، لما رجع الضمير (الهاء) على متعدد يمثله التفسير العام للآية لمفهوم سابق متعلق بطلب موسى من أخيه أن يخلفه وذلك في آية سورة [الأعراف: 142]. |
| 02 | | ﴿ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِيُضَمَّعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه: 39] | موسى عليه السلام. | توافقت الضمائر وتعددت وتوحدت في المرجع الواحد (العنصر المحال عليه)، وهذا من باب التماسك الحاصل بين الضمائر في قصة موسى عليه السلام. |
| 03 | | ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٨﴾ يَمْوَسِيٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ [النمل: 8-9] | موسى عليه السلام. | توظيف ضمير الشأن(أنا) في سياق تفخيم الموقف وتعظيمه، والمسبوق بسياق تعظيم الله،وجملة ضمير الشأن في هذا المثال مسبوقة بالتعظيم والتنزيه،وقد أحال على موسى عليه السلام إحالة داخلية قبلية ضميرية، ليعين ويؤكد له أن الذي يكلمه هو الله . |

| | | | |
|---|-----------------------------|--|-----------|
| <p>أحالت الضمائر(173ضميرا)، التي وردت في سورة القصص على موسى عليه السلام، منها (أرضيه / عليه / فألقيه / رادوه / جاعلوه / فالتقطه / ليكون / فرددناه / أمه / استنصره / استوى / آتيناها / فجاءته / يدعوك / أنست...) والتي جاءت بعد ذكر اسمه صراحة، إحالة داخلية قبلية ضميرية، كما ساهمت هذه الإحالة في الربط بين آيات سورة القصص شكليا ودلاليا.</p> | <p>موسى عليه السلام.</p> | <p>﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص: 3]</p> | <p>04</p> |
| <p>أحالت الضمائر في (علا / جعل / يستضعف / يذبح / يستحي / إنه) على فرعون ، وهذا بعد ذكر اسمه صراحة، والملاحظ أن هذه الضمائر وردت في آية واحدة، إحالة داخلية قبلية ضميرية، وساهمت في الربط بين آيتي سورة[القصص: 3-4].</p> | <p>فرعون.</p> | <p>﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: 4]</p> | <p>05</p> |
| <p>أحالت الضمائر في (أرضيه / خفت / ألقيه / ولا تخافي / ولا تخزي / إليك) إحالة داخلية قبلية ضميرية على أم موسى عليه السلام .</p> | <p>أم موسى عليه السلام.</p> | <p>﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾</p> | <p>06</p> |

| | | | |
|---|--|--|----|
| | | ﴿[القصص: 7] | |
| <p>أحالت الضمائر في(كادت /لتبدي /قلبها /لتكون /وقالت /عينها /ولا تحزن /ولتعلم) إحالة داخلية قبلية ضميرية على أم موسى عليه السلام .</p> <p>وكثرة الإحالات على أم موسى عليه السلام في الآيات السابقة[القصص: 7]، فيه مراعاة للحالة النفسية للأمم على فقد وليدها، وفيه ربط دلالي بين آيات سورة[القصص: 7-13].</p> | <p>أم موسى عليه السلام.</p> | <p>﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرِيًّا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص: 10-13]</p> | 07 |
| <p>تجلت الإحالة القبليّة الضميرية في الآية [103]، فضمير الغائب المفرد في الفعل (أراد هو): إحالة قبلية ضميرية، تحيل على فرعون الوارد في الآية [101]، وكذلك الضمير في (يستفزههم)، إحالة قبلية ضميرية على فرعون، والتي تحيل على مقدر هو (موسى وقومه)، كما تجلت الإحالة القبليّة على فرعون في :</p> | <p>فرعون/فرعون/موسى عليه السلام/فرعون/فرعون.</p> | <p>﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: 103]</p> <p>﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بِنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 101]</p> | 08 |

| | | | |
|--|--|---|----|
| (فأغرقناه / معه). | | | |
| ترجع الضمائر على بني إسرائيل قبلها، وذلك في [الدخان: 30] في (آتيانهم)، وفي [الدخان: 32] في (اخترناهم)، وعليه فقد اتحدت الضمائر في المرجع (بنو إسرائيل)، وربطت آيات سورة الدخان بعضها ببعض. | بنو إسرائيل. | <p>﴿وَأَيُّنَّهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتُوا مُبِيئًا﴾ [الدخان: 33]</p> <p>﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: 32]</p> <p>﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [الدخان: 30]</p> | 09 |
| ساهمت الإحالة، في التماسك القصصي في سورة الكهف، بواسطة الضمائر العائدة على العناصر المحورية في السورة، كالضمائر العائدة على: (موسى عليه السلام / الفتى / الخضر)، والضمائر المشتركة، التي تحيل قبلها على: (موسى عليه السلام والرجل الصالح) و(موسى عليه السلام وفتاه) مثل: (بلغا / نسيا / حوتهما / جاوزا / آتنا...). | موسى عليه السلام / الفتى / الرجل الصالح (الخضر) / موسى عليه السلام وفتاه / موسى عليه السلام والرجل الصالح. | <p>﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60]</p> <p>﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82]</p> | 10 |
| ساهمت الإحالة الداخلية القبلية الضميرية في ربط أجزاء النص المتباعدة، من الآية [40] إلى الآية [47]، وبينت من خلال تعدد المرجع الإحالي | بنو إسرائيل. | <p>﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا</p> | 11 |

| | | | |
|---|------------------|---|-----------------------------|
| <p>تعدد دلالات التركيب (الصبر، الصلاة...).</p> | | <p>تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَابَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنَئِ إِسْرَاءَ يَلْ أذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴿البقرة: 40-47﴾</p> | |
| <p>الضمير المنفصل (هي) يحيل على لفظ البقرة في الآية [67]، مما يبين دور الضمير في تحقيق التماسك النصي بين آيات سورة البقرة، التي تمثل جزءاً من قصة موسى عليه السلام.</p> | <p>البقرة.</p> | <p>﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ ﴿البقرة: 70﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنُخِذْنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿البقرة: 67﴾</p> | <p>12</p> |
| <p>الضمير (نا) في (أرسلنا) يحيل بعدياً على الرسول محمد</p> | <p>الرسول ﷺ.</p> | <p>﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ ﴿المزمل: 15﴾</p> | <p>13 داخلية بعديّة</p> |

| | | | | |
|--|-------------------------------------|--|------------------------------------|-----------|
| <p>ﷺ، باعتباره مقصودا بالخطاب وبفعل الإرسال، وسياق القصة يؤكد ذلك.</p> | | <p>15-16</p> | <p>ضميرية</p> | |
| <p>أحال ضمير الشأن(أنا) إحالة داخلية بعدية ضميرية على الله تعالى تعظيما وتنزيها له_ كما مر بنا سابقا في سورة النمل_ وهذا يؤكد دور الإحالة الضميرية البعدية في تماسك سورتي طه والنمل، لأن كليهما متضمن لقصة موسى عليه السلام.</p> | <p>الله تعالى.</p> | <p>﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: 14]</p> | <p>14</p> | |
| <p>تتضح صورة الإحالة البعدية الضميرية من خلال التعدد و الاختلاف في المرجع أي العنصر المحال عليه (بنو إسرائيل/الكتاب المحرف)، وذلك بسبب تعدد أوجه القراءة، وقصة موسى عليه السلام جزء من قصة بني إسرائيل.</p> | <p>بنو إسرائيل / الكتاب المحرف.</p> | <p>﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكَذِبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 78]</p> | <p>15</p> | |
| <p>وصفت هذه الإحالة الإشارية (عليهم)، مجموعة العناصر المشار إليها، والمتمثلة في(الطوفان /الجراد /القمل /الضفادع /الدم) والتي وردت في آية سابقة</p> | <p>بنو إسرائيل.</p> | <p>﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ [الأعراف: 134]</p> | <p>داخلية قبلية إشارية</p> | <p>16</p> |

| | | | |
|--|-----------------------------|---|----|
| [الأعراف: 133]. | | | |
| اشتركت الإحالة الممثلة في الضمير (كم)، مع عناصر إحالية أو إشارية سابقة (موسى عليه السلام/فرعون)، وأشارت إلى الحوار الذي دار بينهما، وساهمت في تماسك الآيات القرآنية من [59] إلى [70]. | السحرة. | <p>﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ [طه: 70]</p> <p>﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه: 59]</p> <p>﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ [طه: 60]</p> <p>﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾ [طه: 61]</p> | 17 |
| ساهمت الإحالة الإشارية في تماسك الآيات الستة، رغم عدم وجود تجاور للعناصر الإشارية (موسى وهارون عليهما السلام)، فضمير المخاطب (أنتما) في (اذهبا)، يحيل قليلا على عنصرين إشاريين معجميين غير متجاورين، هما لفظ (موسى) في قوله تعالى (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)، ولفظ (هارون) في قوله على لسان هارون: (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا | موسى / هارون عليهما السلام. | <p>﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ اتَّبِعْ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُورُونَ</p> <p>﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ</p> <p>لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ١٣ وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ ١٤ قَالَ</p> <p>كَلَّا فَأَذْهَبَا بِأَيْدِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ١٥ فَآتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ١٦ [الشعراء: 10-16]</p> | 18 |

| | | | |
|---|--------------------|---|-----------|
| <p>يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ)، والعنصران الإشاريان غير متجاورين، إلا أنهما متماسكين.</p> | | | |
| <p>ساهمت الإحالة الانقسامية في بنية الإحالة الإشارية، وربط العناصر الإشارية غير المتجاورة ببعضها، حيث شكّل فيها المرجع اللغوي مع اسم الإشارة (هذا/هنا) بنية الإحالة، فاسم الإشارة (هَذَا مِنْ شَيْعِنِهِ) يحكم عددا من العناصر الإحالية، وهي (الَّذِي مِنْ شَيْعِنِهِ) في الآية نفسها، (الَّذِي أَسْتَنْصَرُهُ)، والضمائر المستترة في (استنصره / يستصرحه / لغوي/مبين) في الضميرين المتصلين (له /إِنَّكَ).</p> | <p>الرجلان.</p> | <p>﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْتَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص: 15]</p> | <p>19</p> |
| <p>تحيل الإحالة الاندماجية قليلا على مجموعة من العناصر الإشارية المعطوفة (العصا/اليد)، باسم الإشارة (ذائك)، وتتم هذه الإحالة بلفظ يتطابق مع العنصر المحال عليه في الجنس والعدد، فاسم الإشارة (ذائك)</p> | <p>العصا/اليد.</p> | <p>﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُ كَانَتْهَا جَانٌّ وَلِي مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾</p> | <p>20</p> |

| | | | |
|--|--|--|-----------|
| <p>يحيل قلبيا على انقلاب العصا حية، وخروج اليد بيضاء من غير سوء، وهما عنصران غير متجاورين.</p> | | <p>﴿٣٢﴾ [القصص: 31-32]</p> | |
| <p>ربطت الإحالة الإشارية (هذا) الأحداث اللاحقة بالسابقة، والتي تمثلت في أسئلة موسى عليه السلام للرجل الصالح، في آية [الكهف: 76]، كما قام اسم الإشارة في هذا السياق بتجسيد موقف الفراق المتوقع حدوثه، فعمل على تصويره .</p> | <p>فراق الرجل الصالح لموسى عليه السلام.</p> | <p>﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: 78] ﴿ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي ﴾ [الكهف: 76]</p> | |
| <p>الإحالة الإشارية (ذلك) ترجع قلبيا على متعدد، من خلال تفسير الأحداث الثلاثة لموسى عليه السلام، (خرقه السفينة /قتله الغلام /بناؤه الجدار)، و مساهمتها في التماسك النصي بين آيات سورة الكهف من [76] إلى [82].</p> | <p>تفسيرات الرجل الصالح الأحداث الثلاثة لموسى عليه السلام.</p> | <p>﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: 82]</p> | <p>22</p> |
| <p>ساهمت الإحالة الإشارية (ذلك) الواردة في [البقرة: 176] في ربط اللاحق بالسابق، وساهمت في تماسك هذه الآيات.</p> | <p>بنو إسرائيل.</p> | <p>﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ</p> | <p>23</p> |

| | | | | |
|----|------------------------|---|--|--|
| | | <p>الْقِيَمَةَ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾</p> <p>﴿البقرة: 174-175﴾</p> | | |
| 24 | الأرض المقدسة | <p>﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ ﴿المائدة: 24﴾</p> <p>﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿المائدة: 21﴾</p> | | |
| 25 | داخلية بعدية إشارية | <p>﴿وَمَا تَلَكَ يَمِينِكَ يَمُوسَى﴾ ﴿طه: 17﴾</p> <p>﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى﴾ ﴿طه: 18﴾</p> | | |
| 26 | موسى وهارون عليهما | <p>﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا</p> | سأهت الإحالة البعدية الإشارية (هذان)، في ربط | |

| | | | |
|---|---|---|------------------------|
| <p>آيات قصة موسى عليه السلام [30-63]، وقد جاءت هذه الإحالة لتؤكد عدم الرجوع إلى الآية السابقة لتحديد العنصرين المحال عليهما (موسى وهارون عليهما السلام)، غير المتجاورين، بل وضحتهما في قوله (...هَذَا لَسَجْرَيْنِ...) وورد لفظ (هارون) في [طه: 29-30]، ولفظ (موسى) ورد في [طه: 57]، وتفصل بينهما الآيات من [30] إلى [57]، وهذا يعني أن هذه الآيات حققت التماسك النصي على مستوى قصة موسى عليه السلام.</p> | <p>السلام.</p> | <p>وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿ طه: 63 ﴾ ﴿ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [طه: 29-30]</p> | |
| <p>تقديم موسى عليه السلام لأوصاف البقرة، التي أمر بنو إسرائيل بذبحها، بينته الإحالة البعدية الإشارية الزمانية (الآن).</p> | <p>البقرة.</p> | <p>﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا لَئِن جِئْتَ بِالْحَقِّ فَدَجِّجُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: 71]</p> | <p>27</p> |
| <p>الإحالة المقارنة تعكس تشابه موقف آدم وحواء عليهما السلام في الجنة، مع موقف بني</p> | <p>آدم وحواء عليهما السلام/بنو إسرائيل.</p> | <p>﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾</p> | <p>المقارنة 28</p> |

| | | | |
|--|--------------------------|--|---------------------|
| <p>إسرائيل، وأسهمت هذه الإحالة في ربط النصين الفرعيين من قصة آدم وموسى عليهما السلام، وذلك لما عرضت سورة البقرة لقصة آدم وحواء عليهما السلام، ذكرت نعيم الجنة، وطردهما منه، عرضت السورة لبني إسرائيل ونعم الله عليهم، ومعاقبتهم بالهبوط (أهبطوا مضراً) .</p> | | <p>وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴿البقرة: 35-37﴾</p> <p>﴿ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ ﴿البقرة: 57﴾</p> | |
| <p>الإحالة بالاسم الموصول (ما)، تحيل قريبا على أسئلة موسى عليه السلام، والتي طرحها على الرجل الصالح، والمتمثلة في عدم صبر موسى عليه السلام على: (خرق الرجل الصالح للسفينة / قتل الرجل الصالح للغلام / بناء الرجل الصالح للجدار).</p> | <p>موسى عليه السلام.</p> | <p>﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ ﴿الكهف: 82﴾</p> | <p>الموصولية 29</p> |
| <p>ربطت الإحالة الموصولية الآية [61] بآيات أخرى سابقة وغير مجاورة لها في سورة البقرة، بدءا من</p> | <p>بنو إسرائيل.</p> | <p>﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَّبْرِيَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدِ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا</p> | <p>30</p> |

| | | | |
|---|--|---|--|
| <p>الآية [57]، بواسطة الاسم الموصول (الذي هو خير)، الذي يحيل على الآية [57]، وبواسطة الاسم الموصول أيضا (الذي هو أدنى)، الذي يحيل قبلها على (البقل / القثاء / الفوم / العدس / البصل)، وهذا يبين تجاوز الإحالة لمداها إلى آيات مجاورة لها عن طريق الاسم الموصول (الذي هو خير)، وعليه تتجلى عملية الربط والتماسك النصي الذي تحدثه الجملة الموصولية، بين الآيات المتجاورة والمتباعدة في قصة موسى عليه السلام، الواردة في سورة البقرة.</p> | | <p>مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا ^ط قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ^ع أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ ^ط وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَانَةُ ^ط وَبَاءَ ^ط وَبَعْضِ مِنَ اللَّهِ ^ط ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ ^ط بِغَيْرِ الْحَقِّ ^ط ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿ [البقرة: 61]</p> <p>﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى ^ط كُلُوا ^ط مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ^ط وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿</p> <p>[البقرة: 57]</p> | |
|---|--|---|--|

من خلال قراءة الجدول يتبين ما يأتي:

الإحالة الداخلية القبلية الضميرية كثيرة الورد في النص القرآني، مما جعل المفسرين يهتمون كثيرا بدراساتها، حيث أسفرت دراستهم تلك عن تحليلات عظيمة للشواهد القرآنية، ولما لها من دور تقوم به في ربط أجزاء نص معين، كما تميز اهتمامهم بالانتباه إلى احتمال تعدد ما يجيل إليه الضمير، الذي قد يرجع على لفظه في الجملة أو على شيء مفهوم من المعنى العام للآيات، كما ورد في [المثال: 01]، حين أحال الضمير إلى سابق لما طلب موسى من أخيه أن يخلفه في قوله تعالى: ﴿... وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142].

تتعدد إحالات الضمائر في الآية الواحدة، كما ورد في [المثالين: 09/08]، وهذا يؤدي إلى ربط الجمل بعضها ببعض عن طريق اتحاد الضمائر في المرجع، ولكن إذا كان بالإمكان توحيد المرجع فلا يُعدل عنه إلى التعدد؛ فالأصل هو: «توافق الضمائر في المرجع حذرا من التشتت»⁽¹⁾. ولهذا عاب الزمخشري على من جعل إحالة الضمائر، كما ورد في [المثال: 02] إلى متعدد ورأى أن: «الضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت فيه هجئة، لما يؤدي إليه من تنافر النظم؛ فإن قلت: المقذوف في البحر هو التابوت، وكذلك الملقى إلى الساحل! قلت: ما ضرك لو قلت: المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر، فيتنافر عليك النظم الذي هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر»⁽²⁾.

إن الزمخشري يشير إلى مسألة هامة، مفادها أن الضمائر الواردة في هذه الآية، تحيل إحالة سابقة على مرجع واحد هو موسى عليه السلام، من باب التماسك الحاصل في الضمائر، فتتعدد الضمائر، والمرجع المحال عليه واحد، ولكن تنبغي الإشارة إلى مسألة أخرى، وهي أن ما قال به الزمخشري لا ينطبق على كل آيات القرآن الكريم، فقد تتعدد إحالات الضمائر، كما تتعدد المراجع.

(1) _ السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج3، ص78.

(2) _ جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ _ 1998م، ج4، ص81.

— الإحالة الضميرية المتمثلة في ضمير الشأن، يكثر ورودها في الخطاب القرآني، لأنّ فيه شيئا من المبالغة في تعظيم ذلك الأمر أو تلك القصة، وتفخيم شأنها، ويستعمل المتكلم الضمير ليمنح الكلام شيئا من اهتمام المتلقي (القارئ أو السامع)، كما ورد في [المثال:03]، حيث نلاحظ مقام التفخيم من خلال سياق الآية.

— الإحالات الضميرية في سورة القصص، تحيل إحالة داخلية قبلية، على العناصر المكونة لقصة موسى عليه السلام: (موسى / فرعون/ أم موسى)، كما ورد في [الأمثلة:04/05/06 /07/08]، والتي يحيل أغلبها على موسى عليه السلام، المذكور في أول السورة، مما يدل على تضافر الأحداث وتلاحمها وتعاقبها، الأمر الذي حقق التماسك النصي على مستوى الآيتين: [03-04] من سورة القصص، كما ساهمت الإحالات الداخلية قبلية التي تناولت العنصر الثالث والمتمثل في (أم موسى)، في تحقيق التماسك النصي بين الآيات (10، 11، 12، 13)، وربطت بينها شكليا وداليا، وهذا يبين وظيفة الضمائر الأساسية في الإسهام في تحقيق تماسك نص هذه السورة، وأن توزيعها تناسب مع دلالة القصص فيها.

كما اتضح أيضا أن للسياق دورا مهما وواضحا في كشف غموض الضمائر، وفك شفرة النص.

— الترابط المتنوع من أدوات التماسك النحوي يشكل مظهرا مهما من مظاهر تماسك الجمل المحكم على المستوى النحوي، كما ورد في [المثال:08]، حين تعدد وتكرر العنصر الإحالي، وقد ساهم هذا الترابط المتنوع والمتعدد في تماسك آيات: [الإسراء: 101-103] نحويا بواسطة الإحالة الداخلية قبلية الضميرية.

— ساهمت الإحالة الداخلية قبلية الضميرية في البناء القصصي في سورة الكهف، الواردة في [المثال:10]، من خلال ربط العناصر الإحالية المحورية في القصة، على امتداد البناء القصصي من الآية [60] إلى الآية [82]، يقول الفقي: « ولا شك أن كل قصة تتماسك دلاليا بصفة أساسية، لأنها تتحدث عن موضوع واحد، فقصة أهل الكهف تتحدث عنهم، وكذا قصة الرجلين، وموسى والرجل الصالح، وذي القرنين، ولا شك أيضا في أن للضمائر وظيفة بارزة في الإسهام في تحقيق هذا التماسك، لا على مستوى العبارة أو الجملة فحسب، بل على مستوى الآية وأكثر من آية، فكيف تسهم الضمائر إذن في تحقيق هذا التماسك؟ وهل توجد ضمائر مشتركة بين هذه الموضوعات»⁽¹⁾.

(1) — صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص199.

_ وفي [المثالين: 12/11]، يمكن أن ننظر إلى الخطاب الكلي، لنلاحظ كيفية تماسك النص ودور الضمير في ربط أجزاء النص المتباعدة، وهذه الآيات المتناسكة عن طريق الإحالة الضميرية القبلية، جعلت من النص كلا موحدًا، على اعتبار أنها تركز على موضوع النص الرئيس.

_ تكثر الإحالة البعدية الضميرية في الخطاب القرآني، وتكون أحيانًا ممتثلة بضمير الشأن، كما هو وارد في [المثالين: 14/13]، حيث ساهم ضمير الشأن في تماسك سياق آيات سورة طه، مع سياق آيات سورة النمل [8-9] السابقة، وكليهما متضمن لقصة موسى عليه السلام، وهنا يظهر دور الإحالة الضميرية في البناء النصي من خلال السور، مع أن ترتيب سورة طه في النزول هو [45]، أما سورة النمل فترتيبها هو [48].

_ تعدد أوجه القراءة، يؤدي إلى تعدد أوجه إعادة الضمير الرابط، كما هو وارد في [المثال: 15]، وفي هذا دليل على انفتاح النص وتمييزه، فالحديث عن بني إسرائيل، والضمير المقصود هو الضمير في (لتحسبوه هو)، حيث اختلف في مرجعه، فقيل إن المقصود به أولئك الذين يحرفون الكتاب، وقيل إن الضمير لا يعود على المحرف، بل على المادة المحرفة ليحسب المؤمنون ذلك التحريف من الكتاب⁽¹⁾.

_ من أبرز العناصر الإحالية التي تحيل على السابقي أيضا أسماء الإشارة، كما ورد في [المثالين: 17/16]، ويرى علماء لسانيات النص أنها ترد في سياق الحديث عن أشياء سبق ذكرها، لذا تساهم في تماسك النص من خلال الوحدة الإحالية بين ما هو مذكور في جزء من النص، وما هو مذكور في جزء سابق، فيشبه فعلها الإحالي العناصر التي تحيل إحالة داخلية⁽²⁾.

_ قد يكون المحال عليه عناصر إشارية معجمية غير متجاورة، كما ورد في [الأمثلة: 20/19/18]، وهذا النوع من الإحالة الإشارية (الانقسامية/الاندماجية) يساهم في تماسك أحداث قصة موسى عليه السلام.

_ تساهم الإحالة الإشارية في ربط الآيات اللاحقة بالسابقة كما هو وارد في [الأمثلة: 23/22/21]، من خلال استحضار العناصر السابقة، عن طريق اللفظ الوارد في

(1) _ الهادي الخطلاوي، قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج، التأويل، الإعجاز، ط01، دار محمد علي، الحامي للنشر والتوزيع، سوسة، تونس، 1998م، ص325.

(2) _ فولفجانج هاينه مان، ديتر فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص28-30. وينظر: ج.ب بروان وج.بول، تحليل الخطاب، ص281-294.

سياق الآية، وترابطها مع العناصر اللاحقة بطريقة موجزة، فتصبح هذه المعاني وكأنها ماثلة أمام المتلقي، لتبقى عالقة في ذهنه.

— من مظاهر الإحالة في النص القرآني أن لا يشترك المحيل مع المحال عليه في الإحالة، وإنما يتم استدعاء المحال عليه للمقارنة، التي لها في النص القرآني أشكالاً أخرى ومتعددة، كما هو وارد في قصة موسى عليه السلام، أو حتى المقارنة بين مواقف المؤمنين والكافرين وصفاتهم ومصيرهم، وهذا لا يتأتى بعناصر لغوية محددة، إنما يتأتى بجمل أو بمتواليات جمالية، أو حتى نص فرعي كامل، كما ورد في [المثال: 28]، فعندما يواجه القارئ انتقالاً من موضوع إلى موضوع آخر في النص القرآني، عليه أن يلتفت إلى مسألة أن النص الفرعي الجديد، قد يكون امتداداً لموضوع سابق.

2- الحذف Ellipsis:

تميل اللغات الإنسانية بطبيعتها إلى الحذف، لأنّ المواقف الاتصالية تتطلب حدوث هذا الأمر، حتى تصل الرسالة بوضوح من جهة، وحتى لا يشعر المتلقي بالملل من جهة أخرى.

فالحذف ظاهرة يميل الناطقون إلى إتباعها في الكلام، وبالمقابل توجد هناك قرائن تغني عن المحذوف، كما يغني عنه السياق، فيعتري الحذف المكونات النص من جملة ومفرد وحرف وحركة، ويبقى لذلك دليل يدل عليه⁽¹⁾.

الحذف يقتضيه السياق اللغوي، لأنّه من الوسائل النصية المهمة التي تساهم في تحقيق التماسك النصي، باعتباره أحد مظاهر الأداء اللغوي، فالجملة ترتبط بجملة أو بجمل أخرى، قد تكون سابقة لها أو لاحقة، وحضور ثنائية المذكور والمحذوف يعظم دور القارئ في إنجاز نصية النص.

كما أنّه يحقق الترابط من خلال البحث عما يملأ الفراغ، فيما سيق من خطاب، وبذلك يقوم المتلقي للنص بعملية الربط التلقائي بين السياق الحالي، وما سبق من خطاب وللمعنى دور في ذلك: «ولا شك في أن المعنى هو الذي يطلب الحذف، ويتحكم به، في هيب الحذف المعاني قوة تمكنها من أن تتجسّد بنفسها، فكأنه ضرب من ضروب الاتصال المباشر بالمعاني (...).»، فالحذف يفسح المجال أمام تدخل المتلقي —برضا عناصر السياق— في إنتاج المعنى، فيتكون بوجود الحذف

(1) — طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ط1، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، القاهرة، 1998م، ص9.

النص اللغوي/المتلقي»⁽¹⁾.

2-1- تعريف الحذف:

أ- الحذف/لغة:

جاء في تاج العروس: «حذفه، يحذفه»، حذفاً: أسقطه... وقال غيره: حذفه، حذفاً: قطعه من طرفه... وقال الليث: الحذف: قطع الشيء من الطرف»⁽²⁾.

وجاء في لسان العرب: «حذف الشيء يحذفه حذفاً: قطعه من طرفه... والحذافة: ما حُذِفَ من شيء فطرح... وفي الصحاح: حذف رأسه بالسيف حذفاً ضربه فقطع منه قطعة... الجوهري: حذف الشيء إسقاطه»⁽³⁾.

مما سبق من تعاريف لغوية، يتضح أن الحذف هو القطع من الطرف خاصة، إضافة إلى الطرح والإسقاط.

ب- الحذف/اصطلاحاً:

الحذف كغيره من الآليات النصية الأخرى، التي لها امتداد في البلاغة العربية، ولعل ما يفسر هذا هو القيمة السياقية التي يحظى بها الحذف عند القدماء من علماء البلاغة، حيث يقول الجرجاني: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين»⁽⁴⁾.

فالجرجاني يشير إلى ما يضيفه الحذف على السياق من جمال، وما يتركه في النفس من تأثير، كما أنّ الجرجاني كان على دراية بأهمية الحذف في اللغة، وبالأخص في التماسك النصي، حين يلجأ المتلقي أو القارئ للبحث عن العنصر المحذوف وتفسيره.

وقد تكلم عن ظاهرة الحذف ابن جني الذي يقول: «واعلم أن العرب -مع ما ذكرناه-

(1) _ محمد جعفر العارضي، في علم دلالة النص: نظرات في قصديّة الحذف بين مظاهر الإعجاز القرآني ومناهج التحليل

اللغوي، ط1، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2012م، ص46-48.

(2) _ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (حذف)، ج23، ص121-125.

(3) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (حذف)، مج2، ج10، ص810-811.

(4) _ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص146.

إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعده، ألا ترى أنها في حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملاها»⁽¹⁾.

إن ابن جني يشير إلى الأثر النفسي الطيب الذي ينشأ من خلال الحذف، وأن التعابير السياقية والأسلوبية للغة العربية تتطلب استخدام أسلوب الحذف، بدلا من الإطالة والتكرير.

أما عند العرب المحدثين، فيظهر الحذف عندما تشتمل عملية فهم النص على إمكانية إدراك الانقطاع على مستوى سطح النص، حيث يرى صبحي إبراهيم الفقي أن المتكلم يميل إلى إسقاط بعض العناصر من الكلام اعتمادا على فهم المخاطب وإدراكه للعناصر المحذوفة تارة، ووضوح قرائن السياق تارة أخرى⁽²⁾.

لقد أشارت المفاهيم الاصطلاحية السابقة إلى أن الحذف والسياق، لا ينفصلان عن بعضهما من خلال العمليات الذهنية، التي تبحث عن المحذوف، من أجل الربط الدلالي والتركيبى داخل النص، وهذا يدل على الأهمية التي يوليها اللغويون للحذف باعتباره أداة للتماسك النصي.

وعليه فإن الحذف ضرب من ضروب البلاغة لا تقتضيه قواعد نحوية، بحيث لا يترك أثرا إعرابيا في التركيب، وإلا فهو إضمار لا حذف، ومن ثم فإن الحذف تقتضيه قرينة السياق، كما أن الحذف في ظل وجود الدليل والقرينة الدالة عليه يتلاءم مع أهم خصائص العربية وهي الإيجاز.

2-2- مستويات الحذف وأقسامه:

قد قسم هاليداي ورقية حسن الحذف إلى ثلاثة أقسام⁽³⁾:

أ- الحذف الاسمي: ويعني حذف اسم داخل المركب الاسمي، مثلا: (أي قبعة ستلبس؟ هذه هي الأحسن)، واضح أن القبعة قد حذفت في الجواب، وقد أقر الباحثان أن الحذف لا يقع إلا في الأسماء المشتركة.

ب- الحذف الفعلي: ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي، ومثاله: (هل كنت تسبح؟ نعم، فعلت).

ج- الحذف داخل شبه الجملة: - ومثاله: (كم ثمنه؟ خمسة جنيهات).

(1) - ابن جني، الخصائص، ج1، ص83.

(2) - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج02، ص191.

(3) - محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص22.

وقد ذكر الباحثان أن أكثر الأنماط التي يتحقق فيها الحذف؛ العناصر التي تحذف من جملة الاستفهام، إذ يمثل الاستفهام الدرجة القصوى للحذف المعجمي، كما ذكرا أنواعا أخرى للحذف واعتبراها مهمة في التحليل النصي، مثل: حذف بعض الأحداث دون البعض في التسلسل الزمني للقصة، وأكثر الأنماط قياما بمهمة التماسك النصي هي:

-حذف الاسم، حذف الفعل، حذف العبارة، حذف الجملة، حذف أكثر من جملة (1).

ولا شك في أن للحذف دورا إيجابيا في تحقيق التماسك النصي، من خلال استبعاد بعض عناصر النص لقربنة مقالية أو سياقية تشير إلى العنصر المحذوف، بحيث يغني المذكور في إغناء الدلالة عن العناصر المحذوفة، وبتقدير المحذوف يكتمل نسيج النص.

2-3-أسباب الحذف:

تتعلق أسباب الحذف وفوائده بأطراف التواصل الثلاثة: المخاطب، المخاطب، والمخاطب.

أ-دلالات الحذف المتعلقة بالمخاطب:

-تفخيم المحذوف في نفس المخاطب: «لما فيه من الإبهام، لذهاب الذهن في كل مذهب، وتشوفه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصرا عن إدراكه فعند ذلك يعظم شأنه» (2).

-زيادة اللذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وجعلوا من ذلك أيضا زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك (3).

-وقد يلجأ الخطاب للحذف دفعا للسأم والملل، كي يظلّ المخاطب مشدودا إلى النص، وهذا ما أدركه حازم القرطاجني حين قال: «إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسامة، فيحذف ويكتفي بدلالة الحال وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها» (4).

(1) _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السورة المكية، ج2، ص195-196.

(2) _ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة التراث، القاهرة، مصر، (دت)، ج3، ص104.

(3) _ المصدر نفسه، ج3، ص105.

(4) _ السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج1، ص306.

ب- دلالات الحذف المتعلقة بالخطاب⁽¹⁾:

- سبك الخطاب: التنبيه على أن الزمان يتقاصر على الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، وهذا ما نجده في باب التحذير والإغراء -تكتيف طاقة الخطاب الدلالية- الاختصار والتخفيف، خاصة إذا كان ذلك عرفا لغويا شائعا -رعاية الفاصلة.

إن للحذف دورا مهما في تماسك النص، وتحديد دلالاته، ولم ينظر علماء القرآن إلى الحذف بوصفه كلا واحدا، ولكنهم قسموه تقسيما يتداول الشائع من المحذوفات، وتتحدد به مستويات التقدير من ناحية أخرى.

2-4- علاقة الحذف بالآليات النصية الأخرى:

أ- علاقة الحذف بالإحالة:

هناك علاقة بين الحذف والإحالة نظرا لوجود دليل يسهم في تقدير المحذوف، فالحذف بطبيعته علاقة مرجعية قبلية، إلا أن ذلك يكون بعنصر صفري، وقد تكون مرجعية الحذف خارجية، إلا أن هذا مما يدخل في نطاق تماسك النص مع السياق، ويتدخل في تشكيل الإطار الدلالي للحذف بجانب المرجعية والتكرار، إذا كان معروفا عنه أنه باللفظ فهو مع الحذف تكرار للمعنى دون اللفظ⁽²⁾.

إن الحذف يمثل علاقة مرجعية لما سبق، وقد تكون مرجعية الحذف خارجية (غير نصية)، تعتمد على سياق الحال، الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تقدير المحذوف، ويرى جل الباحثين في علم لسانيات النص أن الحذف ذا المرجعية الخارجية لا يحقق التماسك.

ب- علاقة الحذف بالاستبدال:

وقد تناول هذه العلاقة هاليداي ورقية حسن حين فرقا بين الحذف والاستبدال، حيث إن الحذف يكون استبدالاً بالصفري، في حين أن الاستبدال يعتمد على وجود المستبدل به سابقاً للمستبدل⁽³⁾ ويسجل الباحثان حرصهما على عدم استقلال المحذوف عن النص السابق أو الجملة السابقة.

(1) _ ينظر: محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن، ص 187-188.

(2) _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السورة المكية، ج 2، ص 208.

(3) _ محمد خطاي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 21.

2-5- الحذف في قصة موسى عليه السلام:

الحذف بمستوياته المختلفة له حضور قوي في القرآن الكريم، في الحوار والقصص، فيكون النص القرآني به أكثر اتساعاً وانسجاماً، وقد أشار إلى هذا القدماء من بلاغيين ومفسرين كالزركشي والسيوطي، لما تناولوا العلاقة بين الحذف وتماسك النص القرآني، حيث وضعوا أيدينا على ذلك من خلال إبرازهم لأنماط الحذف في القرآن الكريم ودلالاته، إلا أنهم لم يصرحوا بما صرح به علماء النص في العصر الحديث من دور للحذف في التماسك النصي.

والحذف عند علماء القرآن فرع، والذكر أصل، ولا يعدل عن الأصل إلا لضرورة، وهذا التصور مرده خصوصية النص المدروس، فالمقصدية والإخبارية، وهما من معايير تحقق النصية، طاقات قارة فيها ويجب أن تكون كذلك، وعلى ذلك فـ «إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه، كان الحمل على عدمه أولى، لأن الأصل عدم التغيير، وإذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته كان الحمل على قلته أولى»⁽¹⁾.

وهذا يعني أن القدماء نظروا إلى الحذف بوصفه ضرورة خطائية، ذات دلالة وأهداف متنوعة، ومنه جاء توظيف القرآن للحذف توظيفاً فريداً.

ومما لا شك فيه أن الحذف في القرآن الكريم يتمتع بقصدية لا حدود لها، وأن هذه القصدية الجمالية منساقة خلف المعنى، تلاحقه فتمسك به، وتقدمه على أكمل وجه وأحسنه، والمسألة التي يثيرها الحذف في القرآن الكريم، هي أن الحذف يتجه بالناظر في المعنى إلى السياق، ولا شيء غير السياق كي يتحصل على المعنى منه⁽²⁾.

هذه بعض الإشارات إلى الحذف في النص القرآني، وعلاقته بالسياق الحالي والمقالي، ولعلّ النظر في سياق الحذف في قصة موسى عليه السلام، سيكشف عن جوانب أخرى، خاصة إذا كانت بحسب أسباب النزول وترتيبه، حيث يكثر فيها الحذف بأنواعه المختلفة، ويساهم في بنائها النصي، وتماسك أجزائها، ويترك للمتلقى اكتشاف العناصر المحذوفة، وسنبين في هذه النماذج الأنواع المشككة للقصة، وفق الجداول الآتية:

أ- حذف الحرف:

(1) _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص104.

(2) _ محمد جعفر العارضي، في علم دلالة النص: نظرات في قصدية الحذف: بين مظاهر الإعجاز القرآني ومناهج التحليل اللغوي، ص49.

| الرقم | الشاهد | الحرف المحذوف | الشرح |
|-------|---|---------------|---|
| 01 | ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [الأعراف: 113] ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [الشعراء: 41] | الهمزة | حذفت الهمزة من سورة الأعراف (إن لنا)، ولم تحذف من سورة الشعراء(أئن لنا)، وذلك لأن الحذف يناسب سياق سورة الأعراف المبني على الإيجاز، كما يدل سياق السورة على الحرف المحذوف، إذ يتضمن رد فرعون على سؤالهم ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف: 114]، واختصت سورة الشعراء بذكرها لتناسب مقام التفصيل. |
| 02 | ﴿ قَالَ أَلْقُوا... ﴾ [الأعراف: 116] ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا... ﴾ [طه: 66] ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ [الشعراء: 43] | بل | تحدث الآيات عن استئذان السحرة موسى عليه السلام، في أيهما يبدأ أولاً فعل الإلقاء، كما تتضمن أيضا جواب موسى عليه السلام حول استئذانهم، فحذفت (بل) من الأعراف والشعراء، وذكرت في طه لتحقيق معنى الاستئذان وجواب موسى عليه السلام، فجاءت كل آية مناسبة للسياق الذي وردت فيه. |
| 03 | ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُنزِلَ عَلَيْنَا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الأعراف: 134] | واو القسم | جاء الحذف ملائماً لسياق سورة الأعراف المبني على الإيجاز، والتقدير: والله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك. |

| | | |
|---|--------------|--|
| <p>تمثل الحذف في هذه السور، في حرف الواو المذكور في سورة إبراهيم: (ويذبحون)، بينما حذف في سورتي الأعراف والبقرة، وذكر الواو في سورة إبراهيم جاء ملائماً لسياق السورة، حيث أن السورة جاءت معطوفة على قصص (نوح/عاد/ثمود)، وكذلك لتعداد النعم التي منّها الله على موسى عليه السلام وبني إسرائيل—أي لما نجا موسى عليه السلام من الذبح—لذا جاء في السياق (يذبحون)، بخلاف ما جاء في سورتي الأعراف والبقرة، فلم تكن القصة معطوفة على قصة أخرى.</p> | <p>الواو</p> | <p>04 ﴿ وَإِذْ أَنْجَبْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف: 141]</p> <p>﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَبَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 6]</p> <p>﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: 49]</p> |
| <p>ذكر (إذ) في البقرة، وحذفها في الأعراف، وهذا لأن سياق البقرة، كان لتعداد النعم في بني إسرائيل، وسورة البقرة مدنية، جاءت لتذكير اليهود المعاصرين للنبي ﷺ بالنعم التي أنعمها الله على أسلافهم، أما في الأعراف، فقد جاءت أحداث هذه السورة بهدف التأريخ لبني إسرائيل، وسرد ملاحمهم وتعنيفهم، ولما كان السياق سياق تأريخ</p> | <p>إذ</p> | <p>05 ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً... ﴾ [الأعراف: 142]</p> <p>﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجَلَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾</p> |

| | | | |
|---|-------------|--|----|
| | | ... ﴿ [البقرة: 51] | |
| وتفصيل، ولم يكن سياق تذكير، فقد جاء بالحذف. | | | |
| حذف حرف الجر (من) والتقدير: (من قومه)، وقد دل السياق على أن حذف حرف الجر، أفاد أن اختيار موسى عليه السلام، كان دقيقا وعادلا، ويوحى بأن السبعين يمثلون جميع فئات القوم، وكأنما اختار قومه كلهم. | من | ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ... ﴾ [الأعراف: 155] | 06 |
| ذكرت الواو في سورة البقرة مناسبة لسياقها، ولتعداد النعم، وحذفت من الأعراف لأنها تؤرخ لبني إسرائيل. | الواو | ﴿ ... سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: 161] ﴿ ... وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: 58] | 07 |
| حذف الله (ياء المتكلم)، واكتفى بالكسرة الدالة عليها، في (يُكذِبُونَ) و(يَقْتُلُونَ)، تناسقا وانسجاما مع فواصل الآيات الأخرى في السورة. | ياء المتكلم | ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [الشعراء: 12] ﴿ وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء: 14] | 08 |
| ذكرت الواو (ويذبحون)، مراعاة لسياق سورة إبراهيم، المبني على الإيجاز والإجمال، فيما تضمنته من قصص الرسل، ولم يقصد بسط القصة كما ورد في غيرها من السور، وحذفت من سورة البقرة (يذبحون)، لأن سياقها يتعرض لنعم الله على بني إسرائيل. | الواو | ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذُبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 6] ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ | 09 |

| | | |
|---|--------------------|--|
| | | <p>يَذَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿البقرة: 49﴾</p> |
| <p>حذفت ياء المتكلم من آية سورة المائدة، وأثبتت في آية سورة البقرة، ذلك أن سياق البقرة هو الحديث عن القبلة وأمر تحويلها، وبث اليهود للشائعات، فهو مقام طويل، تعتمد لغة الخطاب فيه إلى التفصيل، أما سورة المائدة، فجاءت في مقام الإيجاز، إذ يتضمن السياق الحديث عن التوراة فحسب.</p> <p>ولما كان المقام مقام تفصيل وإطالة، عمدت لغة الخطاب إلى إثبات ياء المتكلم، ولما كان المقام مقام إيجاز واقتضاب، عمدت لغة الخطاب إلى حذف ياء المتكلم.</p> <p>كما أن ذكر (ياء المتكلم) في البقرة يتضمن معنى التعظيم لله الذي أنعم على بني إسرائيل، أمّا في المائدة فكان الخطاب يتضمن معنى التهديد والوعيد.</p> | <p>ياء المتكلم</p> | <p>10 ﴿... فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾ ﴿البقرة: 150﴾</p> <p>﴿... فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَاخْشَوْنِ...﴾ ﴿المائدة: 44﴾.</p> |

من خلال قراءة الجدول يتبين ما يأتي:

— يهدف حذف الحرف في قصة موسى عليه السلام، إلى تحقيق الإيجاز، وجاء مناسباً لسياق كل آية ورد فيها، كما في [الأمثلة: 10/03/02/01]، وجاءت الآيات المتضمنة لحذف الحرف متماسكة فيما بينها، وغير مختلفة.

— إن سياق كل سورة يفرض خطاباً خاصاً بها، دون تعارض في إيراد أحداث قصة موسى عليه السلام، كما ورد في [الأمثلة: 09/07/05/04]، التي جاءت متماسكة مع غيرها من الأحداث في السورة نفسها، وفي غيرها من السور أيضاً.

— قد يأتي حذف الحرف مراعاةً للفاصلة القرآنية، كما ورد في [المثال: 08]، قال ابن عاشور: «وحذفت ياء المتكلم من (يقتلون) للرعاية على الفاصلة»⁽¹⁾.

وفي نموذج آخر من سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: 22]، فالتقدير: أو تلك نعمة، والسياق يؤكد هذا المعنى، فقد جاءت الآية في سياق ردّ موسى عليه السلام على قول فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: 18]، فأنكر موسى عليه السلام امتنانه عليه وأبطله من أصله، وبيّن أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل، لأنّ تعبيدهم وتعذيبهم وتهديدهم بذبح آبائهم هو السبب في وصوله إليه وتربيته عنده، فكيف يمتن عليه باستعباد قومه⁽²⁾.

— يساهم حذف الحرف في تجلية المعنى وتوضيحه في قصة موسى عليه السلام، من خلال تماسك نسيج بنائها القصصي .

ب- حذف الاسم:

(1) — ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص108.

(2) — الزخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص384.

| الرقم | الشاهد | الاسم المحذوف | الشرح |
|-------|---|-------------------|--|
| 01 | <p>﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: 103]</p> <p>﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس: 75]</p> | هارون عليه السلام | <p>ذكر موسى لوحده في سورة الأعراف، وحذف هارون، وفي يونس ذكر موسى وهارون معا في البعث، وسبب ذلك أن الحديث في الأعراف كان عن خبر بني إسرائيل، وأحوالهم مع فرعون، ثم بعد نجاحهم منه، فذكر في بداية قصتهم في الأعراف إرسال موسى عليه السلام، ولم يذكر معه هارون عليه السلام، لأن موسى هو الأصل، وأخاه هارون تبع له، فلما لم يكن لهارون غرض في بيان خبر بني إسرائيل لم يذكره، وهذا ما ناسب سياق سورة يونس، الذي يبين موقف المشركين من إرسال الرسول ﷺ نفسه، خاصة لعجبهم من نزول الوحي على رجل منهم، فقد ذكر في السورة من قصة موسى عليه السلام ما يناسب ذلك، فكان المناسب أن يذكر مع موسى أخاه هارون عليه السلام، لأنهما جميعا أرسلوا إلى فرعون، وفرعون يعرف حالهما، كما تعرف قريش أحوال النبي ﷺ.</p> |
| 02 | <p>﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ</p> | كشف الرجز | <p>ناسب حذف الجار والمجرور سياق السورة، وناسب أيضا أحداث قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف التي وردت موجزة .</p> |

| | | | |
|----|---|-----------------|--|
| | | ﴿[الأعراف: 134] | |
| 03 | ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾ ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً...﴾ [الأعراف: 142] | ليالٍ | حذف التمييز (ليالٍ)، والتقدير: (بعشر ليالٍ)، وسياق الخطاب دال عليه، وناسب سياق السورة وأحداث القصة أيضا. |
| 04 | ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ...﴾ [الأعراف: 143] | أرني نفسك | حذف المفعول به، لأن سياق الآيات يقتضي ذلك، ولأن مقام المخاطب يقتضي أيضا عدم التصريح باسمه. |
| 05 | ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٍ﴾ [الأعراف: 148] | مغيبه عجلا | حذف المضاف وتقديره: اتخذ قوم موسى من بعد مغيبه عجلا، لأن سياق سورة الأعراف مبني على الإيجاز. |
| 06 | ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُونَ ﴿١١﴾﴾ [الشعراء: 10-11] | عواقب ظلمهم | حذف المفعول به من أجل الاختصار لدلالة الكلام المذكور على المحذوف، ومراعاة للفاصلة القرآنية. |
| 07 | ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٧﴾ قَالَ | الله | حذف المبتدأ (الله) في إجابات موسى عليه السلام تعظيما لاسمه، والتقدير: (الله رب السماوات والأرض / الله ربكم ورب آبائكم الأولين / الله رب المشرق والمغرب). |

| | | |
|---|----------------------------------|---|
| | | <p>رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ [الشعراء: 23-28]</p> |
| <p>جاء حذف المفعول به على النحو الآتي : يسقون أغنامهم/ تذودان غنمهما/ لانسقي غنمنا/ فسقى لهما غنمهما.</p> | <p>أغنامهم/غنمهما/ غنمنا</p> | <p>08 ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ [القصص: 23-24]</p> |
| <p>حذف المبتدأ، والتقدير: (هذا ساحر أو مجنون)، لأن سياق السورة يصور تكذيب فرعون لموسى عليه السلام، ورغبته في القضاء عليه، وإن ذكر اللفظ الدال على موسى عليه السلام يحمل دلالة السخرية والتهكم بفرعون، فضلا عن أن سياق القصص القرآني في هذه السورة مبني على الإيجاز، فناسب الحذف سياق الإيجاز.</p> | <p>هذا</p> | <p>09 ﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ [الذاريات: 38-39]</p> |
| <p>حُذِفَت الصفة ودلَّ عليها سياق الآية، وهو أن الملك كان لا يأخذ السفينة المعيبة، وأن هذا العيب قد أدَّى إلى سلامتها من الغصب.</p> | <p>سفينة صالحة</p> | <p>10 ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ [الكهف: 79]</p> |

| | | |
|---|-------------|---|
| <p>ذكر الله (رغدا) في سورة البقرة، وحذفها من سورة الأعراف، لأن سياق سورة البقرة هو المناسب لسياق النعم، والمناسب لاستجلاب القوم المخاطبين للإيمان، هو أن يذكر الله منته على أسلافهم في أكمل صورها، وذلك بأن الله قد أولى أولئك الأسلاف من سابغ نعمه بأن وعدهم بالأرض المقدسة التي كانت لأبائهم، وبأنهم موعودون أيضا بأنهم بمجرد دخولهم لها سيأكلون مباشرة وبلا مهلة، وحيث إن ذكر الأكل عقب الدخول غير منبئ عن صفة هذا العيش، والأكل كثرة وقلة، وزمانه طولا وقصرا، فإنه قد زاد في هذا الموضع ذكر الرغدا.</p> | <p>رغدا</p> | <p>11 ﴿وَإِذ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 161]</p> <p>﴿وَإِذ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 58]</p> |
| <p>حذفت (منهم) في البقرة، على أساس التعميم، لأن سياق سورة البقرة جاء مخاطبا عامة اليهود، وذكرت في سورة الأعراف، لأن هذه السورة في معرض تخصيص وتفصيل لقصة القوم كاملة.</p> | <p>منهم</p> | <p>12 ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 162]</p> <p>﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: 59]</p> |

من خلال الجدول يتبين ما يأتي:

— يساهم حذف الاسم في البناء النصي لقصة موسى عليه السلام، من خلال إيجاز أحداثها واختصارها، لأن الغرض ليس هو السرد التاريخي للقصة، بقدر ما فيه بيان للرسول ﷺ من منهج للرسل وأقوامهم، فالهدف تربوي ديني بالدرجة الأولى، كما في [الأمثلة: 01/02/03/04/05/08/11]، وقال أبو حيان معلقاً عن [المثال: 02]: «ومتعلق الدعاء محذوف، تقديره: ادع لنا ربك بما عهدك عندك في كشف هذا الزجر»⁽¹⁾.

وذكرت (رغدا) مثلاً في سورة البقرة، لأن الرغد لفظة مناسبة لذكر النعم الواردة في سورة البقرة، أما سياق سورة الأعراف فقائم على الإيجاز.

— يحذف الاسم اختصاراً لدلالة الكلام المذكور على المحذوف، ومراعاة للفاصلة القرآنية، كما ورد في [المثال: 06].

— يحذف الاسم تعظيماً للفظ الجلالة وتفخيماً لقدره، كما ورد في [المثال: 07]، قال السيوطي: «حذف فيها المبتدأ في ثلاث مواضع، قبل ذكر الرب، أي: هو رب، والله ربكم، والله رب المشرق، لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال، فأضمر اسم الله تعظيماً وتفخيماً»⁽²⁾.

وقد يحدث العكس كأن يحذف الاسم مراعاة لقيمة المذكور، كما في [المثال: 09].

— يحذف الاسم في قصة موسى عليه السلام، على أساس التعميم أو التخصيص، تبعاً لسياق السورة الواردة فيها القصة، كما في [المثال: 12].

— إن الحذف في قصة موسى عليه السلام، جاء مناسباً للسياق التي وردت فيها الآيات، كما جاء مناسباً لسياق الآيات في السور، حتى وإن تشابهت الآيات، فلا تعارض ولا اختلاف وإنما تماسك وانسجام بين أحداث القصة.

(1) — أبو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1993م، ج4، ص374.

(2) — جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج1، ص1602.

ج- حذف الفعل:

| الشرح | الفعل المحذوف | الشاهد | الرقم |
|---|---------------|--|-------|
| حذف الفعل ودل عليه السياق، والتقدير: وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وطنوا أنه واقع بهم، وقلنا لهم: خذوا ما آتيناكم وجملة ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾، مقولة لقول محذوف يدل عليه نظم الكلام. | قلنا لهم | ﴿وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف : 171] | 01 |
| حذف فعل الأمر والتقدير: اذهب في تسع آيات إلى فرعون وملئه. | اذهب | ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [النمل: 12] | 02 |

من خلال الجدول يتبين ما يأتي:

-يحذف الفعل في قصة موسى عليه السلام، ويدل عليه السياق، الذي يكون مناسباً للإيجاز كما في [المثال: 01]، يقول محمد الطاهر بن عاشور: «عاد الكلام إلى العبرة بقصص بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، لأن قصة رفع الطور عليهم من أمهات قصصهم، وليست مثل قصة القرية الذين اعتدوا في السبت، ولا مثل خبر إيذائهم بمن يسومهم سوء العذاب، فضمائر الجمع كلها هنا مراد بهابنوا إسرائيل الذين كانوا مع موسى بقريئة المقام»⁽¹⁾.

(1) _ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص164-165.

د- حذف الفاعل:

| الشرح | الفاعل المحذوف | الشاهد | الرقم |
|---|----------------|---|-------|
| <p>ذكر الفاعل في آية سورة البقرة (فرعون)، وحذف من طه والشعراء، لأن السياق في سورة الأعراف سياق محاورة بين فرعون والسحرة، والسورة تستقصي الخبر، كما تولى فرعون بنفسه أمر المشورة والحوار، فلما آمن السحرة كان المهدد لهم فرعون نفسه.</p> <p>أما في طه والشعراء، فكان السياق مختلفا تماما عن سورة الأعراف، فليس هناك غرض من إظهار اسم الفاعل (فرعون)، لأن الآيات لم تكن في سياق المحاورة، ولهذا كان الحذف هو الأصل.</p> | فرعون | <p>﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ... ﴾ [الأعراف: 123]</p> <p>﴿ قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ... ﴾ [طه: 71]</p> <p>﴿ قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ... ﴾ [الشعراء: 49]</p> | 01 |
| <p>حذف الفاعل العائد على فرعون وملئه والتقدير: من قبل أن تأتينا أنت، ولأن المقام يقتضي هذا الحذف، وجاء الحذف لأن سياق السورة يقتضي الإيجاز.</p> | أنت | <p>﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا... ﴾ [الأعراف: 129]</p> | 02 |

من خلال الجدول يتبين ما يأتي:

— يكون حذف الفاعل في قصة موسى عليه السلام مناسبا لسياق السورة التي يرد فيها، كما في [المثالين: 02/01].

— يقوم حذف الفاعل أحيانا على إيجاز الأحداث، كما في [المثال: 02]، ولهذا جاءت أحداث قصة موسى عليه السلام متماسكة، ومساهمة في صنع هذا البناء.

هـ- حذف الجملة:

| الرقم | الشاهد | الجملة المحذوفة | الشرح |
|-------|---|-----------------------------------|---|
| 01 | ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ ١١٣ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ [الأعراف: 113-114] | ﴿ وَإِنَّكُمْ لَأَجْرًا. ﴾ | تقدير الجملة المحذوفة: قال نعم وإن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين، وقد حذف المعطوف عليه لدلالة السياق عليه، كما أن سياق السورة يقتضي الإيجاز لا التفصيل. |
| 02 | ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف: 117-118] | فلما ألقى العصا. | الجملة المحذوفة، تدل على الإلقاء الفعلي للعصا من طرف موسى عليه السلام، وقد أغنى السياق عن ذلك، وقد أسهم الحذف في تصوير مدى سرعة تحول العصا وتلقفها لما صنعه السحرة، فكان الحذف مناسباً للمقام. |
| 03 | ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۗ ﴾ [الأعراف: 150] | يا قوم. | ذكرت جملة النداء في طه (يا قوم)، وحذفت في الأعراف لمناسبة ذلك لسياق كل سورة، ففي طه الخطاب لقومه العصاة بأسلوب التودد والتلطف، أملاً في تحقيق الهداية لهم، وإن تضمن معنى التوبيخ والتقريع، وأما سياق سورة الأعراف هو التأريخ لبني إسرائيل، ودفع تحذيرهم إلى حذف جملة النداء لما تتضمنه من معاني التودد والتلطف. |
| 04 | ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ ١١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١١٤﴾ | فأتيا فرعون فقالا إننا رسول رب | تقدير المحذوف: فأتيا فرعون فقالا إننا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل، أو فأتيا فرعون فقالا له ما أمرها الله به، قال فرعون: ألم نريك...؟ |

| | | |
|--|---|---|
| <p>فجاء حذف هذه الجمل للإيجاز وعدم الإطالة، وللتقيد بما أمر به موسى وهارون عليهما السلام .</p> | <p>العالمين.</p> | <p>قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴿الشعراء: 12-19﴾</p> |
| <p>ذكر فعل الأمر (أدخل)، وحذف نظيره (تدخل)، وذكرت الحال (بيضاء)، وحذف نظيرها (غير بيضاء)، وذكر الفعل المجزوم (تخرج)، وحذف نظيرها (وأخرجها)، وتقدير الحذف: وأدخل يدك تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء، وهذا لمناسبة سياق سورة النمل، ومناسبة الإيجاز كذلك.</p> | <p>تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء.</p> | <p>05 ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿النمل: 12﴾</p> |
| <p>فيعرض الله تعالى على بني إسرائيل، وهم في حال ضعفهم أن يتوبوا إليه، عسى أن يرحمهم، فجملة ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ حذف يعود إلى: «عسى ربكم أن يرحمكم إن تبتم» والعلاقة الانساقية بين جمل هذه الآية تضيي نوعا من التماسك بينها عن طريق آلية الحذف ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ (إن تبتم)، وإن عدتم (إلى الإفساد)، عدنا (إلى العقوبة).</p> | <p>إن تبتم/إلى الإفساد/إلى العقوبة.</p> | <p>06 ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ﴿الإسراء: 8﴾</p> |

| | | |
|---|-----------------------------|--|
| <p>ذكرت الجملة المحذوفة في الأعراف والبقرة، وحذفت من طه لمناسبتها لسياق كل سورة، فذكرت في الأعراف والبقرة، لأن السياق في مقام تعداد النعم على بني إسرائيل، وتسجيل وتأريخ لهم، وسياق سورة طه تطلب الحذف لأن التيه لم يأت بعد.</p> | <p>وظللنا عليهم الغمام.</p> | <p>07 ﴿... وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ...﴾ [الأعراف: 160] ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْمَعْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [طه: 80] ﴿وَوَضَعْنَا عَلَىٰ كَتِفَيْكَ الْوِجْدَانَ الثَّقِيلَيْنِ﴾ [البقرة: 57]</p> |
| <p>والتقدير: فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت، لأن الانفجار يترتب على ضربه الحجر كما يفهم من السياق الذي دللته على المحذوف هنا واضحة، فقد أفاد الحذف تصوير قدرة الله، فكأن الحجر تفجر بالماء مع صدور أمر الله لموسى عليه السلام بالضرب، وفيه إشارة إلى سرعة تنفيذ موسى لأمر الله، وجاء الحذف مناسباً للسياق، وهو سرعة تنفيذ موسى عليه السلام لأمر الله تعالى.</p> | <p>فضربه فانفجرت.</p> | <p>08 ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضْبَةً﴾ [البقرة: 60]</p> |
| <p>ذكرت شبه الجملة في النساء (بظلمهم) لمناسبتها لسياق السورة، الذي يتضمن تعداد أسباب العقوبات التي حلت ببني إسرائيل عبر العصور، وحذفت من البقرة لأن سياقها يتضمن تعداد النعم.</p> | <p>بظلمهم.</p> | <p>09 ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ﴾ [البقرة: 55] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: 153]</p> |

من خلال الجدول يتبين ما يأتي:

— يذكر السياق عند حذف الجملة ما هو أهم وأدل على العناية وتعظيمهم، كما في [المثال: 01]، الذي يقول فيه أبو حيان الأندلسي: «لا أقتصر لكم على الجعل والثواب على غلبة موسى، بل أزيدكم أن تكونوا من المقربين فتحوزون إلى الأجر الكرامة والرفعة، والجاه والمنزلة، والمثاب إنما يتهيّ ويغتبط به إذا جاز إلى ذلك الإكرام، وفي مبادرة فرعون لهم بالوعد والتقريب منه دليل على شدة اضطارره لهم»⁽¹⁾.

— الخطاب في قصة موسى عليه السلام موجه إلى الرسول ﷺ، ومن بعده قومه كما في [المثال: 03]، فهو يهدف إلى التلطف به ﷺ، وتشبيته في مواجهة الأعداء، بأسلوب الرحمة والرفق.

— لحذف الجمل أثران مهمان: الأول هو التخلص مما يؤدي إلى إطالة النص، حيث يعتمد القارئ على ذهنه في الانتقال من مشهد إلى آخر.

وأما الثاني: فهو التنبيه إلى تقيد الرسول ﷺ، بمضمون الرسالة، وهذا ما ورد في [المثالين: 06/04]، إذ يشير الحذف في [المثال: 04] إلى أن موسى وهارون عليهما السلام، نفذ ما كلفا به، وخاطبا فرعون بالكلمات التي لقنها إياهما رهما بحرفيتها، وفي هذا إشارة إلى أن مهمة الرسل واحدة وهي تبليغ ما أمروا به إلى أقوامهم.

— وصف السيوطي حذف الجملة في [المثال: 05]، ب (الاحتباك): «وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول»⁽²⁾.

— تساهم الجمل المحذوفة في تماسك النص، لأنّ المعنى لا يفهم إلا بملء الفراغات من قبل المتلقي الذي يستقيها من الكلام السابق، كما ورد في [المثال: 06]، فحين تحذف الجمل، يجلي سياق الخطاب الصورة أمام المتلقي، ولهذا جاء السياق مناسباً للجو العام في سورة الإسراء.

— يأتي حذف الجمل مناسباً لسياق كل سورة تضمنت قصة موسى عليه السلام، كما ورد في [المثال: 07]، فقد قال المفسرون: «وجعلنا الغمام يضلّكم، وذلك في التيه، سخر الله لهم السحاب، يسير بسيرهم يظلمهم من الشمس، وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه،

(1) — أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج4، ص360.

(2) — جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج5، ص1623.

وثيابه لا تتسخ ولا تبلى»⁽¹⁾.

لقد ذكر تظليل الغمام في البقرة والأعراف، من باب تعداد النعم على بني إسرائيل، كما أنه تسجيل وتاريخ لهم، ولم يذكر تظليل الغمام في طه، لأنّ التيه لم يأت بعد، كما أن المفسرين لم يذكروه بما في ذلك الزمخشري في الكشاف⁽²⁾.

— عمدت لغة الخطاب إلى ذكر الظلم كظاهرة أصيلة في بني إسرائيل وكسبب رئيس فيما حلّ بهم من العقوبات والويلات، كما ورد في [المثال:09]،

— إن الجملة العربية قد تتعرض لحذف جزء منها وأن السياق يوحى بالمحذوف، ويملاً الفراغات الحاصلة عن هذا الحذف، وهذا ما لمسناه في آيات قصة موسى عليه السلام، فقد وجدنا أن الحذف سر من أسرار الإعجاز القرآني، بما يضيفه على الناس من دلالات تعبيرية تتسق مع السياق اللغوي والحالي.

— إن تماسك السياق القرآني ودقة أسلوبه وعظمة إعجازه تجعل أحداث القصة ومشاهدها تتساق في ذهن المخاطب (المتلقي)، وهذا يجعله قادراً على أن يكمل مواضع الحذف، ويملاً فراغات النص بطريقة يسيرة، وهذا يؤدي إلى تحريك خياله، وإشراكه في بناء القصة، وصياغة أحداثها، والعيش مع شخصياتها.

و- حذف أكثر من جملة:

(1) — الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص271.

(2) — المصدر نفسه، ج4، ص99.

| الرقم | الشاهد | الجمل المحذوفة | الشرح |
|-------|---|---|---|
| 01 | ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ ١١١ يَا تُوتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ١١٢ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ ١١٣ [الأعراف: 111-113] | فأرسل فرعون في المدائن حاشرين، فحشروا، وجاء السحرة من المدائن فحضروا عند فرعون. | تقدير الجمل المحذوفة كالاتي: فأرسل فرعون في المدائن حاشرين، فحشروا، وجاء السحرة من المدائن فحضروا عند فرعون. |
| 02 | ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلِيقِينَ ﴾ ١١٥ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: 115-116] | قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين. | استأذن السحرة موسى في الأعراف وطه، في أيهما يبدأ أولاً، ولم يذكر الاستئذان في الشعراء، بل اقتصر على ذكر قول موسى عليه السلام للسحرة بالإلقاء، وهذا لأن سورة الشعراء كانت مغيبة ببيان عناية موسى عليه السلام بأمر الرسالة، فلم يكن لذكر الاستئذان غرض، لهذا تم حذف الجمل الدالة عليه. ومن ناحية أخرى نلاحظ مدى التماسك بين أحداث القصة في السور الثلاث، إذ دلّ السياق على خصوصية الخطاب القرآني وتماشيه مع أحداث قصة موسى عليه السلام. |
| | ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ ٦٥ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِأَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا نَسَعَى ﴾ [طه: 65-66] | | |
| | ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ ٤٣ فَالْقَوْمُ جِبَاهُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ ٤٤ [الشعراء: 43-44] | | |

| | | |
|---|--|--|
| <p>كان الخطاب في البداية موجها إلى موسى عليه السلام لوحده في سيناء، ولم يكن هارون موجودا في ذلك الحوار، ثم نجده حاضرا في المشهد ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى﴾، لأن الأحداث قد انتقلت من طور سيناء، إلى مصر حين إبلاغ موسى أخاه بالأمر الرباني.</p> | <p>غياب هارون عن جملة أحداث الحوار.</p> | <p>03 ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿فَأَنبَاهُ فِقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَّبَعِ الْهُدَى﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ﴿٥٠﴾ [طه: 42-50]</p> |
| <p>الحدث ذا علاقة بمحور السورة، وهو مناجاة الله تعالى لموسى عليه السلام في الوادي المقدس طوى، والتسارع في عرض هذا الحدث كان بطيئا، بينما في أحداث مواجهة فرعون ازداد التسارع حتى وصل إلى ذروة التأزم في القصة المتمثل في تهديد فرعون للسحرة.</p> | <p>أحداث مواجهة فرعون موسى عليه السلام</p> | <p>04 ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿فَلَا قُطِعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا أُصْلِبْتُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنْعَلِمَنَّ أَتَيْنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ ﴿٧١﴾ [طه: 71]</p> |

| | | |
|---|--|--|
| <p>حذف من الكلام ذهاب موسى وهارون إلى فرعون، ودخولهما عليه، وقيامهما بتبليغ ما أمرهما الله تعالى به، وقد دل السياق على المحذوف، وهذا تسريعا للمشاهد وتواليها، والتقدير: فأتيا فرعون فقولا: إنا رسولا رب العالمين، أنا أرسل معنا بني إسرائيل، فذهبا إلى فرعون، واستأذنا عليه، وبلغاه رسالة ربه، فقال فرعون لموسى: ألم نريك فينا وليدا، محاولا صرفه عن مضمون دعوته، بتذكيره بخطئه القديم.</p> | <p>ذهاب موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون، ودخولهما عليه وقيامهما بتبليغ ما أمرهما الله به</p> | <p>05 ﴿ فَأْتِيََا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴿ الشعراء: 16-18]</p> |
| <p>أضمر الخطاب القرآني قصة موسى عليه السلام قبل المولد، لأنها لا تخدم الغرض الرئيس للقصة، وهذا يعني أن هناك أحداثا محذوفة، والغرض من هذا تسريع وتيرة عرض الأحداث، وإيرادها متعلقة بولادة موسى، والظروف المحيطة بذلك في هذا التمهيد، المتعلق بفرعون وهامان وفسادهما في الأرض. ففي هذا التمهيد مرور سريع على فترات زمنية طويلة.</p> | <p>الجمل المتضمنة لقصة موسى عليه السلام قبل المولد.</p> | <p>06 ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ لَكَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴿ القصص: 4-6]</p> |

| | | |
|---|--|--|
| <p>فهنالك أحداث ثانوية حذفت يدركها المتلقي من خلال السياق تقديريها: فأرضعته، وخافت عليه، فألقته في اليم، غير خائفة ولا حزينة، متأكدة من وعد الله، فرأى جنود فرعون الصندوق الذي فيه موسى، وهو على سطح الماء، فالتقطوه، والمخدوف يحقق التماسك هنا، وهو بمثابة الرابط الدلالي بين الآيتين [7-8].</p> | <p>فأرضعته/ فخافت عليه/فألقته في اليم/غير خائفة ولا حزينة/متأكدة من وعد الله/فرأى جنود فرعون الصندوق الذي فيه موسى على سطح الماء فالتقطوه.</p> | <p>07 ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَطْعَةُ: ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص: 7-8]</p> |
| <p>لم يذكر القرآن الكريم أحداث حياة موسى عليه السلام، من مرحلة طفولته إلى مرحلة عنفوان الشباب، وهذا تماشياً مع الغرض الذي سقناه سابقاً.</p> | <p>حذفت أحداث القصة من الطفولة إلى مرحلة الشباب.</p> | <p>08 ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آمِهِ كَىٰ نَقُرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص: 13-14]</p> |
| <p>تقدير الحذف هو: أي فقبل الدعوة وسار معها، فلما وصل إليه، أو فلما جاءه، وقص عليه القصص، قال لا تخف، وهي جمل ثانوية تعتمد في ذكرها على السياق، وعلى مراعاة الجمل الأساسية، وترتيب الأحداث وتعاقبها.</p> | <p>أي فقبل الدعوة وسار معها، فلما وصل إليه، أو فلما جاءه وقص عليه القصص، قال لا تخف.</p> | <p>09 ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص: 25]</p> |
| <p>تقدير الحذف المتعلق بقصة موسى عليه السلام: فسار موسى</p> | <p>فسار موسى عليه السلام وقومه</p> | <p>10 ﴿ فَأَخَذْتَهُ وَجُنُودَهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ [القصص: 40]</p> |

| | | |
|---|--|--|
| <p>وقومه وهم خائفون من فرعون وجنوده، فأمر الله بضرب البحر بالعصا، فكان كل فريق كالطود العظيم، وعبر موسى وقومه آمنين، ثم أتبعه فرعون وجنوده، فأخذناه فنبذناهم في اليم،</p> | <p>وهم خائفون من فرعون وجنوده، فأمر الله بضرب البحر بالعصا، فكان كل فريق كالطود العظيم، وعبر موسى وقومه آمنين، ثم أتبعهم فرعون وجنوده، فأخذناه فنبذناهم في اليم.</p> | |
|---|--|--|

من خلال الجدول يتبين ما يأتي:

يساهم حذف الجمل في تسريع توالي الأحداث، والتعاقب بين المشاهد بسهولة ويسر، كما ورد في [الأمثلة: 06/05/04/01]، ففي [المثال: 01] مثلاً يدل حذف الجمل على مدى سرعة تنفيذ الحاشرين لأوامر فرعون، ومدى سرعة استجابة السحرة لأمره.

يأتي حذف الجمل مناسباً لسياق كل سورة ورد فيها، كما في [المثال: 09/08/07/02]، إذ دل السياق على خصوصية الخطاب القرآني، وتماشيه مع أحداث قصة موسى عليه السلام، وللسياق دور كبير في التوصل إلى العنصر المحذوف.

ينتقل الحذف بالمتلقي عبر الزمان والمكان، كما في [المثال: 03]، حين طوى الأزمنة، واختصر المشاهد، ليجد القارئ نفسه مع موسى وأخيه في مواجهة فرعون.

يترك حذف الجمل المجال للمتلقي لكي يقومك بملء الفراغات تحقيقاً للتفاعل بين النص والمتلقي، كما في [المثال: 10]، فإن هذه الأحداث ثانوية لا تخدم الجو العام للسورة، وسياقها اقتضى حذفها.

الحذف من العلاقات التي تضمن تماسك النص وترابطه، حيث يمكن التعرف على المحذوف اعتماداً على أدلة سياقية.

3- الاستبدال Substitution:

3-1- تعريف الاستبدال:

يعرف محمد خطابي الاستبدال عند هاليداي ورقية حسن، بقوله: «الاستبدال عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر»⁽¹⁾.

والاستبدال علاقة اتساق في المستوى النحوي المعجمي، بين كلمات أو عبارات⁽²⁾، وتخضع هذه العلاقة لقواعد دلالية ومعنوية تحكمها، إذ إن وجود العنصر المستبدل رهين بموقعه في التركيب الداخلي للخطاب، وتقابله مع ما يسبقه وما يليه من عناصر معجمية أو تركيبية تستدعي عناصر أخرى من خارج الخطاب في الذاكرة⁽³⁾.

(1) محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 19.

(2) المرجع نفسه، ص ن.

(3) عثمان أبو زنيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ص 122.

فلاستبدال إذن علاقة نصية سابقة، حيث يتم الربط من خلال وقوع العنصر المستبدل أولاً، ثم استخدام العنصر البديل بعد ذلك، وقد يقع الاستبدال اللاحق في سياقات معينة.

3-2- الاستبدال عند القدماء والمحدثين:

عالج النحاة القدماء الاستبدال في حدود نحو الجملة، متخذين من وضع عنصر لغوي موضعاً آخر في سياق معين، دليلاً على صحة الاستعمال، وقد تتبع محمود أحمد نحلة هذا المفهوم عند سيبويه، حيث يقول: «على أن سيبويه لم يذكر مصطلحاً خاصاً لهذا النهج الاستبدالي، وخلا كتابه من الفعل "استبدل" أو مصدره، أو أي مشتق من مشتقاته، ذلك بأنه - كما أشرنا - غير معني بالإيضاح النظري لهذا الأساس في كتابه، بل يتجه مباشرة إلى استخدامه في التحليل اللغوي، لكنه يشير إلى القدرة الاستبدالية لعنصر من العناصر اللغوية، باستخدام كلمات وعبارات يراوح بينها، وأهمها: بمنزلة، وقع موقع، جرى مجرى، كأنك قلت، في معنى، في موضع، وتقول... كما تقول، يوافق قولك، على أننا نلقت إلى أنه يستخدم بعض هذه الألفاظ والعبارات في غير الدلالة على الاستبدال، وأن قوله في معنى لا يعني به في الأغلب المعنى الدلالي، بل المعنى التركيبي أو الوظيفي»⁽¹⁾.

كما تتبع محمود أحمد نحلة هذا الأمر عند سيبويه والمبرد، وابن السراج، حيث يقول: «وقد سلم النحاة بصحة استبدال الجملة بالمفرد، فجعلوها صفة لنكرة إن صح استبدالها بمفرد صفة لنكرة، قال سيبويه: «تقول: هذا رجل ضربنا، فتصف بها النكرة، وتكون في موضع ضارب إذا قلت: هذا رجل ضارب»، وقال المبرد: «وإنما تكون الجمل صفات للنكرة وحالات للمعرفة؛ لأنَّ (يَفْعَل) إنما هو مضارع (فاعل)، فهو نكرة مثله، ألا ترى أنك تقول: مررت برجل يضرب زيدا كما تقول: مررت برجل ضارب زيدا، وتقول: مررت بعبد الله يبني داره، فيصير (يبني) في موضع نصب لأنه حال، كما تقول: مررت بعبد الله بانبا داره»⁽²⁾.

وكذلك قول ابن السراج: «وتقول: مررت برجل قائم أبوه فترفع الأب وتجري قائماً على رجل، لأنه نكرة وصفته بنكرة، فصار قولك: مررت برجل يقوم أبوه»⁽³⁾.

(1) _ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، القاهرة، 2002م، ص207-208.

(2) _ محمد سالم أبو غفرة، السبك في العربية المعاصرة، بين المنطوق والمكتوب، ص95. وينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص16.

(3) _ المرجع نفسه، ص ن.

إلى غير ذلك من آراء القدماء حول مفهوم الاستبدال، الذي لم يتجاوز حدود الجملة، وهذا لا ينفي أن دلالة عندهم تخالف ما هو موجود عند المحدثين، كما سنرى ذلك لاحقاً في عملية التحليل التطبيقي.

أما أحمد عفيفي الذي هو من الباحثين العرب المحدثين، الذين خرجوا بمفهوم الاستبدال من حدود نحو الجملة إلى نحو النص، وذلك من خلال تطبيقه على آيات قرآنية، وأبيات شعرية، حيث يقول: «وعندما نتكلم عن الاستبدال فإننا لا بد أن نتكلم عن الاستمرارية الدلالية، أي وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة، ومن نماذج الاستبدال قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: 13]، فقد تمّ استبدال كلمة (أخرى) بكلمة (فئة) أي فئة كافرة، وتمّ الاستدلال على ذلك من النص القرآني نفسه»⁽¹⁾.

لقد حاول أحمد عفيفي في نظريته للاستبدال تطبيق ما قدمه هاليداي ورقية حسين في رؤيتهما لأقسام الاستبدال، وتطبيق تلك الأقسام على النص القرآني، وهي محاولة تؤكد انفراد النص القرآني بهذه الخاصيات اللسانية المعاصرة.

3-3- علاقة الاستبدال بالآيات النصية الأخرى:

أ- علاقة الاستبدال بالحذف:

الفرق بين الاستبدال والحذف عند هاليداي ورقية حسن، هو أن الاستبدال تعويض عنصر بآخر، أما الحذف فهو نسيان عنصر وتعيينه، كما يشير إلى أن العلاقة علاقة تضمين، فالاستبدال يتضمن الحذف، بمعنى أن الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلاً من أشكال الاستبدال، حيث يكون الاستبدال بالصفير⁽²⁾.

ب- علاقة الاستبدال بالإحالة:

الفرق بين الاستبدال والإحالة عند هاليداي ورقية حسين، هو أن الاستبدال علاقة مرجعها الصيغ اللغوية، من قبل المفردات والمركبات، وهو يتم في المستوى المعجمي النحوي، وأن الإحالة

(1) _ أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 123.

(2) _ عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، ص 113.

هي علاقة معنوية تتم في المستوى الدلالي، بمعنى أن الاستبدال علاقة بين العناصر اللغوية أو الشكل اللغوي، أو بين الكلمات والعبارات، بينما الإحالة علاقة بين المعاني، فالإحالة علاقة على المستوى الدلالي، في حين أن الاستبدال علاقة على المستوى المعجمي النحوي⁽¹⁾.

ج-العلاقة بين المستبدل والمستبدل منه:

علاقة قبلية بين عنصر سابق وعنصر لاحق في النص، يجمعهما السياق التركيبي نفسه، إما باتحاد الوظيفة أو اتحاد لموقع والوظيفة معا، إذ يحتل العنصر المستبدل موقع المستبدل منه، ويكتسب بعض ملامحه وسماته، ولا يأخذها كلها لأنه ليس إياه⁽²⁾.

كما لا يسمح بالجمع بين المستبدل والمستبدل منه معا في موقع واحد، كما لا يسمح بحذفهما معا، والغاية منه إما الإيجاز والاختصار أو الاتساع والتجوز أو التفصيل زيادة في البيان⁽³⁾.

وهذا يعني أن الاستبدال لا يكون إلا داخليا، أما الخارجي فهو نادر الوقوع، بحيث لا يكون إلا في المحادثة.

3-4-أنواع الاستبدال⁽⁴⁾:

أ-الاستبدال الاسمي: ويقصد به استعمال ألفاظ معينة مكان أسماء وردت في موضع سابق من النص، ومن ألفاظه: واحد، واحدة، آخر، أخرى، مثل:
-لقد أصبحت سيارتك قديمة جدا ألا تفكر بشراء أخرى.

ب-الاستبدال الفعلي: ويكون غالبا باستعمال الفعل (فعل-عمل)، مكان فعل خاص، أو مجموعة معلومات مبنية على أحداث مثل:

-قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي

(1) عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، ص113.

(2) عثمان أبو زنيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ص123.

(3) المرجع نفسه، ص ن.

(4) المرجع نفسه، ص ن. وينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، ص114-115. وينظر: محمد خطاي،

لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص19-20.

سَبِيلِي وَأَبْنَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿ [المتحنة: 1].

فالفعل (يفعله) يحمل محتوى مجموعة من الأعمال التي نهي الله عن فعلها.

ج- الاستبدال الجملي: وهو مجموعة المقولات التي يمكن أن تحل محل قول ما مؤدية وظيفته التركيبية.

وهذا النوع من الاستبدال ليس استبدالاً لكلمة داخل الجملة، ولكن الجملة بكاملها، وفي هذه الحال تقع أولاً جملة الاستبدال، ثم تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة، مثل الكلمات (هذا-ذلك)، مثل: هل سيكون هناك زلزال؟ هي قالت هذا.

3-5- الاستبدال في قصة موسى عليه السلام:

يشكل الاستبدال بأنواعه آلية مهمة في تحقيق تماسك قصة موسى عليه السلام، شكلياً ودلالياً، وهذا ما سنوضحه من خلال هذه النماذج في الجداول الآتية:

أ- الاستبدال الاسمي:

| الشرح | العنصر المستبدل منه | العنصر المستبدل | الشاهد | الرقم |
|--|----------------------------------|--------------------|--|-----------|
| <p>جاء الاستبدال الاسمي في هذه الآيات، مناسبة لسياق كل سورة ورد فيها، فاستبدل العصا بثلاثة أوصاف (الثعبان/ الحية/ الجان)، حيث استبدل الله اسم الثعبان في الأعراف، والشعراء، بالحية في سورة طه، وبالجان في النمل والقصص، وجاءت تسمية العصا بالثعبان، لأن فرعون يكون قد رآها كذلك ثعبانا ضخما، لأن هذا الوصف هو المؤثر في فرعون لضخامته وهوله، فناسب هذا الوصف سورتي الأعراف والشعراء، وأما طه، فوصفت فيها العصا بأنها حية، وهو وصف لطيف مقارنة بوصف الثعبان، وذلك أن الله تعالى كان لطيفا مع نبيه موسى عليه السلام، حين ناداه ب(يا موسى)، وأما وصف الجان فقد ذكر في سورتي النمل والقصص، حيث بينت سورة النمل في سياقها، شأن بني إسرائيل، من إرسال موسى عليه السلام، حتى نهاية فرعون، وأما القصص فإنها بينت حال المستضعفين في الأرض، الذي أراد الله أن ينقذهم</p> | <p>الثعبان/ الحية/ الجان</p> | <p>العصا</p> | <p>﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: 107]</p> <p>﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه: 20]</p> <p>﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء: 32]</p> <p>﴿ وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّمَّا يَعْقِبْ ﴾ [النمل: 10]</p> <p>﴿ وَأَنَّ أَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّمَّا يَعْقِبْ ﴾ [القصص: 31]</p> | <p>01</p> |

| | | | | |
|--|--------------------|--------------|---|-----------|
| <p>مما هم فيه، لطفًا منه وتكرما، فقد ذكر الله هذه القصة من الولادة إلى النجاة من فرعون وإهلاكه، وأفاض في ذكر أحوال الولادة والنشأة، وبيان اللطف بهؤلاء المستضعفين ما لم تبينه سورة غيرها.</p> | | | | |
| <p>جاء الاستبدال الاسمي في هاتين الآيتين، مناسبا للسياق الذي ورد فيه، حيث أن سياق سورة الأعراف يقتضي الإخبار عن بني إسرائيل، وأما سياق سورة الشعراء فيقتضي ذكر المعرضين عن رسالات الله، و قد كان فرعون قائدا لهذا الإعراض، لهذا كان متكلمًا في سورة الشعراء.</p> | <p>فرعون</p> | <p>الماء</p> | <p>﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: 109]</p> <p>﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الشعراء: 34]</p> | <p>02</p> |
| <p>كان الإلقاء في الأعراف للعصا بلفظها : (عصاك)، وكذلك في الشعراء: (عصاه)، وفي طه قال: (ما في يمينك)، أما سياقات استبدال اسم العصا في سورة الأعراف، هو أنها تقص خبر بني إسرائيل، والخبر يقتضي الإفصاح والبيان، لا الغموض والإبهام، ولهذا جاء سياق سورة الأعراف مخبرا عن اسم العصا بلفظها.</p> <p>وكذلك هو الحال في سياق سورة الشعراء، التي فيها بيان</p> | <p>ما في يمينك</p> | <p>العصا</p> | <p>﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف: 117]</p> <p>﴿ وَاللَّيْلِ مَا فِي يَمِينِكَ نَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: 69]</p> <p>﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الشعراء: 45]</p> | <p>03</p> |

| | | | | |
|--|--------|-------|---|----|
| <p>شأن الرسالة التي أرسل بها موسى عليه السلام، وحرصه وعنايته بها، فقد كان الشأن فيها الإفصاح بما فعل موسى عليه السلام في مغالبتهم، والذي فعله أنه ألقى عصاه فالتقمت ما القوم يافكون، أما في سورة طه فجاء السياق مصغرا لها تأكيدا لقدرة الله تعالى.</p> | | | | |
| <p>استبدل السياق القرآني اسم موسى في الأعراف بالساحر في الزخرف، لأن سياق الأعراف هو الإفصاح والبيان، لذا صرح باسمه، ولما كان السحر غالبا في ذلك الزمان قالوا: (الساحر)، ولهذا ناسب السياق جو السورة وبناءها العام.</p> | الساحر | موسى | <p>﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الأعراف: 134]</p> <p>﴿ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعَى لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الزخرف: 49]</p> | 04 |
| <p>وقع الاستبدال الاسمي بين (الرجز) في الأعراف، واسم (العذاب) في الزخرف، وقد كان الرجز في الأعراف عذابا، لأن سياق الأعراف يقص الخبر ويذكر تفاصيله، حيث فصلت أنواع هذا النوع من العذاب، كالطوفان والجراد وغيرها، أما</p> | العذاب | الرجز | <p>﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ آجَلٍ هُم بَلَّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأعراف: 135]</p> <p>﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ []</p> | 05 |

| | | | |
|--|---|--------------|--|
| <p>الزخرف، فإنها كانت تعظ المشركين، فكان المناسب أن تذكر العذاب باسمه، تخويفا لهم وترهيبا.</p> | | | <p>الزخرف: 50]</p> |
| <p>استبدل السياق القرآني (القبس) في طه (بشهاب قبس) في النمل، وفي القصص (بجدوة من النار)، وذلك أن سياق سورة طه في مقام تأنيس النبي ﷺ في دعوته، والسورة تذكر له من أحوال موسى عليه السلام مثل ذلك، وكان هذا هو بدء القصة في سورة طه، فذكرت السورة من مبدأ قصته، ما يبين خبره أول ما كلمه ربه، أما سورة النمل، فإن قصة موسى عليه السلام، وردت فيها مجملة، لهذا قدمت ذكر الخبر، وأما ما تميزت به سورة القصص، فهو لتأكيد الطلب الوارد في طه والنمل.</p> | <p>قبس/شهاب قبس/جدوة من النار</p> | <p>النار</p> | <p>﴿ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى ﴾ [طه: 10]</p> <p>﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَاتِيكُم مِّنْهَا خَبْرٌ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل: 07]</p> <p>﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص: 29]</p> |
| <p>استبدل الله اسمين وردا في سياق واحد، وهما (البحر) و(اليَمِّ)، حيث يظهر هذا الاستبدال بدءا من لفظ (البحر) في الآية الأولى، إلى لفظ (اليَمِّ) في الآية الثانية، وهما بمعنى واحد، فساهما في تماسك الآيتين رغم اختلافهما، إلا أن سياقهما</p> | <p>اليَمِّ</p> | <p>البحر</p> | <p>﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۗ ﴿٧٧﴾ فَانْبَعَثَ مِنْهُمُ فرعونُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ [طه: 77-78]</p> |

| | | | | |
|----|---|--------|-------|---|
| | | | | واحد. |
| 08 | ﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء: 58] ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [الدخان: 26] | الكنوز | الزرع | استبدل السياق القرآني الزرع بالكنوز مناسبة لسياق كل آية وقع فيها، ذلك أن سياق سورة الشعراء بصدد عرض النعم التي أترف فيها بنو إسرائيل (جنات/عيون/كنوز)، وهي لأهل الجاه والسلطان منهم، أما الزرع فهي للامة من بني إسرائيل. |
| 09 | ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سَعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [النمل: 12] ﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَنِّبَكَ بِرَهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [القصص: 32] | القوم | الماء | استبدل الماء بالقوم مناسبة لكل سياق، ذلك أن سياق سورة النمل جاء مجملا، لذا قال القوم بعمومهم، وسياق سورة القصص يقتضي التفصيل في أحداث القصة، فذكر الماء وذكر علاقتهم بفرعون. |
| 10 | ﴿ وَإِذْ نَنْقُنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: 171] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُم | الجبل | الطور | استبدل السياق القرآني الجبل في الأعراف بالطور في البقرة والنساء، وهما بمعنى واحد، كما ساهم الاستبدال في تماسك هذه السور الثلاث، وجاء السياق واحدا. |

| | | |
|--|--|---|
| | | <p>يُقَوِّةً وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ [البقرة: 63]</p> <p>﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَأُ يَا مَعْرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ [البقرة: 93]</p> <p>﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿ [النساء: 154]</p> |
|--|--|---|

من خلال قراءة الجدول يتبين ما يأتي:

— مناسبة الاستبدال الاسمي لسياق كل سورة ورد فيها،طمأنة لنبية موسى عليه السلام، ولطفًا بحمد ﷺ، باعتباره المعني بالخطاب، كما ورد في [المثالين: 02/01]، فقد جاء الاستبدال في هذا السور، متناسبا مع السياق الذي ورد فيه كل وصف لعصا موسى عليه السلام، فالعصا واحدة، والأوصاف مختلفة باختلاف المواقف، والغرض واحد، وهو بيان قدرة الله عز وجل في مجابهة الرافضين للحق، وعليه فقد كان الخطاب في هذه السورة متماسك النسيج والبناء، وكان الاستبدال الآلية التي تحقق بها هذا التماسك.

— يأتي الاستبدال الاسمي متماسكا مع السياقات الخطابية الأخرى الذي ذكر فيها هذا الاسم، كما ورد في [الأمثلة: 09/05/03]، حيث جاء كل اسم متناسبا للسياق الذي ورد فيه.

— في الاستبدال الاسمي مؤانسة للنبي ﷺ، من خلال ضرب الأمثلة الواقعية، وأن ما جرى له قد جرى للأنبياء قبله كما في [المثالين: 06/04]، حيث كانت الزخرف تخاطب قريشا وتشبه حالهم مع نبيهم ﷺ، بحال قوم فرعون مع موسى عليه السلام.

— قد يأتي الاستبدال الاسمي بلفظين مختلفين وبمعنى واحد، كما في [المثالين: 10/07]، على اعتبار المعنى الواحد الوارد في سياق واحد أيضا.

ويعرف السيوطي الألفاظ المترادفة قائلا: «والمترادفة هي التي يقام لفظ مكان لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد»⁽¹⁾.

— يدل الاستبدال الاسمي على التماسك النصي بين السور المتباعدة بنويها، والتي ذكرت فيها قصة موسى عليه السلام.

— يبين الاستبدال الاسمي مدى تماسك أحداث قصة موسى عليه السلام، ودقة السرد القرآني، بحسب نزول السور القرآنية، فالأحداث تأتي دائما متسلسلة ومتماسكة، وبهذا يتحقق البناء الفني القصصي.

ب- الاستبدال الفعلي:

(1) عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعلّق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد الجاوي، ط3، مكتبة دار التراث، القاهرة، (دت)، ج1، 01.

| الشرح | العنصر المستبدل منه | العنصر المستبدل | الشاهد | الرقم |
|---|------------------------|--------------------|---|-------|
| الفعالان متقاربان في المعنى، وسياق سورة الأعراف اقتضى لفظ الإرسال، لأن فرعون قد أرسل رسله يتبعون السحرة في مهمتهم، وكان لفظ البعث مناسب لسياق سورة الشعراء. | ابعث | أرسل | ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [الأعراف: 111] ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [الشعراء: 36] | 01 |
| استبدل السياق القرآني الفعل أوحى في سورة الأعراف بفعل الأمر ألق في طه، وبالفعل ألقى في الشعراء، مراعاة لسياق كل سورة، على أساس أن سورة الأعراف في معرض الإخبار عن بني إسرائيل، وسياق سورة طه، يتطلب السرعة في مغالبة السحرة، وأن سياق سورة الشعراء، فكان في معرض شأن الرسالة التي جاء بها موسى عليه السلام. | ألقى/ألقى | أوحينا | ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلِقْ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف: 117] ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: 69] وقوله: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الشعراء: 45] | 02 |
| سبب استبدال النظر بالرؤية في سياق واحد، لأن الرؤية تكون بالإدراك والتمعن، أما النظر فلا | النظر | الرؤية | ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ وَلَكِنِ أَنْظُرْ ۚ | 03 |

| | | | |
|--|----------------|----------------|--|
| <p>إدراك معه، لذا جاءت اللفظتان مناسبتان لموقعهما.</p> | | | <p>إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِّي^٤ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف: 143]</p> |
| <p>استبدل السياق القرآني رأى بآنس وهما بمعنى واحد، فسياقهما واحد رغم اختلافهما لفظاً.</p> | <p>آنس</p> | <p>رأى</p> | <p>﴿١٠﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنستُ نَارًا لَعَلِّي آئنيكم منها بقبسٍ أو آجدُ على النارِ هدى ﴿١٠﴾ [طه: 10]</p> |
| <p>استبدل السياق القرآني القذف بالإلقاء، وهما بنفس المعنى، لأن السياق واحد، ففي القصص جاء التفصيل في عرض الخبر، وفي طه السياق في معرض الحديث عن منن الله تعالى على موسى عليه السلام، فكان المقصود هو إلقاء أو قذف الرضيع في اليم، وليس كيفية الإلقاء أو القذف.</p> | <p>فألقيه</p> | <p>فاقذفيه</p> | <p>﴿٣٩﴾ أَنِ اقذفيه في التابوتِ فاقدفيه في اليمِ فليلقه اليمُ بالساحلِ يأخذه عدوُّ لي وعدوُّ له، وألقيتُ عليك محبةً مني ولتصنع على عيني ﴿٣٩﴾ [طه: 39]</p> <p>﴿٧﴾ وَأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمِ ولا تخافي ولا تحزني إنا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴿٧﴾ [القصص: 07]</p> |
| <p>يقع الاستبدال القرآني بين الفعلين (أرجع) في طه، والفعل (ردّ) في القصص، وهما بنفس المعنى عند أهل اللغة، وسياقهما واحد رغم اختلافهما.</p> | <p>فرددناه</p> | <p>فرجعناك</p> | <p>﴿٤٠﴾ إِذْ تَمْشى أَخْطاك فنقول هل أدلكم على من يكفله، فرجعناك إلى أمك كي نقر عيناها ولا تحزن^٥ وقلنت نفساً فنجيناك من الغم^٦ وفنناك فنونا^٧ فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر^٨ يموسى ﴿٤٠﴾ [طه: 40]</p> |

| | | | | |
|----|---|--------|--|---|
| | | | ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 13] | |
| 07 | ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 8]، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْوَسَّيْ أَفْتٍ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: 30] | جاءها | أتاها | عبر السياق القرآني في النمل بالمجيء (جاءها) وفي القصص بالإتيان (أتاها)، وهما بنفس المعنى، والسياق واحد في سورتي النمل والقصص، ويتناول موضوعا واحدا في سورتين مختلفتين، واللفظان لهما نفس المعنى والدلالة. |
| 08 | ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَجَ يَمْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي سَعِ عَائِتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [النمل: 12] | أدخل | أسلك | السياقان يتناولان موضوعا واحدا، فلا اختلاف بين الفعلين، فلكل منهما أثره في السورة التي ورد فيها، بحسب دلالاته والسياق المناسب له. |
| 09 | ﴿وَإِذْ أَجْبَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: 141] | يقتلون | يذبحون | جاءت كل لفظة مناسبة لسياق وجو السورة العام، فالأعراف ذكرت التقتيل لأن هناك صورا |

| | | | |
|--|----------------|----------------|--|
| <p>عدّة من القتل كانت تمارس على بني إسرائيل، وفي سورة البقرة ذكر الذبح ولم يذكر التقتيل، لأن البقرة في معرض الحديث عن نعم ومنن الله، والقتل أعم من الذبح، أما سورة إبراهيم فجاء سياقها مناسبا للذبح الذي كثر في الفترة التي ولد فيها موسى عليه السلام.</p> | | | <p>﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ عَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [إبراهيم: 06]</p> <p>﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ عَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [البقرة: 49]</p> |
| <p>استبدل السياق القرآني السكن بالدخول وهما مختلفان، والسياقان مختلفان أيضا، فالبقرة ذكرت النعم، ووعد الله لبني إسرائيل بالأرض المقدسة، وسياق سورة الأعراف هو الغاية من الدخول، لذا جاءت مفصلة لفعل الدخول وهو السكن.</p> | <p>أدخلوا</p> | <p>أسكنوا</p> | <p>10</p> <p>﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأعراف: 161]</p> <p>﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة: 58]</p> |
| <p>الفعالان بمعنى واحد، ولسياقين مختلفين، يتناولان موضوعا واحدا.</p> | <p>فأنزلنا</p> | <p>فأرسلنا</p> | <p>11</p> <p>﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يُظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف: 162]</p> <p>﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا</p> |

| | | | |
|--|----------------|----------------|---|
| | | | <p>مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿البقرة: 59﴾</p> |
| <p>استبدل السياق القرآني فعل الانجاس بالانفجار، ومعناها قريب، يتناولان جزئية واحدة، هي طلب السقيا في قصة واحدة هي بني إسرائيل وجاء كل لفظ مناسباً للسياق العام للسورة التي ورد فيها.</p> | <p>فانفجرت</p> | <p>فانبجست</p> | <p>12 ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ ۖ أَنِ اصْرِبِ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ ۖ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿الأعراف: 160﴾</p> <p>﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿البقرة: 60﴾</p> |

من خلال قراءة الجدول يتبين ما يأتي:

– القول بالترادف يسمح باستخدام أحد الفعلين مكان الآخر، و يسهم في تحقيق التماسك النصي في قصة موسى عليه السلام، من خلال إمكانية التعبير باللفظة مكان الأخرى في نفس السياق القرآني، أو في سياقين مختلفين، كما ورد في [الأمثلة: 01/ 03/ 04/ 05/ 06/ 07/ 08/ 11/ 12] ، ففي [المثال: 01] قال الخطيب: «الجواب أن يقال: اللفظتان نظيرتان، تستعمل إحداهما مكان الأخرى، وقد جاء: بعث الرسول وأرسله، معا»⁽¹⁾.

وبهذا قال أيضا ابن عاشور، فأشار إلى أنّ الفعلين (أرسل، أبعث)، مترادفان⁽²⁾.

– تأتي كل لفظة في السياق المناسب لها في الموضوع الواحد، كما ورد في [الأمثلة: 02/ 09/ 10]، وهذا يعني أن آلية الاستبدال قد ساهمت في ربط هذه الأحداث وأحدثت تماسكا نصيا بينها.

ج- الاستبدال الجملي:

(1) _ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين، ط01، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1422هـ _ 2001م، ج02، ص654 .

(2) _ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص43-44.

| الرقم | الشاهد | الجملة المستبدلة | الجملة المستبدلة منها | الشرح |
|-------|---|--|---|---|
| 01 | <p>﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: 103]</p> <p>﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس: 75]</p> | <p>(...فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين).</p> | <p>(...فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين).</p> | <p>لما قابل بنو إسرائيل النعم بالجحود، كان عاقبتهم الخسران (فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وسياق سورة يونس يتعرض لموقف المشركين من الرسول ﷺ، وتبين علاقة موسى وهارون عليهما السلام بفرعون وقومه.</p> |
| 02 | <p>﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ [الأعراف: 115]</p> <p>﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ [طه: 65]</p> | <p>(...وإما أن نكون نحن الملقيين).</p> | <p>(...وإما أن نكون أول من ألقى).</p> | <p>وقع الاستبدال الجملي في صيغة الاستثان، وجاء مناسبا لسياق السورة الوارد فيها، فالأعراف أظهرت استعلاء السحرة، فجاء السياق مفصلا للخبر، وسياق سورة طه بصدد الحديث عن العناية الربانية بموسى عليه السلام، ومؤانسة قلب النبي ﷺ، لذا جاء تخيير السحرة لموسى عليه السلام.</p> |
| 03 | <p>﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا</p> | <p>(...تلقف ما</p> | <p>(...تلقف ما</p> | <p>اختصت كل جملة بسياق السورة الواردة فيها، فالأعراف</p> |

| | | | |
|---|--|---|--|
| <p>سياقها يقص الخبر ويفصله، وبينت ما حصل من شأن السحرة، وسياق سورة طه ذكر دقة كيد السحرة، لذا ناسبه لفظ (الصنع)، وسياق سورة الشعراء فقد وصف فعل العصا بسحر السحرة فسماه إفكا لقفته العصا.</p> | <p>صنعوا...).</p> | <p>يأفكون). (...تلقف ما يأفكون).</p> | <p>يَأْفِكُونَ ﴿ [الأعراف: 117] ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا...﴾ [طه: 69] ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿ [الشعراء: 45]</p> |
| <p>سياق سورة الأعراف يتطلب استقصاء الخبر، فبينت رد السحرة كاملا على فرعون، أما سورة طه فإن المناسب لسياقها هو ذكر حال المستضعفين من قوم موسى عليه السلام، تأنيسا لهم، وأما الشعراء فسياقها هو مؤانسة النبي ﷺ، لذا جاءت كل جملة مناسبة لسياق وجو السورة العام.</p> | <p>قالوا لن نُؤثرك على ما جاءنا...).</p> | <p>قالوا إنا إلى ربنا لمنقلبون). قالوا لا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون).</p> | <p>04 ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ ءَأَمَّنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: 125-126] ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾﴾ [طه: 72-73] ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَنْطَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا</p> |

| | | | | |
|--|------------------------------|---|--|-----------|
| | | | <p>رَبَّنَا خَطَيْنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ [الشعراء: 50- 51]</p> | |
| <p>ناسبت كل جملة سياق كل سورة وردت فيها، ففي الأعراف التي تتقصى الخبر وتفصله، جاء فيها الخطاب للفريقين _ من أطاع موسى عليه السلام ومن عصاه_ أم في سورة طه لفريق واحد، لذا جاء السياق بهذه الجملة تمهيدا للومهم، كما أن سياق سورة طه فيه تثبيت لقلب النبي ﷺ، لأن ما جرى له ﷺ قد جرى لموسى عليه السلام.</p> | <p>(... فأخلفتم موعدي).</p> | <p>(... بئسما خلقتموني...).</p> | <p>﴿...بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ...﴾ [الأعراف: 150]</p> <p>﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: 86]</p> | <p>05</p> |
| <p>جاءت كل جملة مناسبة لسياق السورة العام الواردة فيها، وساهم هذا الاستبدال في تماسك السور الثلاث، فجاء لفظ الإتيان مناسبا لسياق سورة طه، لبيان حالة موسى عليه السلام، وهو يتلقى أمر الرسالة، وأما القصص فكانت دائمة التفصيل لحالة موسى عليه السلام، وجاء اللفظ عاما في النمل لأنها تعرض قصة موسى عليه السلام بصورة إجمالية.</p> | <p>(فلما جاءها نودي...).</p> | <p>(فلما أتاها نودي يا موسى). (فلما أتاها نودي...).</p> | <p>﴿فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه: 11-12]</p> <p>﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 8]</p> | <p>06</p> |

| | | | | |
|----|---|--|---|--|
| | | | ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُحْ إِيَّتِي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص: 30] | |
| 07 | ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمِعُونَ ﴾ [الشعراء: 25] ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الشعراء: 34] | (قال لمن حوله...) . | قال للملأ حوله...). | الجملة الأولى كانت خطابا من فرعون لمن حوله، وذلك أول ما جاءه موسى عليه السلام، أما آية الشعراء الثانية فهي في سياق استمرار مناظرة موسى عليه السلام لفرعون. |
| 08 | ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: 59] ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [الدخان: 28] | (كذلك وأورثناها بنو إسرائيل). | (كذلك وأورثناها قوما آخرين). | سياق الآيتين واحد في الموضوع الذي أورد قصة موسى عليه السلام، وصرحت سورة الشعراء (بنو إسرائيل)، لأنها تعرض الصراع بين موسى عليه السلام وقوم فرعون، أما سياق سورة الأعراف فهو بيان حال المستضعفين، وفي هذا تثبيت لقلب النبي ﷺ. |
| 09 | ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: 171] | (خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون). | (...خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا...). | جاءت الجمل مناسبة للسياق الذي وردت فيه، حيث سياق سورة البقرة، في موقف تعداد النعم على بني إسرائيل، وسياق سورة الأعراف مثل البقرة في تعداد النعم، وكما هو |

| | | | |
|--|--|---|---|
| <p>مسجل الآن، من أن موضوع هذه الآيات واحد، لكن تعدد سياق كل آية، مما أدى إلى تماسكها، على الرغم من البعد البنيوي بين سورة الأعراف والبقرة في ترتيب النزول، فالأعراف في المرتبة (39)، والبقرة في المرتبة (87)، وهنا يكمن الإعجاز القرآني.</p> | | <p>(خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون).</p> | <p>﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 63]</p> <p>﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: 93]</p> |
|--|--|---|---|

من خلال قراءة الجدول يتبين ما يأتي:

— يراعي الاستبدال الجملي ترتيب أحداث قصة موسى عليه السلام زمنياً، كما في [المثال: 01]، فقد بيّن السياق أن الموضوع واحد، فاستبدل الجملة الأولى بالثانية بحسب ترتيب النزول، إذاننا بأن الإرسال معاناة وكفر وعصيان، فمسّ الإفساد موسى لوحده، لأنّه المعني بأداء الرسالة وتبليغها، ومسّ الإجرام موسى وهارون، الذي كان سندا لأخيه، وما يتعرض له موسى عليه السلام من أذى حتماً سيصيب أخاه هارون.

— في الاستبدال الجملي مؤانسة لقلب النبي ﷺ ولطف به، وتجلى هذا في سياق الآيات، كما في [الأمثلة: 08/05/04/02]، من خلال العناية الربانية بموسى عليه السلام، والخطاب القرآني موجه للرسول ﷺ ومن بعده قومه.

— اختصت كل سورة بسياقها العام، وساهم الاستبدال الجملي في تحقيق التماسك والانسجام بين أحداث قصة موسى عليه السلام، تبعاً لسياق السورة الواردة فيها، كما في [الأمثلة: 03/09/07/06].

— ساهم الاستبدال الجملي في تماسك بناء قصة موسى عليه السلام، رغم البعد البنيوي بين السور المتضمنة قصة موسى عليه السلام، كما جاءت كل جملة في سياقها العام المناسب للسورة التي وردت فيها.

— إن الاستبدال بأنواعه الثلاثة: (الاسمي، الفعلي والجملي)، آلية تساهم في تماسك أحداث قصة موسى عليه السلام، وفي النص القرآني في عمومته، كما تساهم أيضاً في البناء القصصي وللسياق دوره الفعال في إحداث هذا الانسجام.

4- الوصل Conjunction:

يشكل الوصل عاملاً مهماً في بناء النصوص، والوصول إلى أبعاده الدلالية التي يرمي إليها منتج النص من جهة أخرى، من أجل التأثير في المخاطب، ويتأتى ذلك بالعلاقات النحوية والدلالية المختلفة، بمعنى أنه يحقق التماسك على مستوى الألفاظ، وعلى مستوى الجملة، وعلى مستوى مجموعة من الجمل، وعلى مستوى الفقرات، وعلى مستوى النصوص.

ويوجد الوصل بمصطلحات أخرى دالة عليه، مثل: العطف، الربط، الترابط.

4-1- تعريف الوصل:

أ- الوصل/لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: «(وصل): الواو والصاد واللام: أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه... والواصلة في الحديث: التي تصل شعرها بشعر آخر زورا»⁽¹⁾.

ويقول في تعريفه للربط: «(ربط): الراء والباء والطاء: أصل واحد يدل على شد وثبات، من ذلك ربطت الشيء أربطه ربطاً، والذي يشد به رباط»⁽²⁾.

فالربط في اللغة هو مصدر، وهو دلالة على شد الشيء إلى الشيء والثبات، وإلحاق الثاني بالأول وتعلقه به ورجوعه إليه.

وكذلك الوصل في اللغة، هو الضم والتعلق والترابط، فكلا من الوصل والربط لغة بمعنى واحد.

ب- الوصل/اصطلاحاً:

أسلوب يربط بين أجزاء الكلام، ويصل معانيه بعضها ببعض، وبه تتألف أركان القول، وتتوحد مجرياته، وبه يتحصل الإيجاز، ويظهر أثره في ترابط النص، وبناء تنظيمه⁽³⁾.

إنّ الربط هو العملية التي بواسطتها تتصل جمل النص، من أجل إقامة علاقة دلالية بينها، وأشار القدماء إلى هذا المصطلح، إلا أن أحداً لم يشر إلى إدراك حقيقة الربط باعتباره قرينة لفظية، أو بوصفه أسلوباً نحويًا يعمل على تماسك النص وتوثيق عناصره تراكيبيًا.

لقد تناول القدماء من أمثال الخليل، وسيبويه والكسائي والفراء، الربط من خلال تناولهم الأدوات والحروف، ولم يتحدثوا عنه بوصفها قرينة لفظية أو تفيد الربط، فمثلاً ابن السراج كانت له الريادة في ذلك؛ بأن الربط قرينة لفظية وظاهرة تركيبية، حيث يقول: «حروف الجر تصل ما قبلها وما بعدها فتوصل الاسم بالاسم، والفعل بالاسم، ولا يدخل حرف الجر إلا على الأسماء... وأما إيصالها الاسم بالاسم، فقولك: الدار العمرو، وأما وصلها الفعل بالاسم فقولك: مررت بزيد،

(1) _ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (وصل)، ج6، ص115.

(2) _ المصدر نفسه، مادة (ربط)، ج2، ص478.

(3) _ عثمان أبو زنيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ص247.

فالباء هي التي أوصلت المرور بزيد⁽¹⁾.

كما بيّن الجرجاني أن الوصل والفصل أحد التحليلات السطحية والعميقة لتماسك النص واتساقه معتمدا على مجموعة من القواعد والقيود النحوية التي بلورها النحاة، من أجل ضبط العطف، كما تتنوع ذكر الواو بين الصفة والموصوف، أو بين التأكيد المؤكد، وتميزه بين عطف المفرد على المفرد، وبين عطف الجملة على الجملة، فمن فائدة العطف على المفرد، اشتراك الثاني في الإعراب مع الأول؛ أي أن الواو العاطفة تفعل الحكم الإعرابي إلى الثاني، فإذا كان الأول مرفوعا أو مجرورا أو منصوبا كان الثاني كذلك⁽²⁾.

إن العطف عند الجرجاني له أثره البارز في الربط بين مكونات النص، حيث جعل هذا الأمر، يعتبره سرا من أسرار البلاغة.

أما عند العرب المحدثين، فيعتبر محمد الشاوش، أن مبحث العطف من الظواهر المشتركة في البنية النصية، والجمالية، باعتباره ظاهرة لها أهميتها على مستوى الجمل أو النصوص⁽³⁾.

أما الربط عند أحمد عفيفي، فيعتمد على الروابط السببية المعروفة بين الأحداث التي يدل عليها النص، وهي عبارة عن وسائل متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض، بطريقة تسمح بالإشارة إلى هذه المتواليات النصية مثل لأن، وعليه، أو، ولكن... الخ⁽⁴⁾.

إذن الوصل عند النصيين العرب المحدثين هو رابط تركيبية، يربط بين عنصرين بينهما ارتباط دلالي.

وعند الباحثين الغربيين نجد هاليداي ورقية حسن، يعتبران الوصل عنصر من عناصر التماسك النصي، ويريان أنه يتمثل في الطريقة التي يرتبط بها اللاحق بالسابق بشكل منظم، وأن النص يتمثل في جمل أو متواليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك بوصفها وحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة بينها⁽⁵⁾.

(1) _ ابن السراج، الأصول في النحو، ج1، ص408.

(2) _ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص222-223.

(3) _ محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ج1، ص402.

(4) _ أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص128.

(5) _ محمد سالم أبو غفرة، السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، ص136.

أما الربط عند روبيرت دي بوجراند، فيقول عنه تمام حسان: «وفي رأي المؤلف أنه إذا كانت إعادة اللفظ والاشتراك في الإحالة والحذف، تحافظ على بقاء مساحات المعلومات، فإن الربط يشير إلى العلاقات بين المساحات أو بين الأشياء في هذه المساحات...»⁽¹⁾.

وعليه فالربط عند النصيين الغربيين هو أيضا رابط تركيبي بين سابق ولاحق، يساهم مع غيره من الآليات النصية الأخرى في تحقيق التماسك الدلالي بين الجمل.

4-2- عناصر الوصل:

الروابط تحدد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق في النص بشكل منظم، ويحتاج النص إلى عناصر تربط بين أجزائه، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي⁽²⁾:

أ- عناصر ربط إضافي: -ومن ألفاظه مثلا (الواو)، وتتبعها تعبيرات أو ألفاظ أخرى مثل: على سبيل المثال، أعني، نحو... الخ.

ب- عناصر ربط عكسي: ومن تعبيرات الربط العكسي، فيقصد به ألفاظ تدل على السلب غالبا، كما هي ألفاظ الاستدراك التي تربط بين جزأين من النص، يكون اللاحق غالبا غير متوقع مقارنة مع السابق، وقد يكون معاكسا له تماما، مثل: لكن على الرغم من ذلك، مع هذا... الخ.

ج- عناصر ربط سببي: -ومن تعبيراته أدوات توضح العلاقة المنطقية بين الجمل نحو: هكذا، ولذلك، والفاء، لأن... الخ. ومن ضمن ما يندرج في علاقات الربط السببي علاقات السبب والنتيجة والطلب والشرط.

د- عناصر ربط زمني: ويتكون من جزأين من النص متتابعين زمنيا، ومن التعبيرات الرابطة في هذا المجال: ثم، وأخيرا، وفي النهاية، وفي المساء... الخ.

إن هذه الأقسام تضبط العلاقة القائمة بين النص متمثلا في اللغة، وبين عامله المتمثل في الدالة.

4-3- وظيفة الوصل:

تتمثل وظيفة الوصل في ربط الكلام بعضه ببعض، فأدوات العطف كما يقول سيبويه:

(1) _ روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص35.

(2) _ ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص23-24.

«علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل، وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص»⁽¹⁾.

ومن وظيفة الوصل أيضا تحقيق التماسك النصي بطريقتين⁽²⁾:

الأولى: تحقيقها للربط كونها حلقة وصل بين أجزاء الخطاب بالمختلفة.

الثانية: تحقيقها لسمة الاختزال في الخطاب، مما ينتج عنه نص متماسك.

وعليه فإنّ للوصل دور مهم في تماسك النصوص والجمل، كما أنّه ينتج عن انسجام الدلالة النصية، وهو أحد مظاهر التماسك، يكسب النص حركة دلالية مع عوالمه المختلفة.

لقد أدرك علماء العرب أهمية الوصل في تحقيق التماسك على مستوى الجملة والجملتين والنص، مما يعني هذا أنّه يحقّق التماسك الشكلي والدلالي معا، كما أنّه يعطي إشارة واضحة على أهميته في بناء واتساق النص وتماسكه.

4-4- الوصل في قصة موسى عليه السلام:

التأمل القرآن الكريم يدرك جيدا أنه لا تخلو سورة من سوره من هذه الأداة، وهي تكثر أو تقل بحسب طول وقصر السورة، فكل أداة من هذه الأدوات أدى استخدامها إلى حذف كلمات وجمل، ولو لم تحذف لأدى وجودها إلى الحشو الزائد، الذي ينتزه القرآن الكريم عنه، ومن ناحية التماسك النصي، فكلما ازدادت عدد أدوات العطف، ازدادت قوة التماسك بين مكّونات النص⁽³⁾، ليخرج في النهاية نصا محكما متماسكا، وهذا ما سنقف عليه عند تطبيق هذه الأداة النصية على قصة موسى عليه السلام، ومدى مساهمتها في تحقيق تماسكها النصي، والنماذج الآتية توضح ذلك:

(1) _ سيبويه، الكتاب، ج1، ص437.

(2) _ خليل بن ياسر البَطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص185.

(3) _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، ص258.

| الشرح | عناصر الوصل | الشاهد | الرقم |
|---|--|--|-------|
| سياق السورة اقتضى الربط ب(ثم)، لأن قصة موسى عليه السلام تُذكر مباشرة بعد قصص (هود/نوح/شعيب/صالح)، التي تم ربطها ب(الواو)، أما قصة موسى عليه السلام فتم الربط ب(ثم)، التي تفيد الترتيب الزمني لأحداث القصة | [ثم:عنصر ربط زمني]. | ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ [الأعراف: 103] | 01 |
| سياق هذه الآيات تطلب الجمع بين عنصري الوصل الإضافي والسببي، لأن موسى عليه السلام، لما ألقى عصاه أعقبه مباشرة من دون فاصل زمني فعل إلقاء السحرة ساجدين. | [الواو:عنصر ربط إضافي]. + [الفاء:عنصر ربط سببي]. | ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الأعراف: 117-120] | 02 |
| ورد عنصر الربط الإضافي (الواو) في سورة إبراهيم، لأن سياقها يتضمن تذكير موسى عليه السلام لهم بنعم الله عليهم، ومنها إنجائهم من الذبح، وأما سورة الأعراف فسياقها يتضمن تذكيرا لبني إسرائيل بخلاصهم من التقتيل، وهو الأنسب لسياق | [الواو:عنصر ربط إضافي]. | ﴿ وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْنَلُونَ أبنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۗ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف: 141] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُنجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَجِّجُونَ أبنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۗ وَفِي | 03 |

| | | |
|--|---|---|
| <p>السورة، أما سورة البقرة فسياق التذكير بالنعم والآلاء، ونجاتهم إحدى هذه النعم.</p> | | <p>ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٢﴾ [إبراهيم: 6] ﴿٤٣﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ ﴿٤٤﴾ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٥﴾ [البقرة: 49]</p> |
| <p>ربطت الأجزاء المحذوفة بين المشهدين، وتمثلت في ما قاله موسى وهارون عليهما السلام لفرعون، لينقلنا السياق من حوار موسى عليه السلام مع الله عز وجل إلى مشهد المجادلة مع فرعون، بجملة مقترنة بالفاء (قال فمن ربكما يا موسى).</p> | <p>[الأجزاء المحذوفة]. + [الفاء: عنصر ربط سبي].</p> | <p>04 ﴿٤٦﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نُبَيِّنُ فِي ذِكْرِي ﴿٤٧﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٨﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى ﴿٥٠﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ ءَأَسْمَعُ ءَأَرَى ﴿٥١﴾ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ءَوَالَسَّلْمُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ ءَأَهْدَى ﴿٥٢﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٥٣﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٥٤﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٥﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٧﴾ [طه: 42-52] وقوله: ﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٩﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِّنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٦٠﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٦١﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسُ ضُحَىٰ ﴿٦٢﴾ [طه: 52-62]</p> |

| | | |
|---|---|--|
| <p>سياق سورة الشعراء لم يرد فيه الرابط الشكلي، وإنما فصل بين الكلام عن طريق سؤال مقدر غير وارد في الخطاب.</p> | <p>سؤال مقدر غير وارد في الخطاب (عدم وجود رابط شكلي).</p> | <p>[59-56]</p> <p>05 ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَيْنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴿ الشعراء: 23-31]</p> |
| <p>لم يفصل سياق سورة النمل قصص الأنبياء عن بعضها، بل جاءت مترابطة عن طريق (الواو)، فذكر قصة موسى عليه السلام، وأتبعها بقصة داوود وسليمان، دون استخدام لأسلوب العطف، ثم أتبع ذلك بقصة صالح، فقصة لوط عليهم السلام أجمعين، مما يدل على تماسك هذه القصص.</p> | <p>[الواو: عنصر ربط إضافي].</p> | <p>06 ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿النمل: 15]</p> |
| <p>إن العلاقة الاتساقية بين هذه الجمل الثلاث الواردة في هذه الآية، تضيفي عليها معنى جديدا نتج عن دور أدوات الربط فيها، وهذه الجمل هي: (عسى</p> | <p>[الواو: عنصر ربط إضافي]</p> | <p>07 ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عِدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿الإسراء: 8]</p> |

| | | | |
|---|--|---|-----------|
| <p>ربكم أن يرحمكم إن تبتم)، وجملة ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾، وجملة ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، عطف على جملة ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾، وهذا يعني أن كلا من الحذف والعطف قد ساهما في هذا التماسك.</p> | | | |
| <p>ربطت هذه العناصر (الإضافية والسببية) آيات سورة [الكهف: 79-80-81-82]، وربطت أيضا بين القصص الوارد في هذه السورة.</p> | <p>[الواو:عنصر ربط إضافي] + [الفاء:عنصر ربط سببي].</p> | <p>﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رِجْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَلِكِ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ [الكهف: 79-82]</p> | <p>08</p> |
| <p>العنصر الزمني (ثم) ناسب سياق الآية، لأن الله وعد نبيه بالتوراة والعجل، وهذا بعد مدة فاصلة بين الفعلين، إعطاؤه التوراة واتخاذ العجل.</p> | <p>[ثم:عنصر ربط زمني].</p> | <p>﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة: 51]</p> | <p>09</p> |

من خلال قراءة الجدول يتبين ما يأتي:

— يساهم عنصر الربط الزمني في ترتيب أحداث القصة، كما في [المثال:01]، فقد أعطى معنى التدرج والترتيب بالنسبة للأحداث والقصص، أي أن لها دورا كبيرا في تحقيق تماسك وترابط الجمل في الأحداث القصصية.

— يساهم عنصرا الربط الإضائي والسببي، في تجسيد الصورة حية مجسمة تتلاحق فيها الأحداث، وهذا المشهد يناسب قوة التحدي، كما في [المثال:02]، لأن سرعة النصر الحاسم بعد القوة هو المناسب لمثل هذا المقام.

— يساهم الحرف الرابط في إزالة المدة الزمنية، وقرب الأحداث من بعضها، كما في [المثال:03]، مما أدى إلى تماسك أحداث القصة.

— تربط الأجزاء المحذوفة بين مشاهد قصة موسى عليه السلام، بواسطة عنصر الربط السببي، كما في [المثال:04] .

وقد تم الربط بين الجمل بسؤال مقدر أو متوقع غير ظاهر في سطح الخطاب، وهذا من مسوغات الربط المباشر بغير أداة، ويلجأ إلى هذا النوع من الربط لملء فراغ في الخطاب، عند ما يكون مبنيا على شكل زوج مكّون من سؤال مقدر وجواب ظاهر⁽¹⁾.

وهذا ما جعل الكلام متصلا ببعده ببعض، دون وجود رابط شكلي، وهو وسيلة مهمة من وسائل التماسك في النص.

— يمكن فصل كلام عن كلام بواسطة سؤال مقدر غير وارد في الخطاب، من حيث بناء الخطاب على شكل سؤال مقدر وجواب ظاهر، كما في [المثال:05]، قال الجرجاني: «واعلم أن هذا الذي تراه في التنزيل من لفظ (قال) مفصولا غير معطوف، هذا هو التقدير فيه، والله أعلم»⁽²⁾.

لذلك يلاحظ عدم وجود رابط شكلي بين السؤال المقدر والجواب في الخطاب القرآني المذكور، فالخطاب منسجم للمتلقي.

— منهج القرآن الكريم في عرضه لقصصه، يعتمد أسلوب عدم الفصل بين القصص الواردة في

(1) — محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص109.

(2) — عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص240.

سورة واحدة، فما أن تنتهي قصة حتى تتبعها أخرى مباشرة دون أي فاصل، وهذا لغرض التأكيد على هدف أو حقيقة واحدة، وورد هذا في [المثال:06]، مما يدل على أن هذه القصص متماسكة مع بعضها البعض، ومتناسبة مع السياق العام سورة النمل.

— تساهم أدوات الربط، في تحقيق التماسك بين القصص الواردة في هذه السورة، كما في [المثال:08]، حيث تظهر في بداية كل قصة على النحو الآتي:

-قصة الرجل المؤمن: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ﴾.

-قصة آدم وإبليس: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

-قصة ذي القرنين: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ﴾.

— لقد شكّل الوصل أهمية في تماسك الخطاب القرآني من خلال ربط أحداث قصة موسى عليه السلام، الأحداث السابقة بالأحداث اللاحقة، فجاءت نصوصاً محكمة متماسكة.

ثالثاً- التماسك المعجمي في قصة موسى عليه السلام.

مثلاً تحقق التماسك النصي من خلال المستوى النحوي، فإنه يتحقق أيضاً من خلال المستوى المعجمي، حيث يشكل هذا الأخير، المتمثل في المفردات المستقلة بمعناها معجمياً عن السياق مادة أولية، «وعماد التماسك المعجمي المعجم، وما يقوم بين وحداته من العلاقات»⁽¹⁾.

وكلما ازدادت الوجدتان المعجميتان قرباً في النص ازداد التماسك الذي تحققه قوة ومتانة، وذلك مع الأخذ بعين الاعتبار أن الوحدة المعجمية التي تدخل في علاقة اتساقية لا تحمل في ذاتها ما يدل على قيامها بهذا الدور أو عدم قيامها به، وإنما يكون ذلك بحسب موقعها بين النص⁽²⁾.

ويختلف التماسك المعجمي عن بقية العناصر السابقة المذكورة في التماسك النحوي، إذ لا يمكن الحديث عن العنصر المفترض والعنصر المفترض، ولا عن وسيلة شكلية (نحوية) للربط بين عناصر في النص⁽³⁾.

ومن أبرز مظاهر التماسك المعجمي التي تحدث عنها علماء لسانيات النص هي: التكرار

(1) — محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص، ج1، ص138.

(2) — المرجع نفسه، ج1، ص142.

(3) — محمد خطاي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص24.

والتضام.

1- التكرار Réitération:

لم يدرس التكرار في ضوء علم لسانيات النص، إلا بصورة موجزة، وأغلب الدراسات كانت مقصورة على عدة أمور منها: بيان معنى التكرار، وأنواعه المتعددة، وأغراضه البلاغية، بمعنى أننا لا نجد إسهامات توضح دور التكرار، إلا التي أشار إليها البلاغيون؛ حيث إن نظرهم إلى تماسك النصوص قليلة، على نحو ما عدّه الجرجاني من معاني النحو: «التي تبث في النظم (الكلام) الانسجام والاتساق والتناسق»⁽¹⁾.

1-1- تعريف التكرار:

أ- التكرار/لغة:

قال الزبيدي: «... معنى كَرَّرَ الشيء أي كَرَّرَهُ فعلاً كان أو قولاً وتفسيره في كتب المعاني بذكر الشيء مرة بعد أخرى... وقال السيوطي في بعض أجوبته: إن التكرار هو التجديد للفظ الأول ويفيد ضرباً من التأكيد..»

الكُرُّ: ما ضمَّ ظَلْفَيْ الرَّحْلِ وجمع بينهما وهو الأديم الذي تدخل فيه الظلْفَاتُ من الرَّحْلِ والجمع أَكْرَارٌ... الكُرُّ: الرجوع على الشيء ومنه التكرار»⁽²⁾.

وقال ابن منظور: «الكر والرجوع...، وكَرَّرَ الشيء وكركره: أعاده مرة بعد أخرى... ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه،... والكُرُّ: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار»⁽³⁾.

من خلال هذين التعريفين اللغويين لمعاني التكرار نلاحظ ما يأتي:

- يدور معنى التكرار حول الرجوع، فعلاقة التكرار تشمل الإحالة القبلية بالرجوع إلى ما سبق، وهذا يساعد في تماسك النص.

- من معانيه أيضاً البعث والتجديد، وخاصة فيما كان سينسى من الكلام الأول، وفي هذا تماسك بين أول النص وآخره.

(1) _ إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص 231.

(2) _ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (كزر)، ج 14، ص 28-33.

(3) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (كزر)، مج 02، ج 43، ص 3851.

-ومن معانيه أيضا: « ضم ظلفتي الرحل وجمع بينهما »، ولا يخفى هذا التماسك فيما بين الظلفتين.

ب- التكرار/اصطلاحا:

تحدث علماء العرب القدماء عن ظاهرة التكرار، وما لها من أثر في تماسك الكلام وجودته، سواء أكانوا بلاغيين، أم مفسرين، أن نحويين، كما تكلم عن هذه الظاهرة أيضا العرب المحدثون، المهتمين بلسانيات النص، وكذلك علماء لسانيات النص الغربيين.

ويعرفه ابن الأثير: «اعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ، وحده هو: دلالة اللفظ على معناه مردداً»⁽¹⁾.

ويرى ابن الأثير أن التكرار صنفان: مفيد، وغير مفيد، والمفيد هو أن «يأتي في الكلام تأكيداً له وتشبيهاً من أمره، وإنما يُفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، وإما مبالغة في مدحه، أو في ذمه أو غير ذلك»⁽²⁾.

وأما غير المفيد، فهو الذي لا يضيف معنى آخر إلى الكلام، وإنما هو: «التكرير الفاحش الذي يؤثر في الكلام نقصاً»⁽³⁾.

وعليه فإن التكرار قد يتعلق باللفظ والمعنى، أو قد يتعلق بالمعنى فقط، أو المرادف، كما قد يتعلق بالحرف واللفظ والجملة، أو مطلع الجملة لأداء غرض أسلوبية ما.

كما أن عناية علماء العرب القدماء بالتكرار كانت من حيث الوظيفة الدلالية وأثرها في فهم النص فضلاً عن أداءه لوظيفة التماسك النصي.

وفي لسانيات النص يعرفه أحمد عفيفي: «وهو شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي، أو وجود مرادف له أو شبه مرادف، ويطلق البعض على هذه الوسيلة: الإحالة التكرارية، وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، وهذا التكرار في ظاهر النص يصنع ترابطاً بين أجزاء النص بشكل

(1) - ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص157.

(2) - المصدر نفسه، ج2، ص158.

(3) - المصدر نفسه، ج2، ص172.

واضح»⁽¹⁾.

وهذا التعريف نفسه ذهب إليه محمد خطابي⁽²⁾، والظاهر أنهما يؤكدان على دور التكرار في التماسك النصي.

وقد ربط صبحي إبراهيم الفقي بين المعاني اللغوية للتكرار، وبين وظيفته عند علماء لسانيات النص، وهي التماسك، فوضح أن من معانيه: الرجوع، فيلاحظ أن علاقة التكرار تشمل الإحالة القبلية أو السابقة بالرجوع لما سبق ذكره في النص بتكراره مرة أخرى، وأن من معانيه كذلك: البعث وتحديد الخلق بعد الفناء⁽³⁾.

وقد جعله واحدا من عوامل التماسك النصي، وغرضا من أغراضه، خاصة بين عناصر النص المتباعدة.

1-2- التكرار بين البلاغيين العرب وعلماء لسانيات النص:

هناك فروق بين البلاغيين العرب، وعلماء لسانيات النص في معالجة ظاهرة التكرار تتمثل فيما يأتي⁽⁴⁾:

-معالجة هذه الظاهرة عند البلاغيين العرب من منظور بلاغي صرف؛ ومن ثم كان التركيز على الكلام الأدبي والشعري خاصة، وكذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي، بينما عولجت الظاهرة، عند علماء لسانيات النص من منظور لساني صرف، ومن ثم شملت النصوص بمختلف أنواعها.

-عدم الاقتصار في هذه المعالجة عند علماء لسانيات النص، على مستوى الجملة، بل تجاوز هذا المستوى إلى الجمل والفقرة والنص بتمامه، بينما ركزت المعالجة عند البلاغيين العرب، أكثر ما ركزت، وخاصة في مرحلة التقعيد على الجملة أو البيت، وإن جاءت عندهم -أحيانا- شواهد تجاوزت هذا المستوى.

-وقف علماء لسانيات النص على أربع درجات للتكرار، وهم في هذا أفادوا من الدراسات

(1) _ أحمد غنفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص106.

(2) _ محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص24.

(3) _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج2، ص18.

(4) _ جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص85-86.

اللغوية والدلالية المعاصرة، بينما وقف البلاغيون العرب على درجتين فقط «إعادة العنصر المعجمي والترادف أو شبه الترادف».

- سيطرت الغاية التقعيدية التعليمية على البلاغة العربية - خاصة مرحلة التقعيد- بينما سيطرت على علماء لسانيات النص الغاية الوضعية التشخيصية.

لقد كشف البلاغيون العرب عن دور ظاهرة التكرار في أدبية الكلام وشعريته على مستوى الجملة أو البيت غالباً، بينما كشف علماء لسانيات النص عن دور هذه الظاهرة في التماسك النصي.

1-3- أنواع التكرار:

للتكرار صور متعددة ومتنوعة عند العلماء والباحثين، نشير إلى أهمها:

أ- التكرار التام أو المحض، وهو نوعان⁽¹⁾:

- التكرار مع وحدة المرجع.

- التكرار مع اختلاف المرجع.

ويحقق هذا النوع من التكرار أهدافاً تركيبية، ومعنوية كثيرة، فهو في القرآن الكريم إنما يأتي لغرض بلاغي، لذلك أسهب القدماء في الحديث عنه، حتى لا يقع في النفس أنه مجرد حشو لا طائل منه كما يحدث في كلام الناس.

ب- التكرار الجزئي: ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفتات مختلفة⁽²⁾.

ج- تكرار المعنى واللفظ مختلف: ويشمل الترادف وشبهه، والعبارة المساوية في المعنى لعبارة أخرى⁽³⁾.

د- التوازي: تكرار البنية مع ملئها بعناصر معنوية جديدة مختلفة⁽⁴⁾.

(1) _ خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 66.

(2) _ أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 107.

(3) _ خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص 67.

(4) _ المرجع نفسه، ص 68.

وذكر الفقي أنواعه⁽¹⁾، التي تمثلت في تكرار الحروف والكلمات والعبارات والجمل وال فقرات أحيانا ويظهر هذا النوع في القرآن الكريم داخل السورة، ومن أمثله تكرار لفظ الجلالة، وذلك حتى يظهر التماسك النصي بين أجزاء أو وحدات السورة.

والنوع الآخر هو تكرار القصص، والذي لا يحدث على مستوى السورة الواحدة، بل يتعداها إلى التكرار على مستوى السور، وذلك مثل تكرار قصة آدم عليه السلام، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون وملئه.

1-4-وظيفة التكرار:

يمثل التكرار دعما للربط الدلالي، ويأتي لتدعيم التماسك النصي، ويوظف من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة، بين العناصر المكونة للنص، كما يسهم في تحديد القضية الأساسية في النص بالتأكيد على محتوى معين، ويشير إلى الطريقة التي يبني بها النص دلاليا، كما يعد التكرار أحد العوامل التي ترتبط بالقدرة على الفهم.

يقول الفقي عن وظيفة التكرار في ضوء التحليل النصي: «يهدف إلى تدعيم التماسك النصي، وكذلك يوظف من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص»⁽²⁾.

إذن فالتكرار يؤدي وظيفة دلالية معنية، ويحقق التماسك النصي، عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره؛ هذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة، كما يربط هذا الامتداد بين عناصر النص مع مساعدة عوامل التماسك الأخرى.

أما عن وظائف التكرار في مقاربات علماء القرآن، فيمكن تلخيصها على النحو الآتي:

-تكثيف الطاقة الدلالية للكلام عبر تركيزها في نقطة محددة، فالعناصر المكررة تنطبع في النص، وبذلك تتحقق الكفاءة النصية، وهذا ما يسهل العملية التواصلية.

-يعمل التكرار على تماسك الكلام، وهو جوهر البحث النصي.

-شحن الكلام بطاقات تأثيرية، مرجعها الأول البناء الموسيقي المميز، الذي يتأسس على تماثل الصيغ المكررة أو تشابها⁽³⁾.

(1) - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج2، ص20-21.

(2) - المرجع نفسه، ج2، ص21.

(3) - محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن، ص153-154.

ومن وظائفه أيضا في النص القرآني، التأكيد وزيادة التنبيه، والتعظيم والتهويل، وكل هذا متعلق بالتكرار في القصة القرآنية، وله علاقة وطيدة بالنبي ﷺ من حيث التسلية لقلبه. هذه هي الأغراض البلاغية أو الدلالية التي من أجلها وقع التكرار في القرآن الكريم.

1-5- التكرار في قصة موسى عليه السلام:

للقرآن الكريم منهج خاص في إعادة عرض المشاهد القصصية؛ هو لا يكررها بحرفيتها أكثر من مرة، بل يعيد عرضها بإضافة شيء جديد «هذا وقد وقع التكرار في القرآن الكريم على صور شتى... كالتكرار في إعادة جملة بعينها... أو بين أجزائها... أو يكون التكرار في إعادة تصوير الأحداث أكثر من مرة، وهو ما حدث في القصص القرآني فقد تكررت معارض القصة الواحدة في أكثر من موضع»⁽¹⁾.

وتكرار القصص يعني به تكرار قصة في مواضع متعددة، مع اختلاف في طرق الصياغة وعرض الفكرة، وكذلك تكرار بعض العناصر في عدة قصص، وقد حضي هذا النوع من التكرار، وهو تكرار القصص باهتمام عظيم من علماء العربية، وذلك لأن هذا التكرار في ذكر القصص يؤكد على ارتباط السور بعضها ببعض.

كما أن تكرار قصص القرآن الكريم، يعتبر من السمات البارزة فيه، ودليل واضح على إعجازه، ولكن لا يعني ذلك تكرار القصة نفسها، في كل موضع ترد فيه، بل هي بمثابة الحلقات، وكل حلقة تكمل بعضها البعض، فرغم أن القصة الواحدة تتكرر في مواضع مختلفة، إلا أنها لا بد أن تحمل إشارات سواء أكانت قريبة أم بعيدة لفكرة جديدة، أم تكون تنمة لفكرة سابقة أو توضيحا لهدف عام أو خاص، وغيرها من الأهداف التي يقتضيها سياق السورة.

والقصة الواحدة قد ترد في عدة مواضع لتناسب الغرض الذي سبقت من أجله السورة، ثم تتضح المعاني الخاصة بها في موضع بعينه؛ فقد يكون الموضوع واحدا، ولكن الهدف يختلف والصور تتجدد، فيعتبر من الناحية الموضوعية أنها حلقات لقصة واحدة، وعلى هذا الأساس فإن تكرار القصص يعتبر صورا مكررة يكمل بعضها البعض، وأنها تجتمع لتعطي صورة كاملة للحدث.

وإعادة الكلام في الموضوع الواحد، مع التنويع والتجديد من بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، وهذا ما دفع البعض إلى القول: «ويحسب أناس أن هنالك تكرارا في القصص القرآني، لأن القصة

(1) _ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دت)، ص 231.

الواحدة قد يتكرر عرضها في صور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أن ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار»⁽¹⁾.

ويهدف التكرار في القصص القرآني للوصول إلى⁽²⁾:

أ- بيان أثر السياق في التحليل النصي لظاهرة التكرار، لمعرفة علاقة القصة بسياقها اللغوي والحالي.

ب- بيان أثر التكرار في تماسك النص القرآني.

وتكرار القصة القرآنية، جاء في مواضع متعددة مع اختلاف في طرق الصياغة وعرض الفكرة، وكذلك العناصر في عدة قصص، وقد حضى هذا النوع من التكرار، وهو تكرار القصص باهتمام عظيم من علماء العربية، وذلك لأنّ هذا التكرار في ذكر القصص يؤكد على ارتباط السور بعضها ببعض.

وينبغي أن يدرس التكرار في القصص القرآني، في ضوء السياق اللغوي، ممثلاً في المواضع التي تكررت في كل قصة، وفي ضوء السياق الحالي، ممثلاً في ترتيب النزول، لأننا إذا قرأنا القصص القرآني، وفقد ترتيب النزول، فإننا نجد معظم القصص تبدأ بإشارة موجزة تطول شيئاً فشيئاً، كقصة صالح عليه السلام، وموسى عليه السلام⁽³⁾.

وذكر القصة القرآنية في أكثر من موضع لا يعد تكراراً، وإنما هو أداة للتماسك النصي بين القصة وسياقها في السورة، والسور الأخرى، ومن ناحية أخرى هو إضافة جديدة، لما وجد قبل ذكره في الموضع الأول.

ومن حكم اشتمال القصة القرآنية على التكرار ما يأتي⁽⁴⁾:

-بيان بلاغة القرآن الكريم في أعلى مراتبها، والقصة المكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص55.

(2) _ محمد عبد الله علي سيف العبيدي: دلالة السياق في القصص القرآني، ص208.

(3) _ المرجع نفسه، ص210.

(4) _ خلدون سعيد صبح، التقديم والتأخير في القرآن الكريم: بلاغة وإبلاغ، ص270-271.

-قوة الإعجاز في إيراد المعنى الواحد في صور متعددة.

-التشويق في أسلوب عرض القصة القرآنية.

-يختلف العرض في القصة القرآنية، باختلاف الغرض الذي تساق من أجله القصة، فنجد الأحداث مفصلة في مقام، ومختصرة في مقام آخر، حسب مقتضى الحال.

ونسعى في الجانب التطبيقي إلى توضيح هذا النوع من التماسك، وأثره الدلالي في قصة موسى عليه السلام بحسب ترتيب نزول القرآن الكريم؛ إذ تعدّ قصة موسى عليه السلام، القصة الأكثر تكرار وتوزعا من قصص الأنبياء في القرآن الكريم، فقد وردت في (130) موضعا، موزعة على (30) سورة، أما اسمه عليه السلام، فقد ورد في (136) موضعا في (34) سورة، منها (27) سورة مكية.

أما عن أسباب تكرار القصص في القرآن الكريم، فقد بين ابن قتيبة ذلك بقوله: « وكانت وفود العرب ترد على رسول الله ﷺ للإسلام، فيقرؤهم المسلمون شيئا من القرآن، فيكون ذلك كافيا لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنبياء والقصص مثناة مكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، ويُلقِيها في كل سمع، ويشها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير»⁽¹⁾.

و يفهم من قول ابن قتيبة، أن الله تعالى أراد إشراك الجميع في سائر القصص القرآني، تذكيرا وعبرة.

وللتكرار أسباب أخرى أهمها: اعتباره وسيلة لتسليية الرسول ﷺ وتثبيت فؤاده، مما وقع للأنبياء من أمهم، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: 12].

ولا يغفل على أحد أن قصة موسى عليه السلام مع فرعون وبني إسرائيل، قصة حافلة بالعظات التي لا يستغني عنها الرسول ﷺ، في تثبيت دعوته، واقتحام الصعاب، والصمود أمام القوى الغاشمة، وهناك تشابه بين قصة موسى، وقصة محمد عليهما السلام في الدعوة⁽²⁾.

(1) _ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص234.

(2) _ التهامي نكرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ص126-127.

وكذلك تتكرر القصص للتهديد وتخويف المخالفين، وبيان مصير أمثالهم للعبرة والعظة، يقول صاحب البرهان: «أن عادة العرب في خطاباتها إذا أجهت بشيء أرادة تحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيدا، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث تقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم كانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة»⁽¹⁾.

فتكرار القصص في القرآن الكريم، من أعظم أنواع التحدي البلاغي، حيث إن القصة الواحدة، تتكرر في مواضع مختلفة، لتعبر بدورها عن معاني مختلفة.

وإن أكثر القصص القرآنية تكرارا وتوزعا، هي قصة موسى عليه السلام، مع قومه، وقصص بني إسرائيل عامة من أكثر القصص تكرارا في القرآن كله، ولهذا هدفين عامين هما:

- بيان ما كان يلقاه بنو إسرائيل من عذاب على يد فرعون وأتباعه، وفي ذلك مواسة للمسلمين في مكة وعزاء لهم.

- بيان أن بني إسرائيل أمة قامت حياتها، على كتاب من عند الله، ولم يستقيموا على ما جاء به، بل خرجوا عليه، لذلك كثر ورود قصة بني إسرائيل في العهدين بين المكّي والمدني، تحذيرا للمؤمنين من أن ينحرفوا، كما انحرف بنو إسرائيل.

وقصص الأنبياء إنما كررت، لأن المقصود بها إهلاك من كذبوا رسلهم، كما أنّ تكرار القصة له الأثر البالغ في الاهتمام بشأنها، وفي تمكين عبرها في النفس، فإنه من طرق التأكيد، وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى عليه السلام، مع فرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل، مع أن القصة لا تتكرر في السورة الواحدة، مهما كثر تكرارها.

ويذهب خلف الله في تعليقه لتكرار قصة موسى عليه السلام في القرآن فيقول: «ذلك لأنموسى كان نبي اليهود، ولقد كان اليهود في ذلك الزمن يسيطرون على البيئة العربية من حيث التفكير الديني، حتى لقد كان العرب أنفسهم يستشيرونهم في أمر محمد عليه السلام، وهذه السيطرة تجعلهم يقصون كثيرا أخبار موسى وفرعون، وقليلًا أخبار غيره من الأنبياء»⁽²⁾.

لقد جاء التكرار في القصص القرآني لغاية بيانية، قصد بها الإعجاز والتعجيز، فما جاء من

(1) _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص9.

(2) _ محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط03، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965م، ص234.

آيات تحكي أحوال العصور الماضية، والأمم السابقة، يعدّ وجها من وجوه إعجاز القرآن الكريم، إضافة إلى التأثير النفسي الذي يحدثه التكرار.

وهذا ما سنقوم به من خلال بيان المواقف المكررة من قصة موسى عليه السلام، في السور المختلفة، ومن ثم تحقيق التماسك النصي على مستوى القصة بواسطة التكرار.

كما أن لدلالة السياق أهمية كبرى، في نفي التكرار المطلق في القصص القرآني، وتبدو أهميتها ووظيفتها أيضا في بيان أثر التكرار في تماسك النص وانسجامه في القصص القرآني.

1-6-المشاهد المكررة في قصة موسى عليه السلام:

نتناول في هذا العنصر المشاهد المكررة، المتعلقة بموسى عليه السلام، من مولده إلى خروجه ببني إسرائيل من مصر، ونجمع بين المشاهد التي أعيد عرضها، ونحاول إثبات أن المشاهد المكررة، تكوّن مجموعها الصورة الكاملة للحدث ولا تكرر بينها، وسيكون تناول المشاهد المتعلقة بقصة موسى عليه السلام من ثلاثة جوانب:

أ- من مولده إلى رجوعه من مدين.

ب- التشريف بالمناجاة في الطور والتأييد بالمعجزات.

ج- الأمر بالذهاب إلى فرعون.

ليأتي تفصيل هذه الجوانب وما تخللها من أحداث، من خلال عرض المواقف المكررة، من قصة موسى عليه السلام، وفق المراحل المكونة للقصة، ودراسة ما فيها من تكرار، فتسليط الضوء على قصة موسى عليه السلام، التي وردت بعدة حلقات، يكون القصة كاملة وفق المراحل المشكّلة الآتية:

المرحلة الأولى - المولد والنشأة:

جاءت هذه المرحلة مفصلة في موضعين، في سورتي طه، والقصص، وفي كل منهما نرى للأحداث المسرودة وقعا خاصا، يتناسب وسياق السورة، ففي سورة القصص جاءت المرحلة الأولى في القصة بعد أن مهد لها بأن فرعون علا في الأرض، وبأنه يقتل أبناء بني إسرائيل، وبأن الله يريد أن يمن عليهم، بأن يمكن لهم في الأرض، بميلاد موسى منقذا لهم، ويعرض القرآن فيما بعد حالة الأم الحائرة الخائفة على وليدها: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلَيْهِ

فِ الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [القصص: 7].

أما في سورة طه، فلم تأت المرحلة الأولى بالتمهيد المذكور، وإنما جاءت بشكل المن الإلهي على موسى عليه السلام، أثناء مخاطبته إياه بجانب الطور: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [طه: 37-39].

كما سيوضح التكرار في هذه المرحلة، عند تناول موقف إرجاع موسى عليه السلام، ووضعه في التابوت وإلقائه في اليم، حيث ذكر هذا الموقف في موضعين من القرآن الكريم، فقد ورد في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَكَلِّبِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: 7]، وكذلك ورد في سورة طه، في الآية السابقة [طه: 37-39]، حيث يتضح فيها إرضاع موسى عليه السلام، ووضعه في التابوت، وإلقائه في اليم، ونلاحظ أن الموقف واحد لكنه صوّر بصورتين، حيث إن كل صورة تكمل الأخرى، فكل صورة تعرض الموقف من خلال زاوية معينة تختلف عن الأخرى، وكل منها مناسب لما وضع فيه ونزل من أجله، ومناسب لسياق السورة، وعليه فإن هاتين الصورتين تتحدان مع بعضهما البعض لتشكلا قصة إرضاع موسى عليه السلام، ووضعه في التابوت وإلقائه في اليم.

وآيات سورة القصص تذكر بصورة إجمالية حياة موسى عليه السلام، أي ما يختص بولادته ونشأته، ثم بيان ما يؤول إليه في المستقبل، ولهذا بدأت السورة بالكلام عن فرعون وسلطانه وبطشه لبني إسرائيل، ليتعظ بنو إسرائيل، حيث وضع لهم نعمة الله عليهم، فمنّ عليهم بإخراجهم من نار فرعون، ومنّ على موسى بهذه العناية والرعاية.

أما في سورة طه، فقد كان حديثا خاصا لموسى عليه السلام، وضع الله فيه بعض ما أنعم به على موسى، حيث أحاطت هذه النعم، وشملت موسى عليه السلام منذ ولادته، وبيان الوحي الذي أوحى الله به إلى أمه، لإنقاذها من ظلم فرعون، ومن الخوف الذي تملكها، وطمأننتها: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَكَلِّبِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴿٧﴾﴾ [القصص: 7].

وهذا العنصر مفقود في سورة طه، حيث وجدنا تسارعا للأحداث في سورة طه، التي ذكرت أمر سرعة قذف موسى عليه السلام في التابوت، وهذا عنصر إضافي جديد لم يذكر في سورة القصص، وذلك لأن سورة طه تحتاج إلى هذا التفصيل، كما أن الله ذكر مننه على موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٢٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٢٨﴾﴾ [طه: 37-38]، فكأن هذه الآيات جاءت لتفصيل وتوضيح منة الله على موسى عليه السلام، حيث من الله عليه منذ بداية ولادته ورعا، وذلك بحفظه من عذاب فرعون.

وعليه فقد جاءت الآيات في سورة طه، لتفصيل وبيان منة الله عليه، لذلك احتوت عناصر فقدت في سورة القصص مثل: «إلقائه في اليم»، و«يأخذه عدولي وعدوله».

أما سورة القصص فقد ذكرت أحداثا مجملية، فلم تحتج إلى مثل هذه التفاصيل، لأنها تركز على رعاية الله له في صغره، ثم جعله من المرسلين عند الكبر، حيث جاء هذا الموقف ليناسب سياق الآيات، فهذه السورة تؤكد على قدرة الله، وتمكينه في الأرض، وجعل موسى من المرسلين.

أما سورة طه، فقد ذكرت هذه التفاصيل لتناسب سياق السورة، حيث جاءت الآيات السابقة لهذا الموقف مفصلة كذلك.

نصل بعد هذا العرض إلى أن أصل القصة واحد، وإن صورت في صورتين، فلم يتناقضا، وكل صورة منها تكمل الأخرى، فاتحاد السورتين معا، قدم لنا الموقف بشكل واضح ومتكامل، لأن هاتين الصورتين تعتبران نظريتين من زاويتين مختلفتين، وقد عمل التكرار على ربط الصور والأحداث، لتخرج في النهاية بتصور واضح عن الحدث.

والموقف الآخر المكرر في المرحلة الأولى، هو موقف الأم، وصورتها خلال التكرارات في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ إِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: 7]، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ۚ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴿١١﴾﴾ [القصص: 10-11]، وقوله أيضا: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [طه: 38]، وقوله أيضا: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ﴾ [طه: 39]

تَحَزَنَ ﴿ طه: 40 ﴾.

لقد شكلت هذه التكرارات نسقا تصويريا متكاملا ومتماسكا، وضمت من خلاله حالة الأم، وأحداثا من طفولة موسى عليه السلام، فأية تطرقت لعملية قذف موسى باليم، وأخرى أوضحت ما قبل القذف، وهي عملية الرضاعة، وأخرى ذكرت القذف في اليم، ولم تذكر الأداة التي وضع فيها، وأخرى ذكرت التابوت، وآية أخرى تحدثت عن عودته لأمه، وأخرى وضحت كيفية عودته، وكيفية حفظه في عرض البحر، ومثل هذه المشاهد التكاملية في تكرار أحداث قصة موسى عليه السلام، تساهم في تماسك كامل أجزاء القصة عبر مختلف السور القرآنية.

المرحلة الثانية- مرحلة الشباب:

وتتمثل هذه المرحلة من قصة موسى عليه السلام، بعد أن بلغ أشده، وما كان من قتله للقبطي، وفراره إلى مدين وبقائه فيها، وزواجه إلا أن هذه المرحلة لم تذكر إلا مرة واحدة، رغم أهميتها في السياق القرآني، وفي سياق قصة موسى عليه السلام، وربما سبب عدم تكرارها لما فيها من القتل، وكذلك لم تكرر قصة البقرة، وملايسات جريمة القتل فيها، وقصة يوسف عليه السلام لما فيها من التشبيب والغزل بالنساء.

المرحلة الثالثة- العودة إلى مصر:

عودة موسى مع أهله إلى مصر من مدين، وقد احتفل القرآن بها، وكررت هذه المرحلة مفصلة في سورة طه، والنمل، والقصص، وتبدأ هذه المرحلة بأقوال موسى لأهله عندما رأى النار، ففي سورة طه: ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [طه: 10].

وفي سورة القصص: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص: 29].

وفي سورة النمل: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل: 7].

تكررت هذه الجزئية في بداية سورة طه، وفي سورة طه بعد مقدمات طويلة سبقتها، وفي بداية سورة النمل.

المرحلة الرابعة- مناداة موسى عليه السلام:

أما خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام، عندما بلغ النار فقد جاء بصورة مختلفة بعض الاختلاف في السور الثلاث: طه، القصص والنمل، لكنه اختلاف يتكامل ولا يتناقض، فلو جمعنا كل تلك الخطابات في مكان واحد لرأينا تماسكها مع تكرار ضئيل لبعض الجزئيات، التي قد يتم فيها التكرار لنفس المعنى في الخطاب العادي، فتعدد الخطابات للتأكيد من ناحية، وبعض الخطابات يذكره بما تنسبه إياه المفاجأة من ناحية أخرى، أما ما نودي به موسى عليه السلام، عندما أتى النار، قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُودَىٰ يَمُوسَىٰ ۖ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه: 11-12]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودَىٰ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [النمل: 8-9].

وقوله أيضا: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودَىٰ مِّن شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص: 30].

يقول الرازي في تفسير هذه الآيات: «ولا منافاة بين هذه الآيات، لأنه تعالى ذكر الكل، إلا أنه حكى في كل سورة ما اشتمل عليه ذلك النداء»⁽¹⁾.

المرحلة الخامسة- بداية الرسالة:

قال تعالى: ﴿ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم: 52]، وقوله: ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُودَىٰ يَمُوسَىٰ ۖ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ [طه: 11-12].

وقوله: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ ۖ إِنِّي ءَأَنْتُمْ نَارًا سَتَاتِكُمْ مِّنْهَا ۖ خَبِّرِ ﴾ [النمل: 7].

وقوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۖ ءَأَنْسَكُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَأَنْتُمْ نَارًا لَّعَلِّي ءَأْتِيكُمْ مِنْهَا ۖ خَبِّرِ ﴾ [القصص: 29].

(1) _ الرازي: تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، ج24، ص245.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص: 30].

وقوله: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [القصص: 44].

وقوله: ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [النازعات: 16].

إن الناظر لهذه الآيات، يلحظ مدى تكامل أجزاء المشهد القصصي، والمتمعن في التكرارات يرى أن هناك آية تخبر على لسان موسى عليه السلام، أنه شاهد النار، وأخرى تحدد المكان بجانب الطور، وأخرى تحدد الوادي المقدس طوى، ولفظة الوادي كررت ثلاث مرات، ولفظة (المقدس طوى)، تكررت مرتين، ثم شاطئ الواد الأيمن، والجانب الغربي، فهذه الأمكنة شكلت صورة مكانية متكاملة لحركة موسى عليه السلام، أي مكان تلقي الدعوة والرسالة، فالتكرارات وضحت جليا هذه المرحلة وملابساتها، وأبانت عن مدى تماسكها وإضافتها المتجددة في كل سورة قرآنية، بحيث تتناسب مع سياقها وموضوعها العام.

المرحلة السادسة- وصف العصا:

وصفت مرة بالثعبان في قوله تعالى: ﴿ تُعَبَّانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: 107]، ومرة بالحية في قوله: ﴿ حِيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه: 20]، ومرتين بالجنان في قوله: ﴿ تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ [النمل: 10] + [القصص: 31].

لقد أشار المتقدمون إلى ظاهرة التكرار في القصة القرآنية وحاولوا تفسير الاختلاف باختلاف الأحوال، بحيث يذكر جديد في كل موضع تعرض فيه القصة، وإذا جمعت هذه النصوص اكتملت الصورة، وتحول عصا موسى عليه السلام إلى ثعبان وحية وجان، في سور مختلفة أوضح مثال على ما أوردناه، وهذا التعدد في التسمية لا يعد من التكرارات، إذ أن الصورة ليست واحدة في كل مرة، حيث إن التعبير عنها بالحية، ورد مرة واحدة فقط في سورة طه: ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حِيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه: 20]، وأن هذه التكرارات لا تعبر في كل مرة عن المشهد ذاته، فوصف العصا بأنها ثعبان مبين، كان في مشهد المواجهة مع فرعون وملئه، أما وصفها بأنها اهتزت كالجان، فقد كان في مشهد آخر عندما كلمه الله في الواد المقدس، في طريق العودة من مدين إلى مصر، فضلا على

أنها شبهت بالجان.

يقول الزمخشري في عصا موسى: «فإن قلت كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان، والثعبان؟ قلت: أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وأما الثعبان والجان فبينهما تناف، لأن الثعبان العظيم من الحيات، والجان الدقيق، وفي ذلك وجهان: أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة، ثم تتورم، ويزيد جرمها، حتى تصير ثعبانا، فأريد بالجان أول حالها، وبالثعبان مآلها، والثاني أنها كانت في شخص الثعبان، وسرعة حركة الجان»⁽¹⁾.

المرحلة السابعة- لقاء موسى عليه السلام بفرعون وملئه:

أما عن لقاء موسى عليه السلام بفرعون وملئه، فهو أكثر ما تكرر في قصة موسى، في عدة مواطن من القرآن الكريم في السور الآتية: الأعراف، طه، القصص، يونس، غافر، الزخرف، الدخان، النازعات، الفرقان، هود والذاريات، ولكن بأساليب مختلفة وعبارات متنوعة، ملخصة حيناً ومفصلة حيناً آخر، وقد تكرر لقاء موسى عليه السلام بفرعون في القرآن الكريم، وجاء هذا التكرار لأهمية اللقاء في دعوة موسى عليه السلام، فهل كان لقاء موسى بفرعون لقاء واحداً، أم أكثر من لقاء.

يقول تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ۝٣٥﴾ فقلنا أذهباً إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ﴿[الفرقان: 35-36]، وما ذكر في هذه السورة عن قصة موسى، جاء في موقف رد شبهات الكافرين، وسورة الفرقان في سياقها العام، جاءت لعلاج الشبهات التي أثارها المشركون حول القرآن الكريم، والنبي ﷺ، وكل ما ذكر فيها من قصص الأنبياء إشارات تتلاءم مع هذا الموضوع.

وقوله في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝٩٦﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَتْبَعُوا آمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧﴾ يَفْقَهُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ۝٩٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿[هود: 96-99].

(1) _ الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص75.

وتبين سورة هود أن موسى عليه السلام، أرسل إلى فرعون وملئه بآياته وسلطان مبین، لكن القوم اتبعوا فرعون، وما أمر فرعون برشيد، لأنه معمن في الغواية والإضلال، فقد حلت عليه اللعنة في هذه الدنيا، ويوم القيامة بثس الرد المرفود.

أما سورة الزخرف: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَصْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الدَّجَالُ ۖ لَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ۖ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْتِمَ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ ۖ فَاطَاعُوهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أُنْقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف: 46-56].

ما ذكر في الزخرف متلائم مع اسمها، إذ تتحدث الآيات عن غرور فرعون واعتداده بنفسه، وهو حديث لا نجده إلا في سورة الزخرف.

وقوله في الذاريات: ﴿ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بُرْكَئِيلَهُ ۖ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ ۖ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الذاريات: 38-40].

تبين سورة الذاريات أن فرعون تولى بركنه وقومه، ثم تبين عدم استقراره في ما يقول في موسى عليه السلام، فمرة ساحر، ومرة مجنون، فهو لا يستقر على رأي فالسورة لها مدلولها ومغزاها .

المرحلة الثامنة-حوار موسى عليه السلام مع فرعون:

ويمثل هذا الحوار تناظر بعض الآيات المكررة في سورتي الأعراف والشعراء، والتي لم تكرر في سورة سواهما، إذ تبدأ الآيات المكررة في سورة الأعراف من الآية السادسة بعد المائة، وتنتهي في الآية الحادية عشرة بعد المائة، وتبدأ في سورة الشعراء من الآية الحادية والثلاثين، وتنتهي في الآية السادسة والثلاثين، ويلاحظ التناظر بين السورتين من خلال الجدول الآتي:

| سورة الأعراف | سورة الشعراء |
|---|--|
| ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: 107] | ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء: 32] |
| ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴾ [الأعراف: 108] | ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴾ [الشعراء: 33] |
| ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: 109] | ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الشعراء: 34] |
| ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: 109] | ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء: 35] |
| ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: 110] | ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء: 35] |
| ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [الأعراف: 111] | ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [الشعراء: 36] |

المرحلة التاسعة- المواجهة مع فرعون وجنوده:

حيث يمكن طرح السؤال الآتي: هل يمكن القول بأن ثمة تكراراً في الخطاب القرآني، استناداً على القول، بأن الواقعة الواحدة، تعرض في مناطق متعددة من النص القرآني؟

-لماذا تعرض الواقعة الواحدة أو الموقف الواحد، بأشكال مختلفة، عندما ترد في أكثر من موضع بينما تكاد القصص المختلفة تتطابق إذا جمعها نص واحد؟

وتكمن الإجابة عن هذين السؤالين من خلال مرحلة مواجهة موسى لفرعون وجنوده، حيث تمثل هذه المرحلة جزءاً من الرسالة والصراع مع فرعون، لما تتضمنه من سياقات حوارية وجدلية.

فالمشهد عبارة عن البدء بمهام الرسالة التي كلف بها موسى عليه السلام، بتبليغها في أربعة نصوص.

-الأعراف: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأعراف: 103-105].

-طه: ﴿ فَأَنبَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَدِّ بِهِمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ

مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مِنْ كَذَّبٍ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ [طه: 47-48].

- الشعراء: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ [الشعراء: 10-12].

- ﴿ فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ [الشعراء: 16-17].

- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ [الزخرف: 46].

وعليه، فإن مشهد الرسالة قد تكرر، ولكنه ورد بشكل مختلف، فجاءت كل آية بما يتناسب وسياق السورة وموضوعها العام، مما دل أيضا على تماسك السور الأربعة: الأعراف، طه، الشعراء والزخرف.

المرحلة العاشرة-موسى عليه السلام والسحرة:

حيث ذكر في مواطن كثيرة، فجاءت في قوله تعالى على لسان موسى: ﴿ أَلْقُوا ﴾ [الأعراف: 116] و[الشعراء: 43]، وكانت في سورة طه: ﴿ بَلْ أَلْقُوا ﴾ [طه: 66]، وفي يونس: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ [يونس: 80]، وأما عن مقولات السحرة في مخاطبتهم لموسى عليه السلام، فقد جاءت بصور مختلفة شيئا ما في سورة الأعراف، طه، والشعراء، ففي سورة الأعراف: ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ [الأعراف: 115]، وفي طه: ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ ﴾ [طه: 65]، وفي الشعراء ﴿ بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ ﴾ [الشعراء: 44].

والاختلاف بسيط بين ما جاء في سورة الأعراف، وما جاء في سورة طه، فغير المتعجل من السحرة، قد يفضّل في قوله لموسى عليه السلام ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾، والمتعجل قد يقول: (نحن الملقون).

المرحلة الحادي عشر - تكرار ذكر النعم:

حيث تكرر ذكر النعم مرات عديدة متباعدة في الآيات الموجهة لبني إسرائيل، يقول تعالى :
﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: 40]، فيكرر هذا التركيب بالجملة في موقع لاحق، وباللفظ نفسه بعد عدة آيات⁽¹⁾، حيث نجد يذكر تفصيل هذه النعم، ويذكر نقضهم للمواثيق، وسرد أحوال أمهم، ثم يعيد هذا التركيب نفسه، فجاء هذا التكرار بعد هذه المسافة الخطية الطويلة، تذكيرا للسامع وبعثا للحياة عبر جملة التذكير بالنعم مرة أخرى.

واستمر الله تعالى بتذكيرهم بنعمه عليهم، لكن لم تكن النعم التي يذكرها واحدة، بل تزداد في كل مرة، ولكن استعمل الصيغة نفسها، للتذكير بتلك الدلالة، وشمل هذا التذكير تذكير أسلافهم، بما منّه الله على آبائهم، لأن ما أنعمه الله على أجدادهم كأنه أنعم عليهم، فجاء تكرار صيغة التذكير في قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 47] تأكيدا للسابق وتمهيدا لللاحق.

فهذا النص يعتبر دليلا واضحا على إدراك العلماء لوظيفة التكرار الأولي، وهي ربط أول الكلام بآخره، كما تعمق المفسرون في دراسة التكرار واهتموا بدلالته، حيث يقول الرازي في الآية السابقة: «اعلم أنه تعالى أعاد هذا الكلام مرة أخرى، توكيدا للحجة عليهم، وتحذيرا من ترك اتباع محمد ﷺ، ثم قرنه بالوعيد وهو قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾، كأنه قال إن لم تطيعوني لأجل سؤالي نعمتي عليكم، فأطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل»⁽²⁾.

لقد ربط هذا التكرار أجزاء النص بعضه ببعض، كما أدى وظيفة توكيد الحجة، وتحذير بني إسرائيل.

ويقول ابن عاشور في تفسير هذا التكرار: «أعيد خطاب بني إسرائيل بطريقة النداء، مماثلا لما وقع في خطابهم الأول لقصد التكرير للاهتمام بهذا الخطاب وما يترتب عليه (...). فللتكرير هنا نكتة جمع الكلامين بعد تفريقهما ونكتة التعداد لما فيه إجمال معنى النعمة»⁽³⁾.

(1) - عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، مؤسسات عبد الكريم، تونس، 1980م، ص211.

(2) - الرازي، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، ج3، ص55.

(3) - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص482-483.

إن نص ابن عاشور يصرح بالوظيفة التي يقوم بها التكرار، وهي الربط بين الكلامين، إضافة إلى الاهتمام بالخطاب، أي لفت أسماع المتلقين لأهمية هذا الخطاب، وترسيخ مضمونه في أذهانهم⁽¹⁾.

لقد كان لتكرار الآية السابقة وظيفية الربط، بين ما تقدم من ذكر النعم وما يليها، إعلاماً منه بأن النعم مستمرة عليهم، فجاء التذكير الأول مجملاً، ثم تبعه التذكير الثاني مفصلاً، وبعد هذا عاد إلى التذكير بالنعمة بنوع من التفصيل، فإن النعمة في الآية الأولى مجملة، والإجمال ينه الفكر إلى الذكر في الجملة، فإذا تلاه التفصيل والبيان كان على استعداد تام لكامل الفهم، فيكون التذكير أتم، والتأثر أقوى والشكر على النعمة أرجى.

في حين جاء التكرار الثالث في قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 122]، من السورة نفسها، فكان لهذا التكرار حجة على بني إسرائيل في تدبر الخطاب عليهم، وجعله كأنه قطعة واحدة لا تخلو من التذكير لهم بالنعم التي أنعمها الله عليهم.

فالتكرار إذن يدعو إلى دعم التماسك النصي للخطاب، من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة له، فالتذكير لم يقتصر على خطاب الله تعالى لبني إسرائيل، بل شمل أيضاً تذكير النبي موسى عليه السلام لقومه، فقال تعالى على لسان نبيه موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 20]، فنجد أن هذا التكرار أسهم بشكل فعال في تنبيه قوم بني إسرائيل على عظم هذه النعم، التي جباهم الله بها.

المرحلة الثانية عشر - دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة:

وهي المرحلة الأخيرة، حيث تنتهي القصة بنهاية الأحداث، وتمثل في مشهد تحريضه بني إسرائيل على دخول الأرض المقدسة: ﴿يَنْقُورِ أَذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 21]؛ إنه يقدم لهم البشرى بوعد الله تعالى لهم، ومع ذلك يتشاقلون ويرفضون الجهاد ويطلبون من موسى عليه السلام: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا

(1) _ محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص178.

قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ [المائدة: 22]، ولعلّ في تكرار: ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾، ما يكشف عن الصدق التعبيري في تصوير الجبن والخور الذي ابتلي به بنو إسرائيل، فاستحقوا العذاب والعقاب: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 26].

وبهذا الخطاب يدخل بنو إسرائيل في التيه، وينتهي الفصل الأخير من قصة موسى عليه السلام.

هذه هي أهم المواقف المكررة في قصة موسى عليه السلام، والتي تمثل بناء كلياً متماسكاً، حقق شكلاً قصصياً وفنياً.

وعليه فإن:

- التكرار في قصة موسى عليه السلام، لا يعدو أن يكون إشارات وعظية، اقتضاها السياق، أما حلقات القصة الأساسية فلم تكرر تقريباً، وإذا كررت جاءت بشيء جديد⁽¹⁾.

- دراسة القصص القرآني في ضوء السياق، تكشف بما لا يدع مجالاً للشك أن كل حلقة من حلقات كل قصة ذكرت في مكانها المناسب، وأن معنى السورة ومقصودها، لا يتحقق إلا بذكر تلك الحلقة، فضلاً عن مناسبة أسلوب العرض لسياق السورة، وقد ذكر البقاعي: «أن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة، استدلّ عليه بتلك القصة، غير المعنى الذي سبقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظم بالتأخير والتقدم، والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة»⁽²⁾.

- إن دلالة السياق تكشف عن الإعجاز القرآني، في التناسق بين الترتيب الزمني، وفق ترتيب النزول وترتيب المصحف، وهذا التناسق يقودنا إلى القول بأن كل قصة موسى عليه السلام، وإن توزعت في سور كثيرة، فهي متماسكة ومنسجمة، حيث تشكل كتلة واحدة متكاملة.

- إن من أهم فوائد التكرار، إيجاد التماسك النصي، فإذا ذكرت حلقة من قصة في سورة ما، فإنها

(1) _ ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 155-156.

(2) _ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 1، ص 14.

تشير إلى بقية الحلقات في السور الأخرى، فقد تذكر القصة مولد النبي أو تكليفه بالرسالة - مثلا- في سورة معينة، فيثير هذا في ذهن المتلقي أحداث القصة في السور الأخرى، كما يعمل على إيجاد علاقات بين السور المختلفة من خلال اختيار الحلقات المتشابهة من كل قصة، فضلا عن التماسك بين القصة وهدفها، والموضوعات المذكورة فيها.

2- التضام Collocation:

التضام عنصر يقع ضمن المستوى المعجمي، يؤدي علاقة بين مفردات النص، من خلال استغلال إيجاء الكلمات ومعانيها المعجمية لتوظيفها لخدمة تماسك النص. وقد ورد بعدة تسميات منها: المصاحبات المعجمية، الاقتران، المقارنة وعناصر الحقل الدلالي.

والمصاحبات المعجمية هو المصطلح العربي، المقابل للمصطلح الأجنبي **Collocation**، الذي ترجم بمصطلحات متعددة منها: المصاحبات اللفظية، التضام، المتلازمات والاقتران اللفظي.

2-1- مفهوم التضام:

أ- التضام عند البلاغيين:

التضام عند عبد القاهر الجرجاني، نجده ممثلا بعلاقات متعددة، نبدوها باستخدامه للمصطلح نفسه، وهو (التضام)، وقد قسمه إلى نوعين:

-**التضام النفسي:** وقد ذكره في حديثه عن عطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب، في مثل: (زيد قائم وعمرو قاعد)، في أنّ مسوّغ هذا العطف، ليس الاشتراك في الحكم، وإنما كون: «المعنى في هذه الجملة لفقاً لمعنى في الأخرى، ومضاماً لها مثل أن (زيداً) و(عمراً) إذا كانا أخوين أو نظيرين، أو مشتبكي الأحوال على الجملة، كانت الحال التي يكون عليها أحدهما، من قيام أو قعود، أو ما شاكل ذلك مضمومة في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك»⁽¹⁾.

بمعنى أن حال الشخصين (في ذهن المتلقي لا يفترقان، حتى أنّه إذا عرف حال أحدهما تاق إلى معرفة حال الثاني) «⁽²⁾».

(1) _ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص225.

(2) _ محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص103.

-التضام العقلي: وهو الترابط بين المعاني عند عبد القاهر الجرجاني، يقول: «فإنما قلت مثلاً: العلم حسن والجهل قبيح، لأنّ كون العلم حسناً مضموم في العقول، إلى كون الجهل قبيحاً»⁽¹⁾.

وهذا التضام مرتبط بتحليل المتلقي وعلاقته بالخطاب أو النص.

وإذا كان التضام في اللسانيات النصية متمثلاً في حدود علاقات معينة بين كلمات وجمل النص، مثل علاقة التعارض، أو علاقة الجزء والكل والعام والخاص، فهو عند عبد القاهر الجرجاني، متمثل في بعض الفنون البلاغية، كالمحسنات البديعية، كالمزاوجة بوصفها وجهاً من وجوه ربط أجزاء الكلام، يقول: «واعلم أن مما هو أصل في أن يدقّ النظر، ويغمض المسلك، في توحي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول (...). فمن ذلك أن تزوج بين معنيين في الشرط والجزاء معا...»⁽²⁾.

فالمزاوجة عند عبد القاهر الجرجاني، نمط ووسيلة من وسائل التماسك المعجمي التي جاءت ضمن عنصر التضام.

كما ورد هذا المصطلح عند البلاغيين بعناوين متعددة منها:

1-المطابقة: قال أبو هلال العسكري: «المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحرّ والبرد»⁽³⁾.

ويقول القزويني: «وتسمى الطباق والتضاد أيضاً، وهي: الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد: اسمين كقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: 18]، أو فعلين، كقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: 26]»⁽⁴⁾.

(1) _ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص226.

(2) _ المصدر نفسه، ص93.

(3) _ أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، ص307.

(4) _ جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني، المعروف بالخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص348.

2-المقابلة: هي «إيراد الكلام، ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة، فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل، مثاله قول الله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: 52]، فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم، ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَتًا مَكْرًا﴾ [النمل: 50]، فالمكر من الله تعال بالعذاب، جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته»⁽¹⁾.

ويرى ابن الأثير أن لا فرق بين الاصطلاحين (المطابقة والمقابلة)، يقال: «الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة، لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين، إما أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس ضده، وليس لنا وجه ثالث»⁽²⁾.

ويرى حازم القرطاجني أن المقابلة تكون بالتوفيق بين المعاني التي يطابق، بعضها بعضاً، وأنواع المقابلات تتشعب، وقل من يفطن إلى مواقعها في الكلام، وأكثر ما يشعر به منها مقابلة التضاد والاختلاف⁽³⁾.

مما تقدّم تظهر عناية البلاغيين بالمقابلة بين الألفاظ في الاستعمال، فهي تربط الكلام بعضه ببعض عن طريق التضاد، لأنّ الضد أقرب إلى البال عن ذكر ضده.

ب- مفهوم التضام عند النصيين:

عرفه محمد خطابي بقوله: «التضام وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك»⁽⁴⁾.

والعلاقة التي تربط بين هذين الزوجين، لا يشترط أن تكون بالإيجاب دائماً، فقد تكون علاقة تعارض وتقابل، ويرى خطابي أن المتلقي يواجه إشكالا في إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها، فليس دائماً تكون هذه العلاقة واضحة للعيان، ولكن القارئ يعتمد إلى ذلك مسلحاً بمخزونه اللغوي وخلفياته الثقافية، مما يعني أنه لا يوجد مقياس آلي صارم، يجعل المتلقي يصنف كلمات النص في مجموعة محددة⁽⁵⁾.

(1) _ أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، ص337.

(2) _ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص144.

(3) _ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص52.

(4) _ محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص25.

(5) _ المرجع نفسه، ص ن.

وهذا النوع من التماسك المعجمي، من أكثر أدوات التماسك النصي صعوبة في التحليل، حيث يعتمد على المعرفة المسبقة للقارئ بالكلمات، في سياقات متشابهة، بالإضافة إلى فهم تلك الكلمات في سياق النص التماسك.

وبحسب هاليداي ورقية حسن، ثمة أزواج من الألفاظ متصاحبة دوماً، فذكر أحدها يستدعي ذكر الآخر، أي تتشكل العلاقة الرابطة لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة⁽¹⁾.

وقد توسّع هاليداي ورقية حسن في هذا المفهوم المتعلق بالألفاظ المتصاحبة، إلى الألفاظ المتضادة، حيث يقدمان المثال الآتي:

لماذا يتلوى هذا الولد الصغير طوال الوقت؟ البنات لا تتلوى.

ويقرران وجود علاقة التضاد بين الولد والبنات، وورودهما متضادين يساهم في تحقيق النصية⁽²⁾.

إن كل هذه العلاقات بين الكلمات تخلق في النص ما يسمى بالتضام، فشعور المتكلمين يتجه إلى اعتبار أحد المتقابلين في التضاد ذا معنى إيجابي، والآخر ذا معنى سلبي.

2-2- علاقات التضام⁽³⁾:

أ-علاقة التضاد والتقابل: التضاد هو الجمع بين الشيء وضده، كالبياض والسواد؛ أي الدلالة على عكس المعنى، أو العلاقة بين العبارة ونقيضها، ويقع التضاد بين الأسماء (رجل، امرأة) والأفعال (يصمت، يتكلم)، وهو عند القدماء الطباق أو المقابلة.

أما المقابلة فهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب.

وفي علاقة التضاد والتقابل، تترابط الكلمات مع بعضها البعض، من خلال أشكال التقابل بأنواعها المختلفة.

ب-التدرج التسلسلي: حيث تمكن هذه العلاقة من خلق وحدات كلية داخل النص

(1) _ جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص107.

(2) _ محمد خطاي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص25.

(3) _ ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، ص109-110. وينظر: حسام أحمد فرج: نظرية علم النص:

رؤية منهجية في بناء النص الشري، ص111-115.

الواحد، تترابط فيما بينها ترابطاً منطقيًا، قائماً على وجود أبعاد زمانية، تدعم فكرة التعاقب بين الأحداث المتسلسلة.

ج-علاقة الجزء بالكل: من العلاقات التي لا تظهر إلا مع موضوعات خاصة، الهدف منها تقديم وصف خاص لمفهوم عام، وتقوم على عرض تصور خاص بذكر بعض الأجزاء المكونة للمفهوم وصفاته الملازمة له، مما يكمل الصورة المقصودة لهذا الشيء العام (صندوق، غطاء الصندوق)، (الحجرة، المنزل).

د-علاقة الجزء بالجزء: وهي ذكر أكبر عدد من الأجزاء، بهدف تقديم صورة عامة لما تشكله من كل واحد (فم، ذقن)، (أنف، عين).

هـ-علاقة الارتباط بموضوع معين: حيث يتم الربط بين العناصر المعجمية نتيجة الظهور في سياقات متشابهة، وهذه العلاقات تكون متلازمة (التلازم الذكري)، مثل: (المرض/الطبيب)، (النكتة/الضحك)، (القط/الفأر) وقديماً تسمى مراعاة النظر، وهذه العلاقة بجانب كونها معبرة عن شكل من أشكال التماسك، إلا أنها تعمل في إطار محدد لا يتعدى حدود الجملة التي تجمع بين المتلازمين.

و-الاشتمال المشترك: مثل (كرسي، منضدة)، حيث ينتمي الكرسي والمنضدة إلى كلمة شاملة لهما وهي (الأثاث).

ز-الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة منتظمة: و تشمل الكلمات المرتبة مثل: (شمال، جنوب، شرق، غرب)، (سبت، أحد اثنين.. جمعة)، (جانفي، فيفري،... ديسمبر)

ح-الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة غير منتظمة: مثل: (أحمر، أخضر...)

وقسم تمام حسان علاقات التضام على النحو الآتي⁽¹⁾:

أ-علاقة التلازم: وهو أن يكون لفظ ملازم للفظ.

ب-علاقة التوارد: وهو مناسبة لفظ للفظ آخر؛ إذ لا يمتنع أن يصاحبه.

ج-علاقة التنافي: وهو تنافر لفظ مع لفظ آخر، ولا يردان معاً متواليين في تركيب واحد.

(1) _ تمام حسان، البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ط03، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2009م، ج1، ص249-250.

وعليه، فإنّ هذه العلاقات المعجمية هي مصدر للربط بين الكلمات، تؤدي وظيفة دلالية، وتهدف إلى تحقيق التماسك النصي بين الكلمات المتضادة والمتقابلة.

2-3- التضام في قصة موسى عليه السلام:

إن جزءاً مهماً من التماسك النصي تحققه المفردات المعجمية، وهذا على مستوى التضام، كما سنبين ذلك من خلال الجدول الآتي:

| الشرح | نوع التضام | الشاهد | الرقم |
|---|--|---|-------|
| تسليط الضوء على الازدواجية في سلوكيات فرعون وملئه، ومن ذلك الارتباط بين الحسنة والسيئة. | [تضام لفظي] الحسنة/السيئة. | ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131] | 01 |
| وهذا تضام على مستوى المواقف، فالنص الأول يبين موقف بني إسرائيل المعاند والرافض لما جاء به موسى عليه السلام، والموقف الثاني يبين تراجعهم عن الموقف الأول، أما الموقف الثالث فهو نقضهم لوعدهم في موقفهم الثاني. فصورت لنا هذه المواقف ثلاثة مشاهد متضادة. | [تضاد وتقابل] فما نحن لك بمؤمنين/لنؤمنن لك / إذا هم ينكتون. | ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 132] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (١٣٣) ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٣٤) [الأعراف: 133-134] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجْلِ هُمْ بَلَّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ [الأعراف: 135] | 02 |
| التقابل المتضادة يمثلها مشهد القساوة (عدو لي وعدو له)، ومشهد الرحمة والعناية (وألقيت عليك محبة مني). | [تضاد وتقابل]/تضام سياقي | ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ | 03 |

| | | |
|--|--|---|
| | <p>عدو لي و عدو له/وألقيت عليك محبة مني.</p> | <p>لَهُ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ [طه: 39]</p> |
| <p>التضام اللفظي بين (مجنون) و(تعقلون)أسهم في تماسك النص رغم تعارض اللفظين،فقد قابل موسى عليه السلام، ما نسبه إليه فرعون وقومه من الجنون، بنفي العقل عنهم إن لم يستطيعوا إدراك أن ثم رباً خلقهم وآباءهم، وهو رب المشرق والمغرب،وهذا دليل على الخالق لمن له عقل، فإن لم يؤمنوا به، مع ظهور الآيات، فإنهم لا يعقلون.</p> | <p>[تضام لفظي] مجنون/تعقلون.</p> | <p>04 ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾ [الشعراء: 26-28]</p> |
| <p>تضاد سياقي على مستوى المواقف يمثله طرفان،فأما الأول (الذين يريدون الحياة الدنيا)، والثاني (الذين أوتوا العلم)، والأصل أنهما مكملان لبعضهما، لكن السياق أوردهما كثنائيين ضديين، موقفمتهافت على الدنيا في مقابل موقف متعلق بقيمة العلم.</p> | <p>[تضاد وتقابل] تضام سياقي الذين يريدون الحياة الدنيا /الذين أوتوا العلم.</p> | <p>05 ﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَنبَأْنَاهُ مِن الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أوتيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۗ وَلَا يُسْئَلُ عَن</p> |

| | | | |
|---|--|---|----|
| | | <p>ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ [القصص: 76-80]</p> | |
| <p>يتمثل هذا التضام النفسي في عطف الجملة (وأتينا موسى الكتاب) على جملة (أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)، ومسوغ العطف تشابهما في عدة أمور على سبيل علاقة النظير والشريك: [التوراة=القرآن]، [موسى عليه السلام أوتي النبوة ليلا=محمد ﷺ أسري به ليلا]، [سكن بنو إسرائيل الأرض المقدسة= محمد ﷺ أسري به إلى المسجد الأقصى]، [كلاهما كليم الله].</p> | <p>[تضام نفسي] محمد ﷺ/موسى عليه السلام.</p> | <p>﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴿[الإسراء: 1-2].﴾</p> | 06 |
| <p>اتصلت هاتان الجملتان (موسى) و(بني إسرائيل)، عن طريق التضام المعجمي، فكلمة (بني إسرائيل) في الجملة الثانية مرتبطة بكلمة (موسى) في الجملة الأولى، من حيث إن موسى عليه السلام، هو النبي الذي أرسله الله تعالى إلى بني</p> | <p>[تضام معجمي] موسى عليه السلام/ بنو إسرائيل.</p> | <p>﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ﴿[الإسراء: 2].﴾</p> | 07 |

| | | | |
|---|---|---|-----------|
| <p>إسرائيل، والسامع لكلمة بني إسرائيل، يتبادر إلى ذهنه النبي الذي أرسل إليهم موسى عليه السلام، بمعنى أن توارد هذا الزوج من الكلمات، إنما هو حادث بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم علاقة جامعة بينهما، وهذا يسهم إلى حد بعيد في تماسك النص القرآني، وخاصة منه القصصي.</p> | | | |
| <p>نوح عليه السلام مرتبط بموسى عليه السلام، على مستوى تذكير بني إسرائيل بمصير قوم نوح عليه السلام، فجاء السياق القرآني ليفرض وجود نوح عليه السلام، دون غيره من الأنبياء.</p> | <p>[تضام معجمي] موسى عليه السلام/ نوح عليه السلام.</p> | <p>﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِنْدَبَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: 2-3]</p> | <p>08</p> |
| <p>الحديث عن الدار الأولى يفرض الحديث عن الدار الآخرة، لذا جاء السياق متقابلا ومتضادا، والخطاب موجه لبني إسرائيل.</p> | <p>[تضاد وتقابل]/ (فإذا جاء وعد أولاهما/فإذا جاء وعد الآخرة). الأولى/الآخرة</p> | <p>﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٧﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَعُوْا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء: 5-7]</p> | <p>09</p> |

| | | | |
|---|---|---|-----------|
| <p>تشارك كل من اللفظتين (النجاة/النار) في موضوع واحد، وهو الجزاء فالتضاد ليس مباشرا، وإنما المقصود هو إما دخول الجنة أو دخول النار.</p> | <p>[تضام لفظي] النجاة/النار.</p> | <p>10 ﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: 41]</p> | <p>10</p> |
| <p>هذا التضاد السياقي مثلته هذه البنى المتضادة، والتي تمثل إجابات الرجل الصالح وتفسيراته لما لم يقدر موسى عليه السلام الصبر عليه.</p> | <p>[تضاد وتقابل]/ (فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرجتها لتغرق أهلها...)/ (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا...) (فانطلقا حتى إذا لقيها غلاما فقتله قال</p> | <p>11 ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَاذْبَأُوا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِشَأْنِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ</p> | <p>11</p> |

| | | |
|--|---|--|
| | <p>أقتلت نفسا زكية بغير نفس...)/ (وأما الغلام فكان أبواه مومنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) (...فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا)/ (وأما الجدار فكان لغلامين في المدينة وكان تحته كنز لهما... أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما).</p> | <p>يَبْدِلُهُمَا زُخْرًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ [الكهف: 71-82]</p> |
|--|---|--|

من خلال قراءة الجدول يتبين ما يأتي:

تأتي الثنائيات الضدية في الخطاب القرآني، باعتبارها علاقة لسانية جزئية، وتعمل على تصوير المشاهد، وربطها ببعضها من خلال المواقف المتخالفة، لترصد بذلك الحالة النفسية للأشخاص، كما في [المثال: 01]، حيث يركز النص على التضام اللفظي بين الحسنة والسيئة، ليسلط الضوء على الازدواجية في سلوكيات فرعون وملئه.

إن هذه المشاهد الضدية، لما تجتمع تصوّر المشهد تصويراً حياً، كما في [المثال: 02]، «فالحالات المتضادة إذا تالتت واجتمعت معا في نفس المدرك كان شعوره بها أتم وأوضح، وهذا لا يصدق على الإحساسات والإدراكات والصور العقلية حسب، بل يصدق على جميع حالات الشعور كاللذة والألم والتعب والراحة... الخ، فالحالات النفسية المتضادة يوضح بعضها بعضاً»⁽¹⁾.

كما ساهمت الثنائيات الضدية في ربط مشاهد قصة موسى عليه السلام، الواردة في سورة الأعراف بعضها ببعض من الآية [131] إلى الآية [135] وارتبطت نفسياً بحالة المتلقي (القارئ).

التقابلات المتضادة الممثلة في التضام السياقي، كما في [المثال: 03]، تساعد المتلقي على رصد المقابلات وتصوير المشاهد القصصية .

للعناصر المعجمية المتعارضة وظيفة اتساقية في النص تسهم في تماسكه، كما في [المثال: 04]، قال الزمخشري: «عارض موسى": إن رسولكم لجنون بقوله: إن كنتم تعلقون»⁽²⁾.

تعدى التضام السياقي مستوى الكلمات والجمل والعبارات، إلى مستوى المواقف، إذ يجد المتلقي مواقف إيجابية في مقابل مواقف سلبية، كما في [المثال: 05] .

يربط التضام النفسي بين النبيين (محمد ﷺ/موسى عليه السلام) على سبيل علاقة النظير أو الشريك، وهذا مظهر من مظاهر التماسك النصي في القصة القرآنية، كما في [المثال: 06]، حيث إن هذه المعلومات المخزونة في الأذهان، لم تجتمع إلا مع النبيين، موسى عليه السلام، ومحمد ﷺ.

جاء الربط المعجمي ليسهم في تماسك النص القرآني، على مستوى ترابط الجمل، كما في [المثال: 08]، بمعنى أن السياق نفسه يفرض في هذا المستوى من التحليل وجود كلمة (نوح) إلى

(1) _ يادكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السرد القرآني، ط1، دار الزمان، دمشق، سوريا، 2010م، ص266.

(2) _ الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص787.

جانب (موسى)، عليهما السلام دون غيره من أنبياء الله ورسله.

_ لقد حقق التضام في قصة موسى عليه السلام، بناء نصيا متماسكا، من خلال ربط العناصر المعجمية بعضها ببعض، كما ساهم في خلق وحدة نصية قصصية، وفق ترتيب النزول، وبيّن العلاقة النصية بين موسى عليه السلام، وغيره من الأنبياء عليهم السلام، الأمر الذي وسّع البناء النصي، بين السور القرآنية.

ومما سبق، فإن الآيات النصية النحوية والمعجمية، قد بيّنت فعاليتها في قصة موسى عليه السلام، وفي تماسك عناصرها المعجمية متقاربة ومتباعدة، بمعنى أنها حققت التماسك النصي بين العناصر المتعلقة بعضها ببعض، كما كشفت هذه الآيات عن دلالات تحققت في خطاب هذه القصة، تمثلت في العلاقة بين مقصد السورة وأجزائها ومقاطعها المكونة لها.

الفصل الرابع

العلاقات النصية وتماسك

قصة موسى عليه السلام.

_أولا: علاقة المناسبة بالتماسك النصي وأهميتها
في القرآن الكريم.

_ثانيا: دلالة السياق في النص القرآني.

_ثالثا: التماسك النصي بين قصة موسى عليه
السلام والقصص القرآني في السورة الواحدة.

_رابعا: التماسك النصي بين قصة موسى عليه
السلام و سياق السورة الواردة فيها.

حفلت الدراسات العربية القديمة بنماذج نصية متجاوزة فيها إطار الجملة إلى النص، ومحاولة الكشف عن خبايا النص القرآني وأسراره البلاغية واللغوية، باعتباره نصًا معجزًا في نظمه وترتيبه، وهذا ما سعى إليه علماء القرآن حين بحثوا عن الآليات والقواعد التي من شأنها أن توضح تماسك هذا النص وترابط أجزائه، لأنّ النص القرآني قد نهج نهجًا فريداً في عرضه لقضاياها، حيث خالف بما سائر المناهج السابقة واللاحقة، التي اصطلحت في مناهجها أن تبني على مقدمات ومباحث متسلسلة، أو أبواب أو فصول، إلى غير ذلك من تقسيمات في إطار مقاصد محدودة، ونتائج مرسومة، فتراه يذكر طرفاً من الشيء، ثم يتركه ثم يعود إلى إتمامه، فنجد الآية متماسكة في كلماتها، متناسبة مع بقية الآيات، وتلتقي السورة بالتي بعدها والتي قبلها، برابط يجعل منها جسماً وهيكلًا واحداً، فكانت بذلك سور القرآن الكريم معجزةً بنظمها، بديعة في اتساقها، متناسبة في آياتها.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن القرآن الكريم، قد نزل متفرقا بحسب الأحداث في نيف وعشرين عاماً، ومع ذلك يقال إنه كالكلمة الواحدة، وهذا مسلك علماء القرآن الذين استخدموا مصطلحات تنتمي إلى مجال التماسك النصي مثل: المناسبة بين الآيات، والنظم، وكيفية الاتصال، وكيفية التناسب، حيث يوضحون بهذه المصطلحات تماسك النص القرآني وترابطه⁽¹⁾.

لقد انطلقت الدراسات حول القرآن الكريم من التسليم بانسجام آياته وتناغم سورته، لأنّه نص معجز في الأساس بنظمه، وأن يكون كل دال فيه منسجماً مع ما يجاوره مناسبا له، بما يفضي إلى تناسب كل آية من آياته في ذاتها أولاً، وفي موقعها الذي حددته علاقتها بالسورة التي تسبقها والتي تعقبها ثانياً، وهذا يعني أننا إزاء بناء متكامل متناسب الوحدات متناغمها؛ الأول فيه ما كان يجب أن يكون ثانياً، والثاني فيه ما كان يجب أن يكون أولاً، وهذا الغرض يشمل كافة العناصر، والوحدات التي يضمها النص، وهو ما يؤول إلى بنية كلية، مشددة أولها إلى آخرها، ومردود أولها على آخرها.

وهذا ما نعني به التماسك النصي، أو الترابط الدلالي على المستوى الداخلي للنص، حيث اتفقت الدراسات اللسانية الحديثة على وحدة تماسك النص بكونه كلا واحداً، كما يشير هذا المصطلح إلى الربط الدلالي المنظم للأفكار داخل الخطاب⁽²⁾.

وبعبارة أخرى، فإنّ البحث في تماسك النص القرآني يضطلع به علم المناسبة، الذي جعل

(1) _ أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2014م، ص63.

(2) _ هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، ص196-197.

من المهتمين بعلوم القرآن والتفسير السابق في إدراك علم النص، وفي تحليل النص على مستوى يتجاوز حدود الجملة الضيقة، فكيف يتم ربط المناسبة في إدراك علم النص، وفي تحليل النص على مستوى يتجاوز حدود الجملة الضيقة، وكيف يتم ربط المناسبة في القرآن بتماسك الأجزاء المشكلة للنص، والاهتمام بالوسائل اللغوية التي تصل بين العناصر المكونة للخطاب؟ وكيف ارتبطت الآيات والسور وشكّلت نصاً لغوياً متماسكاً؟.

لقد كان ذلك عن طريق استخراج الوسائل والعلاقات والآليات التي تفتن المفسرون واللغويون إلى إسهامها في جعل النص القرآني آيات وسورا كلا واحداً موحداً، وهذا ما سألته في قصة موسى عليه السلام، من حيث مناسبتها لسياق السورة، وسياق آياتها، وسأرتب السور التي وردت فيها القصة حسب تاريخ النزول للسور، حتى تكون الدراسة أكثر موضوعية، ويمكن إصدار أحكاماً صحيحة، نصل بها إلى نتائج منطقية، ولإدراك حكمة التنزيل دون اعتبار للترتيب الزمني للأحداث، كما أنني سأدرس اختلاف التعبير عن القصة الواحدة بألفاظ متعددة، بحسب السياق الذي وردت فيه، وسأختار مجموعة من الأمثلة تخدم الغرض المطلوب.

أولاً- علاقة المناسبة بالتماسك النصي وأهميتها في القرآن الكريم:

قبل تحديد نوع العلاقة التي تجمع علم المناسبة بالتماسك النصي، حري بنا أن نتناول نشأتها، ونقف على مفاهيمها عند اللغويين والبلاغيين، وعند علماء القرآن.

1- نشأة علم المناسبة:

أدرك المهتمون بالنص القرآني من العرب الأوائل تناسب القرآن الكريم منذ فترة نزوله، مع إنهم استهزؤوا به ووسموا بالسحر وبأساطير الأولين، دافعهم في ذلك هو المكابرة والمعاندة.

ومما يدل على ذلك الموقف الوليد بن المغيرة بعد سماعه القرآن الكريم من الرسول ﷺ، حيث علم أبو جهل بذلك فأتاه فقال: يا عمّ إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمد لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطّم فاتحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني

حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يآثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: 11]⁽¹⁾.

إن قول الوليد بن المغيرة، فيه دلالة واضحة على تأثير القرآن الكريم على النفس البشرية، فلقد أحسّ بسلاسة القرآن وجماله وتناسقه وترابطه ومنزلته الرفيعة في الكلام.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن مشكم في عامة من يهود سمامهم، فقال: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئت به، حق من عند الله عز وجل فإننا لا نراه متناسقا كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدوناه مكتوبا عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به»⁽²⁾.

وقد نقل الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" عن أبي الحسن الشهرستاني (ت672هـ)، أول من أظهر هذا العلم، في قوله: «أول من أظهر بيغداد، ولم نكن سمعناه من غيره، هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة»⁽³⁾.

أما أول من وضع مصطلح المناسبة، فيمكن أن يكون الرازي عند تفسيره لآخر سورة المائدة، وكلامه عن مناسبة آخر السور لافتتاحيتها، حيث قال: «فمفتتح السورة من الشريعة، ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته وقدرته وعلوه، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة، فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح وهذا المختتم»⁽⁴⁾.

ولقد كان العلماء في هذا العلم على وعي وإدراك بإمكان الاعتراض على هذا العلم، على أساس أن القرآن نزل في أوقات وأماكن مختلفة، وقد أجاب عن هذا الاعتراض ولي الدين الملوي - أحد مشايخ الزركشي - قائلا: «قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على

(1) _ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجموي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، ط1، مؤسسة قرطبة، مصر، القاهرة، 1421هـ-2000م، مج14، ص182.

(2) _ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج15، ص76.

(3) _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص36.

(4) _ الرازي، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج12، ص147.

حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبة سورة كلها وآية بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم، لو استفتي في أحكام متعددة، أو ناظر فيها، أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة، لوم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقاً، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقى له»⁽¹⁾.

إن القرآن الكريم على الرغم من تفاوت أوقات نزوله شكّل نصّاً واحداً، وهو كالكلمة الواحدة كما يعبر عنه، فالزخشي لم يستعمل كلمة مناسبة، بل استعمل صيغة استفهامية للتعبير عن وعيه بالترابط القرآني وكيفيته، وهذا ما يوجد في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]؛ حيث يقول: «فإن قلت علام عطف هذا الأمر، ولم يسبق أمر ولا نهي يصحّ عطفه عليه؟ قلت: ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مُشاكل من أمر أو نهي، يُعطف عليه، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين...»⁽²⁾.

أما صبحي إبراهيم الفقي، فيقول: «والذي نراه أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، في ليلة واحدة، ثم نزل على رسول الله ﷺ في نيف وعشرين سنة منجماً، وهذا النزول مرة واحدة يوحى بتماسكه، ووجود المناسبة بين الآيات من ناحية وبين السور من ناحية أخرى، ومن ثم فلا مكان للزعم بعدم الربط بين آياته وسوره»⁽³⁾.

ومن خلال ما سبق يتبين أن نشأة علم المناسبات، وتطبيقاته على القرآن الكريم، أثناء بيان مراده مرتبطة بالزمن الذي بدأ فيه نزول القرآن الكريم، منذ كان الرسول ﷺ في مكة قبل الهجرة، وقصة الوليد بن المغيرة تدل على ذلك دلالة واضحة، كما يتبين لنا أيضاً وعي المفسرين واللغويين بارتباط آي القرآن الكريم، وسوره بعضها ببعض، فتناولوا أنواع المناسبة والعلاقات القائمة بين الآي من جهة، وبين السور من جهة أخرى لإظهار تماسك النص القرآني.

(1) _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص37.

(2) _ الزخشي، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص228.

(3) _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج2، ص89.

2- مفهوم المناسبة:

أ- المناسبة عند اللغويين:

مرّ معنى المناسبة عند اللغويين بمرحلتين، المرحلة الأولى ممثلة في الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، الذي أورد ثلاثة معاني:

- أ- في القربات منه فلا نسيبي، وهؤلاء أنسابي ورجل نسيب، والنسبة مصدر الانتساب.
 - ب- النسيب في الشعر ما كان نسيباً، شعر منسوب وجمعه مناسيب، وهو الشعر في النساء.
 - ج- الطريق الواضح كطريق النمل والحية، وطريق حمر الوحش إلى المورد وهو طريق واحد⁽¹⁾.
- وإلى هذه المعاني ذهب الأزهري (ت370هـ)، الذي يقول: «والنسب يكون بالآباء ويكون إلى البلاد، ويكون بالصناعة»⁽²⁾.

إن النسبة في هذه المرحلة تعني الاتصال والترابط، لأنّ النسب هو مدار الاتصال، والتواصل بين الناس، وكذلك الشعر في شأن النساء سمي نسيباً لاتصاله بهن، والطريق المستقيم الواضح سمي نسيباً لاتصاله وعدم اعوجاجه.

أما المرحلة الثانية، فالمناسبة لها معنيان إثنان:

الأول عند الجوهرى (ت393هـ) الذي يقول: «ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة»⁽³⁾، وإلى هذا المعنى مال الزمخشري في تعريفه للمناسبة حيث قال: (ومن الجاز بين السيئين مناسبة وتناسب، ولا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة)⁽⁴⁾.

كما تعني المناسبة المشاكلة عند ابن منظور، الذي يقول: «وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي: مشاكلة»⁽⁵⁾.

(1) _ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين: مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، مادة (نسب)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م، ج4، ص214.

(2) _ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد العليم البردوني، مادة (نسب)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، القاهرة، (دت)، ج13، ص14-15.

(3) _ إسماعيل بن جهاد الجوهرى، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مادة (نسب)، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1404هـ-1984م، ج1، ص224.

(4) _ الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (نسب)، ج2، ص265.

(5) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نسب)، مج2، ج49، ص4405.

وهو ما قال به أيضا صاحب القاموس المحيط⁽¹⁾، وزاد صاحب تاج العروس تفصيلا قائلاً: «من الجاز: المناسبة المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب أي مشاكلة وتشاكل وكذا قولهم لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة»⁽²⁾.

الثاني ما ذهب إليه ابن فارس: «النون والسين والباء كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول: نسبت أنسب، وهو نسيب فلان... والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض»⁽³⁾.

فالمناسبة عند ابن فارس تعني الاتصال بوجه من الوجوه، اتصالاً أعم من كونه مشاكلة فحسب، وعليه فإنّ المناسبة في اللغة تعني الاتصال، المقاربة والمماثلة.

ب- المناسبة عند البلاغيين:

يمكن أن نعتبر أن ما تكرر عند العلماء اللغويين من تفسير المناسبة بالمشاكلة، هو نفسه معناها عند البلاغيين، حيث إنها تعني: الترتيب للمعاني، المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر، ونقل التهانوي أن المناسبة عند البلاغيين هي جمع أمر، وما يناسب لا بالتضاد⁽⁴⁾.

ثم تلا ذلك تداول لفظ المناسبة من قبل البلاغيين في أبواب مختلفة من علمي المعاني، والبديع، كالمقابلة، ومراعاة النظر، وتشابه الأطراف، وقسم منهم يطلقونها على الفصل والوصل⁽⁵⁾.

وقد استقر تعريف المناسبة على يد ابن أبي الأصبغ المصري في كتابه (البديع)، حيث قال: «المناسبة على ضربين مناسبة في المعاني، ومناسبة في الألفاظ»⁽⁶⁾.

(1) _ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي، القاموس المحيط، مادة (النسب)، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، 1301هـ، ج1، ص130-131.

(2) _ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (نسب)، ج4، ص265.

(3) _ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (نسب)، ج5، ص423-424.

(4) _ محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، 1996م، ج2، ص1646.

(5) _ ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ط2، دار الكتب، العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ-1988م، ص128_278.

(6) _ ابن أبي الإصْبَع المصري، بديع القرآن، تح: حفي محمد شرف، ط1، دار نضفة، مصر، القاهرة، 1957م، ج2، ص145.

ثم عرّف المعنوية بقوله: «هي أن يتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (٦٦) أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَمَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ أَفَلَا يَبْصُرُونَ﴾ (٦٧) [السجدة: 26-27]

ثم قال: (فانظر إلى قوله تعالى في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية، لكونهم لم ينظروا القرون الهالكة، وإنما سمعوا بها [أو لم يهدلهم]، كما قال في التي بعدها [أو لم يروا] وقال تعالى بعد الموعظة السمعية [أفلا يسمعون]، وبعد الموعظة المرئية [أفلا يبصرون]، لأنّ الزرع مرئي لا مسموع ليناسب آخر كل كلامه أوله»⁽¹⁾.

أما القسم الثاني عند ابن أبي الأصعب فهي: المناسبة اللفظية، وهي عبارة عن الإتيان بلفظات مترنات مقفاة وغير مقفاة⁽²⁾.

كما نجد أن البلاغيين قد دار على ألسنتهم لفظ النظم في معنى المناسبة، يقول ابن منظور عن النظم: «وهو التأليف، تقول نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله، وكل شيء قرنته بآخر أو ضمنت بعضه إلى بعض في نظام واحد كذلك هو في كل شيء حتى يقال ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقه، والانتظام الاتساق»⁽³⁾.

ويرى الجرجاني أن النسبة هي: «إيقاع التعلّق بين الشيئين»⁽⁴⁾.

إن ما ذكره البلاغيون موافق لما تقدم في معنى المناسبة.

ج- المناسبة عند علماء القرآن:

يعرف الزركشي المناسبة بادئا بالتعريف اللغوي قائلا: «المناسبة في اللغة: المقاربة وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل بالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسيين بمعنى رابط بينهما، وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم، لأنّه إذا حصلت مقارنته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم،

(1) _ ابن أبي الإصْبَعِ المصري، بديع القرآن، ج2، ص145-148.

(2) _ المصدر نفسه، ج2، ص149.

(3) _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نظم)، مج2، ج49، ص4469.

(4) _ علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1958م، ص310.

ولهذا قيل المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها -والله أعلم- إلى معنى ما رابط بينهما: عام، أو خاص، عقلي أو حسّي أو خيالي... أو التلازم الذهني... أو التلازم الخارجي؛ كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخير»⁽¹⁾.

لقد بدأ الزركشي بتعريف عام للمناسبة، وأبرز الأصل اللغوي، وبين أن العقول تقبلها، ثم عقب ذلك بالحديث عن المناسبة في القرآن، فأوضح أنها لا تخرج عما تقدّم، لكنه وضع إطاراً وقاعدة للقول بالمناسبة في القرآن الكريم، فإنه لا بد من أن يكون بين المتناسبين من آي أو سور، أو مقاطع معنى رابط يربط بينهما، وهي ما يأتي من أنواع رابطة.

وقد وافق السيوطي الزركشي، إلا أنه اشترط شرطاً لتحقيق المناسبة، وهو ضرورة وجود معنى رابط بين المتناسبين، بمعنى أن مرجع المناسبة في الآيات: «المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات، ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص عقلي، أو حسّي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه»⁽²⁾.

يحدد السيوطي وقبله الزركشي أنواع العلاقات التي تربط بين السور، والآيات ويجعلها في:

-رابط عام أو خاص، أي الانتقال من الجزء إلى العام أو العكس.

-رابط عقلي أو حسّي أو خيالي.

-التلازم الذهني: السبب والمسبب، العلة والمعلول، النظيرين، الضدين.

ويلاحظ في تعريف السيوطي زيادة لفظ المشاكلة، والإتيان بمرجع المناسبة وشرطها في آيات القرآن الكريم، كما هي عند الزركشي، وأنه لم يضع أي منهما تعريفاً للمناسبة في القرآن الكريم.

لكن السيوطي ألحق بما تقدّم قوله: «وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء، المحكم المتلائم الأجزاء، فنقول: ذكر الآية بعد الأخرى، إما أن يكون ظاهر الارتباط بتعلق الكلام ببعضه ببعض، وعدم تمامه

(1) _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص35.

(2) _ السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج1، ص1840.

بالأولى فواضح... وإما أن لا يظهر الارتباط»⁽¹⁾.

وهنا أرشد السيوطي إلى البحث عن جامع أو عن دعامة تؤذن بالاتصال.

وعرف ابن العربي المناسبة بقوله: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلَةً، ورأينا الخلق بأوصاف البتلة؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»⁽²⁾.

أما برهان الدين البقاعي، فقد عرف علم المناسبات في مقدمة تفسيره "نظم الدرر"، فقال: «علم المناسبات... علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسباته من حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب، ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة»⁽³⁾.

فمعرفة مقصود السورة، لا يتم إلا بمعرفة سياقها، فيتوقف معرفة المناسبات على معرفة السياق، والسياق يكون كالخادم لعلم المناسبات في إبراز علل الترتيب التي يراها المفسر، وأسباب تقدم بعضها على بعض، فمن هذه الجهة يكون السياق خادماً لعلم المناسبات، ومن جهة أخرى يكون علم المناسبات خادماً للسياق، وذلك من خلال الكشف عن أوجه المناسبة، بما يكون عوناً للمفسر في إيضاح كلامه، وهو كالترجمان للسياق القرآني، فكل من العلمين خادم للآخر.

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن علم المناسبات، علم يعنى بالبحث في أسرار ترابط الآيات وأجزائها، وترابط السور ببعضها، انطلاقاً من مقاصدها وأغراضها للوصول إلى اتساق معانيها، وانتظام مبانيها.

وإن المناسبة بين الآيات والسور تقوم على أساس أن النص القرآني وحدة مترابطة الأجزاء، ومهمة المحلل الذي يتعامل معه محاولة اكتشاف العلاقات أو المناسبات التي تربط بين الآيات،

(1) _ السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج1، ص1840.

(2) _ المصدر نفسه، ج1، ص1837. وينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص36.

(3) _ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص05-06.

وكذلك التي تربط بين السورة والأخرى، وإن وحدة النص القرآني بوصفه مترابط الأجزاء؛ هي الغاية التي يبحث عنها علم المناسبة.

3- المناسبة بين الرفض والقبول:

يشتمل القرآن على جوانب إعجازية كثيرة، منها الترابط الحاصل بين الآيات والسور، رغم تباين مراحل نزولها، واختلاف مقاصدها، وتنوع حديثها في ظل السورة الواحدة، هذا التنوع عمق الترابط، وأضفى على الآي جمالا سمي بالتناسب أو المناسبة التي انقسم العلماء فيها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: القائلون بوجود التناسب بين الآيات والسور:

المناسبة بين الآيات والسور، وارتباط مبانيها من وجوه إعجاز القرآن الكريم، والمتدبر لكتاب الله يجد أنه على الرغم من نزوله مفرقا، إلا أنه اكتمل مترابطا محكما.

ودافع عن المناسبة العديد من علماء القرآن إلى درجة التكلف، وأكدوا إثباتها بين كل آية وآية، وبين كل مقطع ومقطع، وأول كل سورة وخاتمتها، وآخر كل سورة ومطلع التي بعدها، ومن هؤلاء نجد: الرازي، وأبو جعفر بن الزبير، وأبو حيان الأندلسي، والزرکشي، وابن القيم الجوزية، وبرهان الدين البقاعي والسيوطي، ورشيد رضا، حيث يقول ابن القيم: «وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة، أو الخطبة بعضها ببعض من أوله إلى آخره، ولهذا قيل خير الكلام المسبوك المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض، والقرآن العظيم آياته كلها كذلك فاعرفه»⁽¹⁾.

كما اهتم به برهان الدين البقاعي، حيث قال: «علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو»⁽²⁾.

ويقول الطاهر بن عاشور: «وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتمت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض،

(1) _ ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق، ص341.

(2) _ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص6.

وهو منزع جليل، قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع...»⁽¹⁾.

لقد حاول هؤلاء العلماء إثبات وجود المناسبة بين الآيات والسور، وأنها آلية لتحقيق التماسك النصي في الكلام على عمومته، بما في ذلك النص القرآني، أما عن الأدلة التي اعتمدها هؤلاء فمنها:

- أن ترتيب آي القرآن وسوره توقيف من الرسول ﷺ، وهذا دليل على أنه قائم على تناسب الآي والسور، والذي به يثبت أحد جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، والمتمثل في النظم الذي يبرز إحكام القرآن.

- أن هذا العلم يعين على فهم الآي القرآنية، ويعد أحد المرجحات عند الاختلاف في فهمها، لذلك يتطلب في فهم كتاب الله معرفة ارتباط أوله بآخره والعكس.

القسم الثاني: المعتدلون في الرفض والقبول:

سلك هؤلاء منهجا وسطا بين المؤيدين والمعارضين، ومنهم العز بن عبد السلام، الذي ركّز على التناسب اللفظي، أكثر من تركيزه على المعنوي، وكان مفهوم التناسب عنده بين الجزء والجزء، يعني اتحادهما أو تماثلهما في قضية واحدة مع التماسها بين المعاني المتجاورة خاصة، يقول العز بن عبد السلام: «واعلم أنّ من الفوائد أنّ من محاسن الكلام أنّ يرتبط بعضه ببعض، ويتشبه بعضه ببعض، لئلا يكون مقطعا متبرا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متّحد، فيرتبط أوله بآخره، فإنّ وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلاميين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكّلف، لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك، يصاب عن مثله حسن الحديث، فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول ﷺ، في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب»⁽²⁾.

ويظهر مما تقدم من كلام العز أنه مقر بالربط، آخذ بالتناسب، لكنه اشترط للقول

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص8.

(2) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع الجاز في القرآن الكريم، اعتناء وتقديم: رمزي سعد الدين دمشقية، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1408هـ - 1987م، ص221.

بالمناسبة: اتحاد الأمر وارتباط أوله بآخره، وقد بين ما لا يمكن ربطه في نظره وأن من يقوم بربطه متكلف فيه.

ومن المعتدلين أيضاً، نجد الطاهر بن عاشور، وصبحي الصالح؛ هذا الأخير الذي يقول إن: «معيار الطبع أو التكلف فيما لمح من ضروب التناسب، بين الآي والسور، يرتد في نظرنا إلى درجة التماثل أو التشابه بين الموضوعات، فإن وقع في أمور متحدة مرتبطة أوائلها بأواخرها فهذا تناسب معقول مقبول، وإن وقع على أسباب مختلفة وأمور متنافرة فما هذا من التناسب في شيء»⁽¹⁾.

القسم الثالث: المعارضون لوجود التناسب بين الآيات والسور:

أعرض هؤلاء عن المناسبة لأنها أمر احتمالي؛ إذ لو كانت المناسبة ظاهرة، ما وسعهم انكسارها، وأسباب إعراضهم راجع إلى اختلاف فترات نزول القرآن، واختلاف أسبابه، وتنوع الحديث بين الآي في السورة الواحدة، الذي يستحيل معه وجود صلة ارتباط بين الآي بحسب وجهة نظرهم.

ومن المعارضين نجد الشوكاني، الذي استدلل بقوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اَللّٰهِ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِيْ اَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَاِيْتِيْ فَاَرْهَبُوْنَ﴾ [البقرة: 40]، فقال: «أعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلّفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية، المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الربّ سبحانه»⁽²⁾.

وبالنظر إلى أقوال هؤلاء وأدلتهم، فإنه لا يمكن الجزم بانعدام المناسبة في القرآن الكريم، بين آيه وسوره، حتى وإن نزل منجماً في أزمنة متفرقة، ورتب على خلاف نزوله؛ إذ إن نزوله على تلك الهيئة قد شكل نصاً متكاملًا، يسوده الانسجام وقوة الارتباط، ومتانة التماسك.

(1) – صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص152.

(2) – محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: يوسف الغوش، ط4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1428هـ-2007م، ج1، ص50.

وللمناسبة فوائد جمة، إذ تساعد في ترجيح رأي على آخر، إذا تساويا، وكان أحدهما أليق بارتباط أجزاء الآية، أو الآيات، فإن العقل يتوجه بداهة لترجيح ما هو الأولى بنظم الكلام، وأن ما ذمّه الشوكاني من التكلف في هذا العلم لا شك أنه ذم في محله، إذ التكلف غير مقبول عموماً⁽¹⁾.

أما قوله بأن من المناسبة كلام بمحض الرأي المنهي عنه، ففيه مبالغة، لأنّ الرأي المنهي عنه هو غير الملتزم بضوابط التفسير⁽²⁾.

مما تقدّم نرى إجماع الأقسام الثلاثة على وجود هذا العلم، على الرغم من اختلافهم في درجة الإقبال عليه، نظراً لقوة أدلة المثبتين، وضعف أدلة النافين، وهو ما يثبت ترتيب أي كتاب الله وسوره على الرغم من أن وحدة الموضوع أو السورة، قد لا تتضح بالنظرة الجزئية، أو النظرة السطحية للآي، فضلاً عن ذلك مكانة هذا العلم الرفيعة، كونه يفصل بين الآراء المتساوية في القوة ويعالج مشكلات التفسير، ويكشف النظم القرآني البديع.

إنّ القول بوجود التناسب بين الآيات والسور، هو الرأي الأرجح، لأنّ الصحابة -رضي الله عنهم- قد أشار بعضهم عند تفسيرهم للقرآن الكريم، مثل عبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- كما أن كثيراً من المفسرين قد اعتنوا بهذا العلم في تفاسيرهم، لأنه يبرز وجهها مهما من وجوه إعجاز القرآن⁽³⁾.

كما أن الإمام الشوكاني الذي عارض وجود المناسبة، قد أشار في تفسيره إلى المناسبة، قائلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]: «لما ذكر تعالى جزاء الكافرين، عقبه بجزاء المؤمنين، ليجمع بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز، لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين لطاعته وتنشيط عباده الكافرين عن معاصيه»⁽⁴⁾.

وفي هذا دلالة واضحة على أن التناسب له ارتباط وثيق بالتفسير.

(1) عقيد خالد حمودي الغزوي، البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم، ط1، دار العصماء، دار ماجد، دمشق، سورية، 1436هـ-2015م، ص293.

(2) المرجع نفسه، ص ن.

(3) المرجع نفسه، ص294.

(4) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير: الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير، ج1، ص38.

وفي موضع آخر يثني الشوكاني على البقاعي، وعلى كتابه "نظم الدرر"، حيث يقول: «ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير، الذي جعله في المناسبات بين الآي والسور، علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المعقول والمنقول، وكثيرا ما يشكل عليّ شيء في الكتاب العزيز، فأرجع إلى مطولات التفاسير ومختصراتها، فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب -نظم الدرر- فأجد فيه ما يفيد في الغالب»⁽¹⁾.

إن العز بن عبد السلام يقرّ بالمناسبات، ويمنع المبالغة فيها، أما الشوكاني فهو يرفضها إطلاقا، لكن القولين السابقين يجعلانه يقع في تناقض كما رأينا.

4-أنواع المناسبة:

النص القرآني وحدة لغوية متكاملة، من حيث المبنى والمعنى؛ إذ يتفق أوله مع آخره، وأخره مع أوله، وتسهم كل جملة من وحداته في تكوين دلالة لا تسمح لإقصاء كل كلمة أو جملة أو فقرة عن موضعها، ومن هنا يقوم التماسك النصي، بإيجاد علاقة بين أجزاء النص أو جمل النص، أو فقراته؛ لفظية أو معنوية، وكلاهما معا يؤدّي دورا تفسيريا.

وللمناسبة في القرآن الكريم أنواع عديدة، فمنها ما يتعلق بالدلالة المحضة الحاصلة من تأليف الكلام على مستوى السور والآيات وهي المعنوية، ومنها ما يتعلق بالألفاظ مفردة أو مركبة، وهي المناسبة اللفظية بين أجزاء الكلام، كالبعد عن التعقيد اللفظي، وتنافر الكلمات، ونظرا للاهتمام والاعتناء بالمناسبة المعنوية، فقد اتسع النظر في ترابط القرآن حتى أصبح الحديث في الأنواع يشمل قسمين رئيسيين هما:

-القسم الأول: المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة.

-القسم الثاني: المناسبة بين السور.

أي أصبح الاهتمام منصبا في هذا المجال أكثر على المناسبة المعنوية التي يقول عنها ابن أبي الأصبع المصري: «وفي الناس من سمّى المناسبة المعنوية ملاءمة، إلا قدامة فإنه جعل الملاءمة ائتلاف ألفاظ الكلام بالمعنى الذي المتكلم أخذ فيه، وقصده بذلك أن يقال في لفظة من ألفاظ المعنى: لو كان موضع هذه غيرها لكان الكلام مؤتلفا بمعانيه، وألفاظه ملائمة له وما ذكرته من

(1) _ محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وضع حواشيه، خليل منصور، ط1، دار الكتب، العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ _ 1998م، ج1، ص19.

المناسبة فيه زيادة على هذا المقدار، إذ غيرها من الألفاظ يوفى بما قاله الناس في تفسير الائتلاف، ويزيد عليه زيادة معلومة عند أرباب النقد»⁽¹⁾.

أي أن ابن أبي الأصبغ، يضيف مصطلحا آخر إلى المعاني المتعددة للمناسبة، وهو مصطلح الملاءمة.

وعليه، فإنَّ للمناسبة بعلاقتها تنقسم إلى: مناسبة على مستوى السورة نفسها، حيث يرتبط أجزاءها النصية، ومناسبة على مستوى السور، حيث ترتبط وتتماسك المقاطع والمطالع، وكذا المناسبة بين وحداتها النصية.

القسم الأول-المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة:

قسّم الزركشي الترابط والتماثل بين الآيات إلى قسمين: الأول وتكون فيه الآية معطوفة على ما قبلها، ويكون وجه العطف بين الآيتين، قائما على أساس من علاقة جامعة أو جهة جامعة، وقد تكون معطوفة على ما قبلها، ويشكل وجه الارتباط، فيحتاج إلى شرح، والثاني ألا تكون الآية معطوفة: «فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط... تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني وله أسباب»⁽²⁾.

ذكر الزمخشري هذه الأسباب وهي:

أ-التنظير: ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: 5] عقب قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 4].

يلق الزركشي على هذا قائلا: «فإنَّ الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون...»⁽³⁾.

فالتنظير في رأي الزركشي، هو علاقة المناسبة التي جمعت بين هاتين الآيتين، وذلك تناظر الحدثين، وتماثل رد فعل المسلمين، وهو كراحتهم لما فعله الرسول ﷺ بشأن الغنائم، كما كرهوا

(1) _ ابن أبي الأصبغ المصري، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، 1383هـ-1963م، ص366-367.

(2) _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص46.

(3) _ المصدر نفسه، ج1، ص47.

الخروج معه من بيته لطلب العير.

ب-المضادة: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: 6]، قال الزركشي معلقاً على ذلك: «فإنَّ أوَّل السورة كان حديثاً عن القرآن الكريم، وأن من شأنه كيت وكيت... فرجع الحديث عن المؤمنين، فلما أكمله عقب بما هو حديث عن الكفار، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه»⁽¹⁾.

إن انتقال الخطاب من الحديث عن المؤمنين إلى الحديث عن الكفار، قد جعل بين الآيتين مناسبة هي التضاد، أي بين الآية [06]، وبين الآية التي سبقتها⁽²⁾.

ج-الاستطراد: كقوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِدِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكٌ خَيْرٌ ذَلِكٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26]، يسترشد الزركشي بتفسير الزمخشري لهذه الآية، وأنها: «واردة على سبيل الاستطراد، عقب ذكر بدو السوءات وخصيف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى»⁽³⁾.

د-الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَثَابٍ﴾ [ص: 49]، قال الزركشي: «لما انتهى من ذكر الأنبياء... أراد أن يذكر نوعاً آخر، وهو ذكر الجنة وأهلها، فقال: (هذا ذكر)، فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة... وقال ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَثَابٍ﴾»⁽⁴⁾.

وكما هو واضح تمّ الربط باسم الإشارة، وهي علاقة المرجعية بين المعنى السابقة واللاحق، وأعطى دلالة على أنه سوف يتم الانتقال من الحديث إلى حديث آخر.

ولهذا القسم خمس صور هي⁽⁵⁾:

(1) _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص49.

(2) _ محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص194.

(3) _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص49. وينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص435.

(4) _ المصدر نفسه، ج1، ص50.

(5) _ عقيد خالد حمودي العزاوي، البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم، ص304.

- 1-تناسب كلمات الآية الواحدة -2- تناسب ترتيب الآيات -3-تناسب مطلع السورة مع مقصدها -4- تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها -5- تناسب مطلع السورة مع خاتمها.

-القسم الثاني-المناسبة بين السور:

حاول الزركشي إيجاد علاقات أو روابط عامة بين السور من حيث المضمون أولاً، وقد وجّه اهتمامه أولاً إلى سورة الفاتحة باعتبارها مقدمة القرآن أو المدخل إليه، وأنها (أم الكتاب)، ولذا فمن الضروري أن تحتوي على أقسام القرآن ولو على سبيل الإشارة⁽¹⁾.

وقد تحدث السيوطي في كتابه: «تناسق الدرر في تناسب السور»، عن علاقات التناسب أو عن العلاقات النصية، التي يبنى على أساسها القول بالترابط بين سورة وأخرى، وقد استقرت هذه العلاقات في:

-علاقة تفصيل الجمل، وعلاقة التلازم والاتحاد، وعلاقة تشابه الأطراف، وعلاقة المقابلة، وعلاقة المقارنة، وعلاقة الملابس، وعلاقة التحقيق، وعلاقة بيان العلة وعلاقة الإتمام أو العطف، وعلاقة الإطار الزمني⁽²⁾.

ولهذا القسم ثلاث صور⁽³⁾:

- 1-تناسب فاتحة السورة مع فاتحة ما قبلها. 2-تناسب خاتمة السورة مع فاتحة ما بعدها.
- 3-تناسب مقاصد السورة مع السورة التي قبلها.

ويمكن أن نضيف نوعاً آخر للمناسبة، يتعلق بالقصة القرآنية، وهو أربعة أقسام:

القسم الأول- التناسب بين آيات القصة القرآنية الواحدة:

المناسبة في القصة القرآنية، تجعل منها أحداثاً متماسكة، ومنسجمة، ومن عوامل التناسب والتماسك بين آيات القصة القرآنية ما يأتي⁽⁴⁾:

- 1-القصة القرآنية تعبر عن سلسلة من الأحداث القصصية في نخط سردي.

(1) _ أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص66.

(2) _ السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، 1406هـ-1986م، ص142-170. نقلاً عن: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص67.

(3) _ عقيدة خالد حمودي العزاوي، البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم، ص304.

(4) _ محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، ص202.

2- موضع القصة القرآنية متماسك مع هدف السورة العام.

ومن ثم تبدو المناسبة بين موضوع القصة ومحتواها واضحة، ويتحقق فيها التماسك النصي من خلال المرجعية القبلية، وكذلك المناسبة بين آيات القصة فكل آية تتعلق بالأخرى.

القسم الثاني- التناسب بين القصص في السورة الواحدة:

ورد في بعض السور أكثر من قصة، والمتأمل في سياق كل قصة، وفي سياق السورة العام، وفي سياق الحال يهتدي إلى معرفة التناسب بين تلك القصص.

والمناسبة قد تكون ظاهرة كما في سورة هود، فيجيء القصص مصدقا للحقائق التي تقررها السورة، من تقرير العبودية لله وتقرير مصدر التشريع ومصدر الرزق، وهو ما أجملته السورة في بدايتها، قال تعالى: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَنِّعْكُمْ مِمَّا حَسَنَّا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: 2-3]، إذ يتلخص موضوع السورة كلها في الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة غيره⁽¹⁾.

ويتكرر هذا في القصص القرآني، إما بصيغة الأمر أو بصيغة النهي، فقد خاطب نوح عليه السلام، قومه بقوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: 26]، وخاطب هود عليه السلام قومه بقوله: ﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 50]، وخاطب صالح قومه بقوله: ﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 61]، وخاطب شعيب قومه بقوله: ﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: 84]، فوحدة خطاب الرسل من عوامل التناسب بين قصصهم، فالمرسل واحد والرسالة واحدة، والمرسل إليهم طبيعتهم واحدة⁽²⁾.

ومما يؤكد التناسب بين القصص في سورة هود، هو أنها اتبعت خط سير التاريخ، فبدأت بنوح ثم هود ثم صالح ثم إبراهيم ثم لوط ثم شعيب ثم موسى عليهم السلام⁽³⁾.

(1) _ محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، ص 204.

(2) _ المرجع نفسه، ص ن.

(3) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 4، ج 12، ص 1870.

وهذا يعني أن ترتيب الأحداث في السورة متفقا مع ترتيبها في الواقع، أي أن السياق التاريخي له أثر كبير في بيان التناسب والتماكك النصي، «وهكذا يلتقي جمال التنسيق الفني في البدء والختام، والتناسق بين القصص والسياق، بكمال النظرة والفكرة، والاتجاه في هذا القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا...»⁽¹⁾.

القسم الثالث- المناسب بين القصة القرآنية وسياقها:

يرد القصص القرآني منسجما مع هدف السورة وموضوعاتها، فكما تنسجم القصة مع غيرها من القصص في السورة، تنسجم القصص مع سياقها في السورة، ومثال ذلك القصص القرآني في سورة الشعراء، التي تضمنت سبع قصص تبدأ بقصة موسى وتنتهي بقصة شعيب، وهذه النظرة الكلية تؤكد مدى التناسب بين القصص⁽²⁾.

وقد جاءت نهاية السورة مناسبة لجوّ التكذيب والتهديد بالعذاب الذي يسود السورة كلها، إذ: «تنتهي بهذا التهديد المخيف الذي يلخص موضوع السورة، وكأنه الإيقاع الأخير المرهوب، يتمثل في صور شتى يتمثلها الخيال ويتوقعها، وتزلزل كيان الظالمين زلزلا شديدا»⁽³⁾.

القسم الرابع- التناسب بين اسم السورة والقصص الواردة فيها:

اسم السورة هو عنوانها، وله علاقة بمحتواها، و«اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأنّ اسم كل شيء، تظهر المناسبة بينه وبين مسماه -عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه»⁽⁴⁾.

ولذلك «ينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق، أو صفة تخصّه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمّى، ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز: كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها»⁽⁵⁾.

وخلاصة القول: إن القرآن الكريم لشدة تماسكه، عدّ كالكلمة الواحدة، على الرغم من أن

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج12، ص1934.

(2) _ محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، ص205.

(3) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج19، ص2623.

(4) _ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص18-19.

(5) _ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص270.

لكل سورة من سور القرآن، شخصية متفردة، وملامح متميزة، ومنهج خاص، وأسلوب معين، ويتحقق التماسك المطلوب عن طريق المناسبة، لأنّ للتناسب قدرة على ربط الأجزاء بعضها ببعض، بل وقدرة على ربط نصوص بنصوص.

5- علاقة المناسبة بالتماسك النصي في القرآن الكريم:

لم ينزل النص القرآني دفعة واحدة، ولهذا احتاج في فهمه وتفسيره إلى معرفة مكان النزول وزمانه ومناسبته، والسياق الذي قيلت فيه الآيات، أو ما يعرف بالمناسبة، وعند النظر إلى السور القرآنية، نلاحظ أن فيها آيات متجاورات، ولكل منها مناسبة نزول خاصة بها، ومع ذلك - كما مرّ بنا سابقا- فهي متماسكة، وهذا التماسك راجع إلى وحدة الموضوع الذي تعالجه كل سورة، فالعديد من السور المكية، تتحدث عن قصص مختلفة، مع العلم بأن لكل نبي قصته مع قومه، وأن هذه القصص متماسكة أيضا فيما بينها، ويجمعها إطار عام يوحدّها؛ فهناك ارتباط معنوي بين أجزاء النص القرآني، سواء أكان سورة أو آية، يجعل منها بناء متماسكا ومتناسقا، فالقصة القرآنية تدور في فلك الموضوع الرئيس، الذي تعالجه السورة، بحيث تجعل هذا الموضوع مترابطا وتماسكا.

وتتناول المناسبة في موضوعاتها العلاقات بين السور والآيات؛ أي تحاول الوصول إلى الوحدة النصية فيما بينها، وقليلة هي التفاسير التي جعلت من الوحدة النصية منطلقا لها، إلا أن التي أشرنا إليها سابقا كالسيوطي والبقاعي، والزركشي، حيث أن التفاسير الأخرى تتناول الآيات والسور بالشرح لغويا ونحويا وبلاغيا، دون تحديد الخيط الناظم بينها، أو توضيح الوحدة النصية، التي تجعل من هذه الآيات منسجمة.

وقد حاول بعض المفسرين في القديم والحديث، تحليل النص القرآني بوصفه نصّا متماسكا، وقدموا لنا إشارات نصية متميزة.

ويعدّ كتاب البقاعي، من أبرز الكتب التي أشارت إلى الربط بين الجمل في المتتالية النصية، سواء على مستوى ربط السورة الواحدة، أو ربط السور المتتالية والمتباعدة، حتى أنه ربط الناس بالفاتحة وما بعدها، وربط أيضا ما بينهما⁽¹⁾.

يقول البقاعي أثناء حديثه عن سورة الناس: «ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة، الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن، التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ببراعة

(1) _ عمر أبو خرمة، نحو النص: نقد النظرية... وبناء أخرى، ص48.

الختم، وفذلكة النظام، كما كانت الفاتحة شاملة لذلك؛ لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول، اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثل»⁽¹⁾.

لقد سعى البقاعي في تفسيره إلى العمل على تحقيق الوحدة النصية، بين الجمل وربطها بعضها ببعض، يقول: «وهذا العلم _ المناسبات _ يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما نظم جملة على حياها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً»⁽²⁾.

أي أن البقاعي تكلم عن العلاقة التي تربط بين الآية والآية، في قوله: (والذي نبغي في كل آية، أن يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم)⁽³⁾.

ويعلن أن الأسلوب هو الترتيب المخصوص في نظم الآي، فيقول متنبيا ما نقله الأصفهاني من رأي الرازي في سورة البقرة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة -البقرة- وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجم بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك»⁽⁴⁾.

ولقد أثبت البقاعي في "نظم الدرر"، أن الآيات تتعلق ببعضها البعض، والأمر نفسه بالنسبة للسور، رغم بعدها النبوي، وبالتالي تحقيق للوحدة النصية بينها جميعا -الآيات والسور- وتحقيق للتماسك النصي في القرآن الكريم.

ومن الكتب التي تناولت المناسبة كتاب "البرهان في علوم القرآن" للزركشي، وكتاب "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي، حيث كان هذا الأخير متأثرا بالبقاعي والزركشي، إلا أنه يحمده حسن الترتيب والتصنيف، وقد استفاد الزركشي والسيوطي من الدراسات القرآنية، وكتب التفسير التي تناولت علم المناسبة تناولاً تطبيقياً، وقاما بوضع الأسس النظرية لهذا العلم⁽⁵⁾.

وقبل الوصول إلى العلاقات بين الآيات والسور، يشير السيوطي إلى أنه يجب معرفة غرض السورة بالاطلاع على أسباب النزول، قبل معرفة أسباب الترتيب، يقول: «الأمر الكلي المفيد

(1) _ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج22، ص423.

(2) _ المصدر نفسه، ج1، ص11.

(3) _ المصدر نفسه، ج1، ص08.

(4) _ المصدر نفسه، ج1، ص9.

(5) _ نوال لخلق، الانسجام في القرآن الكريم: سورة النور أمودجا، ص124.

لعرفان مناسبة الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقته له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات... وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من اشتراق نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاشتراق إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهم على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة سورة⁽¹⁾.

وكمثال عن العلاقات التي تربط بين الآيات والسور، يقول: «...وبهذا يظهر أن ما في سورتي الأعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص لعوده في الأعراف إلى قصة موسى»⁽²⁾.

أي أنّ السيوطي أدرك العلاقات المعنوية، والعلاقات الشكلية الأخرى بين الآيات والسور، كما وقف على العلاقة بين فواتح السور وخواتمها، أو ما سماه مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، يقول: «ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها، حتى إنّ منها ما يظهر تعلّقها به لفظاً كما في: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: 5]، ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: 1]»⁽³⁾، وهو نفس الأمر الذي تكلم عنه البقاعي في مناسبة السور لبعضها البعض وتماسكها، غير أن السيوطي أشار إلى السور المتتالية بحسب ترتيب المصحف الشريف.

إن دراسة السيوطي للتماسك توضيح للجانب الإعجازي في النص القرآني، المتمثل في التماسك بين الآيات والسور، أي وعيه بآليات النص القرآني.

لقد اعتمدت المناسبة عند السيوطي بالجانب الإعجازي في القرآن الكريم، كما اعتمدت أيضاً بالمتلقي من خلال استشراق نفس السامع؛ حيث إن المتلقي أو قارئ لنص، هو المنتج الثاني له من خلال تأويلاته وتفسيراته المختلفة.

ومن المحدثين الذين اعتنوا بالمناسبة، نجد سيد قطب في تفسيره: "في ظلال القرآن"، فقد أوضح التماسك النصي بين آيات السورة القرآنية، وقسم آيات السورة أقساماً بحسب موضوعاتها، وبين ترابط أجزاء كل موضوع، وترابط الموضوعات فيما بينها داخل السورة نفسها، وبين علاقة كل سورة بالتي قبلها، حيث تترايط السور كلها في نص لغوي واحد من القرآن الكريم، يقول عبد الفتاح الخالدي عن سيد قطب: «سيد قطب سيّد هذه الساحة وقُطب رحاها، لأنّه قدّم لنا - في

(1) _ السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج6، ص1846.

(2) _ المصدر نفسه، ج6، ص1844.

(3) _ المصدر نفسه، ج6، ص1852.

الظلال- السور والآيات كلبنات وحلقات مترابطة في النص القرآني المتناسق المعجز⁽¹⁾.

وتحقق المناسبة عند سيد قطب، التماسك بين العناصر الآتية⁽²⁾:

-التماسك النصي بين السورة والسورة.

-التماسك النصي في السورة الواحدة.

-التماسك بين مقاطع الدرس الواحد كجزئيات تكمل موضوع ذلك الدرس.

-التماسك بين آيات المقطع الواحد، كأفراد تلتقي، وتكمل بعضها في إبراز شخصيته.

-التماسك بين كلمات الآية الواحدة، وجملها، لتكون لبنة متكاملة من لبنات النص القرآني

المعجز الفريد.

وكمثال عن ما تقدّم ذكره، يقول سيد قطب في تعريفه سورة الأعراف، مثنى نظرتة المتفردة إلى القرآن وإلى سورة: «إن كل سورة من سور القرآن ذات شخصية متفردة، وذات ملامح متميزة، وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين، وذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة... إنها كلّها تتجمع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة، وطرائقها المتميزة، ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع وتحقيق هذه الغاية... هكذا عدت أتصور سور القرآن، وهكذا عدت أحسّها، وهكذا عدت أتعامل معها، بعد طول الصحبة، وطول الألفة، وطول التعامل مع كل منها وفق طباعه، واتجاهاته وملاحمه وسماته»⁽³⁾.

وبهذا يمكن تصنيف منهج سيد قطب، في بيان التماسك النصي في المناسبة المعنوية، لأنّ ما أشار إليه سابقا من العناصر النصية، التي تتحقق من خلال المناسبة، يعدّ ملمحا نصيا متفرّدا.

وإجمالا فإنّ للمناسبة دور متميز عند علماء القرآن، في حين أن النص القرآني لا يقف عند حدود النظر اللغوي، ويمكن رصد زاويتين للمناسبة النصية:

-الزاوية الأولى: جزئية لا تتجاوز حدود الآية الواحدة.

(1) _ صلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار الشهاب، الجزائر، 1998م، ص152.

(2) _ المرجع نفسه، ص156.

(3) _ المرجع نفسه، ص157-158.

-الزاوية الثانية: كلية تتجاوز الآية الواحدة إلى غيرها، فهي تبحث في المناسبة بين مجموعة الآيات المتتابعة، ويشمل المناسبة بين السورة والتي تليها، وهذه هي أساسيات التماسك النصي في القرآن الكريم، والذي نسعى لبيانه من خلال دور المناسبة في تحقيق التماسك النصي في قصة موسى عليه السلام، سواء على مستوى السورة الواحدة، أم على مستوى مجموعة من السور.

والقصة القرآنية المتمثلة في قصة عليه السلام تشمل على وحدات معان متماسكة، من خلال حلقاتها المترابطة، التي لم تعرض في القرآن الكريم، بالحلقة التي تليها حلقة أخرى في ترتيب المصحف الشريف، وإنما كان الارتباط بالحلقة الكبرى التي هي أساس الموضوع، أي الغرض الذي جاءت من أجله القصة القرآنية، والوحدة الموضوعية في القصة القرآنية تدور حول كشف أو بيان ما فيها من تماسك وارتباط، وذلك بتضافر عناصرها واتحادها، لإبراز الهدف أو المقصد الذي جاءت القصة القرآنية لبيانه أو التأكيد عليه.

إن وظيفة المناسبات هي الكشف عن وجوه الربط بين الآيات والسور، التي لا يظهر لأول مرة وجه ارتباطها بما قبلها وما بعدها، ولا يتم الربط إلا بعد معرفة المعاني التي احتوتها الآيات السابقة واللاحقة، ولا يتم فهم موضوع المناسبات إلا بعد معرفة سياق الآيات والسور القرآنية، وحينئذ يتحدد موضوعها «أجزاء الشيء المطلوب علم مناسباته من حيث الترتيب»⁽¹⁾.

ومنه تكون المناسبة في غاية الوضوح والبيان، عن طريق ربط جزئيات الآي والسور ترتيباً وترابطاً.

6-أهمية المناسبة في القرآن الكريم:

تبحث المناسبة في أسباب الربط بين آيات تبدو في ظاهرها منقطعة الصلة، لا ارتباط بينها، ولكنها من حيث البنية العميقة متماسكة، ذات صلة متينة الأجزاء، وخاصة فيما يتعلق بالمناسبة المعنوية - كما رأينا سابقاً-، فهي من أهم وسائل الربط الدلالية، التي تربط بين آية وآية، وسورة وسورة.

وهذا الترابط الدلالي أقوى من الترابط اللغوي، حيث إن الترابط الدلالي يتحقق بواسطة العلاقات الداخلية في النص، فلا يحتاج إلى عوامل خارجية لتحقيق له هذا الربط، ويقول ابن العربي عن فائدة المناسبة في كتابه: "سراج المرئدين": «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون

(1) _ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص5.

كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلمّا لم نجد له حَمَلَةً، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»⁽¹⁾.

كما أثنى الجرجاني، وبين مزاياه وفوائده، عند حديثه عن نظم القرآن، حيث قال: «وهو باب من العلم، إذ أنت فتحتة أطلعت منه على فوائد جليلة، ومعان شريفة، ورأيت له أثرا في الدين عظيما، وفائدة جسمية، ووجدته سببا إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل وإصلاح أنواع من الخلل، فيما يتعلق بالتأويل، وإنه ليؤمنك من أن تغالط في دعواك وتدافع عن معزك، ويربأ بك عن أن تستبين هدى ثم لا تهتدي إليه وتدل بعرفان ثم لا تستطيع أن تدل عليه»⁽²⁾.

كما يرى البقاعي أنّ علم المناسبات ليس عبثا، بل له ثمرة وفائدة، إذ يقول: «وثمرته - أي علم المناسبات - الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق، هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن، علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني، لما اقتضاه من الحال»⁽³⁾.

فمعرفة المناسبة بين الآيات، يساعد على حسن التأويل ودقة الفهم، وإدراك اتساق المعاني بين الآيات، وترباط أفكارها، وتلاؤم ألفاظها، قال الزركشي: «واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء... وهذا النوع يهمله بعض المفسرين، أو كثير منهم، وفوائده غزيرة»⁽⁴⁾.

ومعرفة هذا التناسب تتمكن من معرفة كيف تماسك القرآن الكريم، وكيف استقام له هذا التناسق.

أما محمد عبد الله دراز فيقول: «لعمري لئن كان للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات وفي أساليب تربيته معجزات، وفي نبوءته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما

(1) _ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص7. وينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص36.

(2) _ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص41.

(3) _ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص5-6.

(4) _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص35-36.

استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية (معجزات) ومعجزات، لعمري إنه في ترتيب آية على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات!«⁽¹⁾.

ومن جميع ما سبق من أقوال هؤلاء العلماء، تتأكد أهمية هذا العلم وفائدته ومكانته، لأنه يعين على فهم معاني القرآن الكريم؛ فعندما ترتبط الآيات وتلتحم مع بعضها يؤدّي المعنى بوضوح. وهناك فوائد أخرى يمكن إجمالها في النقاط الآتية⁽²⁾:

-إظهار إعجاز القرآن البياني، فهو يربط الكلام ببعضه البعض، فيصير النظم محكما، مترابط الأجزاء، متناسق المعاني، فكل كلمة تناسب موضعها في القرآن الكريم.
-استنباط معان جديدة يقتضيها السياق.

ومن الفوائد أيضا أن علم المناسبات علم مهم، فهو رافد من روافد الإعجاز القرآني، وله أثر عظيم في تفسير القرآن الكريم، لما في ثماره من التفات إلى الحكمة من ترتيب السور والآيات على الوجه الذي هو عليه، واهتمام باستخدام المعاني والحكم ولطائف الفوائد، التي لا يتوصل إليها إلا بالتماس المناسبة بينها، ومعرفة وجوه الربط بين أنواع المناسبات.

وما يمكن قوله في الأخير، هو أنّ المناسبة تربط الكلام ببعضه ببعض من جهة الألفاظ أو المعاني، أو من جهتهما معا، حيث لا نستطيع استبدال أجزاء أخرى من الكلام بأجزائه الموجودة فيه، أو تغيير وضعه الذي جاء عليه، وإن حدث ذلك تنافر الكلام شكلا ومعنى.

ثانيا- دلالة السياق في النص القرآني:

تأخذ المفاهيم جانبا مهما في حياة الأمم الفكرية والعلمية على حدّ سواء، وإنّ تحديد مفاهيم المعاني يؤدّي إلى وضوح المنهج العلمي الذي تسير عليه أي جماعة أرادت الوصول إلى منهج علمي في مناقشة العديد المصطلحات والمفاهيم.

لذا كان من المهم قبل البدء بأي عمل علمي، تناول المفاهيم التي ستدرس قبل إصدار أي حكم علمي ونقدي عليها، ولهذا الأسباب سنناقش مصطلح السياق في الدراسات القرآنية.

ولقد كثرت المفاهيم حول مصطلح السياق عامة، والسياق القرآني خاصة، لأنّ المفسرين يكثرون من سوق مصطلح السياق في تفاسيرهم، ويناقش بعضهم بعضهم الآخر على ضوء

(1) _ محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1405هـ-1985م، ص211.

(2) _ عقيد خالد حمودي العزاوي، البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم، ص299.

دلالاته، بل يردّون أحيانا آراء بعض مستدلين بالسياق ودلالته التي تحتم الوقوف بجانب معنى على حساب الآخر⁽¹⁾.

وإنّ كثيرا من حقول المعرفة اللغوية في البلاد العربية، قد امتزجت فيها أصالة التراث بالبحث اللغوي المعاصر، لأنّ علم اللغة الحديث من العلوم ذات الشأن في الحقل اللغوي والأدبي على حد سواء، ونازع هذا العلم معطيات وثوابت كثيرة في التراث العربي بمختلف توجهاته.

1-تعريف السياق القرآني:

هناك العديد من التعاريف الاصطلاحية لمفهوم السياق القرآني، ولعل تعددها راجع إلى عدم اتفاق العلماء على تعريف اصطلاحي للسياق، وقد جاءت هذه المفاهيم منطلقة من المعنى اللغوي، وعليه يكون تعريف السياق القرآني على النحو الآتي:

أ- تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية، في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال⁽²⁾.

ب- هو المقاصد والأغراض الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظامالإعجازي، والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته⁽³⁾.

إن السياق القرآني هو الجو العام الذي وردت فيه الآية، وما يكتنفها من قرائن ودلائل تعين على فهم النص، والكشف عن المراد منه، سواء أكانت هذه القرائن عنصرا أو أكثر من عناصر النص، ويسمى حينئذ السياق الداخلي، أم كانت متمثلة في مجموعة الظروف المكانية أو الزمانية أو الثقافية أو الاجتماعية المحيطة بالنص، وليست عنصرا من عناصره، وتسمى حينئذ السياق الخارجي، وقد اشتمل القرآن على هذين النوعين⁽⁴⁾.

أما التعريف الذي أرححه أن يكون مناسباً للسياق القرآني، والذي قد يكون جامعا للعديد التعاريف الأخرى، فهو تتابع المفردات والكلمات والجمل القرآنية، وانتظامها مع ما قبلها، وما بعدها أو حتى البعيدة عنها بنويها في تراكيب قرآنية مترابطة.

(1) -المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني: دراسة تأصيلية دلالية نقدية، ط1، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 1429هـ-2008م، ص11.

(2) -المرجع نفسه، ص15.

(3) -أحمد محمد عبد الراضي، المعايير النصية في القرآن الكريم، ص198.

(4) -المرجع نفسه، ص200.

2- دلالة السياق في الدراسات اللغوية والقرآنية:

نظرية السياق واحدة من النظريات اللغوية التي أثرت وأثرت في الدرس اللغوي العربي، فيما بعد الخمسينيات الميلادية من هذا القرن⁽¹⁾، وإن تناول هذه النظرية باحث للكشف عن مقولات العلماء العرب، وكاشف أيضا للدراسات اللغوية المعاصرة في الغرب.

كما إن البحث في موضوع السياق واسع، لأنه يتصل بعلوم أخرى لها ارتباط بعلم الدلالة الذي يُعنى بدراسة المعنى بكل الوسائل اللغوية وغير اللغوية التي تساعد في الكشف عن الدلالة ووضوحها ورفع الغموض و اللبس، إلى جانب علاقتها بالبلاغة، والتفسير، وعلم الأصول.

وهناك كثير من التراكمات التي ندرك مفرداتها المعجمية، ولا ندرك دلالتها الكاملة، لأننا نفتقد إلى عنصر مهم في الفهم الدلالي، وهو السياق الحالي أو سياق الحال، وإن المتبع للدرس اللغوي سيجد أن المناهج والمدارس اللغوية كانت تركز على الوحدة الكبرى والمتمثلة في الجملة، أو الحدث اللغوي مجردا من السياق، ثم تطورت هذه المناهج لتوجه النظر إلى دراسة الجملة في إطار النص، أو بتعبير آخر دراسة النص باعتباره وحدة كاملة، بينما تربط نظرية السياق كل هذه الدراسة بإطارها السياقي العام بكل ما فيه للوصول إلى الدلالة الكاملة⁽²⁾.

ولأجل كل هذه الأهداف حضي السياق بعناية خاصة في الدراسات اللغوية المعاصرة، خاصة مع نشوء علم لسانيات النص، وحاولت الدراسات أن تجيب على سؤال يتضمن العلاقة بين النص والسياق في الخطابات اللغوية المختلفة، وأثر الإطار الاجتماعي المحيط بالموقف الكلامي في صياغة الرسالة اللغوية بكافة جوانبها، كما درست السياق اللغوي للنصوص وعلاقته بالسياقات المقامية المشكلة لها، وتحلّى ذلك في سلسلة كبيرة من البحوث أثارها علماء الدرس اللغوي الحديث بدءا بديسوسير، ومرورا بفيرثومالينوفسكي، وسابيروفان ديك وغيرهم⁽³⁾.

ويمكن للسانيات الاجتماعية ولسانيات الخطاب؛ أن تشكلا مدخلا مناسباً وجديدا لقراءة الخطاب القرآني، الذي يشكل كلاً رسالة لغوية ناجحة وملائمة في سياق تنزّلها، مما جعل منه نصّاً يمتلك قدرات تواصلية فائقة، وجدت آثارها في النفوس قديما وحديثا؛ ولعلّ حادثة إسلام عمر بن

(1) - ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص5.

(2) - عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: دراسة لغوية نحوية دلالية، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2007م، ص9.

(3) - خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ص7.

الخطاب -رضي الله عنهما- حيث ثلثت عليه آيات من سورة (طه)، يمكن أن تشكل مثلا واحدا على هذه الوظيفة التواصلية للنص القرآني؛ قال تعالى: ﴿كَتَبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة فصلت: 3] (1).

ومن كل ما تقدم يتضح لنا أن السياق أداة معرفية، حققت نجاحا معتبرا في دراسة النصوص، وهذه الأداة مرتبطة ارتباطا قويا بالنص، الذي هو: «إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ» (2).

أي بالسياق يفهم معنى الكلمة أو الجملة، وذلك يوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها حتى تتضح الدلالة المرادة.

ولقد شاع مصطلح السياق بمعان مختلفة، ولا بد من التنبيه ترادفا بين المقام والحال، وبذلك استعمل السياق أيضا للدلالة طورا على السياق النصي (3)، أي الكلمات أو العبارات التي تجاور كلمة أو عبارة ما داخل النص، وهذه التجاورات نبحت من طريقة عن تأويل كلمة أو عبارة أو جملة أو نص، نلتمس في ذلك مراد مؤلف النص.

كما يستعمل السياق أيضا للدلالة على الظروف والملابسات الخارجية، التي تستعمل لتأويل لفظة أو عبارة أو نص ما، فهو إما للدلالة على السياق النصي، وإما على السياق الخارجي أو المقام (4).

كما توصل الدارسون أيضا إلى أن دلالة الألفاظ تظل غامضة قابلة للاحتتمالات، ولا تظهر دلالاتها إلا من خلال وضعها في سياق معين، فإن: «أي دال في لغة ما لا بد أن تتعدد مدلولاته من سياق إلى آخر» (5).

(1) - خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ص7.

(2) - عبد الرحمان بودرع، أثر السياق في فهم النص القرآني، مجلة الإحياء المغربية، العدد25، جمادى الثانية 1428هـ-يوليو 2007م، ص73.

(3) - محمد الولي، السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة، مجلة الإحياء المغربية، العدد25، جمادى الثانية 1428هـ-يوليو 2007م، ص63.

(4) - المرجع نفسه، ص ن .

(5) - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط03، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1997م، ص58.

فضلا عن أنّ: «المعرفة التامة بالسياق شرط أساسي للقراءة الصحيحة، ولا يمكن أن نأخذ قراءة ما على أنّها صحيحة إلاّ إذا كانت منطلقة من مبدأ السياق»⁽¹⁾.

لقد كان للعرب دور فعّال في العناية بدلالة السياق على المستويين نظريا وعمليا، كما أشاروا إلى أهميته، ووظفوه في دراسة النصوص وتحليلها، واهتمامهم بالجانب التطبيقي حال دون تأسيسهم لنظرية علمية في السياق، وهذا ما سنقف عليه فيما بعد ونكتشف أن أعمال العرب كانت منصبّة على الاهتمام بتطبيقات السياق على النص القرآني.

أما في البحث اللغوي المعاصر فقد أصبح للسياق أهمية كبيرة لدى الباحثين اللغويين، حتى أصبح يشكل نظرية متكاملة ترتبط بجهود علماء كثيرين⁽²⁾.

يعني أن نظرية السياق ذات جذور عربية أصيلة، وإن كانت بوضعها الراهن من نتاج البحث الدلالي الحديث.

لقد أشرنا سابقا إلى أن علماء العرب الأوائل، كانت لهم نظرة خاصة إلى السياق ودلالته في علوم شتى؛ كالتفسير، وعلوم القرآن، والبلاغة، وقد يعبرون عن السياق بمصطلحات مرادفة كالقرينة، ودلالة الحال، ومقتضيات الأحوال، والمقام، والمساق، ويرجع مفهوم هذه المصطلحات جميعا إلى ثلاثة عناصر⁽³⁾:

أوّلا: الغرض وهو مقصود المتكلم من سرد الكلام.

ثانيا: الظروف والمواقف التي تشكل المجرى الاجتماعي والثقافي الذي ورد فيه النص أو قيل في شأنه.

ثالثا: السياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع الدرس والتحليل، ويشمل ما سبق منه، أو يلحق به من ضمائم ولواحق تشكل المحيط اللساني الذي أنتج فيه الخطاب.

كما أن دراسة النحاة لمعاني التركيب، قد جاءت على أساس قرائن السياق والمقام، واهتدوا إلى ضوابط معنوية أعانتهم في إدراك تلك المعاني، والتمييز بينها، ومنها اعتمادهم قرينة المقام،

(1) - عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية (مقدمة نظرية: دراسة تطبيقية)، ط03، دار سعاد الصباح، الكويت، القاهرة، 1993م، ص78.

(2) - محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، ص15.

(3) - قطب الريسوني، النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر: مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1431هـ-2010م، ص83.

ومراعاة أحوال المتكلم والمخاطب في إدراكهم الكلام، فقد كانوا يدركون أن الكلام يقال لإفادة معانٍ مقصودة يريد المتكلم إيصالها إلى المخاطب وتعيينه على التمييز بين الخبر وغير الخبر، وما يتفرع عنه من معانٍ مكتسبة يستدل عليها بقرائن السياق⁽¹⁾.

أما عن بنية الجملة العربية، فقد بحث النحاة في هذه المسألة بحثاً عميقاً، اعتنوا فيه بالكشف عن أجزائها والعناصر المكونة لها، وروابط اتصال بعضها ببعض، كما بحثوا العلاقة بين أجزاء الكلام، واتصال عناصره، وهو ما اصطلاح عليه عبد القاهر الجرجاني بالتعليق: «واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمتَ علماً لا يعترضه الشكُّ، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يُعلَّق بعضها على بعضٍ، ويُبنى بعضها على بعضٍ»⁽²⁾.

كما عمد النحاة إلى تحديد وظائف تلك العلاقات في السياق؛ إذ تجري طرق التعلُّق في النظم بحسب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ومراعاة موقع بعضها، واستعمال بعضها مع بعض⁽³⁾.

و النظم القرآني نسيج محكم وتماسك تتحكم فيه علاقات وروابط معنوية يستمدّها من السياق، لذا عُني النحاة بالكشف عن أنظمة الربط في القرآن الكريم «...ويلاحظ هنا أن الجامع الأساسي في النص هو ذات المتلفظ، وبالنسبة للنص القرآني يوضع في الاعتبار أن المرسل هو الحق سبحانه وتعالى، ويقع وجوده خارج النص في أغلب السياقات، ذلك حين لا يرد اسم من أسمائه صراحة داخل النص، وأن المرسل إليه يكون النبي ﷺ في نطاق محدود أحياناً، ويكون مجموع المخاطبين أو المرسل إليهم الذين أرسل إليهم الخطاب في ظروف ومناسبات وسياقات معينة بمفهوم واسع»⁽⁴⁾.

إن للنص القرآني آياته الخاصة في التشكل داخل النظام اللغوي، ومن الشروط الأساسية لعدّه نصّاً كونه مادة لغوية، هو أن يكون منسجماً في كل أجزائه، ومتسقاً شديد التماسك، حيث يشكّل كلاًّ موحدًا، ولكن ما هي الكيفية التي تحقق انسجام النص القرآني؛ إذ إنه يتشكل من آيات وسور ومواضيع وأغراض مختلفة مثل: الأحكام والوعد والوعيد والتوحيد والقصص؛ وما

(1) -هنا محمد إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، ص284.

(2) -عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص55.

(3) -المصدر نفسه، ص51.

(4) -سعيد حسن مجيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص101.

الآليات التي اعتمدها القراء من جهتهم والمتلقون عموماً لتأكيد فكرة انسجام النص؟⁽¹⁾

إنّ البحث في الكيفية التي تتفاعل بها أجزاء النص القرآني وتماكك لتشكّل نصّاً متّسقاً، وكيف تتأخذ معاني الآيات والسور مشكلة نصّاً منسجماً، وقبل التعرض لهذه الفكرة يجب التمييز بين مذهبين مختلفين في الدراسات النصية الغربية المهتمة بانسجام النص وتماككه.

فالاتجاه الأول، يمثله علماء لسانيات الخطاب مثل: فان ديك، وهاليداي، الذين يعتبرون أنّ النص إنتاج لغوي لساني، فكونه نص مدعاة إلى كونه منسجماً، أمّا الاتجاه الثاني فيهتم بانسجام النص من منظور المتلقي، وذلك بدراسة العمليات التي يوظفها هذا الأخير لبناء نص منسجم، ويمثل هذا الاتجاه (ج. براون، و ج. يول)، وعليه فالانسجام ليس موجوداً سلفاً في أي نص، بل هو محصلة للسياق الذي أنتج فيه النص، إضافة إلى دور المتلقي في التعامل مع هذا النص، وبهذا يصبح: (تحليل النص والسياق هو منتج لذات محلّلة، فهو إذا ليس نتيجة لخصائص موضوعية لوحظت في النص والسياق فحسب، بل هو أيضاً وخاصة بناء ذهني لخصائص تسبّعها الذات المحلّلة على النص أو السياق بطريقة يجري فيها تبادل التأثير بين الذات المحلّلة وموضوع التحليل)⁽²⁾.

وإذا كانت اللغة العربية هي هوية القرآن اللغوية، فإنّ للنص القرآني خصوصيته اللغوية التي لا يمكن الكشف عنها إلاّ من داخل النص، وليس من قواعد اللغة ومبادئها، وإنّ للنص استقلالته الخاصة به، التي تجعل منه مجموعة من العلاقات المشفرة، التي لا يمكن القبض على معناها إلاّ من خلال دراسة العلاقات القائمة بين عناصره اللغوية والدلالية المكونة له.

وإنّ دراسة النص القرآني تتعامل معه باعتباره كيانا لغويا جديداً انبثق من اللغة، وتنطلق من داخله لبحث مكوناته وتحديد خصوصياته، وكشف بنياته الكلية والتعرف إلى نحوه الخاص، وتمييز الطابع التلاحمي بين جملة وعباراته ومقاطعته، والبحث في وحداته الدلالية، وكيفية تناسقها فيما بينها، والكشف عن أوجه انسجامه وتماككه التي تسمح بظهوره، وحدة نصية شاملة⁽³⁾.

(1) - محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ط1، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، 2008م، ص129.

(2) - عبد القادر بوزيدة، فان ديك وعلم النص، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع11، ماي أيار 1997م، ص5.

(3) - وحيه قانصو، النص الديني في الإسلام: من التفسير إلى التلقي، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2011م، ص289-290.

إن وظيفة النص لا تكمن في مطابقتها لحقيقية خارجية، ولكن من خلال المنطق الداخلي للعلاقات التي تربط بين أجزاء النص، وتجعل النص شيئاً آخر وراء عباراته وكلماته.

3-الدراسات القرآنية والمعايير النصية:

للسياق دور أساس في فهم النص القرآني، ولا بد للوصول إلى دلالات النص من وضعه في سياقه الذي نزل فيه، لأنّ التعويل على هذه الدلالات خارج سياقها، لا يؤدي الغرض المنوط بالسياق في فهم النص القرآني.

ولم يعرف في التراث العربي ممارسة نصية تامة إلا من القرآن الكريم، وأولى مظاهر هذه الممارسة تتمثل في الوقوف على النص في (ذاتية النصية)، وقد أدرك الباقلاني (ت403هـ) هذا الأمر في القرآن، إذ قال: «فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم، وأساليب خطابهم، أنّه خارج العادة، وأنه معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميّز حاصل في جميعه»⁽¹⁾.

وأكد هذه الخاصية في موضع آخر، حيث قال: «وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها، على حدّ واحد، في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها، على حد واحد لا يختلف»⁽²⁾.

إن الباقلاني يركّز على تفرد نظم القرآني في أسلوبه وبيانه عن كلام البشر، والسبب في ذلك إعجازه، على الرغم من أنّه بلسانهم ووفق طرقهم في التعبير.

أما عن المعايير النصية في الدراسات القرآنية والبلاغية، فقد اعتنى بها الدارسون للنص القرآني، وحاولوا الكشف عن الوسائل والعلائق التي تسهم في وحدته، وتماثله، وتجعله نصّاً واحداً، رغم اختلاف أوقات نزوله وأسبابه، بحيث يربط الباقلاني بين أسلوب القرآن وانسجامه، فيرى أن إعجازه يكمن في تفرد أسلوبه، وفي سيره على نمط متجانس دون اختلال أو اضطراب، إذ يقول: «ثم انظر في آية آية، وكلمة كلمة: هل تجدها كما وصفنا: من عجيب النظم، وبديع

(1) -الباقلاني، إعجاز القرآن، ص52.

(2) -المصدر نفسه، ص55-56.

الرصف؟ فكل كلمة لو أُفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامتها ذواتها: مما تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها؟... من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، وحتى يصوّر لك الفصل وصلا، ببديع التأليف وبلغ التنزيل»⁽¹⁾.

إن الباقلائي يقدم نظرة أخرى تجمع بين التحليل البصير، والتذوق الرفيع، إذ يحاول تفسير انسجام الآيات، رغم تباعد مقاصدها، فقد ترد آيات متباعدة، قد جعلها النظم أشدّ تألّفا من الشيء المؤتلف في الأصل، يقول تعالى: ﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: 77]، وهي خمس كلمات متباعدة في المواقع، نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشدّ تألّفا من الشيء المؤتلف في الأصل، وأحسن توافقا من المتطابق في أول الوضع⁽²⁾.

أي أن الباقلائي قد أشار إلى قضية هامة يتناولها الدرس اللساني الحديث، وهي أن الآيات متماسكة ومنسجمة فيما بينها، رغم بعدها النبوي، فقد يكون هذا البعد النبوي ليس في السورة الواحدة، وإنما بين السورة والسورة، كما سيأتي بنا تفصيل هذا في قصة موسى عليه السلام- والتحليل النصي لها.

ومن ناحية أخرى تتضح وظائف النص الأساسية جلية في النص القرآني، إذ إنه يُعنى بالمتلقي عند تأليفه لعناصر الإقناع، وكثيرا ما يحدد النص القرآني شكلا للمتلقي بطرائق متعددة، وهذا التحديد يتفاعل مع معطيات النص في توليد البعد التأويلي، لأنّه يدخل عنصرا من عناصر بناء النص، والهدف القرآني الأسمى هو هدف إرشادي ينتج عن أداء النص لوظائفه الأساسية على أكمل وجه، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هدايتهم، وإرشادهم إلى طرائق النجاح وسبل تزكية النفوس.

وتعدّ العناية بالمتلقي في القرآن الكريم من السمات التي وضّحت خاصية النص القرآني التفاعلية، وقد صنّف الزركشي الخطاب داخل القرآن الكريم استنادا إلى أنواع المخاطبين إلى خطاب تهيّج، وإغضاب، وتشجيع وتحريض، وتنفير، وتحنن واستعطاف، وتحييب، وتعجيز،

(1) - الباقلائي، إعجاز القرآن، ص 289.

(2) - المصدر نفسه، ص 295.

وتخسير، وتكذيب، وتشريف⁽¹⁾.

بمعنى أن القرآن الكريم في علاقة تفاعلية دائمة مع المتلقي، من حيث الإبلاغ، والاتصال والتفاعل الاجتماعي.

4- خصائص السياق القرآني وأنواعه:

للسياق القرآني خاصيتين هما⁽²⁾:

أ- ضبط السياق القرآني لفهم المتلقي، حيث يعمل -السياق القرآني- على تحديد مدلولات الألفاظ ومعانيها المرادة على المتلقي.

ب- عدم قابلية السياق القرآني للتفكك أو التجزئ، وهو اتساق آيات القرآن بالتماسك والترابط، وهذا عائد إلى ترابط المعاني وتتابعها، حيث جاء الترابط بين الآيات والمقاطع القرآنية غاية في الإحكام.

ويتضح لنا من خلال هاتين الخاصيتين أن إحداهما متعلقة بالمتلقي، وعلاقته بالسياق القرآني، أما الثانية فمتعلقة بدرء الشبهات عن النص القرآني، الذي تعتوره، حيث جاء عند بعض المفكرين -كما سنرى لاحقاً- أفكاراً تنفي تكامل السياق القرآني، إذ تختص كل سورة بسياقها المنفصل عن الآخر.

وللسياق القرآني عدة أنواع فهناك من يجعل هذه الأنواع ثلاثة، وآخرون يجعلونها أربعة على النحو الآتي⁽³⁾:

أ- **سياق السورة:** ويشكل وحدة عضوية متكاملة متتامة، وأن لكل سورة في القرآن محور عام، وغرض رئيس أو أكثر يستخلص من سياقها العام، وتكون المقاطع ذات الأغراض الخاصة

(1) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص217-252.

(2) - المشي عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني: دراسة تأصيلية دلالية نقدية، ص54-58.

(3) - قطب الريسوني، النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر: مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني، ص449-452. وينظر: عبد الرحمان عبد الله سرور جرمان المطيري، السياق القرآني وأثره في التفسير: دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، 1429هـ-2008م، ص104. وينظر: فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1426هـ-2005م، ص42.

في السورة خادمة لهذا المحور العام والغرض الرئيس، وهو على ضربين:

- سياق ذو مقاطع متعددة يتناول موضوعات مختلفة، تؤول إلى ثابت دلالي كلي.

- سياق ذو مقاطع غير متعددة، يبنى على موضوع كلي واحد، لا تتفرع عنه الجزئيات، ولا تتشعب فيه المعاني.

ولا بد في كل سورة من دعامة موضوعية، ومركز دلالي، تنطلق منه المعاني، وتؤوب إليه، يقول محمد عبد الله دراز مقترحا طريقة مثلى للنظر في سياق السورة: «إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقتضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضوعية بين جزء وجزء منه، وهي تلك الصلات الماثوثة في مثالي الآيات ومطالعها ومقاطعها، إلا بعد أن يحكم النظر في السور كلها بإحصاء أجزائها، وضبط مقاصدها، على وجه يكون معاوناً له على السير في تلك التفاصيل على بيّنة»⁽¹⁾.

ب- سياق المقطع أو (النص): السورة القرآنية تتضمن نصوصاً ومقاطع من الآيات متحدة المعاني، مترابطة المباني، بما أغراض محددة، وهذه الأغراض متناسقة ومتناسبة، تتلاحم فينبى بعضها على بعض، حتى تؤدي بمجموعها غرضاً أو أغراضاً خاصة لمجموع السور تسمى بـ"وحدة السورة" أو "أغراضها" أو "مقاصدها".

كما يعد المقطع عنصراً سياقياً فاعلاً في النص القرآني، وخاصة في سياق القصص، فيكون الترجيح أحياناً بناء على سياق النص.

ج- سياق الآية: الآيات أجزاء تؤلف المقطع، وسياق الآية لا ينفصل عن سياق المقطع، كما أن سياق المقطع لا ينفصل عن سياق السورة، وهكذا فإن كل جزء في النص القرآني ينهض بدور وظيفي في السياق، ويعدّ لبنة في بناء النظم، ويكون النظر في هذا النوع من السياق، فيما يكون الغرض في الآية، فإذا كان هنالك خلاف في معنى آية، فإننا ننظر في السياق، كما إذا حصل لفظ مشترك لا يتبين إلا من سياق الآية.

د- سياق القرآن: ويراد به الأغراض، والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم، ومعانيه الكلية وأساليبه المطردة.

إنّ العناصر الأساسية للاتصال التي تشكل سياق النص هي: أولاً: المرسل منتج النص

(1) - محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، ص158.

وثانيا المتلقي مستقبل النص، وثالثا الموضوع مدار الحدث النصي، ورابعا المقام مكان الحدث التواصل، وهذه هي العناصر الأساسية التي تبنى عليها عملية الاتصال لانتقال الدلالة من المرسل إلى المتلقي في شكل سياقي محدد⁽¹⁾.

وفيما يتعلق بالنص القرآني، فكيف يمكن تحديد سياقه؟ وبأي الوسائل يتحقق ذلك؟ هناك جهود كبيرة بذلت من طرف علماء القرآن، تتعلق بالبحث عن دلائل تثبت أهمية السياق وذلك بدراسة الظروف التي نزلت فيها سور النص القرآني وآياته، وهدفهم هو الوصول إلى معنى الآيات ودلالاتها بعناية التطبيق الأسلم للأحكام والتشريعات⁽²⁾.

وقد تمثلت هذه الجهود في عنصر مهم هو: علم أسباب النزول: الذي سنركز الحديث عليه، لأنه متعلق بالسياق الخارجي، وبترتيب السور والنزول القرآني؛ الأمر الذي سنفيد منه في عملية تحليل قصة موسى عليه السلام في هذا الفصل.

إن علم أسباب النزول، من العلوم التي نهض بها السياق، حيث يتمكن المتلقي من معرفة العلاقة بين جزء محدد من النص (آية أو أكثر)، والواقع الخارجي الذي هو سبب نزول النص، وهذا ينبى عن وعي متقدم بحقيقة انسجام الخطاب القرآني مع واقعه الخارجي، وتماسكه في بنائه الداخلي، والقرآن الكريم رغم تفاوت أوقات نزوله يشكل نصا واحدا، وهذا ما يعبر عنه بأنه كالكلمة الواحدة⁽³⁾.

حيث أوضحت مؤلفات علوم القرآن إطارا مرجعيا لنظرية السياق، ومعاوننا للباحثين على استجلاء مظاهر التناغم بين الخطاب القرآني، وواقعه الخارجي والداخلي، ويمكن أن تدرس هذه القضايا ضمن نظرية العلاقة بين النص والسياق، وفق التصنيف الآتي:

-موضوعات تتعلق بظروف التنزيل (السياق المقامي)؛ وهي: أسباب النزول.

-موضوعات تتصل بالنص القرآني وعلاقاته الداخلية (السياق اللغوي)، وهي: موضوع المناسبة بين الآيات والسور، وقضايا لغوية ومنطقية، تضيء مفهوم الاتساق في النص القرآني.

وقبل عرض تفاصيل علاقة السياق بأسباب النزول، ودوره في تحديد معنى النص القرآني، لا

(1) -محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ص140.

(2) -المرجع نفسه، ص141.

(3) -محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن، ص24. وينظر: خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل سورة البقرة"، ص82.

بد من الإشارة إلى العلاقة بين القارئ المفسر واستثمار سياق النص؛ فالقارئ هو أحد الوسائل الهامة للوصول إلى دلالة النص القرآني، يكشف علاقة النص بالواقع، وعلاقة القارئ والمتلقي من جهة ثانية، وأدرك علماء القرآن أن السبب أو مناسبة النزول هي التي تحدد الإطار الواقعي، الذي في حدوده، ومن خلاله يمكن فهم آيات النصّ وسوره⁽¹⁾.

وإن فهم دلالة النص لا يتأتى من دون وضعه في السياق، وربطه بالوقائع التي أنتجتها، فقد اعتبر الواحدي، أنه لا يمكن معرفة تفسير الآية من دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها، واعتبر بن دقيق العيد أنّ بيان أسباب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن، أمّا بن تيمية فقد اعتبر أن معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب⁽²⁾.

وفي هذا تأكيد قوي على الارتباط الوثيق بين التفسير والمعنى، من خلال معرفة سبب النزول، ولكن العلماء لم يكونوا ليقفوا عند هذا المستوى من الربط بين النص وسياقه الواقعي، وإلاّ كان فهما سطحيا متناقضا مع آيات لم يتضح سبب نزولها، وإنما أدركوا أن النص القرآني، هو نص لغوي، بإمكانه أن يتجاوز حدود الواقع والأحداث الجزئية، التي نزل استجابة لها؛ أي أنّ النص بإمكانه الامتداد عبر الزمن متجاوزا حادثة النزول، أو القضية التي أُلّف من أجلها، إلى حوادث أخرى وقضايا تتعالق معها في بعض الوجوه⁽³⁾.

وإنّ اهتمام القارئ بسياق النص أمر ضروري لتأسيس الفهم وتشكل الدلالة، يقول أمبرتو إيكو: «ما يعني أننا إذ نكون في حضرة نص ملفوظ في زمن بُعد عن زماننا، نبهّد في بناء إطاره المكاني الزمني الأصيل، حتى ندرك إلى أيّ نموذج من الموسوعة ينبغي لنا الرجوع لحسن الإحاطة به، وبحال أن اللعبة التعاضدية، أي تفاعل القارئ ومشاركته في تشكيل معنى النص عن فاعل التلطف، وأصله، وطبيعته، ومقاصده، لا تبلغ ذروة تعقيدها إلاّ أمام نص مكتوب، حين يكون المرسل غائبا جسمانياً، ومضمرا من قبل كلّ الخصائص الآيلة إلى التحليل في عبارات تعود إلى أنساق سيميائية ألسنية خارجية»⁽⁴⁾.

إنّ أمبرتو إيكو يؤكد بدوره على ضرورة الفهم والإحاطة بظروف وملابسات الإنتاج زمانا

(1) محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ص141.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص23-24.

(3) محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ص142.

(4) أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 1996م، ص95.

ومكانا، لأنّ كل النصوص قد لا تكون قريبة متّا لحظة إنتاجها، وعليه فقد قدّم العوامل والآليات المساعدة على الفهم وتشكّل المعنى والدلالة.

وإضافة إلى السياق الخارجي، فإنّ هناك، الزمان والمكان، اللذان يعتبران من عناصر ملابسات الخطاب، يتحدد المعنى وفقهما، فقد عُني البلاغيون بزمان الخطاب ومكانه من خلال اهتمامهم بسياق الحال أو المقام، المرتبطان بالبعد الزماني والمكاني للخطاب، لأنّ الأمر الذي يدعو المتكلم إلى تقديم صياغته على وجه معين، إما أن يتصل بزمن هذه الصياغة فيسمى الحال، وإما أن يتصل بمكانها أو محلّها فيسمى المقام، فكل خطاب لا بد له من بعد زماني وبعد مكاني يقع فيه، ومن هنا ارتبطت فكرتا الحال والمقام بالخطاب، واختلف الحال والمقام يؤدي إلى اختلاف صور الخطاب⁽¹⁾.

إن السياق الخارجي المتمثل في أسباب النزول هو أحد العناصر - كما أشرنا - التي تهدف إلى تحديد المعنى في النص وتفسيره، والوقوف على دلالاته، دون أن نعزّ الطرف عن العلاقات الداخلية أو السياق اللغوي للنص، الممثلة في علم المناسبة التي لها أيضا دورها في التحديد والتفسير والفهم الدلالي.

أما السياق المقامي أو ظروف النزول، فقد درسها علماء القرآن، واعتبروها الوعاء الذي يصب فيه النص، هذه الظروف هي العناصر التي تشكل السياق الخارجي للخطاب القرآني وهي أسباب النزول، والتي عني بها العلماء، وهذا ينبؤ عن مدى وعيهم الراسخ بدور السياق الحالي المقارن للنص، في استجلاء طبيعة التفاعل بين النص مع الواقعة التي نزل فيها، والسبب الذي قيل في شأنه، ثم تفاعل النص مع المخاطب، لأنّ القرآن الكريم يرمي إلى تغيير مفاهيم المتلقي عن طريق التنزل وفق وقائعه الخاصة، وأسبابه الدائرة، فيجيب عن التساؤلات والقضايا الشائكة⁽²⁾.

إن فهم النص القرآني بمعزل عن أسباب النزول، وهو العنصر البارز في السياق المقامي مجازفة كبيرة؛ إذا إن المفسّر قد ينجرّ إلى تأويل بعيد، ورأي متكلف، بسبب الغفلة عن الواقعة التي أنتجت النص، وهي العلامة الهادية إلى سياقه ومراده، فلا بدّ إذا أن ينطلق التفسير من خارج

(1) - محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، لبنان، مصر، 1994م، ص306.

(2) - قطب الريسوني، النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر: مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني، ص86.

النص إلى داخله، أي: من سياقه الاجتماعي والثقافي إلى بنيته الداخلية⁽¹⁾.

تعبّر أسباب النزول عن العلاقة القائمة بين آية معينة، وجملة معطيات وأحداث جزئية استدعت نزولها، حيث لا خلاف بين الدارسين على أنّ الآيات القرآنية جاءت في سياق حدث خارجي استدعى نزولها، أطلقوا عليه اسم السبب، الذي يعرفه الزرقاني: «ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبيّنة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال والمراد بقولنا: «أيام وقوعه» الظروف التي ينزل القرآن فيها متحدّثا عن ذلك السبب، سواء أوقع هذا النزول عقب سببه مباشرة، أم تأخّر عنه مدة لحكمة من الحكم»⁽²⁾.

إن مفهوم أسباب النزول عند الزرقاني، يكشف عن ظروف التنزيل، ومناسبة النص للواقع.

كما أن أسباب النزول تقتصر على الأحداث التي وقعت في عهد الرسول ﷺ، ولا يعدّ منها ما وقع من أحداث في العصور الماضية، ولذلك فأسباب النزول المتصلة بالقصص القرآني قليلة، وتبدو صلة بعض القصص القرآني بأسباب النزول من وجهين: أحدهما: مجيء القصة جوابا عن سؤال من بعض معاصري رسول الله ﷺ، وثانيهما: استحضر القصة في حدثٍ مشابه وقع في عهد الرسول ﷺ⁽³⁾.

وهذا يوضح أنّ اهتمام العلماء بأسباب النزول، قد جاء من جوانب مختلفة: من حيث التعريف والفائدة وطرق التحصيل... وغير ذلك، وكانت لهم وقفات عند النصوص التي تعدد سببها، والتي تقدّم سببها، والتي تأخّر سببها، مما يدل على أنّهم ناقشوا الموضوع جيّدا من جميع جوانبه.

أما التعريف الذي قال به الزرقاني، فقد لاقى نوعا من التعليق؛ حيث يعتبر سعيد العشماوي أنّ التعريفات التي جعلت الخطاب الحدائثي يعتبر النص مرتبّا ارتباطا سببيا بالحادثة التي نزل فيها، وكأنّ النص، لولا تلك الحادثة أو السؤال الذي وجه للنبي ﷺ لم يكن لينزل، أي أنّ

(1) - قطب الريسوني، النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر: مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني، ص86.

(2) - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زمزلي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1415هـ-1995م، ج1، ص89.

(3) - محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، ص262-263.

الشريعة كانت تنزل لأسباب تقتضيها⁽¹⁾.

أما فيما يخص مجالات علم أسباب النزول، فهو يدرس تطابق النص اللغوي (الآية أو مجموعة الآيات) مع الوقائع/ الأسباب الخارجية التي استدعت نزولها، وكانت سببا فيه، فأسباب النزول جزء من سياق القول، وهذه الأسباب كما يمكن الوصول إليها من خارج النص يمكن كذلك الوصول إليها من داخل النص، سواء في بنيته الخاصة، أو في علاقته بالأجزاء الأخرى من النص العام⁽²⁾.

وتشير كتب علوم القرآن أن كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص، استوجب إنزالها، وأن الآيات التي نزلت دون علة خارجية قليلة جدًا، وأدرك العلماء أن فهم النص لا بد أن يسبقه معرفة بالوقائع التي أنتجت هذه النصوص، ومن المعروف أن القرآن قد نزل منجما على بضع وعشرين عاما، وأن كل آية أو مجموعة آيات قد احتفظت لها التصانيف التي انشغلت بأسباب النزول بسبب أو أكثر، استوجب نزولها، وأن الآيات التي نزلت دون سبب محدد تتسم بندرة واضحة⁽³⁾.

ومن كل ما سبق يتضح لنا على أن ليس كل القرآن قد نزل على أسباب، بل إن من القرآن الكريم، ما نزل ابتداء غير مبني على سبب، ومن ذلك أكثر قصص الأنبياء مع أممهم، وكذا وصف بعض الوقائع الماضية، أو أنباء الغيب القادمة، وبيان أهوال القيامة، والجنة والنار، فقد نزل أكثر من ذلك ابتداء من غير توقف على سبب.

إن العلماء لم يقفوا عند مستوى الربط بين النص والواقع، وإنما أدركوا أن للنص من حيث هو نص لغوي، له فعاليته الخاصة التي يتجاوز بها حدود الوقائع الجزئية التي كان استجابة لها، إضافة إلى ذلك فقد أدركوا أن النص وإن كان من حيث النزول، أي من حيث ترتيب نزول أجزائه مرتبطا بالوقائع والأسباب، فإنه من حيث ترتيبه في المصحف يتجاوز هذا الارتباط بالوقائع ليقوم روابط أخرى، تمثلت في علم المناسبة بين الآيات⁽⁴⁾.

(1) -مرزوق العمري، إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحدائثي العربي المعاصر، ط1، منشورات الاختلاف، دار الأمان، منشورات ضفاف، الجزائر، المغرب، لبنان، 1433هـ _ 2012م، ص414.

(2) -نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، ص111.

(3) -محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن، ص86. وينظر: خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ص83.

(4) -المرجع نفسه، ص ن.

أي معرفة أسباب النزول لم تكن مجرد وِلعٍ يرصد الحقائق التاريخية التي أحاطت بشكل النص، بل هدفت إلى فهم النص واستخراج دلالاته.

أما فوائد هذا العلم، فقد ذكرها الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن، حيث يرد على من يقللون من أهميته بجريانه مجرى التاريخ والحوادث العارضة، متعددة، متنوعة، منها: التعرف على الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، وتخصيص الحكم به، عند من يرى أنّ العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى: «قال الشيخ أبو الفتح القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي، في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصّل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا، ومنها: أنّه قد يكون اللفظ عامًّا، ويقوم الدليل على التخصيص، فإنّ محلّ السبب لا يجوز إخراجها بالاجتهاد والإجماع»⁽¹⁾.

ويتضح من كلام الزركشي أن العلماء لم يقصدوا فكرة المحاكاة سواء في نسختها اليونانية أو العربية، وإنما كانت عنايتهم الكاملة بالدلالة للوصول بشكل دقيق إلى حكمة التشريع، أو مقصد المرسل (الله) الذي تنطوي عليه الآية أو الآيات موضع البحث.

ولعلّ هذا الذي ذكره الزركشي هو ما انتهى إليه مالينوفسكي، الذي يرى أن الكلام والموقف مرتبطان ببعضهما ارتباطًا لا ينفصم، وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الألفاظ، وهكذا تبدو العلاقة بين السياق والمعنى علاقة مؤكدة، قرّرها القدماء، كما قرّرها المحدثون.

وعليه فإنّ معرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني النص القرآني، وكشف الغموض الذي يكشف بعض الآيات في تفسيرها، ما لم يعرف سبب نزولها.

إن ما يستخلص من أسباب النزول، هو ضرورة وضع الآية أو الآيات في سياقها أو في مقامها الذي شكلته الوقائع التي أحاطت بها، أو كانت سببًا لها، وتشمل: زمن الخطاب وأطراف الخطاب (المخاطب والمخاطب)، (الرسول وعلاقته بالمخاطبين)، وسياق التخاطب وأحوال المخاطبين⁽²⁾.

كما أنّها تمثل أسباب النزول_ السياق الاجتماعي والتاريخي المحيط بالنص، الذي من خلاله يدرك المعنى وتحقق الدلالة، دون أن يعني ذلك ارتباط الدلالة المحددة بالحدث المحدث، لأنها خصوصيات متعلقة بالقرآن الكريم، وصلاحياته لكل زمان ومكان.

(1) - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص22.

(2) - محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن، ص88. وينظر: خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ص85.

وإن آيات أسباب النزول مناسبة لسياق الحال الذي نزلت فيه من جهة، وهي مناسبة لسياق السورة التي توجد فيها من جهة أخرى، وإن تباعد زمن النزول بين آيات السورة الواحدة، فالقرآن نص واحد متسق متماسك الأجزاء، متلاحم، ولو قرأ القارئ النص القرآني بمعزل عن معرفته لأسباب النزول لما لحظ أي تفاوت أو تباين أو اختلاف في انسياب الخطاب أو تلاحم أجزائه⁽¹⁾.

إن النص القرآني، تتحدد دلالاته، من خلال أسباب النزول، أي السياق الخارجي، الذي يحكم به على البناء الداخلي للنص القرآني.

ولم يخل موضوع أسباب النزول كباقي موضوعات القرآن الكريم من شبهات وأباطيل تريد النيل من مصداقيته منها، أنه ليس لكل السور سبب نزول خاص بها، أو هناك آيات لها سبب نزول وأخرى مستثناة، حيث أن السورة الأولى تناولت العقيدة ومسائلها، أمّا باقي السور فتناولت مسائل التشريع لارتباطها بأسباب النزول⁽²⁾.

وهذا تبرير باطل، يتنافى وطبيعة النص القرآني من حيث أن كل آية من آياته تحوي تشريعا دينيا ودينويا.

وقد أشار الجعبري إلى هذا، من أن هناك آيات لم يعرف لها سبب نزول وهي كثيرة، وعلى هذا كان تصنيف القرآن إلى قسمين: قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة أو سواء⁽³⁾، والقسم الذي نزل ابتداء أشار العلماء إلى أنه لحكم كثيرة، كهداية الخلق مثلا، يقول الزرقاني: «القرآن الكريم قسمان: قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة، وقسم نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة»⁽⁴⁾.

أما عن أسباب النزول وما تعلق به من شبهات، وتفسيرات تفقد النص القرآني قدسيته، وقد تمثلت في آراء المستشرقين، ومن نهل من فكرهم، وسنحاول عرض بعض هذه الأفكار والتعليق عليها.

(1) -خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ص85.

(2) -مرزوق العمري، إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحدائثي العربي المعاصر، ص415-416. وينظر: نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، ص97.

(3) -السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص189.

(4) -الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص89.

عرفنا فيما سبق أن علم أسباب النزول هو أداة لفهم الإطار التاريخي للآيات، وقد حاول بعض المستشرقين، حين أرادوا من محاولتهم فهم سياق التنزيل، والاحتكام إلى حوادث التاريخ التي جاء بها الوحي، انعكاسا مجرباتها، وتوخوا من ذلك كله إعادة ترتيب النزول، وفق تواريخ النزول وظروفه، مثل تيودور نولدكه، ولكنه واجه صعوبة كبيرة، ولم يتمكن من إنجاز مسار العمل الذي اختطه لنفسه، وتعليقا على محاولات الاحتكام إلى مظنونات أسباب النزول التي ارتبطت بالرواية، وتنطبق على ظنية الرواية⁽¹⁾.

يعتبر محمد شحرور أنّ التمسك والارتباط الوثيق بأسباب النزول، فيه تغييب للإرادة الإنسانية وتجريدها من المسؤولية عن دورها في التاريخ، وخاصة في مجال دراسة القصص القرآني وأحداث التاريخ، فيعجل حركة الأنبياء كلها مخططة سلفا، ومكتوبة لأنها من القرآن، وإن محاولة بعض المستشرقين لضبط التسلسل التاريخي لنزول الآيات فيه محاولة لمقاربة المعنى الأصلي حسب زعمهم، ويعلمون أيضا أن تغيير السياق له أثره على فهم النص، ويرفض شحرور ما يذهب إليه أصحاب أسباب النزول من أن هذا العلم يشمل جميع آيات التنزيل الحكيم، كتابا وقرآنا محكمات ومتشابهات⁽²⁾.

ثم إن ارتباط الآية بحدث تاريخي، كان يمكن ألا يحدث لسبب أو لآخر، يجعل من النص القرآني نصًا تاريخيا، ما كان ليكون لولا أنّ الأحداث مبرجة مسبقا لتحدث وفق الصورة التي حدثت عليها، وهذا يتعارض عموديا مع قوله تعالى: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ؕ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الجاثية: 29-30] ⁽³⁾.

إن النص له علاقة بالواقع، من حيث إنه جاء للمجتمع، ليحلّ إشكالياتهم، ويعالج واقعهم، هذا الواقع يفرض قراءة النص وفق آليات وأدوات ومناهج، تجعلنا نؤمن بأن قراءة الواقع التاريخي الذي نشأ فيه النص، وما يحتويه من صراعات وعلاقات، وثقافة هو الطريق الصحيح، لفهم

(1) - محمد شحرور، القصص القرآني: قراءة معاصرة (المجلد الأول: مدخل إلى القصص وقصة آدم)، ط1، دار الساقى، ،

بيروت، لبنان، 2010م، ص104.

(2) - المرجع نفسه، ص105.

(3) - المرجع نفسه، ص ن.

الوظيفة المحددة لهذا النص في إطاره التاريخي⁽¹⁾.

وفي حال قمنا بتطبيق هذه الأدوات والمناهج على التنزيل الحكيم، فلا بد أن نستحضر قضيتين رئيسيتين؛ الأولى: هي أن النبي لم يفسر التنزيل الحكيم، ولا نجد تفسيراً منسوباً إلى النبي ﷺ حرصاً منه على عدم تقييد تأويلات التنزيل بثقافة المجتمع السائدة، وأما الثانية: وهو عملية وضع آيات، التنزيل الحكيم في سياق مختلف عن سياق نزوله التاريخي، وأجمع العلماء على استحالة توثيق تواريخ النزول كاملة، واستحالة إعادة ترتيبه وفق سياقه التاريخي خلال ثلاثة وعشرين عاماً⁽²⁾.

وهناك مغالطة أخرى يثيرها محمد شحرور، وهي إن آيات القصص القرآني، هي نصوص تاريخية لا تؤخذ منها أي أحكام شرعية، ولا علاقة لها بمضمون الرسالة، إلا من حيث ورودها لتصديق فحوى الرسالة، فأحداث القصص لها مناسبات نزول معينة بشخصها وأحداثها، ومواقفها، ولذلك فإن الوحي الذي تعرض لهذه الحوادث بعينها هو نص تاريخي جُبل مضمونه وفحواه بتجاهبات الواقع التاريخي، الذي تنزل الوحي فيه بخطاب توجه إلى أقوام معينين⁽³⁾.

إنّ هذه الأفكار تنفي قدسية النص القرآني وعالميته، وأنه نص محلي، وكله وحدة متماسكة، فالنص القرآني ليس خاصاً بأفراد معينين، والقصص جاء لتثبيت قلب النبي ﷺ من أجل إكمال دعوته، لأنّ كل الأنبياء تعرضوا للإيذاء من قبل أقوامهم.

ولم تخرج كتابات المستشرقين حول ترتيب سور القرآن حسب النزول، عن تبني ما قاله المفسرون والمحدثون، وتعديلها قليلاً بما يتناسب مع تأويلاتهم، وما يرغبون توصيله من أفكار عن القرآن للقارئ الغربي؛ فمثلاً كتاب: تاريخ القرآن للمستشرق الألماني: تيودور نولدكه (1836م-1930م)، لا يخرج كثيراً عن ترتيب المفسرين، ويتبنى كثيراً ما جاء في كتاب: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، مع بعض التعديلات القليلة، دون اعتماد لمنهجية مستقلة ثابتة أو ضوابط واضحة⁽⁴⁾.

(1) - محمد شحرور، القصص القرآني: قراءة معاصرة (المجلد الأول: مدخل إلى القصص وقصة آدم)، ص 107.

(2) - المرجع نفسه، ص 108.

(3) - المرجع نفسه، ص 114.

(4) - ابن قرناس، أحسن القصص: تاريخ الإسلام كما ورد من المصدر، مع ترتيب السور حسب النزول، ط 1، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، 2010م، ص 16.

ولو ألقينا نظرة على العشرين سورة الأولى في الترتيب لدى المفسرين، لوجدنا أن هناك خمس عشرة سورة منها وردت في ترتيب نولدكه للعشرين سورة الأولى، كما أن من بين السور التي استبعدها عن أول السور نزولا كانت الفاتحة، والتي أخرجها للمرتبة الثامنة والأربعين، فيما وافق المفسرين في أن العلق هي الأولى في النزول، وإليك الجدول الآتي الذي يبين الترتيب في المصحف الشريف، وعند المفسرين، وعند نولدكه⁽¹⁾:

جدول يبين ترتيب السور في المصحف، وعند المفسرين، وعند تيودور نولدكه:

| الرقم | المصحف | المفسرون | نولدكه | الرقم | المصحف | المفسرون | نولدكه |
|-------|-------------|----------|----------|-------|-----------|----------|-------------|
| 1 | الفاتحة | العلق | العلق | 58 | المجادلة | سبأ | مريم |
| 2 | البقرة | ن والقلم | المدثر | 59 | الحشر | الزمر | ص |
| 3 | آل عمران | المزمل | المسد | 60 | المتحنة | غافر | يس |
| 4 | النساء | المدثر | قريش | 61 | الصف | فصلت | الزخرف |
| 5 | المائدة | الفاتحة | الكوثر | 62 | الجمعة | الشورى | الجن |
| 6 | الأنعام | المسد | الهمزة | 63 | المنافقون | الزخرف | الملك |
| 7 | الأعراف | التكوير | الماعون | 64 | التغابن | الدخان | المؤمنون |
| 8 | الأنفال | الأعلى | التكاثر | 65 | الطلاق | الجنات | الأنبياء |
| 9 | براءة | الليل | الفيل | 66 | التحریم | الأحقاف | الفرقان |
| 10 | يونس | الفجر | الليل | 67 | الملك | الذاريات | بنو إسرائيل |
| 11 | هود | الضحى | البلد | 68 | ن والقلم | الغاشية | النمل |
| 12 | يوسف | الشرح | الشرح | 69 | الحاقة | الكهف | الكهف |
| 13 | الرعد | العصر | الضحى | 70 | المعارج | النحل | السجدة |
| 14 | إبراهيم | العاديات | القدر | 71 | نوح | نوح | فصلت |
| 15 | الحجر | الكوثر | الطارق | 72 | الجن | إبراهيم | الجنات |
| 16 | النحل | التكاثر | الشمس | 73 | المزمل | الأنبياء | النحل |
| 17 | بنو إسرائيل | الماعون | عبس | 74 | المدثر | المؤمنون | الروم |
| 18 | الكهف | الكافرون | ن والقلم | 75 | القيامة | السجدة | هود |
| 19 | مريم | الفيل | الأعلى | 76 | الإنسان | الطور | إبراهيم |

(1) - ابن قرناس، أحسن القصص: تاريخ الإسلام كما ورد من المصدر، مع ترتيب السور حسب النزول، ص 18-19-20. وينظر: تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، تر: جورج تامر وآخرون، ط4، منشورات الجمل، كولونيا- ألمانيا، 2008م، ص 294-297.

| | | | | | | | |
|----|----------|----------|----------|-----|----------|-----------|-----------|
| 20 | طه | الفلق | التين | 77 | المرسلات | الملك | يوسف |
| 21 | الأنبياء | الناس | العصر | 76 | النبأ | الحاقة | غافر |
| 22 | الحج | الإخلاص | البروج | 79 | النازعات | المعارج | القصص |
| 23 | المؤمنون | النجم | المزمل | 80 | عبس | النبأ | الزمر |
| 24 | النور | عبس | القارعة | 81 | التكوير | النازعات | العنكبوت |
| 25 | الفرقان | القدر | الزلزلة | 82 | الانفطار | الانفطار | لقمان |
| 26 | الشعراء | الشمس | الانفطار | 83 | المطففين | الانشقاق | الشورى |
| 27 | النمل | البروج | التكوير | 84 | الانشقاق | الروم | يونس |
| 28 | القصص | التين | النجم | 85 | البروج | العنكبوت | سبأ |
| 29 | العنكبوت | قريش | الانشقاق | 86 | الطارق | المطففين | فاطر |
| 30 | الروم | القارعة | العاديات | 87 | الأعلى | البقرة | الأعراف |
| 31 | لقمان | القيامة | النازعات | 88 | الغاشية | الأنفال | الأحقاف |
| 32 | السجدة | الهمزة | المرسلات | 89 | الفجر | آل عمران | الأنعام |
| 33 | الأحزاب | المرسلات | النبأ | 90 | البلد | الأحزاب | الرعد |
| 34 | سبأ | ق | الغاشية | 91 | الشمس | الممتحنة | البقرة |
| 35 | فاطر | البلد | الفجر | 92 | الليل | النساء | البينة |
| 36 | يس | الطارق | القيامة | 93 | الضحى | الزلزلة | التغابن |
| 37 | الصفات | القمر | المطففين | 94 | الشرح | الحديد | الجمعة |
| 38 | ص | ص | الحاقة | 95 | التين | محمد | الأنفال |
| 39 | الزمر | الأعراف | الذاريات | 96 | العلق | الرعد | محمد |
| 40 | غافر | الجن | الطور | 97 | القدر | الرحمن | آل عمران |
| 41 | فصلت | يس | الواقعة | 98 | البينة | الإنسان | الصف |
| 42 | الشورى | الفرقان | المعارج | 99 | الزلزلة | الطلاق | الحديد |
| 43 | الزخرف | فاطر | الرحمن | 100 | العاديات | البينة | النساء |
| 44 | الدخان | مريم | الإخلاص | 101 | القارعة | الحشر | الطلاق |
| 45 | الجاثية | طه | الكافرون | 102 | التكاثر | النور | الحشر |
| 46 | الأحقاف | الواقعة | الفلق | 103 | العصر | الحج | الأحزاب |
| 47 | محمد | الشعراء | الناس | 104 | الهمزة | المنافقون | المنافقون |
| 48 | الفتح | النمل | الفاتحة | 105 | الفيل | المجادلة | النور |
| 49 | الحجرات | القصص | القمر | 106 | قريش | الحجرات | المجادلة |

| | | | | | | | |
|---------|---------|----------|-----|---------|-------------|----------|----|
| الحج | التحريم | الماعون | 107 | الصفات | بني إسرائيل | ق | 50 |
| الفتح | التغابن | الكوثر | 108 | نوح | يونس | الذاريات | 51 |
| التحريم | الصف | الكافرون | 109 | الإنسان | هود | الطور | 52 |
| المتحنة | الجمعة | النصر | 110 | الدخان | يوسف | النجم | 53 |
| النصر | الفتح | المسد | 111 | ق | الحجر | القمر | 54 |
| الحجرات | المائدة | الإخلاص | 112 | طه | الأنعام | الرحمن | 55 |
| التوبة | التوبة | الفلق | 113 | الشعراء | الصفات | الواقعة | 56 |
| المائدة | النصر | الناس | 114 | الحجر | لقمان | الحديد | 57 |

وهناك مسألة يثيرها المؤلف، وهي إن السلف يتحملون وزر ترتيب السور القرآنية بالشكل الذي هو عليه في المصحف، وضياع الشكل الصحيح للترتيب حسب النزول، ولا أستطيع -يقول المؤلف- تصور أن الأتقياء من الصحابة لا يعرفون ترتيب السور حسب النزول، أو أنهم لا يعرفونها، ولكنهم تعمدوا ترتيب سور المصحف بهذه الطريقة التي هي عليه الآن، وأن المصحف الإمام الذي كتب في عهد الرسول ﷺ قد رتب السور فيه كما نزلت، أو أن كل سورة قد كتبت لوحدها⁽¹⁾.

إن ما أثاره المؤلف لا يخرج عن منهج الشك والهدم الذي اتبعه في كامل الكتاب، ويقصد بالسلف هم الصحابة رضي الله عنهم، وأنهم قد أضاعوا الترتيب الصحيح للمصحف الإمام، فمن أدراه بالترتيب الصحيح إن وُجد حسب زعمه، ثم إن ترتيب السور أمر وقي من الله تعالى.

أما عن أسباب ضياع الترتيب حسب المؤلف فترجع إلى النقاط الآتية:

- قريش والعرب عموماً لم يكونوا من أهل التدوين والكتابة.
- أمية العرب وما حدث لترتيب السور عند نسخ المصاحف جعلنا نفقد الترتيب الصحيح.
- لم يعد بالإمكان التعرف على اليوم الذي نزل فيه الوحي للمرة الأولى.
- لم يعد بالإمكان التعرف على الشخص أو الأشخاص الذين استمعوا لمحمد، وهو يتلو ما أوحى إليه للمرة الأولى.

(1) - ابن قرناس، أحسن القصص: تاريخ الإسلام كما ورد من المصدر، مع ترتيب السور حسب النزول، ص 16.

- غياب الأحداث التي صاحبت استمرار الدعوة.

- كل هذا كان نتيجة لأنّ قريش، قوم أميون، مثل غالبية قبائل جزيرة العرب، ولو كانوا أهل كتاب وتوثيق كاليونان أو الرومان، لوجدنا سجلات ضخمة عما صاحب الدعوة من أحداث في مكة والمدينة، حتى ولو عكست ميول كاتبها وزوّدت بعض الحقائق⁽¹⁾.

إن التحامل الواضح من طرف مؤلف الكتاب جعله يتناسى، دور العرب في بناء الحضارة الإنسانية، وهم الذين قال عنهم الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [سورة الفجر: 6-8]، كما أن العرب يمتازون بقوة الحفظ والذاكرة، ولو كانوا كما وصفهم المؤلف لما وصلنا هذا التراث الشعري والشري الضخم منذ الفترة الجاهلية، كما أن المؤلف يفتقد إلى القرائن والأدلة الكافية ليثبت بما تصوراته وأفكاره، وخاصة ما تعلق بالنقطة الثالثة، والرابعة والخامسة، وإن ما قاله كله مبني على تخمينات قد تصيب وقد تخطئ، لكنها تبقى مجافية للحقيقة العلمية والمنطقية.

وفيما يخص ترتيب النزول، فالمؤلف ينفي أن تكون السور قد نزلت بالترتيب الذي قال به المفسرون، ويضرب على ذلك مثالا عن سورة العلق؛ التي قال عنها المفسرون أنها أول ما نزل من القرآن، وآياتها الخمس الأولى تحديدا، وتلاها في النزول سورة القلم، معتمدين في ذلك على أمرين: 1- تصورهم الخاطئ عن كيفية تلقي الرسول للوحي «وفي هذا نفي تام لعملية نزول وتلقي الوحي». 2- ظنهم أن القرآن ينزل على شكل جزء من آية أو آية أو آيات، وليس على شكل سورة كاملة⁽²⁾.

أما عن المنهج المتبع والخطوات العملية لترتيب السور، فالمؤلف يعتبر أن لأي شخص القيام بعملية ترتيب السور حسب النزول، إذا تسلّح بنقاط معينة في عملية القراءة، أهمها⁽³⁾:

- السورة تنزل كاملة، من غير تجزئ، لأنّ السورة عبارة عن رسالة إلهية، تنزل على الناس لتتفاعل مع ما يجري فترة نزولها، وطول السورة أو قصرها يخضع لطول وقصر الأحداث والدليل على ذلك

(1) - ابن قرناس، أحسن القصص: تاريخ الإسلام كما ورد من المصدر، مع ترتيب السور حسب النزول، ص 17.

(2) - المرجع نفسه، ص 21.

(3) - المرجع نفسه، ص 36-42.

وجود: سورة بثلاث آيات فقط، وسور أطول بعشر أو عشرين آية، وسورة متوسطة الطول، بخمسين وستين آية، وسور طوال تصل أطولها البقرة إلى (286 آية).

-القول بنزول السورة مجزأة إلى الآية والآيتين، قول لا يمكن أن نحسن الظن به، لأنه يسهل تقطيع أوصال الآيات، ويلغي السياق، ويفرغ كلام الله من معانيه، ويبعد القارئ عن فهمه كما نزل فهو يقضي على تلاحم الآيات وسياقها، وربطها بالواقع والمحيط والظروف التي نزلت فيها.

وهناك استثناء وحيد تكلم عنه المؤلف، من كون سورة المزمل نزلت مفرقة، حيث نزلت في العهد المدني عشر آيات، وبعد مدة ألحق الجزء الباقي في الفترة المكية، في الفترة الأولى تهيئته ليكون مستعدا لإنذار قريش، وفي الثانية بداية الدعوة بعد التأهيل النفسي الذي أخذه الرسول ﷺ.

-القرآن ليس كالتوراة، لأن التوراة نزلت دفعة واحدة على موسى، وأمر بكتابتها على الألواح، لأنها كتاب تشريع فقط، وليس لها علاقة بما يحدث في الحياة العامة لبني إسرائيل عند نزولها، أما القرآن فهو رسائل تتفاعل مع تفاصيل الحياة اليومية في الفترة التي تنزل فيها كل سورة، لذا نزل مرتباً على مدى سنوات الدعوة التي يقول المؤرخون أنها بلغت قرابة ربع قرن.

-القرآن فيه قصص عن أحداث قديمة، والخطاب في هذه السور موجه لقريش أخذاً للعبارة والعظة، مما حدث لتلك الأمم التي كفرت برهها، أو يكون الخطاب موجها لبني إسرائيل.

-الهدف من القصص إثبات صدق رسالة محمد، لأنه لو لم يكن رسولا لله، لما نزل عليه الوحي، ولما أمكنه التعرف على مثل هذه القصص.

-سورة القرآن سجل للأحداث ويجب أن تؤخذ على هذا الأساس، ولا نتحدث عن المستقبل أو تفترض مواقف لم تحدث، وهذا لا ينفي أن كل تشريعات القرآن، وإن فرضت بسبب حادثة أو موقف معين وقت الرسول، فهي تطبق على كل المسلمين في كل العصور.

-لا بد من التعرف على التسلسل المنطقي للمواضيع والأحداث، وهذا لا يكون إلا إذا كان نزول السور سورة سورة، وهذا يوصلنا إلى الترتيب الزمني للسور حسب النزول، فليس من المتوقع أن يبدأ الوحي بسورة فيها وعد أو وعيد، أو تشرع بتناول الأحداث الجارية وتعالجها، أو تفرض تشريعات وتوجب عقوبات وحدود، ولا تكون السور التي نتحدث عن بدايات الدعوة تسبق السور التي نتحدث عن الهجرة، أو تسبق سور نتحدث عن تعذيب قريش للمسلمين، سورة أخرى نتحدث عن بداية الدعوة أو تسبق سورة مدنية سورة مكية.

-وبالنسبة لتسلسل الأحداث، فلا بد أن يكون هناك ملامح مشتركة بين السور التي نزلت في فترة زمنية واحدة مثل أن تكون السور تتحدث عن فرض القتال والحث عليه، مما يشير إلى أنها نزلت في المدينة، فإن كان الحديث سابق لذكر أي معركة، فتكون السورة قد نزلت في بداية العصر المدني، وقبل غزوة بدر، مثل سورة الممتحنة، والبقرة ومحمد، والصف... وهكذا.

-السورة تنزل لتتحدث عما يدور وقت نزولها، والسور التي تتناول نفس المواضيع تكون قد نزلت في فترة واحدة، والسور القرآنية لا تنبؤ بأحداث ستقع، ولا تتحدث عن افتراضات وفرضيات، ولا عن أشخاص سيأتون، أو مذاهب ستنشأ، لذا من المهم التعرف على المرحلة التي نزلت فيها السورة لفهم الآيات.

هذه هي رؤية ابن قرناس، ومنهجه لمن يقوم بمهمة ترتيب السور وحسبنا أن هذه العملية ليست ميكانيكية آلية، لأن الإحاطة بمثل هذه النقاط ليس بالأمر الهين، كما أن اعتبار أن شخص يمكنه القيام بهذه العملية، فقد أضحي الأمر بعيدا كل البعد عن المنطق العلمي السليم.

وما يمكن قوله في ختام هذا المبحث، الذي أثرتنا فيه الكثير من النقاط المتعلقة بالسياق القرآني، وتحديد المعنى، هو أن النص القرآني يمتاز بالتماسك بين آياته وسوره، حتى وإن كانت متفرقة النزول، فهي نص واحد متماسك.

كما أن في تماسك النص القرآني رد واضح على أفكار: محمد شحرور وتيودور نولدكه وابن قرناس، من خلال منهجه وأسلوبه التعبيري.

ثالثا- التماسك النصي بين قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في السورة

الواحدة:

يناقش هذا المبحث المناسبة بين قصة موسى عليه السلام، والقصص القرآني الوارد في سورة واحدة، ووردت قصة موسى عليه السلام، في العديد من السور، مما يعني أن هذه السور متماسكة فيما بينها، على اعتبار انسجام القصة مع موضوع السورة العام.

وسيكون العمل مركزا على بيان المحور العام للسورة، وبيان العلاقة بين قصة موسى عليه السلام وباقي القصص، وهذا في بعض السور فقط، وكذلك بيان بم انفردت به هذه السورة دون غيرها، أثناء عرضها لقصته عليه السلام.

1- قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة الأعراف:

سورة الأعراف أول سورة عرضت بالتفصيل لقصص الأنبياء، ففي السورة التي قبلها -سورة ص- ذكرت بعض قصصهم إجمالاً، والأعراف فصلت هذه القصص، وذكرت أحداثاً جديدة لم تذكرها السور السابقة لها.

وتعالج سورة الأعراف الموضوع العام للقرآن؛ موضوع العقيدة، لكنها تعالجه من حيث عرضه في مجال التاريخ البشري القديم من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ، فهي تعرض مسيرة العقيدة التي حملها موكب الأنبياء عليهم السلام، على مدار التاريخ وتعرض كيفية استقبال البشرية لهذا الموكب⁽¹⁾.

بدأت هذه السورة بإثبات القرآن المعجزة الخالدة للنبي محمد ﷺ، وتسليته عن تكذيب الكفار إيّاه، ثم ذكرت البشر بنعمة خلقهم من أب واحد، وتكريمهم وحذرت من كيد الشيطان، وقصة آدم عليه السلام مع إبليس، كنموذج للصراع بين الخير والشر، الحق والباطل⁽²⁾.

أي أن السورة ركزت في مقصدها العام، على موضوع تهديد المكذبين بالآيات التي أيد الله بها رسله عليهم الصلاة والسلام، والمكذبين بالآيات الكونية الدالة على الله عز وجل، وبيان عاقبة هؤلاء في الدنيا والآخرة، فكانت القصص الواردة في هذه السورة بمثابة حلقات تعرض فيها هذه المسيرة، والقصة الأولى في السورة هي قصة سيدنا آدم عليه السلام، التي ذكرت السورة عداوته الأزلية مع إبليس، وفي أول مشهد في القصة نجد تكريم الله تعالى لآدم وأمر الملائكة بالسجود له احتراماً، فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين، فاستحق الطرد واللعن، فتوعد بإغواء بني آدم، فكانت هذه القصة الحلقة الأولى من مسيرة العقيدة عبر التاريخ، ثم يعقب على القصة بالتحذير من إغواء إبليس وبيان عداوته، وبيان أنه سيرسل إلى البشر رسلاً يقصون عليه آياته، وتبين مصير المؤمنين والكافرين: ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ۖ فَأُتِيَ فَمِنَ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج3، ج8، ص1244. وينظر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر: تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول، ط1، دار القلم، دمشق، سورية، 1421هـ- 2000م، مج4، ص39.

(2) _ عبد الله محمد النقرات، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: دلالة التصريف القرآني أولى من دلالة ولفظ التكرار، ط1، دار قتيبة، دمشق، سورية، 1423هـ- 2002م، ج1، ص133.

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ [الأعراف: 35-36].

لقد بدأت سورة الأعراف بفكرة السجود، التي كانت متصلة بآدم عليه السلام، ورفض إبليس واستكباره، وعدم امتثاله لأمر الله تعالى، واختتمت السورة بالفكرة نفسها -فكرة السجود- والتأكيد على عدم استكبار المؤمنين فيقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: 206]، فهذا التناسب بين الخاتمة والفتحة في هذا السياق فيه تأكيد على وحدانية الله.

ثم تعرض السورة لمسيرة العقيدة من خلال الحديث عن بعض الرسل ودعوتهم لعبادة الله وتوحيده، وما لاقوه من عناد وتكذيب، وقد اتفقت كلمتهم على التوحيد والعبادة، وقد تشابهت أقوال أقوامهم في الرد على أنبيائهم، فبدأت بنوح، ثم إرسال هود إلى عاد، وصالح إلى ثمود، وإرسال لوط، وشعيب إلى مدين⁽¹⁾.

نجد في كل قصة مشهدا يذكر النبي فيه قومه بنعم الله عليهم، وبعدم الإفساد في الأرض، فيقول نوح عليه السلام لقومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٥٩] إلى قوله تعالى: ﴿فَنَوَّيْنَا عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأَ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [٩٣-٥٩]، لكن قومه أصروا على تكذيبه واتهموه بالظلام، حتى نجاه ومن آمن معه في الفلك وأغرق المكذبين من قومه.

أما هود عليه السلام، فيقول لقومه: ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65]، فأصر قومه على تكذيبه واتهموه بالسفاهة، وفضلوا عبادة آلهتهم على عباد الله وحده، حتى أنجاه الله ومن معه وقطع دابر الذين كذبوا بآياته⁽²⁾.

وأما نبي الله صالح عليه السلام، فيقول لقومه: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ

(1) _ عبد الله محمد النقرات، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: دلالة التصريف القرآني أولى من دلالة ولفظ التكرار، ج 1، ص 134-135.

(2) _ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (دت)، ج 8، ص 154.

أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿ [الأعراف: 73]، لكنهم كذبوه وعقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم⁽¹⁾، حتى أنجى الله صالحا عليه السلام، ومن آمن معه، وأخذت المكذبين من قومه الرجفة.

ولوطا عليه السلام، يقول لقومه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿ [الأعراف: 80]، لكنهم كذبوه، وأصروا على ما فعلوا، فأمر الله عليهم حجارة من السماء، ونجى الله لوطا ومن آمن معه.

ونجد شعيبا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ [الأعراف: 85]، لكنهم استكبروا وأصروا على شركهم وتكذيبهم وإفسادهم، حتى أنجاه الله ومن آمن معه، وأخذت المكذبين الرجفة، فأصبحا في دارهم جاثمين⁽²⁾.

إن قصص هؤلاء الأنبياء مع أقوامهم ترتبط بموضوع السورة العام -العقيدة- الداعي إلى الإيمان بالله وحده، وعدم الإفساد في الأرض، ومن الناحية النصية: فالقصص متماسكة لدعوته لموضوع واحد، كما بينت الآيات السابقة الواردة في قصص الأنبياء مع أقوامهم، أن هؤلاء الرسل جاؤوا بالبينات، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿ [الأعراف: 101].

وهكذا يمضي السياق مترابطة متماسكا بين الآيات، فبعد أن قص الله على نبيه ﷺ قصص بعض الأمم مع أنبيائها مرتبة، أتبعها بقصة موسى عليه السلام مع فرعون وملأه والسحرة، وما

(1) - صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1412هـ - 1992م، ج4، ص396.

(2) - المصدر نفسه، ج4، ص400.

فيها من العبر والعظات، فتناولتها السورة بالتفصيل، وذلك من بديع ترتيب الأفكار وترباطها⁽¹⁾.

وبعد إثبات نبوة محمد ﷺ، وأنه للناس جميعا، في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158].

ثم عادت الآيات لقصة موسى عليه السلام، وقومه؛ إذ قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نُنَقِّنَا لُجُلَّ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 159-171].

وقصة موسى عليه السلام تمثل إحدى الحلقات التي تتناولها سورة الأعراف والمتماثلة في الجانب العقدي، فقد بينت السورة تكذيب فرعون وملئه لموسى عليه السلام، حتى أُنجاه الله ومن معه، وأغرق الباقين، ومن أوجه العلاقة المشتركة بين هذا الجانب وباقي القصص في السورة هي نزول العذاب بالمكذابين، ونجاة الأنبياء مع أقوامهم.

ومن جهة أخرى يتناول سيرة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، ومن أوجه العلاقة بين هذا الجانب، وبين القصص الأخرى في السورة، أننا نجد في أحد مشاهده استهزاء بني إسرائيل بالأمر الرباني بالسجود شكرا لله تعالى حين دخول القرية، لكنهم غيروا وبدلوا، وفي هذا شبه مع عصيان إبليس لأمر الله تعالى، حين أمره بالسجود لآدم عليه السلام.

ومن أوجه التناسب بين هذا الجانب، وبين باقي القصص، مشهد نزول الرجفة على السبعين رجلا المختارين، حينما طلبوا رؤية الله جهرة، مما يشبه نزول الرجفة على المكذابين في قوم صالح وشعيب عليهما السلام، فهناك تماسك واضح بين مشاهد قصة موسى عليه السلام، وباقي القصص الأخرى في السورة.

يتضح لنا مما سبق أن سورة الأعراف هي أول سورة بحسب ترتيب النزول، بينت التماسك النصي بين قصص الأنبياء، كما بينت المناسبة بين قصة موسى عليه السلام وباقي القصص، يقول

(1) _ عبد الله محمد النقرات، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: دلالة التصريف القرآني أولى من دلالة ولفظ التكرار، ج1، ص135.

عبد الله محمد النقرات: «وإن هذه السورة ركزت على قصص الأنبياء فتوسعت فيه توسعا كبيرا، أخذ معظم السورة، وذلك لإثبات التوحيد، وتسليية النبي ﷺ... وتبين لنا من هذه السورة أن الأنبياء والرسل جميعا اتفقت كلمتهم على التوحيد، وهو أصل كل رسالة... وأن لهذه السورة كذلك أسلوبها وطريقتها الخاصة التي تميزها عن غيرها من السور في بناء مقاصدها، وذلك في ترابط قوي وتناسق بديع»⁽¹⁾.

ومن المشاهد التي عرضت في هذه السورة من قصة موسى عليه السلام، دون غيرها من السور، والتي جاءت متناسبة مع المحور العام للسورة، ومتناسبة أيضا مع باقي القصص الواردة فيها ما يأتي:

— اختصاص سورة الأعراف بعرض قول بني إسرائيل الذي ينبؤ عن أعمالهم الدنيئة، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129].

— التفصيل في الآيات التسع التي ابتلى الله بها فرعون وقومه، وهذا متناسب مع جزاء الأقسام المكذبين لأنبيائهم، قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: 102].

— اختصاص سورة الأعراف بعرض طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام، آلهة يعبدونها من دون الله، وهذا المشهد مناسب لموضوع الشرك في السورة، ومناسب لعبادتهم العجل.

— التناسب بين طلب موسى عليه السلام رؤية الله، وطلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام، رؤية الله جهرة، فشتان بين طلب موسى عليه السلام الذي قوبل بالرفض (لن تراني) وطلب قومه.

هذه جملة من المشاهد التي اختصت بها سورة الأعراف، والتي توضح مناسبتها لموضوع السورة العام، كما توضح أيضا ذلك التماسك النصي بين القصص القرآني في السورة الواحدة.

وكما كانت السورة متناسبة في مقدمتها، فقد تناسبت أيضا في خاتمها، وفي مواضعها

(1) — عبد الله محمد النقرات، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: دلالة التصريف القرآني أولى من دلالة ولفظ التكرار، ج 1، ص 136.

المختلفة، ومقصدها العام، وتعدد قصصها واختلافها، وحقت المناسبة التماسك، النصي بين مختلف عناصر السورة، يقول صبحي إبراهيم الفقي: «وهكذا تلتقي مقدمة السورة مع خاتمها في هذه المحاور، محققة بذلك التماسك بينهما، على الرغم من طول هذه السورة، واختلاف الموضوعات والقصص فيها، لكن ظهور هذه المحاور في خاتمة السورة يجعلها متلاحمة، خاصة وأنها تعتمد -مثل بقية السور المكية- على الحديث عن موضوع العقيدة، ولا يخفى أن المرجعية تحققت بالضمائر والأسماء الظاهرة المكررة، وإن كانت بالترادف»⁽¹⁾.

2- قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة الفرقان:

سورة الفرقان من السور المكية، مقصدها العام هو العقيدة، بينت ما لاقاه الرسول ﷺ من أذى قومه كغيره من الرسل الذين أشارت إليهم هذه السورة: «...والتي وردت هذه المقاصد لعلاجها، وبيان الحقيقة فيها، فمقاصدها وحدة متصلة مترابطة ترابطا متينا، متناسقة تناسقا قويا، أغلبها بني على ذكر القرآن، وشبهات المشركين حوله، وإثبات الرسالة والوحي، وتسليية الرسول ﷺ، عما يلاقيه من أذى المشركين وعنادهم، مبيّنا له أن ذلك سنة مطردة مع الأنبياء والرسل جميعا؛ إذا واجهوا من العناد والتكذيب مثل ما واجه النبي ﷺ»⁽²⁾.

أما الموضوعات التي ذكرتها السورة فبدأتها بتنزيه الله تعالى، الذي أنزل القرآن ليكون للعالمين نذيرا، والذي بيده ملكوت السماوات والأرض، الذي لم يتخذ ولدا، وليس له شريك في ملكه، والخالق لكل شيء، ثم غابت على الذين اتخذوا من دونه آلهة، وبيّنت سبب ذلك، وهو عجز هؤلاء الآلهة الباطلة التي لا تنفع ولا تضر، ولا تملك الموت والحياة، فذلك لله وحده، يقول تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ۝٢ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ۝﴾ [الفرقان: 01-03].

كما عرضت السورة أيضا لافتراءات المشركين حول القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ

(1) - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج2، ص128.

(2) - عبد الله محمد النقرات، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: دلالة التصريف القرآني أولى من دلالة ولفظ التكرار، ج1، ص153.

الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٣٥﴾ [الفرقان: 4].

وهناك مشاهدة أخرى تم عرضها في سورة الفرقان في تناسق وترتيب بديع، كما بسطت الآيات بإيجاز قصص بعض الرسل، وبيّنت تماثلها خاصة فيما تعلق بقصة موسى عليه السلام، وأخاه هارون، ونوحا، وعادًا، وثمودا، وأصحاب الرسّ، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ﴿٣٧﴾ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ لِلْأَمْثَلِ ﴿٣٩﴾ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ [الفرقان: 35-39].

يتضح مما سبق أن سورة الفرقان بيّنت التماسك النصي بين قصص الأنبياء، كما بيّنت المناسبة بين قصة موسى عليه السلام، وباقي قصص الأنبياء الآخرين، وأن نهايتهم واحدة لأنهم كذبوا بما جاء به أنبيائهم.

وقصة موسى عليه السلام، متناسبة أيضا مع ما تعرّض له محمد ﷺ من أذى المشركين، وتكذيبهم له، وفيها تسلية لقلب النبي ﷺ.

3- قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة طه:

يبيّن المحور العام لهذه السورة أن الشقاء والعذاب سيلحقان بمن أعرض عن الرسالة المحمدية، وأن ما جاء به محمد ﷺ، هو للناس جميعا، قال تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾﴾ [طه: 1-2].

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: «ما أنزلنا عليك القرآن ليؤدي إلى شقاؤك به أو بسببه، ما أنزلناه لتشقى بتلاوته والتعبد به حتى يجاوز ذلك طاقتك ويشق عليك، فهو ميسر للذكر، لا تتجاوز تكاليفه طاقات البشر، ولا يكلفك، لا ما في وسعك، ولا يفرض عليك إلا ما طوقك والتعبد به في حدود الطاقة نعمة ولا شقوة...»⁽¹⁾.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج16، ص2327.

ومن المواضيع التي ناقشتها السورة أيضا، هو أن من اتبع هدى الله فله النجاة والفلاح، ومن أعرض عن هداية تعالى فله المعيشة السيئة، ويحشر يوم القيامة أعمى لقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: 123-124].

ويفسر الصابوني هذه الآية فيقول: فإن جاءكم من جهتي الكتب والرسل لهدايتكم، فمن تمسك بشريعتي واتبع رسلي فلن يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ومن أعرض عن أمري، وما أنزلته على رسلي من الشرائع والأحكام، فإن له في الدنيا معيشة قاسية شديدة، وإن تنعم ظاهره ونحشره في الآخرة أعمى⁽¹⁾.

ومما عرضت له السورة، هو عقوبة فرعون والسامري، وإنجاء موسى عليه السلام ومن آمن معه، كما جاءت قصة موسى عليه السلام في سورة طه، متناسقة مع قصة آدم عليه السلام، في قول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتْنَىٰ وَاٰلِهِمْ سُلَيْمٰنٌ وَمِمَّا نَزَّلْنَا مِن بَيْنِ يَدَيْنَا مَا أَشْرَكُوا لَئِن لَّمْ يَظْهَرِ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَكٰذِبُونَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ [طه: 115-116].

أما قصة موسى عليه السلام، فتعرض لما لاقاه من أذى من فرعون وملئه، فقد كذبوا موسى عليه السلام، فغشيه من إليهم ماغشيه، ومن أوجه التناسق بين قصة موسى عليه السلام، وبين السورة في مشهد المناجاة، حيث يأمر الله تعالى موسى عليه السلام بقوله: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: 14]، كما جاءت قصة موسى أيضا متناسبة مع أواخر السورة التي أمر الله فيها محمد ﷺ بقوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا لَّٰكِن نُنزِّلُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلنَّوَىٰ ﴾ [طه: 132].

لقد جاء الخطاب في سورة طه موجها لسيدنا محمد ﷺ، في البداية والنهاية من سورة طه، التي بدأت بقوله تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا نَذِيرًا لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [طه: 1-4]، ثم انتقلت السورة إلى قصة

(1) _ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص171.

موسى عليه السلام، ولطول استغراقها في هذه القصة، قد يتوهم المتلقي أن السورة موجهة إلى سرد قصة موسى عليه السلام، مع فرعون وبني إسرائيل والسامري، ولكن عند الوصول إلى خاتمتها نجدها تتحد مع بدايتها من توجيه الخطاب إلى سيدنا محمد ﷺ، فيقول: ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه: 130].

فالتناسب في سياق هذه السورة، حصل من وحدة المخاطب، فيما أن فاتحة السورة كانت خطابا موجها لسيدنا محمد ﷺ، جاءت الخاتمة كذلك خطابا موجها له، فهذا الاتفاق ينبهنا على اتصال النص وترابطه.

وإن التناسب بين خاتمة السورة وفتحتها، يؤدي إلى ترابط النص، وهو مؤشر واضح على الوحدة التماسكة بين الآيات.

هذا وقد بينت سورة طه ما لاقاه موسى عليه السلام، من أذى فرعون وملئه، ولهذا اختصت هذه السورة ببيان بعض الأحداث دون غيرها من السور منها: -اختصاص سورة طه بذكر الموعد الذي حدّد بين موسى والسحرة؛ لهذا جاء هذا الحدث فصلا في سورة طه دون سواها.

-قول موسى عليه السلام للسحرة: ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلِكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ مُّخْلَفٍ ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴾ [طه: 61]⁽¹⁾.

ومما سبق يتبين لنا التماسك النصي بين قصة موسى عليه السلام، والقصاص الوارد في هذه السورة، وكيف كانت النهاية نفسها لمن كذب بآيات الله، وأن أحداث هؤلاء الأنبياء مع أقوامهم فيها تسلية وتثبيت لقلب النبي ﷺ.

4- قصة موسى عليه السلام والقصاص القرآني في سورة الإسراء:

ذكر ابن عاشور مقاصد سورة الإسراء⁽²⁾:

-الغرض الأساس لهذه السورة، هو إثبات نبوة محمد ﷺ، وأن القرآن هو وحي من الله،

(1) _ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عادل عبد الموجود، علي معوض، أحمد صبرة، أحمد عبد الغني الجمل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ _ 1994م، ج3، ص211.

(2) _ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص7-9.

وإثبات فضله وفضل من أنزل عليه، وبين إعجازه، وردّ مزاعم المشركين حوله.

-سورة الإسراء تنظير بين شريعة الإسلام، وشريعة موسى عليه السلام، ورمزا إلهيا إلى أن الله أعطى محمدا من الفضائل أفضل مما أعطى قبله.

-بيّنت السورة أن الله أحلّ محمد ﷺ، بالمكان المقدس الذي تداولته الرسل من قبل؛ هذا المكان الذي هو مهبط الشريعة الموسوية، ورمز أطوار تاريخ بني إسرائيل وأسلافهم، والذي هو نظير المسجد الحرام.

-إثبات دلائل تفرد الله بالإلهية.

-التذكير بالنعم التي سخرها الله للناس، وإظهار فضائل شريعة الإسلام وحكمته.

وقال البقاعي: «المقصود بها الإقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه، لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض، وذلك هو العمل بالتقوى»⁽¹⁾.

إن سورة الإسراء تتحدث عن موضوعات كثيرة، بدأتها بالإشارة إلى قضية الإسراء والمسجد الأقصى، وإفساد بني إسرائيل في الأرض، وطلب المشركين خوارق مادية للإيمان: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝١٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلِ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝١١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ فَيَلًا ۝١٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝١٣﴾ [الإسراء: 90-93].

ووجه المناسبة هنا؛ أن طلب الخوارق المادية، قد طلب من موسى عليه السلام من قبل، شرط إيمانهم به، وأيضا على الرغم من أن حادثة الإسراء والمعراج، هي حادثة حسية، فإنهم لم يؤمنوا، وترتبط مع ما حدث لموسى عليه السلام من قبل مع السحرة، ومن ثم ارتبطت أجزاء السورة بالإسراء المذكور في الآية الأولى، وكانت أجزاءها متماسكة مع اسمها وموضوعاتها.

وقد قصت علينا سورة الإسراء طرفا من قصة ثمود، وذكرت قصة آدم مع إبليس، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون، وأثبتت الرسالة وختمت السورة بتنزيه الله على الشريك والولد:

(1) _ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج11، ص286.

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكِبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: 111].

و هذا من التماسك بين أجزاء السورة، بدأت بالتنزيل وختمت به، وكمثال لما شكل وجهها للارتباط والتناسب قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ، مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: 1] إلى قوله: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: 3].

فما وجه الارتباط بين الإسراء وبين قوله ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾؟ يجب الزركشي عن هذا التساؤل، حيث بين وجه اتصالها بما قبلها على تقدير: «أطلعناه على الغيب عيانا، وأخبرناه بوقائع من سلف بيانا، لتقوم أخباره على معجزته برهانا؛ أي سبحان الذي أطلعك على بعض آياته لتقصها ذكرا، وأخبرك بما جرى لموسى وقومه في الكرتين، لتكون قصتهما في آية واحدة، أو أنه أسرى بمحمد ﷺ إلى ربه كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفا يترقب»⁽¹⁾.

وفي قصة موسى عليه السلام شبه بين الموقفين، فحادثة الإسراء معجزة حسية تشبه معجزات سيدنا موسى عليه السلام من حيث النوع، وكذلك تتشابه ردة فعل قومهما حين كذباهما.

وذكر ابن عاشور مناسبة هذه الآية لما قبلها: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ﴾ [الإسراء: 2]: «عطف على جملة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى ﴾ [الإسراء: 1]، إلخ... فهي ابتدائية، و التقدير: الله أسرى بعبد محمد وآتي موسى الكتاب، فهما متتان عظيمتان على جزء عظيم من البشر، وهو انتقال إلى غرض آخر لمناسبة ذكر المسجد الأقصى، فإن أطوار المسجد الأقصى تمثل ما تطور به حال بني إسرائيل في جامعتهم من أطوار الصلاح والفساد، والنهوض والركود، ليعتبر بذلك المسلمون فيقتدروا أو يحذروا»⁽²⁾.

كما أورد ابن عاشور مناسبة لقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ، مِّنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: 1]، فإن من آيات الله التي أوتيتها محمد ﷺ القرآن، فكان ذلك في قوة أن يقال: وأتينا القرآن وآتينا موسى

(1) _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص42.

(2) _ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص24.

الكتاب (أي التوراة)، لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: 9]؛ أي طريقة أقوم من طريقة التوراة، وإن كان كلاهما هدى، على ما في حالة الإسراء بالنبي ﷺ، ليلا، ليرى من الآيات مناسبة لحالة موسى عليه السلام حين أوتي النبوة ليلا، وهو سار بأهله من أرض مدين؛ إذ آنس من جانب الطور نارا، وحاله أيضا حين أسري به إلى مناجاة ربه بآيات الكتاب (1).

وعليه فإن ابن عاشور يرى أن في الربط بين الآيتين وجهين:

الوجه الأول: أن الله أسرى بعبد محمد ﷺ وأتى موسى عليه السلام الكتاب، فهما ممتنان عظيمتان.

الوجه الثاني: وهو انتقال إلى غرض آخر لمناسبة ذكر المسجد الأقصى، فإن أطوار المسجد الأقصى تمثل ما تطور به حال بني إسرائيل في جامعتهم من أطوار الصلاح والفساد والنهوض والركود، ليعتبر بذلك المسلمون، فيقتدوا أو يجذروا. ومما اختصت به سورة الإسراء ما يأتي:

- جاء افتتاح سورة الإسراء، بالإشارة إلى معجزة الإسراء الخالدة، توطئة للتنظير والمقارنة، بين شريعة الإسلام، وشريعة موسى عليه السلام، وأن هذا المكان قد تداولته الرسل جميعا.

- ذكر بني إسرائيل والحديث عن ماضيهم وإفسادهم في الأرض، وما كتب الله عليهم من عقوبة التشرذم في الأرض مرتين بسبب طغيانهم، وفسادهم وعصيانهم لأوامر الله.

لقد عرضت سورة الإسراء لقصص الأنبياء، وبيّنت مدى تماسك هذه القصص، من خلال المقاصد المشتركة بينهم، وفي هذا أيضا تسلية للرسول ﷺ، عمّا يلاقيه من أذى وتكذيب في سبيل دعوته.

5- قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة يونس:

سورة يونس مكية، تتميز بالكلام عن الأهداف الكبرى لرسالة القرآن الكريم، وهي إثبات التوحيد لله وهدم الشرك، وإثبات النبوة والبعث والمعاد، والدعوة للإيمان بالرسالات السماوية،

(1) - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص24.

وخاتمتها القرآن العظيم.

ووجه تسميتها بهذا الاسم، لأنها انفردت بذكر خصوصية لقوم يونس عليه السلام، أنهم آمنوا بعد أن توعدهم رسولهم بنزول العذاب، فعفا الله عنهم لما آمنوا، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَازَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: 98]، وتلك الخصوصية كرامة ليونس عليه السلام، ولم يذكر اسم يونس إلا في هذا الموضع⁽¹⁾.

أما صبحي إبراهيم الفقي، فيجيب عن السؤال الذي طرحه عن سبب التسمية بهذا الاسم دون غيره، فيقول: «هناك سورة منفصلة كاملة باسم نوح عليه السلام، وهناك سور كثيرة تفصل قصة موسى عليه السلام، أما (يونس) عليه السلام، فلم يذكر إلا في أربع سور: النساء/163، والأنعام/86، ويونس/98، والصفافات/139، وفصلت قصته في سورة الصفافات من 139: 148؛ أي في آيات أكثر من الآية التي ذكر فيها في سورة يونس، وذكر في سورة خامسة بلقب (ذا النون)، في سورة الأنبياء/87، فكان من الطبيعي أن تسمى هذه السورة باسمه»⁽²⁾.

ويرى سيد قطب أن السورة سميت بسورة يونس عليه السلام، بينما قصة يونس فيها لا تتجاوز إشارة سريعة، ولكن قصة يونس هي المثل الوحيد البارز للقوم الذين يتداركون أنفسهم قبل مباغته العذاب لهم، فيتوبون إلى ربهم وفي الوقت سعة، وهم وحدهم في تاريخ الدعوات الذين آمنوا جملة بعد تكذيب لرسولهم عليه السلام، فكشف الله عنهم الذي أوعدهم به رسولهم قبل وقوعه عليهم، كما هي سنة الله في المكذبين المصيرين على الكفر⁽³⁾.

وعليه فقد كان المحور العام الذي تدور حوله السورة، هو أن الله وحده هو النافع والضار دون سواه، يقول تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: 49]، ويقول: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 106].

كما قررت السورة أيضا أن الذي يجلب النفع للناس، ويدفع عنهم الضر، إنما هو إيمانهم

(1) _ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، ص77.

(2) _ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج2، ص114.

(3) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج3، ج11، ص1752.

بالله النافع الضار، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [يونس: 9]، ومن هنا ندرك حقيقة للربط لهذا المعنى، مع سر الإشارة إلى قوم سيدنا يونس عليه السلام، الذين نفعهم إيمانهم بالله فكشف عنهم العذاب.

وذكرت قصة نوح عليه السلام، في ثلاث آيات: فنراه في بدايتها يتحدى قومه جميعا، في قوله تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَاةِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس: 71-73] أي: «إن كان مقامي عندكم وتذكيري إياكم ما ينفعكم... قد شقَّ عليكم وعظم لديكم وأردتم إن تنالوني بسوء أو تردوا الحق... فعلى الله توكلت، أي: اعتمدت على الله في دفع كل شر يراد بي، وبما أدعوا إليه، فهذا جندي وعدتي... وأنتم فأتوا بما قدرتم عليه من أنواع العُدِّ والعُدِّد... ليكن ذلك ظاهرا علانية أي: اقضوا عليَّ بالعقوبة والسوء... ولا تمهلوني ساعة من نهار»⁽¹⁾.

وما ذلك إلا ليقينه بالله النافع الضار، وقد نفعه إيمانه فأجابه الله ومن آمن معه، وهذا يتناسب مع المحور العام للسورة، وأغرق الله عدوهم المكذبين بآيات الله.

وذكرت قصة موسى وهارون في الآيات [75-93] ومواقف بني إسرائيل من موسى عليه السلام كثيرة، ومن ثم كان أكثر الأنبياء ورودا في القرآن الكريم، وجاءت مشاهد قصة موسى عليه السلام متناسبة مع قصتي يونس ونوح عليهم السلام، ومع الحقيقة التي أثبتتها السورة عن حال البشر، في الرخاء والشدة، وفيما يأتي بيان لهذا التناسب الذي يوضح بما اختصت به سورة يونس: - قوله تعالى: ﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس: 83]، فهذه الآية تبين حال بني

(1) _ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تح: محمد زهري النجار، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1414هـ_ 1993م، ج2، ص348_349.

إسرائيل في خوفهم من فرعون لعلوه في الأرض، وهذا يتناسب مع ما جاء في سورة يونس ونسي بنو إسرائيل أن النفع والضرر بيد الله.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ [يونس: 84-87]، فهذا المشهد يتناسب تماما مع الفئة التي امتثلت لأمر نبيها يونس، فأمنت به وأطاعته فنجأها الله، في قوله: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنْتَ فَفَعَلَهَا إِيْمَنَهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ [يونس: 98]، وكذا الفئة التي آمنت وأطاعت موسى عليه السلام نجاه الله من عذابه المسلط على فرعون وملته.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَايَتْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاسُدِّدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ [يونس: 88]، وهذا يتناسب تماما مع ما ورد في سورة يونس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ نَارٌ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يونس: 7-8].

قوله تعالى: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرٰءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمُ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرٰءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْسِنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لِنُكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ [يونس: 90-92]، يبين هذا المشهد حال فرعون لما أدركه الغرق، إيمانه ودعوته لله وحده، ونسي تكبره وتحيره واستعلاءه، وهذا يتناسب تماما مع قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرًا يَمِيزُ بَرِيحَ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَجَبْنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ [يونس: 22].

إن ما سبق عرضه في سورة يونس، يتبين لنا أنها متماسكة من أولها إلى آخرها وفي كامل القصص التي عرضت فيها؛ نوح، موسى، ويونس عليهم السلام، ومحمدا ﷺ، الذي قصته جزء من هذا التماسك النصي.

6- قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة هود:

سورة هود عليه السلام مكية، تضمنت أصول العقيدة؛ من توحيد ورسالة وبعث، وإقامة الأدلة والبراهين عليها، ودحض الشبهات التي كان يثيرها المكذبون حول الوحي والرسالة، وتفصيل قصص الأنبياء، وفي افتتاح سورة هود ثلاثة أركان من أركان العقيدة الإسلامية؛ إثبات القرآن معجزة محمد ﷺ وصدقه، وتوحيد الله وإثبات النبوة لقوله تعالى: ﴿الرُّسُلُ مَوْتٌ وَإِن يُبَدِّلُ مَا يَشَاءُ لِيُخْلِقَ بِمَنْ يَشَاءُ مِنْ دُونِ النَّبِيِّينَ فَيُكَلِّمُ مَن يَشَاءُ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ وَإِنَّهُ يَكُونُ عَيْنًا يَكُومُ بِهَا وَمَنْ أَعِزَّهُمْ فِي عَيْنَيْهِ لِيُؤْتِيَهُم مِّنْ غَدَاةٍ مِّنْ دُونِهَا وَمَنْ يُضِلَّهُ يَشَدِّدْ لَهُمُ الْعَذَابَ مِن دُونِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ يَسْتَمْتَحُونَ﴾ [هود: 1-2]⁽¹⁾.

وسميت سورة هود بهذا الاسم في المصاحف، لأنها مشتملة على قصة هود عليه السلام⁽²⁾. ووجه تسميتها بهذا الاسم لتكرار اسمه عليه السلام فيها خمس مرات، وقصته مع قومه، ولأن ما حكى عنه فيها أطول مما حكى عنه في سورة غيرها، ولأن عادا وصفوا فيها بأنهم قوم هود، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: 60]⁽³⁾.

قال الصابوني في تسمية سورة هود عليه السلام باسمه: «...تخليدا لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله، فقد أرسله تعالى إلى قوم (عاد) العتاة المتحجرين، الذين اغتروا بقوة أجسامهم وقالوا: من أشد منا قوة؟ فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية»⁽⁴⁾، والتي سلطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما.

وفي هذا قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا

(1) _ عبد الله محمد النقرات، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، دلالة التصريف القرآني أولى من دلالة ولفظ التكرار، ج1، ص138.

(2) _ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج1، (دت)، ص246.

(3) _ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، ص311.

(4) _ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص5.

صَرَ عَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ [الحاقة: 7-8].

فقد ذكرت القصة بقصد العظة والعبرة للمتكبرين والمتحيزين، لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَّا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ [هود: 58-60].

لقد جاءت سورة هود عوناً وتسلياً للرسول ﷺ، مما تعرض له من ألون الإيذاء، خاصة بعد وفاة عمه أبي طالب، وزوجته خديجة، وبعد حادثة الإسراء التي حدثت للرسول ﷺ وغرابتها لهم، حيث أسري به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسحروا منه، واستهزؤوا به، وكذلك بعد ارتداد بعض من أسلموا، وثبتنا لقلب الرسول ﷺ، عرضت قصص الأنبياء مع أقوامهم، فذكر قصة نوح وهود، وصالح ولوط، وشعيب وموسى وإبراهيم عليهم السلام، تأكيداً للثبات على الحق، وتسلياً لقلبه ﷺ، وأن ما يعانیه ﷺ هو سنة كل الرسل والأنبياء⁽¹⁾.

لقد فصلت سورة هود قصص الأنبياء مع أقوامهم، بدءاً بقصة نوح، فقصة هود مع عاد وقصة صالح مع ثمود، وقصة إبراهيم وقصة لوط، وقصة شعيب مع مدين، وقصة موسى مع فرعون، وكل هذا في ترابط وتماثل نصي متين، يبين أن سورة هود تتشابه مع سورة الأعراف، خاصة في تفصيل قصص الأنبياء وتماثلها.

وهذا يوحي بأن هناك تماثلاً بين اسم السورة والقصة المذكورة فيها، فقد سميت السورة بـ"سورة هود"، و(هود) اسم نبي من أنبياء الله أرسله إلى قومه ودعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولكنهم جحدوا آيات الله وعصوا رسله فأخذتهم الصيحة جزاء كفرهم برهم: ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَّا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ [هود: 60] بقول الزركشي في البرهان: «ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي كثيراً من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه... ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء وسور الكتاب العزيز»⁽²⁾.

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج12، ص1840.

(2) _ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص270.

لقد تناولت سورة هود بعض قصص الأنبياء، كل نبي ودعوته إلى قومه وموقف قومه من دعوته، وذلك تسلياً لرسول الله ﷺ حتى يثلج صدره، ويعلم أن هذه سنة الأنبياء من قبله، وأن يصبر ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: 115] (1).

فتذكر الآيات قصة نوح عليه السلام في الآيات: [25-49]، وقصة هود عليه السلام في الآيات: [50-60]، وصالح في الآيات: [61-68]، وقصة إبراهيم في الآيات: [69-76]، وقصة لوط في الآيات [77-83]، وقصة شعيب في الآيات: [84-95]، وقصة موسى في الآيات [96-99]، عليهم السلام جميعاً، ثم تعود مرة أخرى للحديث إلى رسول الله ﷺ حتى آخر السورة (2).

فورود الآيات في جملها من خلال الأسلوب القرآني، وملاً فراغات الأزمنة من خلال التتابعات الزمنية، يجعل النص محبوباً متماسكاً نصياً، فكلهم أنبياء الله، وكلهم يقوم بالدعوة، وكلهم يواجه بالكفر والسخرية والعناد: «وهذا الاتفاق يعبر عن التماسك الدلالي للسورة» (3).

إن كل هذه المضامين جعلت من القصص القرآني متماسكاً مع بعضه ومتناسباً مع القصص الآخر المذكور في السورة الواحدة، وقصة موسى عليه السلام، أحد هذه القصص التي تعبر عن الدعوة إلى الله، وما يلقاه النبي في سبيل ذلك، ويتضح هذا التناسب في دعوة الأنبياء لأقوامهم:

- نوح عليه السلام يقول: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ...﴾ [هود: 26].

- هود عليه السلام يقول: ﴿يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ [هود: 50].

- صالح عليه السلام يقول: ﴿قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ [هود: 61].

- إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: 69-70].

- شعيب عليه السلام يقول: ﴿يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ [هود: 84].

(1) - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج2، ص115.

(2) - المرجع نفسه، ج2، ص ن.

(3) - المرجع نفسه، ج2، ص ن.

-موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ...﴾ [هود: 96-97]، وهذا يحقق التماسك النصي بين قصة موسى عليه السلام والأنبياء الآخرين.

7- قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة الكهف:

انفردت سورة الكهف بأربع قصص لم تتكرر في سورة أخرى هي: قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وقصة ذي القرنين، وهذه القصص الأربعة يربطها محور واحد، يجمع أربعة فتن يقول سيد قطب: «القصص هو العنصر الغالب في هذه السورة، ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة... ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها، وإلى جوار القصص بعض مشاهد القيامة، وبعض مشاهد الحياة التي تصور فكرة أو معنى، على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير، أما المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها، فهو تصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة»⁽¹⁾.

والفتن التي يجمعها المحور الواحد هي: فتنة الدين، وفتنة المال وفتنة العلم، التي تمثلها قصة موسى عليه السلام مع الخضر، حينما ظن موسى عليه السلام أنه أعلم أهل الأرض، فأوحى الله تعالى له بأن هناك من هو أعلم منه، فامتثل موسى عليه السلام لأمر الله ومضى يبحث عن الخضر ليتعلم منه، إلا أن موسى عليه السلام لم يصبر على ما فعله الخضر، لأنه لا يعرف الحكمة من تلك الأفعال، وإنما أخذ بظاهرها⁽²⁾.

والفتنة الرابعة هي فتنة السلطان.

وتشتمل سورة الكهف على خمس قصص، منها قصة أهل الكهف، وهذه القصص متماسكة فيما بينها، وتؤكد نصر المؤمن في الدنيا والآخرة، ومن ثم اكتفي بذكر اسم واحدة منها

(1) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص2256-2257.

(2) _ وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، 1411هـ - 1991م، ج15، ص288.

عنوانا للسورة كما حدث في سورة هود⁽¹⁾.

لكن ما سر اختصاص سورة الكهف بقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح؟ إننا نجد في بداية السورة مقولة باطلة لأهل الكتاب اللذين نسبوا لله ولدا، ووافقهم عليه المشركون، فقالوا: الملائكة بنات الله، يقول تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ﴾ [الكهف: 4-5]، أي: «قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء»⁽²⁾.

وتخبرنا السورة كذلك عن مجادلة الكافرين بالباطل ليدحضوا به الحق، حتى استحقوا بذلك العذاب في الدنيا والآخرة، وفي قصة موسى عليه السلام نجده يرحل في طلب العلم من رجل أتاه الله من لدنه علما، وتحدث بينهما مواقف لا يستطيع موسى عليه السلام صبرا عليها.

إن في هذه القصة إشارة لأهل الكتاب، ومن تبعهم، إلى أن نبي الله قد طلب العلم من عبد أتاه الله رحمة وعلما، وسياق القصة في السورة يثبت أن العلم كله لله وحده، ويثبت أيضا أن القصة متسقة مع سياق السورة.

والمناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحَ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60]، فذكر ابن عاشور مناسبة هذه الآية بقوله: «لما جرى ذكر قصة خلق آدم، وأمر الله الملائمة بالسجود له، وما عرض للشيطان من الكبر والاعتزاز بعنصره جهلا بأسباب الفضائل، ومكابرة في الاعتراف بها، وحسدا في الشرف والفضل، فضرب بذلك مثلا لأهل الضلال عبيد الهوى والكبر، والحسد، أعقب تلك القصة بقصة هي مثل في ضدها، لأنّ تطلب ذي الفضل والكمال للازدياد منهما، وسعيه للظفر بمن يبلغه الزيادة من الكمال، اعترافا للفاضل بفصيلته، وفي ذلك إبداء المقابلة بين الخلقين، وإقامة الحجة على المماثلة والمخالفة بين الفريقين المؤمنين والكافرين، وفي خلال ذلك تعليم وتنويه بشأن العلم والهدى وتربية للمتقين»⁽³⁾.

وقال البقاعي: «ولما قدم الكلام على البعث، واستدل عليه بابتداء الخلق، ثم ذكر بعض

(1) - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج2، ص117.

(2) - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج3، ص565.

(3) - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص358-359.

أحواله، ثم عقبه بما ضرب لذلك وغيره من الأمثال، وصرف من وجوه الاستدلال، وختم ذلك بأنه يمهل عند المساءة، عقب ذلك بأنه كذلك يفعل عند المسرة، فلكل شي عنده كتاب، وكل قضاء بقدر وحساب، فذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وما اتفق له في طلبه، وجعله سبحانه له الحوت آية وموعدا للقائه، ولو أراد سبحانه لقرب المدى، ولم يوجج إلى عناء، مع ما فيها من الخارق الدال على البعث، ومن الدليل على أن من ثبت فضله⁽¹⁾.

لقد تناسبت قصة موسى مع المحور العام للسورة، وتناسبت أيضا مع قصة الخضر، الأمر الذي أدى إلى تماسك كل مقاطع وأجزاء السورة الكريمة، والحال نفسه مع قصة أصحاب الكهف، وصاحب الجنتين وقصة ذي القرنين.

8- قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة البقرة:

سورة البقرة أطول سور القرآن، وهي من السور المدنية التي تعنى بجانب التشريع، شأنها كشأن سائر السور المدنية، التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية.

فكان من الطبيعي أن تحوي جملة من الأحكام للمجتمع المؤمن، والمحور العام لهذه السورة أنها تربي هذا المجتمع وتميزه عن غيره بما حوته من أحكام⁽²⁾.

وقد تنوعت مقاصدها تنوعا كبيرا، وارتبطت آياتها ارتباطا قويا، وتلاحمت تلاحما متينا، رغم طولها فهي ذات تنسيق دقيق، برباط محكم يشعر قارئها بالتلاحم والترابط بين آياتها، حين ينتقل من مقصد لآخر في تسلسل منطقي وترابط معنوي وبياني⁽³⁾، يقول الرازي عن نظم هذه السورة: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها على أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور...»⁽⁴⁾.

(1) _ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص96.

(2) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج1، ج1، ص34_35.

(3) _ عبد الله محمد النقراط، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: دلالة التصريف القرآني أولى من دلالة ولفظ التكرار، ج1، ص98.

(4) _ الرازي، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج7، ص139.

أما عن المقاصد المتنوعة لسورة البقرة فهي كالآتي⁽¹⁾:

- بيان أقسام الناس: «المتقون، والمنافقون والكافرون»، وبينت صفات كل منهم.

- دعوة الناس عامة إلى عبادة الله، وإفراده بالعبودية، والإيمان بالكتاب المنزل، ووعيد للكافرين ووعد للمؤمنين.

- استخلاف آدم وأمر الملائكة بالسجود له.

- تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم، وذكر أعمالهم القبيحة، وما جرى بينهم وبين موسى

عليهم السلام ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِئْتِي

فَارْهَبُونِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 40-101]،

وهكذا تصرفت هذه الآيات على أتم تناسق وترابط، ذلك أن اشتمال هذه الآيات المتوالية على

ذكر قصة بني إسرائيل ونبههم عليه السلام، يدل على التناسق والترابط المتين بين الآيات، وأنها

مرتبة بوحى إلهي، يقول سيد قطب: «ثم نلاحظ من جانب التناسق الفني والنفسي في الأداء

القرآني، أن بدء هذه الجولة يلتحم بختام قصة آدم، وبالإنجاءات التي أشرنا إليها هناك، وهذا جانب

من التكامل في السياق القرآني بين القصص والوسط الذي تعرض فيه»⁽²⁾.

ومن مقاصد السورة المتنوعة أن أول قصة في هذه السورة هي قصة آدم عليه السلام وكان

من المناسب ذكرها في سورة البقرة، لأن الله يقول قبلها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21] ويقول: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ

وَكَنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]،

أي «كيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه غيره، وقد كنتم عدما فأخرجكم إلى الوجود»⁽³⁾.

ومن مشاهد قصة آدم، هو أن إبليس قد نجح في إخراجه من الجنة، وهذا يتناسب مع قوله

تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

(1) _ عبد الله محمد النقرات، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، دلالة التصريف القرآني أولى من دلالة ولفظ التكرار، ج1، ص100-105.

(2) _ سيد قطب، في ظلال القرآن، مع1، ج1 ص65.

(3) _ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص331.

كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: 25﴾.

إن مشاهد قصة آدم عليه السلام متناسقة تماما مع المحور العام الذي بنيت عليه سورة البقرة، وفيما يتعلق بقصة موسى عليه السلام، وعلاقتها بموضوع السورة فهي كالآتي:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَفْئُتُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 54]، فقد اختصت سورة البقرة بذكر عقوبة عابدي العجل، وهذا مناسب لموضوع الإمامة المشترك بين كثير من المشاهد القصصية في سورة البقرة، إضافة إلى العقوبة التي تبين ما حل بهم من إصر لقاء فعلتهم⁽¹⁾.

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَاطِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَانَةُ وَبَاءَ وَبِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِكَايَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61]، فهذا المشهد يبين تواكل بني إسرائيل وعدم اعتمادهم على أنفسهم، كما يبين ضعف إيمانهم بقدرة خالقهم.

- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرِكْهُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 67-72]، مماطلتهم في الأمر الإلهي، وبيان قدرة الله على إحياء الموتى، أما مجادلتهم في ذبح البقرة فيتناسب مع المحور العام للسورة، وهو تحذير المؤمنين من المجادلة والمماثلة، قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: 108].

(1) - الزنجشيري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص269.

-طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام مُلكاً ليقاتلوا في سبيل الله، فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم، واعترضوا على الملك الذي اختاره الله لهم وعصوه، وشربوا من النهر إلا قليلاً منهم، حتى أنزل الله النصر على الفئة القليلة الصابرة منهم.

إن مشاهد هذه القصة جاءت متناسبة مع المحور العام للسورة، ومع مقصد عدم المجادلة والمماطلة، والحث على الاعتماد على النفس والثقة في الخالق.

وعليه فإن النص القرآني الكريم، يختار من المشاهد ما يتناسب والمحور العام للسور القرآنية، التي وردت فيها قصة موسى عليه السلام، لأجل بيان أن هؤلاء الرسل والأنبياء جاءوا برسالة واحدة، وعانوا معاناة واحدة، باختلاف الطرق والأساليب، وكل هذا تثبيتاً وتسلياً للرسول ﷺ لما لقيه من إيذاء قومه، فكانت القصص كلها متماسكة ومتناسبة مع موضوع السورة العام.

ويحدث التماسك بين قصة موسى عليه السلام، وباقي القصص القرآني الوارد في سورة واحدة، لأن أحداث هذه القصص لم تكن منفصلة عن المحور والمقصد العام للسورة؛ بل هناك تماسك قائم بين أحداث القصص ومكونات السورة.

رابعاً- التماسك النصي بين قصة موسى عليه السلام وسياق السورة الواردة فيها:

ترد القصة القرآنية في سياق السورة ليؤدي وظيفته فيها، وقلَّ أن ترد قصة بكل حلقاتها في سورة واحدة، وإنما يأتي في سياق كل سورة من حلقاتها ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها، وهذا يمثل مظهراً من التناسب بين السورة والقصة الواردة فيها، ومن آثار خضوع القصة في القرآن لوحدة القصة، عدم الالتزام بالترتيب الطبيعي لحلقات القصة، فمرة تعرض حلقة في أول القصة، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، وتارة تعرض بكاملها، كل ذلك بحسب ما يقتضيه مقصد السورة وموضوعها.

يقول سيد قطب: «وحين يقرأ الإنسان هذه الحلقات المكررة ملاحظاً السياق الذي وردت فيها يجدها مناسبة لهذا السياق تماماً، في اختيار الحلقة التي تعرض هنا أو تعرض هناك، وفي طريقة عرضها كذلك، ويجب أن نذكر دائماً أن القرآن كتاب دعوة دينية، وأن التناسق بين حلقة القصة التي تعرض والسياق الذي تعرض فيه هو الغرض المقدم»⁽¹⁾.

وكل قصة أو حلقة من قصة، أو إشارة موجزة، تختص بموضعها الواردة فيه، أي تحقيق

(1)-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص156.

التلازم والتناسب بين القصة والسورة التي هي منها؛ إذ تتصرف كل حلقة في موضعها المناسب من السورة الواردة فيها، وفي هذا المبحث سنقوم بدراسة قصة موسى عليه السلام، حسب تاريخ نزول السور التي وردت فيها، لا بحسب ترتيبها في المصحف وهذه الدراسة تطلعننا على مناسبة القصة لغرض السورة التي وردت فيها، والسياق الذي ذكرت فيه، وهذا هو نظام القرآن الكريم في عرضه لقصصه، الذي يجر بثلاث مراحل: «الأولى: الإجمال والإشارة: وهي ذكر القصص في القرآن الكريم ذكراً مجملاً يبدأ بإشارات موجزة ثم تطول شيئاً فشيئاً.

الثانية: تفصيل الوقائع والأحداث، أي ذكر القصص ذكراً تفصيلاً.

الثالثة: الغاية والنتيجة، وهي مرحلة الخلاصة والاستنتاج، حيث تذكر خلاصة للقصة، وربما تكون فيها بعض الزيادة التي لم تذكر في حالة التفصيل»⁽¹⁾.

وقد ذكر الفقي أن الغرض من دراسة التناسب بين القصة وسياق السورة الواردة فيها هو: «إثبات التماسك النصي بين نصوص القصة الواحدة المذكورة في أكثر من سورة، بحيث تمثل كل سورة مرحلة من مراحل القصة... هل ذكر القصة في أكثر من سورة يمثل أو يسهم في تحقيق التماسك بينها، حيث إن ذكر القصة بهذه الكيفية يعد نوعاً من أنواع المناسبة بين السور»⁽²⁾.

إن التماسك القائم بين مواقف قصة موسى عليه السلام، في أكثر من سورة يعدّ سبباً قوياً في تحقيق ذلك التماسك بين هذه السور، إذ كيف تكون هذه القصة متماسكة فيما بينها، ولا تكون السور التي تشتمل على هذه القصة متماسكة، ومن ثمّ فإنّ التناسب بين القصة والسورة يحقق التماسك على مستوى القصة نفسها، وعلى مستوى مقاطع وأجزاء السورة، وهذا ما نسعى إلى بيانه من خلال التطرق إلى السور التي عرضت لقصة موسى عليه السلام.

1- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة الأعراف:

تضمنت سورة الأعراف مجموعة من قصص الأنبياء عليهم السلام، نوح وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وأول سورة تعرضت بالتفصيل لهؤلاء الأنبياء، ومنهم موسى عليه السلام، وعلاقته ببني إسرائيل، وفي السور التي سبقتها، ذكرت القصة مجملة، والأعراف فصلتها، وذكرت جديداً لم يذكر في السور السابقة، ومقاصد سورة الأعراف كالسور المكية؛ تقرير أصول

(1) - فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية: نقد مطاعن ورد شبهات، ط2، دار البشير، عمان، الأردن، 1410هـ - 1989م، ص134.

(2) - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ج02، ص172.

العقيدة الإسلامية وأركانها الأساسية، من توحيد وإثبات للوحي، والرسالة، والبعث، والجزاء. لقد كانت قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف، آخر القصص التي عرضتها السورة، بعد قصة نوح وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام، حيث يبين الله تعالى أنه بعث من بعد أولئك الرسل موسى عليه السلام.

ويرى فضل حسن عباس أن عرض قصة موسى عليه السلام، تختلف عن القصص السابقة، فيقول: «نلاحظ أن الأسلوب الذي جاءت به قصة موسى عليه السلام، يختلف عن القصص السابقة، فأولا جاءت القصص السابقة (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه)، (وإلى عاد أخاهم هوداً)، (وإلى ثمود أخاهم صالحاً)، (ولوطاً إذ قال لقومه)، (وإلى مدين أخاهم شعيباً)، أما هنا (ثم بعثنا)، فالفرق من جهتين:

-أولاً: ثم الدالة على التراخي، وقد يكون تراخيا زمنيا لأن موسى متأخر عنهم، وقد يكون تراخيا في الرتبة، فهو ترتيب تصاعدي، لأن رسالة موسى كانت لفئتين.

ثانياً: ذكر كلمة البعث دون الرسالة فهي تدل على أكثر مما تدل على كلمة إرسال، لأنه (أي البعث) إنما يكون في الأمور المهمة، والمتأمل لورود هذه الكلمة في القرآن يدرك ذلك ويكفي إطلاقها على بعثة النبي عليه وآله والصلاة والسلام»⁽¹⁾.

جاءت قصة موسى عليه السلام بشيء من التفصيل والتوضيح لم يذكر في القصص الأخرى: «تنويهاً بذكرها، وتنبهها على قدرها، لأن معجزات صاحبها أعظم من معجزات من كان قبله، وجعل من عاجلهم كان أعظم وأفحش من جهل تلك الأمم، ولذلك عطفها بأداة البعد (ثم)، مع قرب زمنها من التي قبلها إشارة إلى بعد رتبته بما فيها من العجائب»⁽²⁾.

إن عطف قصة موسى عليه السلام على غيرها ب (ثم)، يدل على أنها مختلفة عنهم، والفرق بين النوعين، أن تلك القصص متشابهة في تكذيب الأقسام فيها لرسولهم، ومعاندتهم إياهم، وإيذائهم لهم، ثم إهلاك الله تعالى لهم بالاستئصال، أما إرسال موسى فقد أنقذت به أمة من عذاب الدنيا، واهتدت إلى عبادة الله وحده، فأعطاه في الدنيا ملكاً عظيماً، وجعل فيها أنبياء

(1) -فضل حسن عباس، القصص القرآني، إبحاؤه ونفحاته، ص228-229.

(2) -البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج03، ص77-78، وينظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي: المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج14، ص197.

وملوكا، فلم تستأصل بل امتد أثرها إلى يومنا هذا⁽¹⁾.

وقد ذكر بعد قصة موسى عليه السلام، سيدنا محمد ﷺ، يقول تعالى: ﴿وَإِخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابٌ أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾. [الأعراف : 155-157].

ووجه المناسبة هنا، هو أنه تعالى لما قص أخبار تلك الأمم الغابرة، وذكر أنه طلب منها الهداية وتطبيق ما أمرت به، وكان ذلك عن طريق رسله، الذين بينوا لهم سبل الرشاد والنجاة في الدنيا والآخرة، أعقب الله ذلك بذكر وسيلة أخرى من وسائل الاهتداء، مثلها في إرسال موسى لبني إسرائيل، لينقذهم من عذاب الدنيا، وهدايتهم إلى عبادة الله وحده، وهذا ما يفسر التناسب بين سياق سورة الأعراف، وقصة موسى عليه السلام فيها.

2- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة طه:

تناولت سورة طه شطراً ثالثاً من حياة موسى عليه السلام، هو زمن ما قبل الرسالة، أي الأحداث والمواقف التي واكبت حياته قبل اضطراره بالرسالة.

كما فصلت سورة طه الشطر الأول من حياة موسى عليه السلام، حياته قبل النهوض برسالة السماء، متمثلة في حدثين يجسدان هذه الفترة الزمنية من حياته، وهذان الحدثان هما، واقعة إلقاءه في التابوت، وواقعة بحثه عن النار، حيث تعرض هاتين الواقعتين وفق تسلسلها الزمني⁽²⁾.

(1) - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 09، ص 34.

(2) - محمود البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن، ص 170.

أما بقية الأحداث في السورة، فلم تعرض وفق ترتيبها الزمني، وبدأت من واقعة نزول الوحي على موسى عليه السلام، وتكليم الله له، وتشريفه بالنبوة، وتكليفه بالرسالة، وتأيدته بالمعجزات، كما تناولت السورة أيضا مولد موسى عليه السلام، وما أحاط به من ظروف قاسية يقول سيد قطب: «وبين المطلع ولحتام تعرض قصة موسى عليه السلام من حلقة الرسالة، إلى حلقة اتخاذ بني إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصر، مفصلة مطولة، وبخاصة موقف المناجاة بين الله وكليمه موسى عليه السلام، وموقف الجدل بين موسى وفرعون، وموقف المباراة بين موسى والسحرة... وتتجلى في غضون القصة رعاية الله لموسى الذي صنعه على عينيه واصطنعه لنفسه، وقال له ولأخيه: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه:46]»⁽¹⁾.

إذن قصة موسى عليه السلام في سورة طه، نموذج كامل لرعاية الله لرسله، فقد أشار إلى محمد ﷺ في قوله ﴿ طه ﴾ ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ ﴿ إِلَّا نَذْرًا لِمَنْ يُخْشَى ﴾ [طه: 1-3]، وظهر ذلك أيضا في قصة آدم عليه السلام: «وتعرض قصة آدم سريعة قصيرة، تبرز فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته، وهدايته له، وترك البشر من أبنائه لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التذكير والإنذار»⁽²⁾، حيث يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ اجْنَبْهُ رَبُّهُ، فَثَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [طه: 122].

وتتجلى هذه الرعاية في حق موسى عليه السلام، منذ ولادته وفي كل مرحلة من مراحل دعوته، بعد تكليفه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا مَّا يُوحَى ﴾ ﴿ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِّنِّي وَلِئُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه: 37-39].

ووجه المناسبة بين قصة موسى عليه السلام والأنبياء الآخرين وسياق السورة عموماً هو تشابهها جميعاً في الدعوة إلى الله، ففي خطاب الله لنبيه محمد ﷺ، في بداية السورة ﴿ طه ﴾ ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ ﴿ إِلَّا نَذْرًا لِمَنْ يُخْشَى ﴾ [طه: 01-03]. وقال في نهاية السورة: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: 113].

(1) -سيد قطب، في ظلال القرآن، ج16، ص2326.

(2) -المصدر نفسه، ج16، ص ن.

﴿. [طه: 113]، ولما أمر موسى وهارون عليهما السلام بمخاطبة فرعون، قال لهما: ﴿ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ ﴿٤٤﴾. [طه: 44]، ولما خاطب آدم وحواء قال: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يُأْنِثَكُمْ مَنِّي هُدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾. [طه: 123-124].

وهناك تناسب آخر بين قصة موسى عليه السلام، وقصة آدم عليه السلام، في سورة طه، في التفريط في العهد، لأن في قصة موسى عليه السلام تفريط بني إسرائيل في عهد الله تعالى كما قال: ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ﴾. [طه: 86]، وفي قصة آدم تفريط في العهد أيضاً، وفي كون ذلك من عمل الشيطان، كما قال السامري: ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴾ ﴿١٦﴾. [طه: 96]. وقال في قصة آدم: ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾ ﴿١٤٠﴾. [طه: 120]، وفي أن في القصتين نسيانا لما يجب الحفاظ عليه وتذكرا فقال في قصة موسى: ﴿ فَانْسَى ﴾. [طه: 88]، وقال في قصة آدم: ﴿ فَانْسَى وَلَمْ نَحْذَرْ لَهُ عَزْمًا ﴾ ﴿١١٥﴾. [طه: 115]⁽¹⁾.

لقد جاءت قصة موسى عليه السلام في سورة طه، متماسكة مع قصص الأنبياء الآخرين، ومتماسكة مع سياق السورة، ومع جوها العام، فذكرت أن مصير بعثة محمد ﷺ ورسالته، هو نفسه مصير بعثة رسالة موسى عليه السلام بالنصر على من كذب بما جاء به، وتذكير للناس بعداوة الشيطان في قصة آدم عليه السلام؛ وكل هذا تسليية لقلب النبي ﷺ، وتثبيته: ﴿ طه ﴾ ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾. [طه: 01-02].

3- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة الشعراء:

سورة الشعراء مكية، موضوعها الرئيس هو العقيدة القائمة على التوحيد والخوف من الآخرة والتصديق بالوحي المنزل على محمد ﷺ، والتخويف من عاقبة التكذيب في الدنيا والآخرة، تسليية للرسول ﷺ، وطمأننة لقلوب المؤمنين، وتثبيتهم على العقيدة، وتصبيرهم على عنت المشركين⁽²⁾.

(1) - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص31.

(2) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج19، ص2583.

وتحدثنا سورة الشعراء عن نبأ موسى عليه السلام مع فرعون، وكانت قصة موسى أول القصص المذكورة في السورة، بخلاف الأعراف التي ذكرت فيها قصة موسى عليه السلام، بعد ذكر قصص كثير من الأنبياء، وسورة طه التي لم تذكر فيها تقريبا إلا قصة موسى عليه السلام، أو بعض الإشارة إلى قصة آدم عليه السلام.

يقول سيد قطب عن قصة موسى عليه السلام في سورة الشعراء: «وقد وردت حلقات من قصة موسى عليه السلام، حتى الآن في سورة البقرة، وسورة المائدة، وسورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة الإسراء، وسورة الكهف، وسورة طه، عدا إشارات إليها في سورة أخرى، وفي كل مرة كانت الحلقات التي تعرض منها أو الإشارات متناسقة مع موضوع السورة، أو السياق الذي تعرض فيه، على نحو ما هي في هذه السورة؛ وكانت تشارك في تصوير الموضوع الذي يهدف إليه السياق»⁽¹⁾.

وامتازت قصة موسى عليه السلام في سورة الشعراء، بمواجهة فرعون وتحديه، حيث نلاحظ ذلك في الحوار حول الإيمان بالله تعالى ووحدانيته الذي جرى بين فرعون وموسى عليه السلام، وذلك يتناسب مع موضوع السورة وأسلوبها في محاجة المشركين يقول ابن عاشور: «أولها التنويه بالقرآن، والتعريض بعجزهم عن معارضته، وتسليية النبي ﷺ، على ما يلاقيه من إعراض قومه عن التوحيد الذي دعاهم إليه القرآن، وفي ضمنه تهديدهم على تعرضهم لغضب الله تعالى، وضرب المثل لهم، بما حل بالأمم المكذبة رسلها والمعرضة عن آيات الله»⁽²⁾.

ولما بين الله رحمته بمن يطيعه، وانتقامه ممن يعصيه، ذكر مثالا على ذلك من قصة موسى عليه السلام، ترغيبا وترهيبا، فهؤلاء المعرضون المستهزون سيلقون جزاءهم، كما لقي فرعون ومن تبعه جزاء استهزائهم بموسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾. [الشعراء : 05-06].

وما تتناسب فيه القصة مع موضوع السورة الواردة فيها، أن المشركين قد طلبوا من محمد ﷺ، أن يأتيهم بالحوار، كما فعل فرعون وقومه من موسى عليه السلام، لأن القرآن الكريم قد أشار بعجزهم عن معارضته، وموسى عليه تحداهم بمعجزاته: «وأحسست أنها نزلت إثر طلب

(1) -سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج19، ص2588.

(2) -ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص90.

المشركين أن يأتيهم الرسول بخوارق، فافتتحت بتسليية النبي ﷺ، وتثبيت له ورباطه لجأشه بأن ما يلاقيه من قومه هو سنة الرسل من قبل مع أقوامهم مثل موسى وإبراهيم وهود وصالح ولوط وشعيب، ولذلك ختم كل استدلال جيء به على المشركين المكذبين بتذليل واحد هو قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾. [طه: 08-09]، تسجيلاً عليهم، بأن آيات الوحداية وصدق الرسل عديدة كافية لمن يتطلب الحق، ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب وأنه رحيم برسله فناصرهم على أعدائه»⁽¹⁾.

وفي آيات سورة الشعراء تذكير له ﷺ، بما يسليه عما يلقاه من قومه، وقد قتل نفسه همًا وغمًا بسبب عدم إيمانهم وإعراضهم عن الحق: ﴿لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ﴿[الشعراء: 03]، فلقد واجه موسى وإبراهيم -عليهما السلام- ما واجهه وتشابهوا في المحنة والهجرة من ديارهم والقصد إلى الأرض المقدسة، ولهذا كانت التسليية بذكرهما أولاً، وإن لم تراعى السورة في ذلك الترتيب الزمني: «لعله لأن السورة نزلت للرد على المشركين في إلحاحهم على إظهار آيات من خوارق العادات في الكائنات زاعمين أنهم لا يؤمنون إلا إذا جاءتهم آية فضرِب لهم المثل بمكابرة فرعون وقومه في آيات موسى إذ قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. ﴿وَعُطِفَ﴾ ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ ﴿عُطِفَ جَمَلَةٌ عَلَىٰ جَمَلَةٍ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (٧) ﴿[الشعراء: 07] بتمامها»⁽²⁾.

هذه بعض أوجه المناسبة بين قصة موسى عليه السلام، وسياق السورة الواردة فيها، والتي تسعى إلى تحقيق التماسك النصي بين المحور العام للسورة، وقصص الأنبياء عليهم السلام، في الدعوة إلى الله والصبر على ذلك ومحاجة المخالفين وإفحامهم بالحجة والدليل.

4- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة النمل:

سورة النمل مكية، موضوعها الرئيسي هو العقيدة من إيمان بالله، وعبادته وحده، والإيمان بالآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب والإيمان بالوحي، وأن الغيب كله لله، لا يعلمه سواه، والإيمان بأن الله الخالق الرازق واهب النعم، وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر، والإيمان بأن

(1) -ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص91.

(2) -المصدر نفسه، ج19، ص103.

الحول والقوة كلها لله وحده والقصص القرآني يثبت هذه المعاني، وتصور عاقبة المكذبين بها وعاقبة المؤمنين⁽¹⁾.

بدأت قصة موسى عليه السلام من حلقة تكليفه، وتلقيه لكلام الله تعالى له، لإفادة مشابهة تلقي النبي ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَنُلَقِّي الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل: 06]، بتلقي موسى كلام الله إذ نودي ﴿يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾. [النمل: 09]، وهذا كغيرهما من الرسل يتلقون الرسائل، ويكلفون بها، وقد لاقوا من الصد والتكذيب من أقوامهم ما لاقاه ﷺ، رغم تيقنهم من صدق الوحي، وما يأتي به، فالآيات والمعجزات لا تنفع مع الجاحد المتكبر ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14].

وضرب الله تعالى مثالا على حكمته بقصة موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾﴾ يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾. [النمل: 08-09]، أتبعها بقصة سليمان عليه السلام، دليلا على واسع علمه وعظيم منته وكرمه على أوليائه وأصفياه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: 15]، يقول سيد قطب: «وتليها إشارة إلى نعمة الله على داود وسليمان -عليهما السلام- ثم قصة سليمان مع النملة، ومع الهدهد، ومع ملكة سبأ وقومها، وفيها تظهر نعمة الله على داود وسليمان وقيامهما بشكر هذه النعمة، وهي نعمة العلم والملك والنبوة مع تسخير الجن والطير لسليمان، وفيها تظهر كذلك أصول العقيدة التي يدعوا إليها كل رسول، ويزر بصفة خاصة استقبال ملكة سبأ وقومها لكتاب سليمان... واستقبال قريش لكتاب الله، هؤلاء يكذبون ويحسدون، وأولئك يؤمنون ويسلمون... ويختم السورة بإيقاع يناسب موضوعها وجوها: ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أِهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النمل: 91-93]»⁽²⁾.

(1) -سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 5، ج 19، ص 2624.

(2) -المصدر نفسه، مج 5، ج 19، ص 2624_2625.

وقد تناول أبو الطيب الباقلائي سورتي النمل وغافر، لأجل البحث عن المناسبة بين المعاني المختلفة في بعض آيات القرآن، ووقف في السورتين عند مواضع التخلّص من معنى إلى آخر، وبيّن كيف يتم الانتقال من غرض إلى غرض بطريقة عجيبة يأتلف فيها المختلف وتندمج فيها المعاني المتنوعة، يقول في ذلك: «تأمل السورة التي يذكر فيها النمل وانظر في كلمة كلمة، وفصل فصل، بدأ بذكر السورة، إلى أن بيّن أن القرآن من عنده... ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام، وأنه رأى ناراً، فقال لأهله مكثوا: ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم نَارًا هُدًى قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ الصَّلَاةَ وَشَرِيًّا الَّذِينَ تَصَطَّوْنَ﴾ [النمل: 07]»⁽¹⁾.

مما سبق يتبين لنا التماسك النصي بين موضوع سورة النمل، وأجزائها المكونة لها، والقصص القرآني أحد هذه الأجزاء، لأن هناك من قصص الأنبياء في هذه السورة، الذين لم نشر إليهم، واكتفينا بقصة موسى عليه السلام، وبيّنا كيفية التناسب بينها وبين سياق سورة النمل.

5- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة القصص:

سورة القصص مكية تحدّى فيها القرآن المشركين، بأن يأتوا بسورة مثله، وبيّن فيها سبب زوال ملك فرعون، يقول ابن عاشور: «وإذ قد كان سوق تلك القصة إنما هو للعبارة والموعظة ليعلم المشركون سنة الله في بعثة الرسل ومعاملته الأمم المكذبة لرسالتها، وتحدى المشركين بعلم النبي ﷺ بذلك وهو أمي لم يقرأ ولم يكتب ولا خالط أهل الكتاب، ذيل الله ذلك بتنبية المشركين إليه، وتحذيرهم من سوء عاقبة الشرك، وأنذرهم إنذاراً بليغاً... وتحذّاهم بإعجاز القرآن وهديه مع هدي التوراة وأبطل معاذيرهم ثم أنذرهم بما حل بالأمم المكذبة رسل الله... وأعقبه بضرب المثل لهم بحال قارون في قوم موسى، وتخلّص من ذلك إلى التذكير بأن أمثال أولئك لا يحظون بنعيم الآخرة، وأن العاقبة للمتقين... وختم الكلام بتسليية النبي ﷺ، وتشبيته ووعده بأنه يجعل بلده قبضته ويمكنه من نواصي الضالين»⁽²⁾.

تحدثت الآيات عن البدايات الأولى لقصة موسى عليه السلام، ونقلت لنا الصورة الحقيقية لطغيان فرعون وجبروته مع قومه، واستكباره في الأرض، وقد عرضت حلقات جديدة منها لم تذكر في السور الأخرى: حلقة مولده عليه السلام، وما أحاط بهذا المولد من ظروف قاسية، وما صاحب ذلك من عناية ورعاية الله له، وحلقة فتوته، وما أتاه الله تعالى من الحكمة والعلم، وما

(1) -الباقلائي، إعجاز القرآن، ص287.

(2) -ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج20، ص62-63.

حصل من قتله القبطي، وتآمر فرعون وملئه عليه، وهربه من مصر إلى مدين، وزواجه، وقضاء سنوات الخدمة فيها.

وعن أوجه المناسبة بين قصة موسى عليه السلام، وسياق السورة، فهي عديدة ومتنوعة، إذ يشير سياق السورة إلى نعم الله المتعددة إلى خلقه، ووجوب الإيمان بها، وعدم جحدها، لأن في ذلك مضره لهم، فيضرب القرآن الكريم هذه القصص للعبارة والموعظة، وما حل بفرعون وملئه: «فساق إليهم في هذه السورة قصة موسى وفرعون، تبين لهم أين يكون الأمن وأين تكون المخافة؛ وتعلمهم أن الأمن إنما يكون في جوار الله، ولو فقدت كل أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس؛ وأن الخوف إنما يكون في البعد عن ذلك الجوار، ولو تظاهرت أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس! وساق لهم قصة قارون تقرر هذه الحقيقة في صورة أخرى وتؤكدها»⁽¹⁾.

ويتناسب سياق السورة مع القصة في مشهد أن من كذب بالرسول وبما جاؤوا به فمصيرهم الهلاك والعذاب في الدنيا والآخرة، ليبين لنا أن دعوة الأنبياء والرسول واحدة، متماسكة فيما تدعوا إليه، ومتناسبة مع أحوال أقوامهم، ومع المقاصد العامة التي أشارت إليها السور القرآنية، التي حوت هذه القصص، فقد أشار الله في بداية القصة ونهايتها إلى أن قص النبي ﷺ مثل هذه القصص هو دليل قاطع على نبوته، إذ إنهما من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، ولم يكن ﷺ شاهداً ولا حضراً لحوادثه، وفي الوقت نفسه هي معلومة لدى أهل الكتاب في كتبهم، قبل أن يقصها ﷺ، فكان لا بد أن لا يكون هو مصدرها بل الوحي السماوي، وهم بذلك لا يستطيعون إنكارها رغم ما أحدث فيها رهبانهم وأخبارهم من التغيير والتحريف.

يقول سيد قطب: «وتنتهي السورة بوعدٍ من الله لرسوله الكريم، وهو مخرج من مكة مطارداً من المشركين، بأن الذي فرض عليه القرآن لينهض بتكاليفه، لا بد زاده إلى بلده، ناصره على الشرك وأهله، وقد أنعم عليه بالرسالة، ولم يكن يتطلع إليها، وسينعم عليه بالنصر والعودة إلى البلد الذي أخرجته منه المشركون، سيعود آمناً ظافراً مؤيداً، وفي قصص السورة ما يضمن هذا ويؤكدده، فقد عاد موسى عليه السلام، إلى البلد الذي خرج منه خائفاً طريداً، عاد فأخرج معه بني إسرائيلواستنقذهم، وهلك فرعون وجنوده على أيدي موسى وقومه الناجين..»⁽²⁾.

إن تناسب خاتمة السورة لفاتحتها من الأمور التي تؤكد على ترابط النص، فهذه العلاقة بين

(1) -سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 5، ج 20، ص 2675.

(2) -المصدر نفسه، مج 5، ج 20، ص ن.

الخاتمة والفاحة تحقق للنص تماسكا موضوعيا، حيث إن النص يبدأ بفكرة ثم تتداخل المعاني المختلفة ضمن هذه الفكرة إلى أن نصل إلى الخاتمة، لنجدها ذات علاقة بالفاحة سواء أكانت هذه العلاقة من جهة التضاد أم من جهة التسلية، فقد بدأت سورة القصص بقصة موسى عليه السلام، وبيان مبدأ نصرته، وختم السورة بتسلية لرسوله ﷺ، بخروجه من مكة والوعد بعودته إليها، ونهى عن أن يكون ظهيرا للكافرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [القصص: 85-86].

وقعت المناسبة في هذا السياق بين حدثين متشابهين، حيث نهي الله نبيه موسى عليه السلام أن يكون للمجرمين ظهيرا، ونهى الرسول ﷺ، أن يكون ظهيرا للكافرين، كما أن وعد الله موسى برده إلى أمه ووعد الرسول ﷺ بإرجاعه إلى مكة، وهذا التشابه ساهم في التناسب بين خاتمة السورة وفتحتها.

وقد تنبه الباقلائي إلى أن هناك مناسبة بين موضوع السورة وما ورد فيها من قصة موسى عليه السلام، إذ يقول عن ما ورد في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص: 29].

«قد تصرف في وجوه، وأتى بذكر القصة على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك... ليكون أبلغ في تعجيزهم، واطهر للحجة عليهم، وكل كلمة من هذه الكلمات، وإن أنبأت عن قصة فهي بليغة بنفسها تامة في معناها»⁽¹⁾.

فالباقلاني قد أشار إلى أن هناك مناسبة بين القصة الواردة في السورة، وهذا من إعجاز القرآن الكريم في عرضه لقصصه.

6- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة يونس:

سورة يونس مكية، تتناول إثبات صدق رسالة محمد ﷺ، وعجز المشركين عن الإتيان بمثله، كما تتناول أفراد الله بالعبودية، وإبطال أن يكون له شريك في الملك، كما تناولت سورة يونس

(1) -الباقلائي، إعجاز القرآن، ص288.

أموراً تختص بالعقيدة كالبعث والجزاء، والحشر، والوعيد لمنكري آيات الله، التي جاء بها رسله، والتذكير بما حل بالأمم السابقة، وتخلص إلى الاعتبار بالرسل السابقين نوح وموسى وهارون، ومحمد ﷺ، وكل هذا تسليية وتثبيتاً للرسول ﷺ⁽¹⁾.

لقد جاءت سورة يونس بأحداثها الجديدة، تحمل أحداثاً مضت لتفصل غيرها، مما يتفق مع سياق السورة نفسها، ومع شخصيتها، يقول: سيد قطب: «وظاهر من سياقها أنها لحمة واحدة، تواجه واقعا متصلا، حتى ليصعب تقسيمها إلى قطاعات متميزة... والترابط في سياق السورة يوجد بين مطلعها وختامها فيجيء في مطلع قوله تعالى: ﴿الرَّيَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِنْبِ الْحَكِيمِ ۝١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس: 01-02]، ويجيء الختام: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحٰكِمِينَ ۝١٠٩﴾ [يونس: 109].. فالحديث عن قضية الوحي هو المطلع وهو الختام، كما أنه هو الموضوع المتصل المتحم بين المطلع والختام»⁽²⁾.

وتعرض سورة يونس قصة موسى بشكل موجز، يلخص مبدأ الرسالة، وموقف بني إسرائيل وفرعون منها، ويبرز فيها جانبا لم يظهر في السور الأخرى التي عرضت فيها القصة، وهو إعلان فرعون إيمانه برب موسى، ورفض إيمانه لأنه جاء بعد فوات الأوان: «وفي نهاية قصة موسى في السورة يجيء هذا المشهد، وكأنه الصورة الواقعية لذلك الوعيد: ﴿وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرٰءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرٰءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٩٠﴾ ءَأَلْتَنُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٩١﴾ فَأَلَيْكُم نُنَجِّيكُمْ يَدِنَا لِنَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَايَاتِنَا لَغٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: 90-92]، ثم تتساقق في ثنايا السورة بين ذلك الرد وهذه القصة مشاهد المباغثة بأخذ الله للمكذبين... فترسم جواً واحداً متناسقا يبدو فيه الترابط بين المشاهد والموضوعات والأداء سواء، كذلك يجيء في حكاية قول المشركين عن رسول الله ﷺ في أول السورة: ﴿قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾... ثم يجيء في حكاية فرعون وملئه عن موسى عليه

(1) - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 11، ص 78-80.

(2) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 3، ج 11، ص 1752.

السلام: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مِّمَّنْ ﴿٧٦﴾﴾ [يونس: 76]»⁽¹⁾.
 وعليه فإنه لما ذكر الله تعالى موقف المشركين، مما أُنذَرهم منه رسوله ﷺ من العذاب الأليم إن لم يؤمنوا بالأدلة والبراهين، إلا أنهم سخروا منه واستهزؤوا به: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يونس: 48]، وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُمْ بِهِ ؕ ءَاكُنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يونس: 50-51]، ونظير عنادهم وكفرهم حل بهم ما حل بفرعون وقومه لما دعاهم موسى إلى الإيمان بالله: ﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: 88].

وفي هذا السياق عطف قصة وهارون ب (ثم)، في قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يونس: 75]: «لأن بعثة موسى وهارون عليهما السلام كانت أعظم من بعثة من سبقهما من الرسل وخصت بعثة موسى وهارون بالذكر، لأنها كانت انقلاباً عظيماً وتطوراً جديداً في تاريخ الشرائع وفي نظام الحضارة العقلية والتشريعية، فإن الرسل الذين كانوا قبل موسى إنما بعثوا في أمم مستقلة، وكانت أديانهم مقتصرة على الدعوة إلى إصلاح العقيدة، وتهذيب النفوس، وإبطال ما عظم من مفسدات في المعاملات، ولم تكن شرائع شاملة لجميع ما يحتاج إليه من نظم الأمة، وتقرير حاضرها ومستقبلها، فأما بعثة موسى فقد أتت بتكوين أمته، وتحجيرها من استعباد أمة أخرى إياها، وتكوين وطن مستقل لها، وتأسيس قواعد استقلالها وتأسيس جامعة كاملة لها»⁽²⁾.

إن هذه المعطيات تكشف عن المنافسة الواقعة بين القصة وسياق السورة، وموضوعها العام على التوحيد، وإفراد الله بالعبودية دون سواه، والإيمان بما جاء به أنبياءه، فمصير من كذبهم واحد إلا من آمن وتاب وعمل صالحاً كقوم يونس عليه السلام، الذين آمنوا قبل فوات الأوان.

7- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة غافر:

(1) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج3، ج11، ص ن.

(2) - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، ص246.

سورة غافر من السور المكية وموضوعها كباقي السور المكية، فجاءت آياتها عنيفة شديدة التأثير، وتضمنت وحدانية الله، وتنزيل القرآن والبعث، ووصف ملائكة العرش، وفصلت بين أصل الحق والباطل، وفريق الهدى وفريق الضلال⁽¹⁾.

ومن بيان مقاصد السورة تسليية الرسول ﷺ، يذكر مقتته لموسى عليه السلام، التي دلت على أنه مع قوة معجزاته، إلا أن فرعون كذبه، أما هامان وفرعون فقالا عنه ساحر كذاب، وفي النهاية انتصر عليهم، فكانت بشارة لسيدنا محمد ﷺ، بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة، وذلك كما حدث لموسى عليه السلام⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَالُوا فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: 23-27].

ومن المقاصد أيضاً بيان نماذج من الدعوة إلى الله، وذلك بذكر قصة مؤمن آل فرعون، ودفاعه عن موسى عليه السلام، حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر: 28-29].

وتوضح هذه الآيات بأنه كان يظهر الحب لقومه والانتماء إليهم، وكان يشعروهم بالخوف عليهم⁽³⁾.

إن موعظة مؤمن آل فرعون قومه، بمواعظ تشبه دعوة محمد ﷺ، ويظهر فيها ما دار من

(1) -وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج24، ص69.

(2) -المرجع نفسه، ج24، ص104.

(3) -سيد قطب، في ظلال القرآن، ج05، ص3080.

جدال ونقاش بين فرعون وملئه حول ما جاء به سيدنا موسى عليه السلام من الحق، وما أظهره من كبر وعناد بلا بحجة أو برهان، وموقف ذلك الرجل المؤمن من آل فرعون، حيث تصدّى لمكائدهم ضد موسى عليه السلام، وعلى رأسها ما همّ به فرعون من قبل موسى عليه السلام، وهو ينسجهم مع موضوع السورة وروحها.

وقد عرض الله لنماذج المتكبرين والمعاندين: (فرعون وهامان وقارون)، ومن معهم، من المتجبرين، حتى لا ينتهجوا نهجهم، فيحل بهم نفس العذاب: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ [غافر: 21-22].

وقد وعد الله نبيه الكريم بالنصر، لأن من سنته تعالى نصر رسله، كما نصر الرجل المؤمن من مكر فرعون، فلا يحزن لعدم إيمانهم، فموسى عليه السلام ما جاء به من معجزات لفرعون وقومه، إلا أنهم قابلوها بالتكبر والعناد، فحل عليهم العذاب، فالله سينصره ﷺ، كما نصر موسى عليه السلام: ﴿فَأَصْرِبْ إِيَّاكَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَسَيِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَغَيِّرُ سُلْطَانًا أَنْتَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِيغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر: 55-56].

8- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة الزخرف:

سورة الزخرف مكية، تحدّى بها الله المشركين، لأنهم طعنوا في صدق ما جاء به رسوله الكريم محمد ﷺ، وجعلوا بناتٍ لله، فجمعوا بذلك بين الإشراك والتنقيص، وذكرهم بأحوال الأمم السابقين مع رسلهم، وأنذرهم بمثل عواقبهم، وحذرهم من الاعتراض بإمهال الله وخص بالذكر رسالة إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وكل هذه الأغراض بأسلوب بديع، ونسج معجز (1).

ووردت إشارة في سورة الزخرف تبين أن فرعون احتج بشبهة، في عدم إيمانه بموسى عليه

(1) - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 25، ص 158.

السلام؛ وهي أنه ليس له ما مال ولا جاه ولا سلطان، ولا فصاحة في اللسان، وهي نفس الشبهة التي أثارها كفار مكة في قولهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31].

وذكر هذه الإشارة من قصة موسى عليه السلام، تسلياً للنبي ﷺ، ورداً على فرعون الذي ظن نفسه أحق بهذه الرسالة من سيدنا موسى عليه السلام.

9- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة الدخان:

سورة الدخان مكية، جاء فيها التنويه بالقرآن، وأنه من عند الله، ودالاً على رسالة ﷺ، مبينا أن من كذب به، يحق عليه العذاب الذي تمثل في الجوع إيقاظاً لبصائرهم الحسية، حيث لم تنجح فيهم الدلائل العقلية⁽¹⁾.

لقد جاء الحديث عن فرعون وقومه في سياق الحديث عن قريش وما أصابهم حينما دعا عليهم النبي ﷺ يوم كذبه، فأصابهم القحط والجوع فكان الواحد منهم حينما ينظر إلى السماء يتوهم أنها ممتلئة بالدخان، وهو ما أصابهم من الظلمة في أبصارهم من شدة الجوع حتى كأنهم يرون دخاناً.

وإن ما جاء في سورة الدخان، جاء منسجماً تماماً مع الحديث عن أهل مكة، فهو يحمل في ثناياه التمهيد والوعيد، كما يطمئن الرسول ﷺ المؤمنين، وأورد الطبري في تفسيره أن كفار مكة هم أكثر الناس شبهها بقوم فرعون، وهم من أقوى من جاءه رسول قبلهم بما كان له من الجنود والأموال والملك، فكذبوا موسى عليه السلام، وقالوا عنه ساحر، وكذا هؤلاء لما جاءتهم آية الدخان⁽²⁾.

أما سيد قطب فيقول عن التماسك بين أجزاء ومقاطع السورة: «ويكاد سياق السورة أن يكون كله وحدة متماسكة، ذات محور واحد، تشد إليه خيوطها جميعاً، سواء في ذلك القصة، ومشهد القيامة، ومصارع الغابرين، والمشهد الكوني، والحديث المباشر عن قضية التوحيد والبعث والرسالة، فكلها وسائل ومؤثرات لإيقاظ القلب البشري واستجاشته لاستقبال حقيقة الإيمان حية نابضة، كما يبثها هذا القرآن في القلوب»⁽³⁾.

(1) - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 25، ص 276.

(2) - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 21، ص 28.

(3) - سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 5، ج 25، ص 3206.

هذا التماسك بين مقاطع وأجزاء السورة، الذي أشار إليه سيد قطب فيه دلالة على التناسب بين مكونات السورة وسياقها ومقصدها العام مع قصة موسى عليه السلام.

10- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة الكهف:

سورة الكهف مكية، والقصص هو العنصر الغالب فيها، إذ تحوي خمس قصص: قصة أصحاب الكهف، وقصة الجنتين، وإشارة إلى قصة آدم وإبليس، ثم قصة موسى مع العبد الصالح، وأخيراً قصة ذي القرنين، إضافة إلى بعض مشاهد القيامة وبعض مشاهد الحياة، التي تصور فكرة أو معنى، على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير، أما موضوع السورة، والذي يدور حوله سياقها، فهو تصحيح العقيدة⁽¹⁾.

وقصة موسى والخضر عليهما السلام، وقصة ذي القرنين متشابهين في السفر لغرض شريف، فذو القرنين خرج لبسط سلطانه على الأرض، وموسى عليه السلام خرج في طلب العلم⁽²⁾.

وتحقق هذه القصة مقصود السورة من إظهار علم الله تعالى الواسع بالغيب المطلق، ولهذا لما طلب المشركون من النبي ﷺ أن يخبرهم بما لا يعلم من قصص الغابرين كدليل على نبوته، بين سبحانه لعباده أنه لا يلزم من اختياره لرسله أن يكونوا علمين بهذا الغيب، لأن أحدا لا يصل إلى علمه الواسع: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ [الكهف: 05]، وكذلك النبي ﷺ لم يكن عالماً بهذه الأخبار، وأيضاً موسى عليه السلام، مع كونه نبياً صادقاً من عند الله لم يمنع من أمر الله إياه أن يذهب إلى الخضر، ليتعلم منه، وغاب عنه علم ما فعله الخضر مما جعله يستفسر منه عما استغربه من فعله⁽³⁾.

فهدف القصة تربوي تعليمي، يرشد إلى أهمية الرحلة في طلب العلم، ففي كلتا القصتين سفر ورحلة لغرض شريف: الأولى لطلب العلم، والثانية لبسط السلطان على الأرض، وفي القصة تناسب مع مقصد السورة العام، وسياقها القائم على علم الله تعالى الواسع، مما ينبؤ على التماسك النصي بين القصتين؛ موسى والخضر عليهما السلام، وقصة موسى وسياق السورة، ومن ثم كل المكونات والمقاطع، والقصص الخمسة المكونة لسورة الكهف.

11- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة إبراهيم:

(1)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 4، ج 2256_2257، ص 15.

(2)- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 15، ص 245.

(3)- الرازي، الفخر الرازي: المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج 21، ص 144.

سورة إبراهيم مكية اشتملت من الأغراض على أنها ابتدأت بالتنبيه إلى إعجاز القرآن وإيقاظ المعاندين، بأن محمدا ما كان بدعاً من الرسل، وضرب له مثلاً برسالة موسى عليه السلام إلى فرعون لإصلاح حال بني إسرائيل، وتذكيره قومه بنعم الله ووجوب شكرها وموعظته إياهم، بما حل بقوم نوح وعاد ومن بعدهم، وما لاقته رسله من التكذيب⁽¹⁾.

ويقول سيد قطب: «ولقد تضمنت السورة عدة حقائق رئيسة في العقيدة، ولكن حقيقتين كبيرتين تظللان جو السورة كلها، وهما الحقيقتان المتناسقتان مع ظل إبراهيم في جو السورة: حقيقة وحدة الرسالة والرسل، ووحدة دعوتهم ووقفهم أمة واحدة في مواجهة الجاهلية المكذبة بدين الله على اختلاف الأمكنة والأزمان، وحقيقة نعمة الله على البشر وزيادتها بالشكر؛ ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران.. وبروز هاتين الحقيقتين أو هذين الظلين، لا ينفي أن هناك حقائق أخرى في سياق هاتين الحقيقتين أو هذين الظلين، لا ينفي أن هناك حقائق أخرى في سياق السورة، ولكن هاتين الحقيقتين تظللان جو السورة»⁽²⁾.

وقد ذكرت قصة موسى عليه السلام، في سورة إبراهيم، بشكل مختصر، كان حديثها الرئيسي عما أنعم الله على بني إسرائيل من النعم، وعلى رأسها الإنجاء من تعذيب فرعون لهم واستحياء نسائهم.

وأهم موضوعات هذه السورة بيان وحدة الرسالة بين جميع الرسل المنادية بتوحيد الله وإفراجه بالعبودية، والتذكير بنعمه على عباده عامة، وعلى بني إسرائيل خاصة، الذي أمر الله موسى عليه السلام أن يذكرهم بها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ [إبراهيم: 05]، وهو نفس ما أمر به الله نبيه محمد ﷺ لقومه، في قوله تعالى: ﴿الرَّكِيْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 01].

فيذكر الله محمداً ﷺ، أنه أرسل بنفس الغاية التي أرسل لأجلها موسى عليه السلام قبله.

12- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة النازعات:

سورة النازعات مكية اشتملت على إثبات البعث والجزاء، وفيها تسلية للنبي ﷺ بعرض قصة

(1)- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص178.

(2)- سيد قطب، في ظلال القرآن، مج04، ج13، ص2077.

موسى عليه السلام.

وسورة النازعات هي آخر سورة يذكر فيها خبر فرعون، موجزاً ومجماً كل ما تقدم من عرض لأحداث هذه القصة مع بعض الإشارات، وتنفرد سورة النازعات بهذا دون سورة العنكبوت، فتذكر القصة في سورة النازعات في سياق الحديث عن الذين أنكروا البعث⁽¹⁾.

إن أوجه العلاقة في سورة النازعات منسجمة مع هدف السورة، من إثبات حقيقة البعث بعد الموت وقيام الساعة متى أراد الله تعالى، وفيها تهديد وتحذير للكفار المنكرين للبعث أن لا يصروا على إنكارهم ولا يستمروا في طغيانهم، حتى لا يصيبهم ما أصاب فرعون: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [النازعات: 17]، فأخذ جزاءه الذي يستحقه في الدنيا: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات: 25]، وفي الآخرة: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ [٢٧] ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [٢٨] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [٢٩] [النازعات: 37-39]، وفي عبرة لمن يعتبر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [٣١] [النازعات: 26].

لقد عرضت سورة النازعات قصة موسى عليه السلام، بما يتوافق وسياق السورة المتعلقة بالبعث والجزاء في الآخرة.

13- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة البقرة:

سورة البقرة أول سورة مدنية تتناول قصة موسى عليه السلام، وكانت حافلة بالحديث عن بني إسرائيل، وقد عرضت السورة في علاقة موسى ببني إسرائيل، تعنتهم وذبول الحس الديني وضالة عقيدة التوحيد عندهم، لما قالوا لموسى عليه السلام، لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، مع أن الله تعالى أتى موسى الكتاب والفرقان لعلهم يهتدون⁽²⁾.

وأهم ما يلفت النظر في أخبارهم، وهو الجديد فيها ما لم يذكر في السور الأخرى، قصة البقرة، التي أمرهم الله تعالى بذبحها، وسميت السورة باسمها، فبدل أن ينصاعوا وينقادوا لأوامر الله، أخذوا يكثرون الأسئلة حولها، وفي هذا دلالة على تعنتهم وكثرة كلامهم.

وفي تذكير اليهود المعاصرين للنبي ﷺ، بهذه النعم على أسلافهم ما يدل على إعجاز القرآن،

(1) - فضل حسن عباس، القصص القرآني: إيجاز ونفحاته، ص 271.

(2) - المرجع نفسه، ص 321.

لا من حيث النظم فحسب، بل من حيث إخبارهم بما لم يعلموا من الغيب الماضي -إلا خاصتهم- الدال على صدق نبوة محمد ﷺ الذي أخبرهم بها: «ويفيد مع ذلك أمرهم بتفكير النعم التي أنعم بها عليهم، لينصرفوا بذلك عن حسد غيرهم، فإن تذكير الحسود بما عنده من النعم عظة له وصرف له عن الحسد الناشئ عن الاشتغال بنعم الغير، وهذا تعريض بهم أنهم حاسدون للعرب فيما أوتوا من الكتاب والحكمة، ببعثة محمد ﷺ، وانتقال النبوة من بني إسرائيل إلى العرب»⁽¹⁾.

إن سورة البقرة تحوي جملة من الأحكام، وموضوعها العام يتماشى مع هذه الأحكام، ويسعى إلى تحقيق مجتمع مسلم تسوده الأخلاق الفاضلة والتربية الحسنة.

ومن المقاصد التي نجدها في سورة البقرة، تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم، التي قابلوها بالكفر والجحود، فاستحقوا عذاب الله، قال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: 40]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: 101]، وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: 28].

وكذلك مشاهد قصة آدم في سورة البقرة، متناسبة مع المحور العام وسياق السورة.

14- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة المائدة:

سورة المائدة مدنية، وقد تنوعت مقاصدها تنوعاً كبيراً، فبنيت على الترابط والتلاحم فيما بينها، ولها شخصيتها المتميزة عن باقي السور، إذ تنوعت أحكامها فجاءت شارحة لمعظم الأحكام في السورة التي قبلها، وفي هذا دلالة على التماسك بين هذه السور⁽²⁾.

وقد تعرضت السورة لركنين أساسيين هما: ركن العقيدة، وركن التشريع، الذي نجد فيه أخذ الميثاق على بني إسرائيل، وذكر نقائبهم، وقصة بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام، ودخول الأرض المقدسة، وقصة بني آدم، وهذا من التماسك والارتباط بين القصتين، فلما ذكر قصة بني

(1)- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 01، ص 452.

(2)- عبد الله محمد النقرات، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: دلالة التصريف القرآني أولى من دلالة ولفظ التكرار، ج 01، ص 125.

إسرائيل وتمردهم على نبيهم موسى عليه السلام، أعقبها بقصة ابني آدم عليه السلام، لأن في ذلك صراع دائم بين الخير والشر⁽¹⁾.

ذكر الله تعالى قصة بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام، في دخول الأرض المقدسة، دليلاً على نقضهم موثيق الله، وفي هذا تحذير للأمة أن لا يقفوا موقفهم: «تذكيراً لهذه الأمة بنعمة التوثيق للسمع والطاعة التي أباهما بنو إسرائيل بعدما رأوا من الآيات، وبما كف عنهم على ضعفهم وشجع قلوبهم، وألزمهم الطاعة، وكره إليهم المعصية بصد ما فعل بني إسرائيل»⁽²⁾.

أما عن المناسبة بين قصة ابني آدم وقصة موسى عليه السلام: «مناسبة تماثل ومناسبة تضاد، فأما التماثل فإن في كليهما عدم الرضا بما حكم الله تعالى: فإن بني إسرائيل عصوا حكم الله تعالى بعدم قبول قربانه، لأنه لم يكن من المتقين، وفي كليهما جرأة على الله بعد المعصية، فبنوا، إسرائيل قالوا: اذهب أنت وربك، وابن آدم قال: لأقتلن الذي تقبل الله منه، وأما التضاد، فإن بينها إقداماً مذموماً من ابن آدم، وإحجاماً مذموماً من بني إسرائيل، وإن في إحدهما اتفاق أخوين هما: موسى وأخوه على امتثال أمر الله تعالى، وفي الأخرى اختلاف أخوين بالصلاح والفساد»⁽³⁾.

ويرى الرازي أن القصة تعلم المسلمين، أن طريق اليهود في الندامة والحسرة بسبب معاصيهم، كان مثل طريق ابني آدم في إقدام أحدهما على قتل الآخر، وأنه لا ينفعهم كونهم أبناء الله، وأحبائه كما يدعون، كما لم ينفع ابن آدم أنه ابن نبي عظيم⁽⁴⁾.

إن للعلاقات النصية دوراً مهماً في تماسك قصة موسى عليه السلام بملقاتها المختلفة، مما يكشف عن تناسب المشاهد المكونة لهذه الحلقات، وبين سياقها في السورة التي عرضت فيها، وليس هذا مقصوداً على قصة موسى عليه السلام، بل هو قاعدة تحقق بها كل القصص القرآني، فإذا كانت قصة موسى عليه السلام تتناسب مع القصص الآخر في السورة الواحدة، ومع موضوع وسياق السورة الواحدة أيضاً، فإن في هذا دلالة على تناسب كل السور القرآنية، بكل مكوناتها، ومن ثم التماسك النصي للقصص القرآني، وللقرآن الكريم كاملاً.

(1) -عبد الله محمد النقرط، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: دلالة التصريف القرآني أول من دلالة ولفظ التكرار، ج01، ص127-128.

(2) -البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج06، ص72.

(3) -ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج60، ص168.

(4) -الرازي، تفسير الفخر الرازي: المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، ج11، ص208.

الخطبة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الدراسة النصية لقصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، تسعى لبيان الآليات والأدوات التي تماسكت بها هذه القصة، والتي شكلت بناءً فنياً قصصياً معجزاً، بحسب ترتيب نزول السور القرآنية التي وردت فيها، وتمّ التوصل إلى تحديد أهم النتائج فيما يأتي:

- تعلّقت بالنص العديد من المفاهيم في الدراسات الألسنية الجديدة (لسانيات النص/نحو النص)، وأدت إلى ظهور أفكار ومفاهيم جديدة تناولت مستوياته ووظائفه، فاعتمد بعضها على مكوناته الجمالية وتتابعها، وأضاف بعضهم ترابط الجمل، واعتمد آخرون على التواصل النصي والسياق، وآخرون اعتمدوا الإنتاجية الأدبية أو فعل الكتابة، وبعضهم اعتمد جملة المقاربات المختلفة والمواصفات، التي تجعل المفوظ نصاً.

- صعوبة تحديد مفاهيم للمصطلحات النصية، نظراً لتشعبها وتداخل الرؤى والتصورات حولها، مما أدى إلى اضطراب مصطلحي، بين (النص/الخطاب)، (التماسك/ الانسجام)، (الحبك/ السبك)، (الاتساق/ التضام)، وهذا ما وضع القارئ في كثير من اللبس والغموض، والسبب في هذا عدم استقرار مفاهيم المصطلحات، والانحياز لمنهج نقدية محددة.

_ كان علماء العرب على وعي كامل بمفهوم السياق بمعناه الاصطلاحي، حيث قدّموا أفكاراً وممارسات سياقية متميزة أكّدها البحث اللغوي، وكانوا سبّاقين إلى المفهوم، وغاب عنهم المنهج التنظيري، لذا جاءت دراساتهم وأبحاثهم تطبيقية أكثر منها تنظيرية.

_ إن مصطلح السياق في الدراسات اللغوية الحديثة قد شمل السياق اللغوي و الحالي، أما القدماء فاستعملوا مصطلح المقام والحال ومقتضى الحال والقرائن.

- المعايير النصية في الدراسات القرآنية والبلاغية، تهدف إلى بيان الإعجاز البلاغي في نظم القرآن الكريم، وكيف أنه متكامل يمثل بنية نصية واحدة، رغم اختلاف المناسبات وأسباب النزول، من خلال عناية المهتمين بالدراسات القرآنية، بكشفهم عن الوسائل والعلاقات التي تسهم في وحدته وتماسكه.

- للسياق دور أساسي في فهم النص القرآني، إذ لا بدّ للوصول إلى دلالات النص، من وضعه في سياقه الذي نزل فيه، ومعرفة أسباب النزول، يهدف إلى فهم النص القرآني واستخراج دلالاته، التي تتحدد من خلالها أسباب النزول، أي السياق الخارجي، الذي نحكم به على البناء الداخلي للنص القرآني.

- قضية التماسك النصي، لها جذور في التراث العربي الإسلامي عند النحويين والبلاغيين والمفسرين من خلال البحث في سر إعجاز القرآن الكريم، وهذا يعني أنه ليس وليد الدراسات اللسانية الحديثة، وإنما الجديد هو طريقة توظيف المصطلحات وتطبيقها على النصوص، لأن القدماء أدركوا هذه الظواهر النصية شكليا ودلاليا، والتي كشفت على أنه نص غاية في التماسك والانسجام شكلا ودلالة، وأنه ظاهرة مميزة للقصص القرآني.

- حقق ترتيب النزول تسلسلا زمنيا، مما يعني أن تناول الزمن لأحداث قصة موسى عليه السلام مرتبة وفق نزول سور القرآن يحقق لنا ظاهرة إعجازية، تتمثل في الوصول إلى القصة فنية كاملة، كما أن ورود قصة موسى عليه السلام مفرقة في العديد من سور القرآن الكريم، لا ينفي عدم تكاملها القصصي.

- أدى المستوى النحوي المتمثل في (الإحالة، الحذف، الاستبدال، الوصل)، إلى تحقيق التماسك بين الأجزاء المكونة لقصة موسى عليه السلام، على الرغم من توزيعها عبر العديد من سور القرآن الكريم.

_ الإحالة الخارجية عنصر مهم في بناء أحداث قصة موسى عليه السلام، وقد ساهمت في ربط قصة موسى عليه السلام، بقصص الأنبياء الآخرين.

_ ترتبط الإحالات النصية القبلية في قصة موسى عليه السلام بالمحور العام للسور القرآنية الواردة فيها، وتساهم في تحقيق التماسك النصي بين السور المتضمنة لقصة موسى عليه السلام.

_ الحذف في قصة موسى عليه السلام، مناسب لسياق كل سورة وردت فيها القصة، وتماسك مع جملة الأحداث الواردة في كل سورة.

_ الاستبدال عنصر فعال في تماسك أحداث قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، من خلال السياق الذي ساهم في بنائها أحداثها القصصية.

_ الوصل آلية مهمة في تماسك وانسجام أحداث قصة موسى عليه السلام، من خلال ربط القصة بقصص الأنبياء الآخرين، وبالأحداث السابقة واللاحقة.

- أدى المستوى المعجمي في بناء قصة موسى عليه السلام، من خلال إعادة ترتيب أحداث القصة وفق ترتيب نزول سور القرآن الكريم، ومن خلال ربط العناصر المعجمية ببعضها كما ساهم في إيجاد وحدة نصية قصصية.

أدى التكرار في قصة موسى عليه السلام إلى تماسك أحداثها في سياق السورة الواردة فيها، وفي سياق السور الأخرى، وبين الأثر الدلالي لهذه الأداة في ترتيب أحداث القصة وفق ترتيب النزول.

- كان ترتيب أحداث قصة موسى عليه السلام، متفقاً مع ترتيبها في الواقع، أي أن السياق التاريخي له أثره الكبير في بيان التناسب والتماسك النصي.

أدى التضام في قصة موسى عليه السلام إلى ربط عناصر القصة بعضها ببعض، وربطها ببقية الأحداث الواردة في السور القرآنية.

- التماسك بين قصة موسى عليه السلام، وباقي القصص القرآني الوارد في سورة واحدة، لأن أحداث هذه القصص لم تكن منفصلة عن المحور والمقصد العام للسورة بل هناك تماسك قائم بين أحداث القصص ومكونات السورة.

إن سياق السور التي وردت فيها قصة موسى عليه السلام، يفرض خطاباً خاصاً بها، دون تعارض في إيراد أحداث القصة، ويكشف مدى تماسك الأحداث في السورة نفسها، وفي غيرها من السور.

- تتناسب قصة موسى عليه السلام مع سياق السورة الواحدة، وفي هذا دلالة على تناسب كل السور القرآنية بكل مكوناتها، ومن ثم التماسك النصي للقصص القرآني، وللقرآن الكريم كاملاً.

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جدول يبين السور التي وردت فيها قصة موسى عليه السلام بحسب ترتيب النزول:

| الرقم | السورة | نص الآيات ورقمها | عدد الآيات | نوع السورة |
|-------|---------|--|------------|------------|
| 1 | المزمل | ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ | 02 | مكية |
| 2 | الفجر | ﴿ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ | 05 | مكية |
| 3 | القمر | ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ عَالِ فِرْعَوْنَ التَّنْذِيرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ | 02 | مكية |
| 4 | الأعراف | ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ... بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ | 52 | مكية |
| 5 | الفرقان | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ ... وَزَيْرًا ﴿٣٥﴾ ... فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾ | 02 | مكية |
| 6 | مريم | ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ... نَبِيًّا ﴿٥١﴾ ... نَحِيًّا ﴿٥٢﴾ ... هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ | 03 | مكية |
| 7 | طه | ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ ... وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٨﴾ ﴾ | 89 | مكية |
| 8 | الشعراء | ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ ... الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾ | 58 | مكية |
| 9 | النمل | ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ ... تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ... عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ | 08 | مكية |
| 10 | القصص | ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ ... يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ ... وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ | 40 | مكية |
| 11 | الإسراء | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ ... مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ... مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ | 04 | مكية |
| 12 | يونس | ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ... لَسِحْرٍ مُّبِينٍ ﴿٧٦﴾ ... يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ | 18 | مكية |

| | | | | |
|------|----|--|----------|----|
| مكية | 04 | ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ ... وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسَّرَ الرَّقْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١١﴾ ﴾ | هود | 13 |
| مكية | 01 | ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا ... بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ | الأنعام | 14 |
| مكية | 09 | ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ ... إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ | الصفات | 15 |
| مكية | 24 | ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٣﴾ ... وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ | غافر | 16 |
| مكية | 11 | ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ... الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ ... فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ | الزخرف | 17 |
| مكية | 17 | ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ ... وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ | الدخان | 18 |
| مكية | 01 | ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ... وَبَشَّرِ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ | الأحقاف | 19 |
| مكية | 03 | ﴿ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ ... مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ... فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ | الذاريات | 20 |
| مكية | 23 | ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ ... حَقْبًا ﴿٦٠﴾ ... ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ | الكهف | 21 |
| مكية | 04 | ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ... صَبْرًا شَكُورٍ ﴿٥﴾ ... لَعْنَةُ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ | إبراهيم | 22 |
| مكية | 03 | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ ... لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ... أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ | الأنبياء | 23 |
| مكية | 01 | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ | المؤمنون | 24 |
| مكية | 04 | ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ ... بِالْحَاظِطَةِ ﴿١﴾ ... لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرَةً وَنَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ | الحاقة | 25 |
| مكية | 11 | ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ ... فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ | النازعات | 26 |

| | | | | |
|-------|----------------|---|----------|----|
| مكية | 01 | ﴿ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَكَ... وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾ (٣٩) | العنكبوت | 27 |
| مدنية | 22 07 02 | ﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي... فَأَرْهَبُونَ ﴾ (٤٠)... ﴿ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٦١) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ... الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾... لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ... ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾... إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ | البقرة | 28 |
| مدنية | 03 | ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ... سُلْطَنًا مُبِينًا ﴾ (١٥٣)... ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٥٥) | النساء | 29 |
| مدنية | 06 | ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ... مِنْ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٠)... ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٦٦) | المائدة | 30 |
| مدنية | 06 | ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ... يَفْسُقُونَ ﴾ (١١٣)... ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١١٨) | الأعراف | 31 |

— جدول يبين ورود اسم موسى عليه السلام في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:

| نوعها | السورة | رقمها | نص الآية | الرقم |
|-------|---------|-------|---|-------|
| مكية | الأعلى | 19 | ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ (١٨) ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (١٩) | 01 |
| مكية | النجم | 36 | ﴿ أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾ (٣٦) | 02 |
| مكية | الأعراف | 103 | ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٠٣) | 03 |
| مكية | الأعراف | 104 | ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٤) | 04 |
| مكية | الأعراف | 115 | ﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْفَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ خُنُوفًا يُضْمِرُونَ ﴾ (١١٥) | 05 |
| مكية | الأعراف | 117 | ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ... ﴾ | 06 |
| مكية | الأعراف | 122 | ﴿ قَالُوا يَا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٢١) ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ (١٢٢) | 07 |

| | | | | |
|------|---------|-----|---|----|
| مكية | الأعراف | 127 | ﴿أَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ | 08 |
| مكية | الأعراف | 128 | ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا...﴾ | 09 |
| مكية | الأعراف | 131 | ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ...﴾ | 10 |
| مكية | الأعراف | 134 | ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ...﴾ | 11 |
| مكية | الأعراف | 138 | ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ...﴾ | 12 |
| مكية | الأعراف | 142 | ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ...﴾ | 13 |
| مكية | الأعراف | 142 | ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ...﴾ | 14 |
| مكية | الأعراف | 143 | ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ...﴾ | 15 |
| مكية | الأعراف | 143 | ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَبَعًا...﴾ | 16 |
| مكية | الأعراف | 144 | ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي...﴾ | 17 |
| مكية | الأعراف | 148 | ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ...﴾ | 18 |
| مكية | الأعراف | 150 | ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي...﴾ | 19 |
| مكية | الأعراف | 154 | ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَىٰ الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ...﴾ | 20 |
| مكية | الأعراف | 155 | ﴿وَأَخْنَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا...﴾ | 21 |
| مكية | الأعراف | 159 | ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ | 22 |
| مكية | الأعراف | 160 | ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ﴾ | 23 |

| | | | | |
|------|---------|----|---|----|
| | | | ﴿ الْحَجَرُ ... ﴾ | |
| مكية | الفرقان | 35 | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ | 24 |
| مكية | مریم | 51 | ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ | 25 |
| مكية | طه | 09 | ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا ... ﴾ | 26 |
| مكية | طه | 11 | ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ... ﴾ | 27 |
| مكية | طه | 17 | ﴿ وَمَا تَلَكَ يَمِينِكَ يَمُوسَى ﴾ | 28 |
| مكية | طه | 19 | ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ ﴾ | 29 |
| مكية | طه | 36 | ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴾ | 30 |
| مكية | طه | 40 | ﴿ فَلَيْتَ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى ﴾ | 31 |
| مكية | طه | 49 | ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴾ | 32 |
| مكية | طه | 57 | ﴿ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ﴾ | 33 |
| مكية | طه | 61 | ﴿ قَالَ لَهُم مُوسَى وَيَلَيْكُمُ لَا تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ... ﴾ | 34 |
| مكية | طه | 65 | ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ | 35 |
| مكية | طه | 67 | ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ | 36 |
| مكية | طه | 70 | ﴿ فَأَلْقَى السِّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا أَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ | 37 |
| مكية | طه | 77 | ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ... ﴾ | 38 |
| مكية | طه | 83 | ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ | 39 |
| مكية | طه | 86 | ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ... ﴾ | 40 |

| | | | | |
|------|---------|----|--|----|
| مكية | طه | 88 | ﴿ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ | 41 |
| مكية | طه | 91 | ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ | 42 |
| مكية | الشعراء | 10 | ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أُنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ | 43 |
| مكية | الشعراء | 43 | ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ الْقَوْمَا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ | 44 |
| مكية | الشعراء | 45 | ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ | 45 |
| مكية | الشعراء | 48 | ﴿ قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ | 46 |
| مكية | الشعراء | 52 | ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ | 47 |
| مكية | الشعراء | 61 | ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ | 48 |
| مكية | الشعراء | 63 | ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ... ﴾ | 49 |
| مكية | الشعراء | 65 | ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ | 50 |
| مكية | النمل | 07 | ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا... ﴾ | 51 |
| مكية | النمل | 09 | ﴿ يَمْوَسِيٰٓ إِلَيْهِ ؕ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ | 52 |
| مكية | النمل | 10 | ﴿ يَمْوَسِيٰٓ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾ | 53 |
| مكية | القصص | 03 | ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ | 54 |
| مكية | القصص | 07 | ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ... ﴾ | 55 |
| مكية | القصص | 10 | ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرًا... ﴾ | 56 |
| مكية | القصص | 15 | ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ... ﴾ | 57 |
| مكية | القصص | 18 | ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ | 58 |

| | | | | |
|------|---------|-----|--|----|
| مكية | القصص | 19 | ﴿ قَالَ يَمُوسَىٰ أَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ... ﴾ | 59 |
| مكية | القصص | 20 | ﴿ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَلْمَلَاءُ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ... ﴾ | 60 |
| مكية | القصص | 29 | ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا... ﴾ | 61 |
| مكية | القصص | 30 | ﴿ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ | 62 |
| مكية | القصص | 31 | ﴿ يَمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴾ | 63 |
| مكية | القصص | 36 | ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىٰ... ﴾ | 64 |
| مكية | القصص | 37 | ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ... ﴾ | 65 |
| مكية | القصص | 38 | ﴿ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسَى ﴾ | 66 |
| مكية | القصص | 43 | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ ﴾ | 67 |
| مكية | القصص | 44 | ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ... ﴾ | 68 |
| مكية | القصص | 48 | ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ... ﴾ | 69 |
| مكية | القصص | 48 | ﴿ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ... ﴾ | 70 |
| مكية | القصص | 76 | ﴿ إِنَّ قُرُونَكَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ... ﴾ | 71 |
| مكية | الإسراء | 02 | ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ... ﴾ | 72 |
| مكية | الإسراء | 101 | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ... ﴾ | 73 |

| | | | | |
|------|---------|-----|---|----|
| مكية | الإسراء | 101 | ﴿ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ | 74 |
| مكية | يونس | 75 | ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ | 75 |
| مكية | يونس | 77 | ﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحَّرُ هَذَا ... ﴾ | 76 |
| مكية | يونس | 80 | ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السِّحْرُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَقْوَامًا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴾ | 77 |
| مكية | يونس | 81 | ﴿ فَلَمَّا أَقْوَامًا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ ... ﴾ | 78 |
| مكية | يونس | 83 | ﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ ... ﴾ | 79 |
| مكية | يونس | 84 | ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ... ﴾ | 80 |
| مكية | يونس | 87 | ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ... ﴾ | 81 |
| مكية | يونس | 88 | ﴿ وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا ... ﴾ | 82 |
| مكية | هود | 17 | ﴿ وَتَلَوْهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ... ﴾ | 83 |
| مكية | هود | 96 | ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ | 84 |
| مكية | هود | 110 | ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَآخُتِفَ فِيهِ ... ﴾ | 85 |
| مكية | الأنعام | 84 | ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ... ﴾ | 86 |
| مكية | الأنعام | 91 | ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ... ﴾ | 87 |
| مكية | الأنعام | 154 | ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ ... ﴾ | 88 |
| مكية | الصفات | 114 | ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ | 89 |
| مكية | الصفات | 120 | ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ | 90 |

| | | | | |
|------|----------|----|---|-----|
| مكية | غافر | 23 | ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ | 91 |
| مكية | غافر | 26 | ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ...﴾ | 92 |
| مكية | غافر | 27 | ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ...﴾ | 93 |
| مكية | غافر | 37 | ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ...﴾ | 94 |
| مكية | غافر | 53 | ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ | 95 |
| مكية | فصلت | 45 | ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ...﴾ | 96 |
| مكية | الشورى | 13 | ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ...﴾ | 97 |
| مكية | الزخرف | 46 | ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ...﴾ | 98 |
| مكية | الأحقاف | 12 | ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً...﴾ | 99 |
| مكية | الأحقاف | 30 | ﴿قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ...﴾ | 100 |
| مكية | الذاريات | 38 | ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ | 101 |
| مكية | الكهف | 60 | ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ...﴾ | 102 |
| مكية | الكهف | 66 | ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ | 103 |
| مكية | إبراهيم | 05 | ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا...﴾ | 104 |
| مكية | إبراهيم | 06 | ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ | 105 |
| مكية | إبراهيم | 08 | ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ | 106 |

| | | | | |
|-------|----------|-----|---|-----|
| | | | حَمِيدٌ ﴿﴾ | |
| مكية | الأنبياء | 48 | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُنْفِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ | 107 |
| مكية | المؤمنون | 45 | ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ | 108 |
| مكية | المؤمنون | 49 | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ | 109 |
| مكية | السجدة | 23 | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ... ﴾ | 110 |
| مكية | النازعات | 15 | ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾ | 111 |
| مكية | العنكبوت | 39 | ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ... ﴾ | 112 |
| مدنية | البقرة | 51 | ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً... ﴾ | 113 |
| مدنية | البقرة | 53 | ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ | 114 |
| مدنية | البقرة | 54 | ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ مِنْكُمْ لَمَنِ انْتَفَخْتُمْ أَنْفُسَكُمْ... ﴾ | 115 |
| مدنية | البقرة | 55 | ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً... ﴾ | 116 |
| مدنية | البقرة | 60 | ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ... ﴾ | 117 |
| مدنية | البقرة | 61 | ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ... ﴾ | 118 |
| مدنية | البقرة | 67 | ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً... ﴾ | 119 |
| مدنية | البقرة | 87 | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ... ﴾ | 120 |
| مدنية | البقرة | 92 | ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ... ﴾ | 121 |
| مدنية | البقرة | 108 | ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلِ مُوسَىٰ مِنْ... ﴾ | 122 |

| | | | | |
|-------|----------|-----|--|-----|
| | | | ﴿ قَبْلُ... ﴾ | |
| مدنية | البقرة | 136 | ﴿... وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ... ﴾ | 123 |
| مدنية | البقرة | 246 | ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى... ﴾ | 124 |
| مدنية | البقرة | 248 | ﴿... فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى... ﴾ | 125 |
| مدنية | آل عمران | 84 | ﴿... وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ... ﴾ | 126 |
| مدنية | الأحزاب | 07 | ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى... ﴾ | 127 |
| مدنية | الأحزاب | 69 | ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى... ﴾ | 128 |
| مدنية | النساء | 153 | ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً... ﴾ | 129 |
| مدنية | النساء | 153 | ﴿... فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ ؕ وَعَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطٰنًا مُّبِينًا ؕ اللَّهُ... ﴾ | 130 |
| مدنية | النساء | 164 | ﴿... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ | 131 |
| مدنية | الحج | 44 | ﴿ وَأَصْحٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ... ﴾ | 132 |
| مدنية | الصف | 5 | ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ۖ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُّونَنِي... ﴾ | 133 |
| مدنية | المائدة | 20 | ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ۖ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... ﴾ | 134 |
| مدنية | المائدة | 22 | ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ... ﴾ | 135 |
| مدنية | المائدة | 24 | ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا... ﴾ | 136 |

قائمة المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم برواية حفص.

أولا_ المصادر:

1. أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001م.
2. أحمد بن عبد اللطيف الخطيب الحاوي الشافعي، حاشية النفحات على شرح الورقات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1353هـ-1938م.
3. أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، كتاب المعونة في الجدل، تح: عبد المجيد تركي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408 هـ_1988م.
4. أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تح: عبد الله دراز، ط2، دار الفكر العربي، بيروت_ لبنان، 1395هـ-1975م.
5. ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، ط1، دار نهضة، مصر، القاهرة، 1957م.
6. ابن أبي الأصعب المصري، تحرير التحيير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، 1383هـ-1963م.
7. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة التراث، القاهرة، مصر، (دت).
8. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (دت).
9. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (دت).
10. أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ-1996م.
11. جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418 هـ _ 1998م.

12. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط10، دار هجر، الجيزة، مصر، 1422هـ_ 2001م.
13. جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني، المعروف بالخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبدیع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دت).
14. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المملكة العربي السعودية.
15. جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه : محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البحايوي، ط03، مكتبة دار التراث، القاهرة، (دت).
16. جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، 1406هـ-1986م.
17. جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد البحايوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1970م.
18. جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، الكوكب الدرّي في تخرّيج الفروع الفقهيّة على المسائل النحويّة، تح: عبد الرزاق السعدي، ط1، 1404هـ-1984م.
19. أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقدّم وتحرّ: محمد الحبيب بن خوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
20. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، (دط)، عالم الكتب، بيروت، (دت).
21. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عادل عبد الموجود، علي معوض، أحمد صبرة، أحمد عبد الغني الجمل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ_ 1994م.
22. أبو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1993م.

23. الرماني، الخطابي، الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1986م.
24. أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي نجار، عبد الفتاح إسماعيل، شلبي، ط3، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1422هـ-2011م.
25. سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ-1988م.
26. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط16، دار الشروق، القاهرة، 1423هـ-2002م.
27. سيد قطب، في ظلال القرآن، ط11، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1405هـ-1985م.
28. صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1412هـ-1992م.
29. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (دت).
30. أبو الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهرسه : مصطفى السقا إبراهيم الأنباري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
31. أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1430هـ-1922م.
32. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، تح: محمد زهري النجار، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1414هـ-1993م.
33. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004م.
34. أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن، تح: محمد عبد الرحيم، تقديم: محمد كرد علي، ط1، دار الحكمة، دمشق، بيروت، 1410هـ-1990م.
35. عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998م.

36. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان: تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك هذا الجزء: محمد رضوان عرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1427هـ-2006م.
37. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين، ط01، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1422هـ _ 2001م.
38. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1418هـ-1998م.
39. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده، مصر، 1385هـ-1965م.
40. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المحاز في القرآن الكريم، اعتناء وتقديم: رمزي سعد الدين دمشقية، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1408هـ _ 1987م.
41. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص: تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د.ت).
42. أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجاوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، ط1، مؤسسة قرطبة، مصر، القاهرة، 1421هـ-2000م.
43. أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، تح: زهير الشاويش، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ت).
44. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
45. ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان (د.ت).
46. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، ط3، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1971م.

47. ابن قرناس ، أحسن القصص: تاريخ الإسلام كما ورد من المصدر، مع ترتيب السور حسب النزول، ط1، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، 2010م.
48. ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ط2، دار الكتب، العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ _ 1988م.
49. ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد، جدة، المملكة العربية السعودية، (دت).
50. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج1، (دت).
51. محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م.
52. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية، تونس، 1984م.
53. محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (دت).
54. محمد بن إسحاق بن النديم، الفهرست، تح: مصطفى الشوملي، مطبعة الجيش، الجزائر، 2007م.
55. محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وضع حواشيه، خليل منصور، ط1، دار الكتب، العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ _ 1998م.
56. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: يوسف الغوش، ط4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1428هـ-2007م.
57. محمد بن يزيد المبرد، المقتضب صنعة أبي العباس، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، ط3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1415هـ- 1994م.
58. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1415هـ-1995م.
59. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1405هـ-1985م.

60. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ضبط واعتناء: عمر عبد السلام السلامي، ط01، دار إحياء التراث العربي، بيروت_ لبنان، 1416هـ_1995م.
61. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح وشرح: عبد اللطيف محمد الخطيب، ط1، الكويت، 1423هـ، 2000م.
62. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 01، دار إحياء الكتب العربية، 1371هـ_1952م.
63. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ط02، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1407-1987م.

ثانياً_المراجع:

64. إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997م.
65. إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ط01، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007م.
66. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ط01، القاهرة، مصر، 1413هـ-1992م.
67. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ط5، دار الأمان، الرباط، 2005م.
68. أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2014م.
69. أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، (دط)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (دت).
70. أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2011م.
71. أحمد محمد عبد الراضي، المعايير النصية في القرآن الكريم، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1432هـ-2011م.

72. أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، ط01، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ-2008م.
73. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط05، عالم الكتب، القاهرة، 1998م.
74. أحمد مداس، لسانيات النص: نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ط01، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، 2007م.
75. الأزهر الزناد، نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1993م.
76. أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، دار فرحة للنشر والتوزيع، 2003م.
77. إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبيرت دي بوجرانند وولفنجانج دريسلر، ط01، دار الكاتب، 1993م.
78. محمد محمد صافي المستغامي، تصريف القول في القصص القرآني: دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام، ط01، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 1432هـ-2011م.
79. أمين الخولي، فن القول، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1996م.
80. بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم: دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، دار الفجر، القاهرة، 1994م.
81. تمام حسان، البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ط03، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2009م.
82. تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، ط6، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1430هـ-2009م.
83. جابر عصفور، مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، ط4، قبرص، 1990م.
84. جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص: دراسة لسانية نصية، ط1، النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2009م.
85. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية للكتاب، 1998م.

86. حسام أحمد فرج، نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1428هـ-2007م.
87. حسن إبراهيم الأحمد، أبعاد النص النقدي عند الثعالبي: مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2007م.
88. حسن عبد القادر، شرح وتفسير الشافية في الإعجاز مع دراسة وجوه الإعجاز، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.
89. حسين خمري، نظرية النص: من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1408هـ-2007م.
90. خلدون سعيد صبح، التقديم والتأخير في القرآن الكريم: بلاغة وإبلاغ، ط1، دار الينابيع، سوريا، 2002م.
91. خلود العموش، الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق "مثل من سورة البقرة"، ط1، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 1424هـ-2008م.
92. خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ط1، دار جرير، عمان الأردن، 1430هـ-2009م.
93. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة، 2006م.
94. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ط1، مكتبة الملك فهد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ.
95. سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2010م.
96. سعد مصلوح، من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن كتاب: الأستاذ عبد السلام هارون معلما ومؤلفا محققا (مجموعة بحوث مهداة إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذكره الثانية)، تحري: وديعة طع النجم وعبد بدوي، جامعة الكويت، كلية، الآداب، 1410هـ-1990م.
97. سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط1، مكتبة الآداب، 1426هـ-2005م.
98. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، القاهرة، مصر، 1997م.

99. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2001م.
100. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التعبير، ط3، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1997م.
101. سليمان عشاري، الخطاب القرآني: مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1986م.
102. سمير شريف استيتية، اللغة وسيكولوجية الخطاب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002م.
103. السيد احمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند الأصوليين، ط1، شركة مكتبات عكاظ، جدة، 1401هـ-1981م.
104. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، ط1، دار قباء، القاهرة، مصر، 1421 هـ-2000م.
105. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، آب (أغسطس)، 1977م.
106. صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة و النحو، توزيع مكتبة الآداب، القاهرة، (دت).
107. صلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار الشهاب، الجزائر، 1998م.
108. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، صفر، 1413هـ-أغسطس 1992م.
109. طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ط1، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، القاهرة، 1998م.
110. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، 1998.
111. عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، ط1، دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، 1433هـ-2012م.

112. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر: تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول، ط1، دار القلم، دمشق، سورية، 1421هـ - 2000م.
113. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط03، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1997م.
114. عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دت).
115. عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية (مقدمة نظرية، دراسة تطبيقية)، ط03، دار سعاد الصباح، الكويت، القاهرة، 1993م.
116. عبد الله محمد النقراط، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: دلالة التصريف القرآني أولى من دلالة ولفظ التكرار، ط1، دار قتيبة، دمشق، سورية، 1423هـ - 2002م.
117. عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: دراسة لغوية نحوية دلالية، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2007م.
118. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2003م.
119. عثمان أبو زنيد، نحو النص: إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 1431هـ - 2010م.
120. عزة شبل محمد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، ط02، مكتبة الآداب، القاهرة، 1430هـ - 2009م.
121. عقيد خالد حمودي العزاوي، البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم، ط1، دار العصماء، دار ماجد، دمشق، سورية، 1436هـ - 2015م.
122. علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي: (الظواهر التركيبية)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
123. علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ط01، المكتبة النحوية، 1402هـ - 1982م.
124. علي النجدي ناصف، تاريخ النحو، دار المعارف، القاهرة، 1978م.

125. عمر أبو خرمة، نحو النص: نقد النظرية... وبناء أخرى، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1425 هـ -2004 م.
126. عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، مؤسسات عبد الكريم، تونس، 1980 م.
127. عمر عبد الواحد، التعلق النصي مقامات الحريري نموذجاً، ط1، دار الهدى، المنيا، 2003 م.
128. فضل حسن عباس، القصص القرآني: إيحاؤه ونفحاته، شركة الشهاب، الجزائر، 1989 م.
129. قطب الريسوني، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر: مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبر القرآني، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1431 هـ -2010 م.
130. ليندة قيس، لسانيات النص النظرية والتطبيق: مقامات الهمداني أنموذجاً، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2009 م.
131. المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني: دراسة تأصيلية دلالية نقدية، ط1، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 1429 هـ -2008 م.
132. محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط3، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965 م.
133. محمد الأخصر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1429 هـ -2008 م.
134. محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ط1، 1993 م.
135. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، ط1، المؤسسة العربية، للتوزيع، تونس، 1421 هـ -2001 م.
136. محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ط1، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، 2008 م.
137. محمد جعفر العارضي، في علم دلالة النص: نظرات في قصدية الحذف بين مظاهر الإعجاز القرآني ومناهج التحليل اللغوي، ط1، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2012 م.

138. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1420هـ-2000م.
139. محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.
140. محمد سالم أبو غفرة، السبكي العربية المعاصرة: بين المنطوق والمكتوب، ط01، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1431هـ-2010 م .
141. محمد شحرور، القصص القرآني: قراءة معاصرة (المجلد الأول: مدخل إلى القصص وقصة آدم)، ط1، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2010م.
142. محمد عبد الباسط عيد، النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1430هـ، 2009م.
143. محمد عبد الله علي سيف العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 1425هـ_2004م.
144. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، لبنان، مصر، 1994م.
145. محمد عزام، النص الغائب وتحليلات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد شباب العرب، (دت).
146. محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، القاهرة، 2002م.
147. محمود أحمد نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1408هـ-1988م.
148. محمود البستاني، دراسات فنية في قصص القرآن، ط01، دار البلاغة، بيروت، 1409هـ_1989م.
149. مرزوق العمري، إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر، ط1، منشورات الاختلاف، دار الأمان، منشورات ضفاف، الجزائر، المغرب، لبنان، 1433هـ_2012م.
150. مصطفى النحاس، نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ذات السلاسل، الكويت، 2001م .

151. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط11، مكتبة وهبة، القاهرة، 2000م.
152. منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء _المغرب_ بيروت_ لبنان_ (دت).
153. نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)، ط7، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2008م.
154. الهادي الجطلالوي، قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج، التأويل، الإعجاز، ط01، دار محمد علي، الحامي للنشر والتوزيع، سوسة، تونس، 1998م.
155. هناء محمود إسماعيل: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012م.
156. وجيه قانصو، النص الديني في الإسلام: من التفسير إلى التلقي، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2011م.
157. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، 1411هـ _ 1991م.
158. يادكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السرد القرآني، ط1، دار الزمان، دمشق، سوريا، 2010م.
159. يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، ط01، دار الأمان، القاهرة، مصر، 1414هـ- 1994م.

ثالثا_المراجع المترجمة:

160. أمبرت إيكو، القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 1996م.
161. تون أ. فان ديك، النص السياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، ط01، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000م.
162. تون أ. فان ديك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب، 1421هـ- 2001م.
163. تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، تر: جورج تامر وآخرون، ط4، منشورات الحمل، كولونيا- ألمانيا، 2008م.

164. ج.ب، براون و ج يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م .
165. جورج مونان، مفاتيح الألسنية، ترجمة: الطيب بكوش، منشورات الجديد، تونس، 1981م.
166. جورج يول، معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبد الحفيظ، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 1999م.
167. جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، ط2، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1991م.
168. جون كوين، النظرية الشعرية: بناء لغة الشعر - اللغة العليا-، ط4، تر: أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، 2000م.
169. روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط01، دار عالم الكتب، القاهرة، 1998م.
170. روجر فالور، اللسانيات والرواية، تر: أحمد مومن، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، مطبعة البعث، 2006م.
171. رولان بارت، لذة النص، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، 1992م.
172. زتسيسلاف اوورزنيك، مدخل إلى علم النص: (مشكلات بناء النص)، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 1424هـ_2003م.
173. سارة مليز، الخطاب، ترجمة: يوسف بغول، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 2004م .
174. فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تر: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجيبة، الدار العربية للكتاب، تونس، (دت) .
175. فولفجانج هاينه مان ديتر فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، ط01، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر.
176. كريستين آدميستك، لسانيات النص عرض تأسيسي، تر: سعيد حسن بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2009م.
177. كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمنهج، تر: سعيد حسن بحيري، ط01، مؤسسة المختار، القاهرة، 1425هـ-2005م.

رابعاً_ المعاجم والقواميس والموسوعات:

178. إسماعيل بن جهاد الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1404هـ-1984م.
179. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الفكر، 1399هـ-1979م.
180. السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، 1399هـ-1979م.
181. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين: مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هندراوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م.
182. علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1958م.
183. فضل حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية: نقد مطاعن ورد شبهات، ط2، دار البشير، عمان، الأردن، 1410هـ-1989م.
184. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م.
185. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أياي الشيرازي، القاموس المحيط، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، 1301هـ.
186. مجموعة من علماء اللغة العربية (إبراهيم أنيس، شوقي ضيف عبد الحليم منتصر عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد)، المعجم الوسيط، ط04، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1425 هـ، 2004م.
187. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، 1996م.
188. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).
189. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد العليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، القاهرة، (دت).

190. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر.

خامسا_الدوريات:

191. بشير ابرير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 401، أيلول 2004.

192. عبد الرحمان الحاج صالح، الجملة في كتاب سيوييه، مجلة المبرز، فكرية أدبية محكمة، تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، العدد 02.

193. عبد الرحمان بودرع، أثر السياق في فهم النص القرآني، مجلة الإحياء المغربية، العدد 25، جمادى الثانية 1428هـ-يوليو 2007م.

194. عبد القادر بوزيدة، فان ديك وعلم النص، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع11، ماي أيار 1997م.

195. محمد الولي، السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة، مجلة الإحياء المغربية، العدد 25، جمادى الثانية 1428هـ-يوليو 2007م.

196. محمد بن مريس الحارثي، قراءة جديدة لمفهوم السبك، مجلة جذور، فصلية محكمة تعنى بالتراث وقضاياها، النادي الثقافي الأدبي بجدّة، المملكة العربية، السعودية، مج4، ع7، شوال 1422هـ-2001م.

197. محمد خان، القرآن الكريم ونظريات الإعجاز، مجلة التواصل، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، محكمة، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد 2، جانفي 1997م.

198. نعمان بوقرة، المصطلح اللساني النصي: قراءة تأصيلية سياقية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عنابة، الجزائر، 2002م.

199. نعمان بوقرة، نحو النص: مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة، مجلة علامات، جمادى الأولى 1428هـ، مايو 2007م.

_ الرسائل الجامعية:

200. جبار سويس حنين الذهبي، الاتساق في العربية: دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة ماجستير، في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، العراق، 1426هـ-2005م.

201. شريفة بلحوت، الإحالة دراسة نظرية، مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب Cohésion in English لهاليداي ورقية حسن، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2005-2006م.
202. عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، السياق القرآني وأثره في التفسير: دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، 1429هـ-2008م.
203. عمر علي حسان عرفات، منهج القرآن في عرض القصص، قصة موسى عليه السلام أنموذجاً: رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، تشرين الثاني، 2009م.
204. فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه الميثابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1426هـ-2005م.
205. ناصر محمود صالح النواصرة، التماسك النصي بين النظرية والتطبيق، "سورة الأنعام أنموذجاً"، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2009م.
206. نوال الخلف، الانسجام في القرآن الكريم: سورة النور أنموذجاً (أطروحة دكتوراه)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2006-2007.
207. يوسف سليمان عليان، التماسك النصي في اللغتين "العربية والانجليزية": دراسة تقابلية في "الربط النحوي"، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2002م.

سابعاً_ المراجع باللغة الفرنسية:

208. Dell Hymes, Vers la compétence de Communication, Paris, 1984.
209. E.Benveniste, Problèmes de linguistique Générale, Edition, Gallimard, 1996.
210. Sophie Moirond, Enseigner à communiquer en langue, Etranger, Paris, 1976.

ثامناً_ المقالات باللغة الفرنسية:

211. Zellig Harris, Analys du discours. Tr François Dubois Charlier, 1996.

الفهارس

- _أولاً: فهرس الآيات القرآنية.
- _ثانياً: فهرس الآيات الشعرية.
- _ثالثاً: فهرس الموضوعات.

أولاً - فهرس الآيات القرآنية:

| -سورة البقرة- | | |
|--|--------|-----------------------------|
| الآية | رقمها | الصفحة |
| ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ | 6 | 343 |
| ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ | 25 | 401_340_331 |
| ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ ءَامُونَ﴾ | 28 | 422_400 |
| ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ | 37_35 | 422 |
| ﴿يَبْنَئِي أَسْرَعًا يَلْذُكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ | 101_40 | _400_339_310_217 422 |
| ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ | 49 | _238_236_208_141 286_272 |
| ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا﴾ | 51 | 288_237 |
| ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَقَوْمِ إِنَّا كُفَرْنَا﴾ | 54 | 401 |
| ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ﴾ | 55 | 249 |
| ﴿وَوَضَعْنَا عَلَىٰ كُفْرِكُمُ الْعَمَامَ ۖ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ | 57 | 249_225_224 |
| ﴿... وَسَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ | 58 | 272_243_237 |
| ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ﴾ | 59 | 273_243 |
| ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا﴾ | 60 | 273_249 |
| ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ﴾ | 61 | 401_225_199 |
| ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُم﴾ | 63 | 279_267 |

| | | |
|---------|---------|---|
| 401_217 | 67 | ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ ﴿﴾ |
| 217 | 70 | ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ ﴿﴾ |
| 223 | 71 | ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ ﴿﴾ |
| 279_267 | 93 | ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ﴿﴾ |
| 199 | 97 | ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ﴿﴾ |
| 422 | 101 | ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿﴾ |
| 401 | 108 | ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا ﴿﴾ |
| 311 | 122 | ﴿ يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴿﴾ |
| 238 | 150 | ﴿... فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ... ﴿﴾ |
| 205 | 168 | ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا ﴿﴾ |
| 222 | 175_174 | ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ ﴿﴾ |

-سورة آل عمران-

| | | |
|-----|-----|---|
| 144 | 07 | ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا ﴿﴾ |
| 259 | 13 | ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ ﴿﴾ |
| 100 | 18 | ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ ﴿﴾ |
| 148 | 35 | ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴿﴾ |
| 218 | 78 | ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمُ ﴿﴾ |
| 141 | 102 | ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿﴾ |

-سورة النساء-

| | | |
|----------------|-------|---|
| 140 | 27 | ﴿وَاللّٰهُ يُرِيدُ اَنْ يُّتُوْبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيْدُ﴾ |
| 249 | 153 | ﴿فَاَخَذْتَهُمُ الصَّعِقَةَ يُظْلَمِهِمْ﴾ |
| 267 | 154 | ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّوْرَ بِمِثْقَالِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ |
| -سورة المائدة- | | |
| 200 | 13 | ﴿فِيْمَا نَقَضْتُمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا﴾ |
| 311 | 20 | ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ اذْكُرُوْا﴾ |
| 311_222 | 21 | ﴿يَقَوْمِ اَدْخُلُوا الْاَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي﴾ |
| 312 | 22 | ﴿قَالُوْا يٰمُوسٰى اِنَّ فِيْهَا قَوْمًا جَبّٰرِيْنَ وَاِنَّا لَنْ﴾ |
| 222_200 | 24 | ﴿قَالُوْا يٰمُوسٰى اِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا اَبَدًا مَا﴾ |
| 314_312 | 26 | ﴿فَاِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ اَرْبَعِيْنَ سَنَةً﴾ |
| 283 | 44 | ﴿...فَلَا تَخْشَوُا الْكَاسَ وَاخْشَوْنَ﴾ |
| -سورة الأعراف- | | |
| 343 | 26 | ﴿يٰبَنِيَّ اٰدَمُ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِيَاسًا يُورِيْ سَوْءَ تِكْمِ﴾ |
| 380 | 36_35 | ﴿يٰبَنِيَّ اٰدَمُ اِمَّا يٰتِيْنٰكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُوْنَ عَلَيْكُمْ﴾ |
| 380 | 93_59 | ﴿لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوْا﴾ |
| 208 | 69 | ﴿اَوْعَجِبْتُمْ اَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلٰى﴾ |
| 381 | 73 | ﴿وَإِلٰى ثَمُوْدَ اٰخَاهُمْ صٰلِحًا قَالَ يٰقَوْمِ﴾ |
| 212 | 74 | ﴿وَاذْكُرُوْا اِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِّنْ بَعْدِ﴾ |
| 381 | 80 | ﴿وَلُوْطًا اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اَتَاْتُوْنَ الْفَحِشَةَ مَا﴾ |

| | | |
|-----------------------------|---------|--|
| 381 | 85 | ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ ﴾ |
| 381_209 | 101 | ﴿ تِلْكَ الْفُرْقَانُ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ﴾ |
| 383 | 102 | ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا ﴾ |
| 308_285_275_240 | 105_103 | ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ |
| 308_305_262 | 107 | ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ |
| 308 | 108 | ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴾ |
| 308_263 | 109 | ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا ﴾ |
| 308 | 110 | ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ |
| 308_269_252 | 113_111 | ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ ﴾ |
| 309_252_247_235 | 118-113 | ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا ﴾ |
| _275_269_263_247 285_276 | 120_117 | ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا ﴾ |
| 246 | 123 | ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ ﴾ |
| 276 | 126_125 | ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ ﴾ |
| 383_246 | 129 | ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ ﴾ |
| 319 | 131 | ﴿ فَإِذَا جَاءَ تَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن ﴾ |
| 319 | 132 | ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لَتَسْحَرْنَا بِهَا فَمَا ﴾ |
| 319 | 134_133 | ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ ﴾ |
| 264_241_235_218 | 134 | ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ﴾ |

| | | |
|----------------|---------|--|
| 319_264 | 135 | ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَرَ إِلَىٰ أَجَلٍ ﴾ |
| 285_271_236 | 141 | ﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ |
| 241_236_226 | 142 | ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي ﴾ |
| 270_241 | 143 | ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظِرْ لِّيكَ... ﴾ |
| 241_213 | 148 | ﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ |
| 277_247 | 150 | ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ |
| 405_237 | 157_155 | ﴿ وَأَخْبَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا ﴾ |
| 382 | 158 | ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ |
| 382 | 171_159 | ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ ﴾ |
| 273_249 | 160 | ﴿ ...وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا ﴾ |
| 272_243_237 | 161 | ﴿ ...سَازِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ |
| 272_243 | 162 | ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ﴾ |
| 278_266_245 | 171 | ﴿ وَإِذْ نُنَقِنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ ﴾ |
| 380 | 206 | ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ |
| -سورة الأنفال- | | |
| 342 | 4 | ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ ﴾ |
| 342 | 5 | ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ |
| -سورة التوبة- | | |

| | | |
|---------------|-------|--|
| 140 | 14 | ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾ |
| 140 | 32 | ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ﴾ |
| 98 | 40 | ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ﴾ |
| - سورة يونس - | | |
| 314 | 2_1 | ﴿ الرَّبِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ ﴾ |
| 393 | 8_7 | ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ ﴾ |
| 392 | 9 | ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ |
| 393 | 22 | ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ ﴾ |
| 415 | 48 | ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ |
| 391 | 49 | ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ ﴾ |
| 415 | 51_50 | ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ بِعَذَابٍ بَيْنِنَا أَوْ نَهَارًا مَاذَا ﴾ |
| 392 | 73_71 | ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْ ﴾ |
| 415_275_240 | 75 | ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ |
| 415 | 76 | ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا ﴾ |
| 309 | 80 | ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ ﴾ |
| 392 | 83 | ﴿ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ ﴾ |
| 393 | 87_84 | ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ ﴾ |
| 415_393 | 88 | ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ ﴾ |
| 393_391 | 98 | ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنْتَ فَفَعَلْنَا بِمَنْهَا إِلَّا ﴾ |

| | | |
|----------------|-------|--|
| 415_393 | 92_90 | ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ ﴾ |
| 391 | 106 | ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ |
| 414 | 109 | ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾ |
| -سورة هود- | | |
| 394 | 2_1 | ﴿ الرَّأْحِمَاتُ أَيْنَهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ ﴾ |
| 345 | 3_2 | ﴿ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ |
| 298 | 12 | ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ﴾ |
| 396_345 | 26 | ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ |
| 139 | 44 | ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِعِي ﴾ |
| 396 | 50 | ﴿ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ |
| 395_394 | 60_58 | ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ |
| 396_345 | 61 | ﴿ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ |
| 396_142 | 70_69 | ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ﴾ |
| 396_345 | 84 | ﴿ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ |
| 397_306 | 99_96 | ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ |
| 396 | 115 | ﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ |
| -سورة يوسف- | | |
| 162 | 85 | ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ ﴾ |
| -سورة ابراهيم- | | |
| 420 | 01 | ﴿ الرَّكَّتِبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ﴾ |
| 140 | 4 | ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ ﴾ |

| | | |
|-------------------------|---------|--|
| 420 | 5 | ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ |
| _272_237_236_141 286 | 6 | ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا ﴾ |
| - سورة الحجر - | | |
| 142 | 52_51 | ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا ﴾ |
| 145 | 93_92 | ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهُمَّ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ عَمَّا ﴾ |
| - سورة الإسراء - | | |
| 389_321 | 2_1 | ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ ﴾ |
| 389_322 | 3_2 | ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي ﴾ |
| 322 | 7_5 | ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا ﴾ |
| 287_248 | 8 | ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عَدْنَا ﴾ |
| 390 | 9 | ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ |
| 388 | 93_90 | ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ﴾ |
| 215_190 | 105_101 | ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ |
| 215 | 103 | ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْ الْأَرْضِ ﴾ |
| 389 | 111 | ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ ﴾ |
| - سورة الكهف - | | |
| 419_398 | 5_4 | ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ |
| 314 | 18 | ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتِنَا ظُحُومًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ |
| 398_216_189 | 62-60 | ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ لَآ أَبْرَحُ ﴾ |

| | | |
|-----------------------------|-------|---|
| 324_216 | 82_71 | ﴿ فَأَنْطَلِقَ حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَ فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ |
| 221 | 76 | ﴿ إِنْ سَأَلْتَهُ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَِّبْهُ ﴾ |
| 221 | 78 | ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ |
| _242_224_221_209 288 | 82_79 | ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي ﴾ |
| 142 | 84_83 | ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ |
| -سورة طه- | | |
| 407_406_386_385 | 4-1 | ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ ﴾ |
| 409 | 09-08 | ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ |
| 303_270_265 | 10 | ﴿ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنِي ﴾ |
| 304_277_222_207 | 17_11 | ﴿ فَلَمَّا أَنهَاهُنَا يُدْرِي بِمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا ﴾ |
| 386_218 | 14 | ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ |
| _222 | 18 | ﴿ قَالَ هِيَ عَصَىٰ أَلْتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴾ |
| 305_262 | 20 | ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ |
| 320_223 | 30_29 | ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴾ |
| _209 | 36 | ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ |
| _302_301_270_213 406_320 | 39_37 | ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا ﴾ |
| 303_270 | 40 | ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ ﴾ |
| 407 | 44 | ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّبِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ |

| | | |
|-----------------|---------|--|
| 286_253 | 52_42 | ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نُنْيَا فِي ذِكْرِي ﴾ |
| 406 | 46 | ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ |
| 309 | 48_47 | ﴿ فَأَنبَأَهُ فِقُولًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بِنِي ﴾ |
| 219 | 59 | ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ ﴾ |
| 219 | 60 | ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ |
| 387_219 | 61 | ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ ﴾ |
| 223 | 63 | ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ ﴾ |
| 309_275_252_235 | 66_65 | ﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْفَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ ﴾ |
| 276_269_263 | 69 | ﴿ وَالْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا ﴾ |
| 219 | 70 | ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمْنَا رَبِّ ﴾ |
| 253_246 | 71 | ﴿ قَالَ ءَأَمْنُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ... ﴾ |
| 276 | 73_72 | ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ |
| 249 | 80 | ﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْمَعْنَاكُمْ مِنْ عُدُوكُمْ ﴾ |
| 407_277_247 | 86 | ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ ﴾ |
| 407 | 88 | ﴿ فَنَسِيَ ﴾ |
| 407 | 96 | ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿١٦﴾ ﴾ |
| 406 | 113 | ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ ﴾ |
| 407_386 | 116_115 | ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ ﴾ |
| 407 | 120 | ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴿١٣٠﴾ ﴾ |

| | | |
|-----------------|---------|--|
| 406 | 122 | ﴿ ثُمَّ أَجْنِبْهُ رَبُّهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ |
| 407_386 | 124_123 | ﴿ قَالَ أَهَيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ |
| 387 | 130 | ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ ﴾ |
| 386 | 132 | ﴿ وَأَمْرًا هَلَاكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ ﴾ |
| -سورة الأنبياء- | | |
| 100 | 62 | ﴿ وَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا بُرْهِيمُ ﴾ |
| -سورة الحج- | | |
| 140 | 5 | ﴿ لَنْبِئَنَّ لَكُمْ وَنُفِئَنَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ |
| -سورة المؤمنون- | | |
| 210 | 42 | ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ |

| | | |
|---------------------------------|-------|---|
| -سورة الفرقان- | | |
| 384 | 3_1 | ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ ﴾ |
| 285 | 4 | ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ ﴾ |
| 385_306 | 39_35 | ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ ﴾ |
| -سورة الشعراء- | | |
| 409_207 | 3_1 | ﴿ طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾ |
| 408 | 6_5 | ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ ﴾ |
| 409 | 7 | ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَلْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ﴾ |
| _239_237_219_207 309_254_241 | 18-10 | ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمِ ﴾ |

| | | |
|-------------|-------|---|
| 248 | 19_12 | ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ ﴾ |
| 278_239 | 28-22 | ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيْهَا أَنْ عَبَدتَّ بَنِي ﴾ |
| 320_287_242 | 31_23 | ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ قَالَ رَبُّ |
| 308_262 | 32 | ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ |
| 308 | 33 | ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴾ |
| 308_278_263 | 34 | ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ |
| 308 | 35 | ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ |
| 308_269 | 36 | ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ |
| 235 | 41 | ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا ﴾ |
| 309_252_235 | 44_43 | ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ |
| 309 | 44 | ﴿ بَعِزَّةٍ فِرْعَوْنَ ﴾ |
| 246_269_263 | 45 | ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا ﴾ |
| 246 | 49 | ﴿ قَالَ ءَأَمْسُرُ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ ... ﴾ |
| 277 | 51_50 | ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ ﴾ |
| 266 | 58 | ﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ |
| 278 | 59 | ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ |
| 191 | 68_65 | ﴿ وَأَتَّخِثْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ ﴾ |
| 208 | _109 | ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ﴾ |

| | | |
|-------------------------------------|-----------------------------|--|
| | _127 _145 _164 180 | |
| -سورة النمل- | | |
| _277_265_213_189 411_410_304_303 | 9_4 | ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّنَا لَهُمْ ﴾ |
| 305_262 | 10 | ﴿ وَاللَّيْ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى ﴾ |
| 271_266_248_245 | 12 | ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا ﴾ |
| 410 | 14 | ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ |
| 410_287 | 15 | ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا ﴾ |
| 315 | 50 | ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكْرُؤًا مَكَرًا مَكْرًا ﴾ |
| 315 | 52 | ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ |
| 410 | 93_91 | ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ﴾ |
| -سورة القصص- | | |
| 214_189 | 6_3 | ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ ﴾ |
| 254_214 | 6_4 | ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا ﴾ |
| 196 | 5 | ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا ﴾ |
| _301_270_255_215 302 | 8_7 | ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَاذَا ﴾ |
| 302_271_255_215 | 14_10 | ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِحًا ۖ إِنَّ ﴾ |

| | | |
|-----------------------------|-------|--|
| 220 | 15 | ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ |
| 242 | 24_23 | ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً ﴾ |
| 255 | 25 | ﴿ فَجَاءَهُهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ |
| 208 | 26 | ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنِّي أَرْبُ ﴾ |
| 209 | 28_27 | ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ بِأَهْلِهِ ﴾ |
| 413_304_303_265 | 29 | ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ |
| 305_278 | 30 | ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ ﴾ |
| _271_266_262_221 305_304 | 32_31 | ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا ﴾ |
| 212 | 38 | ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ ﴾ |
| 255 | 40 | ﴿ فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ |
| 305 | 44 | ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى ﴾ |
| 321 | 80_76 | ﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ |
| 361_121 | 77 | ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ |
| 413 | 86_85 | ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا ﴾ |
| -سورة الأحزاب- | | |
| 148 | 4 | ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي ﴾ |
| -سورة السجدة- | | |

| | | |
|----------------|-------|--|
| 334 | 27_26 | ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ |
| -سورة فاطر- | | |
| 99 | 45 | ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ |
| -سورة الصافات- | | |
| 140 | 147 | ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ |
| -سورة ص- | | |
| 343 | 49 | ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَثَابٍ﴾ |
| -سورة الزمر- | | |
| 144 | 73 | ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ﴾ |
| -سورة غافر- | | |
| 417 | 22_21 | ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ﴾ |
| 416_189_188 | 27_23 | ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ﴾ |
| 416 | 29_28 | ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ |
| 323_191 | 45_41 | ﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾ |
| 191 | 47_46 | ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ |
| 417 | 56_55 | ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ﴾ |
| -سورة فصلت- | | |
| 356 | 3 | ﴿كَذَّبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ﴾ |
| -سورة الشورى- | | |

| | | |
|-------------------------|-------|--|
| 160 | 48 | ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ |
| -سورة الزخرف- | | |
| 418_197 | 31 | ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ﴾ |
| _307_247_246_197 309 | 56-46 | ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهُ السَّاحِرُ أَدْعُنَا رَبِّكَ بِمَا﴾ |
| 160 | 81 | ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ |
| -سورة الدخان- | | |
| 198 | 11_10 | ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ |
| 198 | 17 | ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ |
| 266_216_190 | 33_22 | ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ |
| -سورة الجاثية- | | |
| 371 | 30_29 | ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ |
| -سورة الذاريات- | | |
| 142 | 25_24 | ﴿هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ |
| 307_242 | 40_38 | ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ |
| -سورة الرحمن- | | |
| 145 | 39 | ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ |
| -سورة الممتحنة- | | |
| 261 | 1 | ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ |

| | | |
|-----------------|-------|--|
| -سورة الحاقة- | | |
| 395 | 8_7 | ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ |
| 102 | 52-38 | ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ |
| -سورة المعارج- | | |
| 145 | 04 | ﴿مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ |
| -سورة المزمل- | | |
| 105 | 3_2 | ﴿قُرْآنٌ لِّلْأَقْلِيَالِ ﴿٢﴾ نَصْفُهُ وَأَنْتَقِصَ مِنْهُ﴾ |
| 218_98 | 16_15 | ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ﴾ |
| -سورة المدثر- | | |
| 330 | 11 | ﴿ذُرِّيِّ وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ |
| -سورة النازعات- | | |
| 305 | 16 | ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ |
| 421 | 17 | ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ |
| 421_210 | 25 | ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ |
| 421 | 26 | ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْتَعَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ |
| 421 | 39_37 | ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ﴾ |
| -سورة البروج- | | |
| 162 | 4 | ﴿قِيلَ أَضْحَبُ الْأَخْدُودِ﴾ |
| -سورة الطارق- | | |

| | | |
|--------------|-----|---|
| 161 | 1 | ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ |
| 161 | 4 | ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ |
| -سورة الفجر- | | |
| 376 | 8_6 | ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ |
| -سورة الشمس- | | |
| 162 | 1 | ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ |
| 162 | 9 | ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ |
| -سورة القدر- | | |
| 205 | 01 | ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ |
| -سورة الفيل- | | |
| 349 | 5 | ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ |
| -سورة قريش- | | |
| 349 | 1 | ﴿لَا يَلِفُ قُرَيْشٍ﴾ |

ثانياً - فهرس الأبيات الشعرية:

| الصفحة | القائل | الوزن | البيت الشعري |
|--------|------------------------|--------|---|
| 150 | مجهول القائل | الرجز | وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر |
| 151 | خلف الاحمر | الطويل | وبعض قريض القوم أولاد علة يكذ لسان الناطق المتحفظ |
| 151 | ابو البيداء الرياحي | الطويل | وشعر كبعر الكباش فرق بينه لسان دعي في القريض دخيل |
| 152 | ابن يسير | الخفيف | هل معين على البكا والعويل أم معز على المصاب الجليل |
| 152 | ابن يسير | الخفيف | لم يضرها والحمد لله شيء وانثنت نحو عزف نفس ذهول |
| 156 | المتنبي | الطويل | أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الحجر، والوصل أعجب |
| 156 | المتنبي | الطويل | ولله سيري ما أقل تعية عشية شرقي الحدالي وعرب |

ثالثا: فهرس الموضوعات

| | |
|---|---|
| أ | المقدمة..... |
| الفصل الأول: النص ومصطلحاته (قراءة في المفاهيم) | |
| 2 | أولاً: النص ومشتقاته..... |
| 2 | 1-النص..... |
| 14 | 2-النص والخطاب..... |
| 18 | 3-النص والجملة..... |
| 29 | 4-النص والسياق..... |
| 43 | ثانياً: نحو النص..... |
| 45 | 1-مفهوم نحو النص..... |
| 50 | 2-علاقة نحو الجملة بنحو النص..... |
| 56 | 3-حاجة الدراسات النصية إلى نحوي الجملة والنص..... |
| 60 | 4-وظيفة نحو النص..... |
| 66 | ثالثاً: لسانيات النص..... |
| 66 | 1-لسانيات النص: النشأة والتطور..... |
| 76 | 2_ مفهوم لسانيات النص..... |
| 79 | 3-المصطلحات المرادفة لعلم لسانيات النص..... |
| 82 | 4-وظيفة لسانيات النص..... |
| 84 | 5-أهمية لسانيات النص..... |
| الفصل الثاني: التماسك النصي من منظور لسانيات النص | |
| 88 | أولاً: المعايير النصية..... |

| | |
|--|---|
| 88 | 1- مفهوم النصانية..... |
| 89 | 2- الفرق بين لسانيات النص ولسانيات الجملة عند روبيرت دي بوجراند..... |
| 95 | 3- الأنماط النصية..... |
| 120 | 4- المعايير النصية في الدراسات القرآنية والبلاغية..... |
| 122 | ثانيا: التماسك النصي في التراث العربي..... |
| 123 | 1- مفهوم التماسك..... |
| 126 | 2- التماسك النصي في التراث اللغوي العربي..... |
| 148 | 3- التماسك النصي في التراث النقدي العربي..... |
| 157 | 4- التماسك النصي عند الأصوليين..... |
| 163 | ثالثا: التماسك النصي في الدرس اللساني الحديث..... |
| 165 | 1- الاختلاف حول تعدد آليات التماسك النصي..... |
| 173 | 2- العلاقة بين أهم المصطلحات النصية(التماسك/الانسجام)..... |
| الفصل الثالث: آليات التماسك النصي في قصة موسى عليه السلام | |
| 187 | أولا: تكامل قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم..... |
| 187 | 1- منهج القرآن الكريم في عرض بداية ونهاية القصة..... |
| 194 | 2- تماسك مشاهد قصة موسى عليه السلام مع المشاهد المعروضة في السور المكية والمدنية..... |
| 201 | ثانيا: التماسك النحوي في قصة موسى عليه السلام..... |
| 201 | 1- الإحالة..... |
| 201 | 1-1- تعريف الإحالة..... |
| 203 | 1-2- أنواع الإحالة..... |

| | |
|-----|--|
| 204 | 1-3- وسائل التماسك الإحالية..... |
| 206 | 1-4- الإحالة الخارجية والداخلية في قصة موسى عليه السلام..... |
| 212 | 2-4- وسائل تماسك الإحالة في قصة موسى عليه السلام..... |
| 229 | 2- الحذف..... |
| 230 | 2-1- تعريف الحذف..... |
| 231 | 2-2- مستويات الحذف وأقسامه..... |
| 232 | 2-3- أسباب الحذف..... |
| 233 | 2-4- علاقة الحذف بالآليات النصية الأخرى..... |
| 234 | 2-5- الحذف في قصة موسى عليه السلام..... |
| 234 | أ- حذف الحرف..... |
| 239 | ب- حذف الاسم..... |
| 245 | ج- حذف الفعل..... |
| 246 | د- حذف الفاعل..... |
| 246 | هـ- حذف الجملة..... |
| 251 | و- حذف أكثر من جملة..... |
| 257 | 3- الاستبدال..... |
| 257 | 3-1- تعريف الاستبدال..... |
| 258 | 3-2- الاستبدال عند القدماء والمحدثين..... |
| 259 | 3-3- علاقة الاستبدال بالآليات النصية الأخرى..... |
| 260 | 3-4- أنواع الاستبدال..... |
| 261 | 3-5- الاستبدال في قصة موسى عليه السلام..... |

| | |
|---|---|
| 261 | أ-الاستبدال الاسمي |
| 268 | ب-الاستبدال الفعلي |
| 274 | ج-الاستبدال الجملي |
| 280 | 4-الوصل |
| 281 | 4-1-تعريف الوصل |
| 283 | 4-2-عناصر الوصل |
| 283 | 4-3-وظيفة الوصل |
| 284 | 4-4-الوصل في قصة موسى عليه السلام |
| 290 | ثالثا: التماسك المعجمي في قصة موسى عليه السلام |
| 291 | 1-التكرار |
| 291 | 1-1-تعريف التكرار |
| 293 | 1-2-التكرار بين البلاغيين العرب وعلماء لسانيات النص |
| 294 | 1-3-أنواع التكرار |
| 295 | 1-4-وظيفة التكرار |
| 296 | 1-5-التكرار في قصة موسى عليه السلام |
| 300 | 1-6-المشاهد المكررة في قصة موسى عليه السلام |
| 313 | 2-التضام |
| 313 | 2-1-مفهوم التضام |
| 316 | 2-2-علاقات التضام |
| 318 | 2-3-التضام في قصة موسى عليه السلام |
| الفصل الرابع: العلاقات النصية وتماسك قصة موسى عليه السلام | |

| | |
|-----|---|
| 329 | أولا :علاقة المناسبة بالتماسك النصي وأهميتها في القرآن الكريم |
| 329 | 1-نشأة علم المناسبة |
| 332 | 2-مفهوم المناسبة |
| 337 | 3-المناسبة بين الرفض والقبول |
| 341 | 4-أنواع المناسبة |
| 347 | 5-علاقة المناسبة بالتماسك النصي في القرآن الكريم |
| 351 | 6-أهمية المناسبة في القرآن الكريم |
| 353 | ثانيا :دلالة السياق في النص القرآني |
| 354 | 1-تعريف السياق القرآني |
| 355 | 2-دلالة السياق في الدراسات اللغوية والقرآنية |
| 360 | 3-الدراسات القرآنية والمعايير النصية..... |
| 362 | 4-خصائص السياق القرآني وأنواعه..... |
| 378 | ثالثا :التماسك النصي بين قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في السورة الواحدة |
| 379 | 1-قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة الأعراف |
| 384 | 2-قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة الفرقان |
| 385 | 3-قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة طه |
| 387 | 4-قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة الإسراء |
| 390 | 5-قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة يونس |
| 394 | 6-قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة هود |
| 397 | 7-قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة الكهف |

| | |
|----------------|--|
| 399 | 8- قصة موسى عليه السلام والقصص القرآني في سورة البقرة |
| 402 | رابعا: التماسك النصي بين قصة موسى عليه السلام وسياق السورة الواردة فيها... |
| 403 | 1- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة الأعراف |
| 405 | 2- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة طه |
| 407 | 3- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة الشعراء |
| 409 | 4- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة النمل |
| 411 | 5- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة القصص |
| 413 | 6- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة يونس |
| 415 | 7- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة غافر |
| 417 | 8- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة الزخرف |
| 418 | 9- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة الدخان |
| 419 | 10- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة الكهف |
| 419 | 11- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة إبراهيم |
| 420 | 12- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة النازعات |
| 421 | 13- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة البقرة |
| 422 | 14- قصة موسى عليه السلام في سياق سورة المائدة |
| 424 | الخاتمة |
| 428 | الملاحق |
| 439 | قائمة المصادر والمراجع |
| الفهارس | |
| 459 | فهرس الآيات القرآنية |

| | |
|-----|---------------------------|
| 477 | فهرس الأبيات الشعرية..... |
| 478 | فهرس الموضوعات |

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص:

تمثل هذه الدراسة ممارسة نصية تطبيقية، تفيد من الحاضر اللساني، وتستحضر إسهامات علماء العربية المتقدمين من بلاغيين ومفسرين ، وإشاراتهم التي تمثل ملامح مهمة تكشف عن وعيهم وإدراكهم للمسألة، وهي تتعامل مع الخطاب القرآني، لتكشف آليات تماسكه النصي، من خلال نماذج نصية من قصة موسى عليه السلام، بحسب ترتيب النزول، لا بترتيب المصحف الشريف، لأن ترتيب النزول يحقق تسلسلا زمنيا وظاهرة إعجازية، تتمثل في الوصول إلى قصة فنية كاملة، بترتيب أحداث قصة موسى عليه السلام، لتجيء متفقة مع ترتيبها في الواقع، أي أن السياق التاريخي له أثره الكبير في بيان التناسب والتماسك النصي.

لذا كان عنوان الرسالة: التماسك النصي في القصص القرآني-دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام-

ولإدراك وسائل التماسك النصي في قصة موسى عليه السلام النحوية والمعجمية، تتجلى أمامنا معرفة القضية الأساسية، التي تعالجها كل سورة وردت فيها، وكيف تسهم كل عناصر النص في تجلية هذه القضية، وكيف ترتبط بها في آيات معاً للوصول إلى شبكة العلاقات هذه التي تحقق للنص عنصر التماسك النصي.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على جانبين ؛ فأما الجانب الأول، وهو الداخلي، الذي يعتبر القصة كلا يحقق خاصية التماسك النصي وأما الجانب الثاني، وهو الخارجي الذي يربطها بالمعطيات الخارجية المتمثلة في جملة المواقف، التي تمثل موسى عليه السلام، ودعوته إلى توجيه الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم، والتبشير بمجيئه.

إن قصة موسى عليه السلام التي ورد فيها اسمه في 136 موضعا في 34 سورة، منها 27 مكية، قد ذكرت في هذه السور من خلال عرض المشاهد المتعددة، التي تمثل في النهاية قصة كاملة، وهنا يبرز عنصر التماسك النصي بين هذه النصوص المكونة للقصة، فهي تنقسم

إلى عدة حلقات تُعرض كل منها في سورة أو أكثر أحياناً، مع اختلاف الأسلوب بما يتلاءم مع جوّ السورة العام وهدفها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Summary

This dissertation represents a practical text study of the Story of *Moses, Peace Be upon Him*, in Qur'an. It undertakes to explore the mechanisms of text cohesion. It is essential to mention here that our study depends on the order of descent of the *Surat* and not on the order that has been brought by the Qur'an because the order of descent displays chronology of the events of *Moses', Peace Be upon Him*, Story on the one hand, and shows miracles of the Qur'an on the other hand, leading, eventually, into a complete artistic Story. In fact, that historical context has got a significant impact on the demonstration of text coherence and cohesion.

In order to recognize the grammatical and the lexical means of cohesion in the Story of *Moses, Peace Be upon Him*, we, firstly, have tried to know the principle issue that every *Surat* addresses. After that, we have attempted to understand how the components of the text contribute in shaping the overall meaning of this issue, and how they connect the verses together inclining into network relationships which make the text coherent.

This study relies on two aspects. The first aspect, which is internal, indicates that text coherence can be achieved within the Story. Whereas, the second aspect, which is external, relates the Story to the external variables that are demonstrated in a series of attitudes of *Moses, Peace Be upon Him*, such as directing the discourse of the Qur'an to the Prophet Muhammad, Peace Be upon Him, and preaching His arrival.

Also, the findings of this study display that the verses of the Story of *Moses, Peace Be upon Him*, in which His name appears in 136 location and has been frequently repeated in 34 *Surat*—27 are *Surat Makiya*, are considered as one great text consisting of a number of sub-texts, and each sub-text is presented in one *Surat* and sometimes in more, with different style to suit the mood and the aim of the *Surat*. Herein, text coherence holds a place between those sub-texts of the Story.

عبد القادر للعوم الإسلامية
العلوم الإسلامية

Résumé

Cette étude représente un exercice textuel pratique qui aide dans le présent linguistique et qui fait appel aux contributions des savants de la langue arabe en rhétorique et en analyse et leurs signes qui représentent des traits importants qui révèlent leur conscience et conception de l'affaire lorsqu'ils traitent le discours coranique pour révéler les mécanismes de sa cohésion textuelle, à travers des modèles textuels de l'histoire de Moïse suivant l'ordre de révélation non par l'ordre du livre saint (le coran) puisque l'ordre de révélation représente un ordre chronologique et un phénomène inimitable qui mène à une histoire artistique complète à travers l'ordre des événements de l'histoire de Moïse pour venir à une histoire artistique complète, par l'ordre des événements de l'histoire de Moïse pour qu'elle soit en concordance avec son ordre dans la réalité, alors le contexte historique a un grand effet dans la cohérence et la concordance et la cohésion textuelle.

Alors le titre de la thèse est :

La cohésion textuelle dans les contes coraniques- une étude pratique sur le conte de Moïse.

pour concevoir les moyens grammaticaux et lexicaux de la cohésion textuelle dans l'histoire de Moïse se manifeste à travers la connaissance de la cause principale, qui traite chaque sourate et comment contribue tout les éléments du texte à clarifier cette affaire, et comment se relie pour atteindre aux réseaux de relation qui assure au texte la cohésion textuelle.

Dans cette étude, on a basé sur deux volets, le premier, l'interne, qui considère que l'histoire un ensemble qui assure la particularité de la

cohésion textuelle et le deuxième volet, l'externe, qui le lie aux données externes qui se présente à l'ensemble des positions qui représente Moïse et son appel à adresser le discours à Mohamed(PSL) et annoncer de son arrivée.

L'histoire de Moïse qui a contenu son nom 136 fois dans 34 sourate, 27 parmi eux à la Mecque, il a été cité dans ces sourates par l'exposition des différentes vues qui représentent en fin un conte complet et ici se manifeste l'élément de la cohésion textuelle entre ces textes qui composent l'histoire, qui se répartit en plusieurs épisodes que chacune s'expose dans une sourate ou plus avec un changement de style qui s'adapte avec son atmosphère général et son objectif.

القادر للعوم الإسلامية